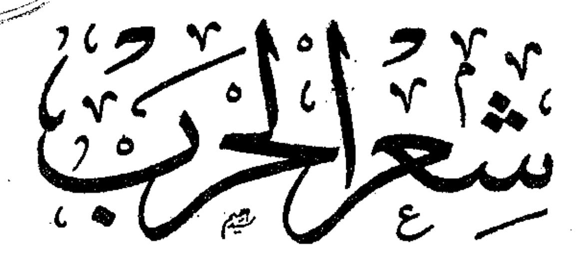


شعر الحرب

في العصر الجاهلي

تأليف

الدكتور علي الجندي
الأستاذ بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ ش جواد حسني - القاهرة


الله
بسم الله الرحمن الرحيم



شهد النصف الأول من القرن الحالي حربين عالميتين ؛ احترق العالم بلظاهما ، وذهب ضحيتها ملايين البشر . ومع ذلك فإن شبح الحرب يخيم على العالم الآن مما ينذر بوقوع حرب عالمية ثالثة لا يعلم مداها إلا الله . والعجيب أن الفترة التي تكون بين حربين يندر أن توجد فيها فرصة للناس يتنفسون فيها الصعداء ، أو يحسون لذة الحياة ونعيم العيش في راحة وأمن ، بل إن الحديث عن الحرب يكاد لا ينقطع . وإن المتتبع لتاريخ البشرية يرى أن الحرب موجودة في كل وقت ؛ إن لم تكن عالمية ففي جزء أو أكثر أجزاء العالم كل هذا يجعل الشخص يعتقد أن الحرب قد تكون من غرائز الإنسان : كأن في طبعه أن يحارب لسبب ما . فما زال الإنسان منذ بدء خلقه يثير الحرب ويعاني من ويلاتها ، ومع ذلك لا يقر له قرار ، ولا يهدأ له بال ، فما ينتهي من واحدة إلا ويفكر في أخرى ، ولا يسكت القتال في مكان إلا وينشب في آخر .

ومن العجيب كذلك أن كلا من الطرفين المتحاربين يخوض غمار الحرب وهو يعتقد في قرارة نفسه أنه محق وعلى صواب . مما يدل على أن الفرد ينظر دائماً

إلى كل شيء من ناحيته الخاصة التي تخدم أغراضه وأطماعه ، بصرف النظر عن غيره من إخوته في الإنسانية ، وحقهم في الحياة والمتعة بها كحقه . وهذا معناه أن الإنسان لم يصل بعد إلى الاعتراف بالمثل العليا عن عقيدة صادقة ، والإقرار بمبادىء العدل والمساواة والإنصاف ، والعمل على تنفيذها في بعد عن الأثرة وحب الذات .

ومع أن الإنسانية قد قطعت من عمرها قروناً طويلة منذ وجد الإنسان الأول إلى اليوم ، تطورت فيها الحياة ، وخطا الجنس البشري فيها خطوات كثيرة جـــداً في سبيل التقدم الذي يسمونه المدنية والحضارة ، فقد يجد الباحث المدقق أن السبب الذي كان الإنسان الأول يحارب من أجله وهو في بدء حياته في طور الطفولة الإنسانية ودور الهمجية ، هو نفس السبب الذي يحارب من أجله الإنسان وهو في درجة عالية من المدنية والحضارة . لكن مما لا شك فيه أن أساليب الحروب ، وطرق القتـــال ، ووجهات النظر تتغير تغيراً كبيراً في كل طور عن سابقه ، تبعاً للتطور في التفكير ، والتوسع في العلم ، والازدياد في الكشف والاختراع .

ولا ريب أن الإنسان ، بحكم ما في غرائزه من حب للاستطلاع ، يلذ له أن يقف على تطور القتال لدى أبناء جنسه في كل مظاهره : فيتتبع مراحل الحرب منذ أقدم العصور خطوة خطوة بقدر ما يستطيع ؛ ليرى أسبابها ، وطريقتها ، ونتائجها ، وآثارها ، ووجهة نظر القوم نحوها ، وتأثرها بالعلم والفكر ، وتأثير الظروف المختلفة فيهـــا ، واختلافها باختلاف الأزمنة والأمكنة .

مثل هذا العمل يتطلب من الناحية النظرية نوعين من الدراسة : أحدهما يبحث عن الحقائق المجردة ، والوثائق المؤكدة التي تصور مـــا حدث في كل العصور تصويراً دقيقاً صادقاً ، وهذا هو عمل التاريخ والمؤرخ العام ؛ وثانيهما يبحث عن مشاعر القوم وعواطفهم نحو هذه الحقائق فيما عبروا به عنهـــا ليصوروا فيه إحساساتهم تصويراً حقيقياً تاماً ، وهذا هو عمل الناقد ومؤرخ

الأدب . وهذا النوع الثاني فيه متعة وطرافة ، وهو بجانب ذلك لا يخلو من حقائق تاريخية تنفع المؤرخ العام في ميدانه .

هذا إلى أن الدراسة الأدبية بجانب القيام بمهمتها قد تقوم بمهمة النوع الأول ، وذلك حتى لا يكون هناك لعصر من العصور سجلات محفوظة سوى النصوص الأدبية الخالصة . فمن بين ثنايا العواطف والخيال نستطيع أن نتبين الحقائق التاريخية ، وبذلك تنفع التاريخ العام وأصحابه ، فوق ما تقدم للنقاد والأدباء من لذة ومتعة . وربما كان لنا أن نقول إن دراسة الشعر الجاهلي على الخصوص تؤدي إلى هذا كله . لأن الشعر الجاهلي هو السجل الوحيد الذي خلفه العرب الجاهليون ، ولعل هذا هو السبب في القول المشهور : « الشعر ديوان العرب » .

ولكن مع كثرة ترديد هذا القول منذ القدم ، فإن الشعر العربي على العموم لم ينل ما يستحقه من العناية والاهتمام ببحث كل جزئية فيه ، وكل ما هنالك أن مؤرخي الأدب قد قاموا برسم خطوط عامة لتاريخ العرب الأدبي ولم يعن أحد من المؤرخين أو النقاد بدراسة الشعر دراسة موضوعية خالصة عميقة ، فيستقصيه في صبر وأناة ، ويتتبعه بيتاً بيتاً ، ثم يرتبه ترتيباً دقيقاً ، وينظمه في أبواب حسب الموضوعات التي تحدث فيها الشعراء ، وبعد ذلك يحلل كل مجموعة على حدة ، وفي النهاية يستخلص من هذه الدراسة الظواهر العامة الواضحة في الموضوع الشعري الذي يبحثه . تلك في نظري هي الدراسة التي يستحقها الشعر وتتناسب مع ما له من الأهمية العظيمة والمنزلة السامية ، وتتلخص طريقتها في ثلاث كلمات ، هي : إحصاء وتحليل ونقد .

ولا يخفى ما للإحصاء من أهمية عظمى في البحوث على اختلاف نواحيها . فلقد أصبح الإحصاء في عصرنا الحاضر أول الأسس التي يعتمد عليها الباحثون في دراساتهم المختلفة لتكون هذه الدراسات أتم وأكمل ، وتجيء نتائجهم في النهاية أعم وأشمل . فالنقد الأدبي الذي يبنى على هذا الأساس له أهميته ومكانته الممتازة ، لأنه قائم على أساس قوي متين .

وأعتقد أن دراسة النصوص الأدبية إذا قامت على هذه الأسس الثلاثة تكون ذات فائدة كبرى ؛ لأنها تقفنا على مدى التطور الأدبي في العصر الواحد أو العصور المختلفة : فنعرف ما كان لدى الشعراء من أفكار معينة أو مختلفة ، قليلة أو كثيرة ، سطحية أو عميقة مثلاً ، ومدى إحساساتهم ومشاعرهم نحو ظاهرة واحدة أو ظواهر متنوعة ، وخيالاتهم وتصوراتهم ، وما في صورهم الشعرية من تطور أو تجديد ، ثم كيفية عرضهم لكل هذا في ذلك التعبير اللفظي الموسيقي ، فنعرف ما حدث للأدب في شتى نواحيه من تغير ، أو جمود ، أو مزج من هذا وذاك على مر العصور واختلاف الأزمنة والبيئات . ولا يخفى ما في ذلك من أهمية لمؤرخي الأدب .

هذا إلى أن دراسة الموضوع الأدبي الواحدبهذا الشكل في عصور متلاحقة تفيد النقاد فائدة عظيمة ، ذلك أنهم، بعد تمحيص ما تسفر عنه هذه الدراسة من نتائج ، يستطيعون أن يستنتجوا منها قواعد عامة في النقد ، فمثلاً بعد أن تتجلى أمامهم أفكار الشعراء في موضوع معين يمكنهم أن يحاولوا معرفة السبب في شيوع ظاهرة أو ظواهر معينة لدى الشعراء في زمن واحد أو أزمان مختلفة ؛ أكان ذلك مثلاً لاختلاف البيئة ؟ أم لاختلاف الزمن ؟ أم لاختلاف الخلق الشخصي أو الحياة الفردية للشاعر الواحد أو للشعراء المتعددين ؟ أم لسبب آخر ؟ وهكذا . فهذه الدراسة في نظري مفيدة لجميع الباحثين في ميادين الأدب وتاريخه والبلاغة والنقد الأدبي .

لذلك كله نبتت في نفسي فكرة لدراسة الشعر العربي على هذا النحو من الدراسة. ويمكن أن تتم هذه الدراسة في الشعر أو الأدب على العموم بطريقتين تؤديان في النهاية إلى نتيجة واحدة :

أولاهما : أن يدرس موضوع واحد في أقدم عصر أدبي ، ثم تدرس بقية موضوعات تلك الفترة . وعندما تتم دراسة أدبها كله توجد صورة أدبية كاملة لهذا العصر . وبعد ذلك تدرس العصور الأدبية الأخرى بنفس الطريقة إلى أن تنتهي كل العصور . وبهذا يمكن رسم صورة أدبية واضحة لكل العصور

الأدبية بموضوعاتها الجزئية .

ثانيتهما : أن يدرس موضوع واحد في أول العصور الأدبية ، ثم يدرس هذا الموضوع نفسه في العصور المتلاحقة إلى النهاية . وبذلك تتم دراسة هذا الموضوع الجزئي في كل العصور. فتتكون له صورته الكاملة الخاصة يتبين فيها ما حدث له في عمره الطويل . وبعد هذا تدرس بقية الموضوعات بهـــذه الطريقة . وبتجميع هذه الدراسات للموضوعات المختلفـــة تتكون الصورة الأدبية الواضحة لكل العصور الأدبية بموضوعاتها الجزئية .

وتنفيذاً لهذه الفكرة بدأت بأقدم العصور في الأدب العربي وهو العصر الجاهلي.ومن يتصفح نتاج الشعراء في هذا العصر يجد أنهم تحدثوا في موضوعات كثيرة : كالحرب ، والطبيعة ، والحب ، والأخلاق ، وغير ذلك : ونظراً لما يحيط بنا في عالمنا الحاضر من مظاهر التوتر والتعارض واختلاف وجهـــات النظر مما قد يجعل الانفجار وشيك الوقوع رأيت أن أبدأ بدراسة موضوعات الحرب في الشعر الجاهلي .

وتبعاً للخطة التي شرحتهـــا آنفاً قمت بالإحصاء أولاً : فاستقصيت كل المراجع التي ورد فيها ذكر للشعر الجاهلي ، ثم استخرجت منها كل ما فيها من شعر يتصل بالحرب . ولم أقتصر في ذلك على ما تحدث فيه الشعراء عن حرب معينة ، بل جمعت مع هذا مـــا تحدث به الشعراء عن حرب خيالية ، أو أعمال حربية متصورة ، كتلك الأشعار التي يمتدح فيهـــا الشاعر عظيماً من العظماء ولا يشير فيها إلى حرب معينة خاض الممدوح غمارها فعلاً ، بل يتصوره قائداً ومحارباً ومنتصراً ، ثم يصوره بجميع حالاته هذه في شعره . وكتلك الأشعار التي يذم فيها الشاعر قوماً فيصور جبنهم ، وقلة خبرتهم الحربيـــة ، وفرارهم ، وغـــير ذلك من أنواع الذم المتصل بالقتال . فكل شعر جاهلي يتصل بالحرب من قريب أو بعيد جمعته في هذا الإحصاء . وبذلك وجـــد عندي أكثر من خمسة آلاف بيت من شعر العصر الجاهلي تتصل كلها بالحرب وهي من نتاج حوالي مائة وخمسين شاعراً عاش معظمهم ومات قبل الإسلام

وقليل منهم عاش بعد ظهور الإسلام ، لكن ما أخذ من شعر هؤلاء روعي فيه أن يكون مما قالوه في حياتهم الجاهلية . وقد ورد في هذه المجموعة بعض أبيات قليلة لشعراء مجهولين ظهرت فيها المسحة الجاهلية بوضوح فأدخلتها ضمن هذه المختارات . ثم نظمت هذه المجموعة ، ورتبتها بحسب الأغراض التي تحدث فيها الشعراء وبعد ذلك قمت بتحليل دقيق لكل بيت لمعرفة ما فيه من أفكار وعواطف وصور ، ثم اتبعت تحليل كل وحدة بنماذج من الشعر تؤيد كل ما ذكر في هذا التحليل .

وفي الفصل الخاص بالوصف عناية خاصة بالتشبيهات والاستعارات وقد سميتها « الصور الشعرية » . وجمعتها كلها في ملحق خاص في آخر الكتاب ، مرتبة بحسب الجزئيات التي تحدثت عنها في تحليل الوصف . وهي مرقمة أرقاماً مسلسلة من البدء إلى النهاية ، لكل صورة رقم خاص . وهي الأرقام التي يجدها القارىء في أثناء الكلام عن الصور الشعرية لكل جزئية من جزئيات الموضوعات . فالأرقام التي بين الأقواس هناك هي أرقام الصور الشعرية التي في آخر الكتاب ليرجع إليها من شاء أن يعرف النص الشعرى لهذه الصور .

ولزيادة الإيضاح في الأسلحة قمت برسم توضيحي لكل سلاح على حدة ، بينت فيه أجزاءه بالتفصيل ، لكي يمكن معرفة ما قد يرد منها في الشعر بسهولة . ويجب أن يكون مفهوماً هنا أن هذه الرسوم ليست إلا لتوضيح ما تتكون منه هذه الأسلحة من أجزاء فقط . فليست لها صبغة أو حجة تاريخية، أي لا تصور الأشكال الحقيقية التي كانت عليها هذه الأسلحة في العصر الجاهلي ، كما ينبغي أن يكون مفهوماً أنه ليس بلازم أن يكون كل جزء موضح في رسوم هذه الأسلحة قد ورد ذكره في الشعر الجاهلي . وإنما بينت الأجزاء بالتفصيل لبيان أجزاء كل سلاح كاملة ، ولأنه ربما يحتاج إليها في دراسات العصور التالية .

وهذا التحليل للشعر هو الباب الأول في هذا الكتاب ثم اتبعت التحليل بنقد عام للشعر على ضوء هذا التحليل، ذكرت فيه ملاحظاتي على كل موضوع،

والملامح العامة التي تتجلى في الأفكار والعواطف والخيال والأسلوب . وهـذا النقد هو موضوع الباب الثاني . ثم تأتي خاتمة الكتاب ، وفيها تلخيص عام للحقائق التي ظهرت في هذا البحث .

وقد بدأت البحث بتمهيد فيه فصلان : أولهما يبين أثر البيئة الجاهلية – كما تصورها لنا كتب التاريخ والأخبار – في قيام الحروب والمنازعات بين العرب في ذلك الوقت ؛ وثانيهما يتحدث بإجمال عن أيام العرب من كتب القصص والتاريخ لمعرفة أسبابها ، وطرقها ، ونتائجها ، وأثر ذلك في الأدب على وجه العموم .

فالبحث يتكوّن من تمهيد وبابين وخاتمـــة وملحق فيه نصوص الصور الشعرية ، وأسماء الشعراء الذين اخترنا هذه المجموعة من أشعارهم .

وأحب أن أنبه القارىء إلى أن غرضي من هـــذه الدراسة هو دراسة الشعر الحربي وحده . لذلك لم أعتمد في هـــذا البحث إلا على الشعر فقط ، صارفاً النظر عن غيره من المصادر ، وعما قيل عن هذا الشعر من قبل . فالحقائق الواردة في هذا البحث كلها مأخوذة من الشعر دون أدنى تأثر بشيء غيره على الإطلاق . ولم أتعرض في هذا البحث لشيء من أشعار الصعاليك لأن لهم فلسفة خاصة تستحق في نظرى بحثاً قائماً بذاته .

وإني أرجو الله الكريم أن يكون هذا البحث قد أدى خدمة للأدب العربي والباحثين فيه ، وأن ينفع به المتطلعين إلى الدراسة والتمحيص . كما أرجوه تعالى أن يوفقنا – أنا ومن يحب هذه الطريقة – إلى متابعة السير في دراسة بقية الموضوعات الشعرية في كل العصور الأدبية لتكون الفائدة أتم وأكمل . إنه نعم المولى ونعم المصير .

القاهرة في يوم الأربعاء أول يناير سنة ١٩٥٨ — علي الجندي

الطبعة الثانية في يناير سنة ١٩٦٣ .

الطبعة الثالثة في سبتمبر سنة ١٩٦٦ .





الفصل الاول

أثر البيئة الجاهلية في قيام الحروب

كان العرب الجاهليون يعيشون في شبه الجزيرة العربية . تلك البلاد التي تقع في الطرف الجنوبي الغربي من قارة آسيا ، وكانت هذه البقعة صحراوية قاحلة . ما عدا اليمن والأراضي المنخفضة في تهامة وهجر . وأرض هذه الصحراء غير صالحة للزراعة لعدم وجود ما تحتاج إليه من الماء ، « فلم يكن بشبه الجزيرة كلها أنهار تجري بانتظام ، أو منابع تفيض باستمرار ؛ لأن ما كان يسقط على البلاد من أمطار قليلة كان يتسرب جزء كبير منه في باطن الرمال ، وكانت الرياح التي تهب من المحيط الأطلسي تحمل إليها بعض الأمطار التي تسقط على جبال اليمن المرتفعة في أشهر الصيف . أما بقية بلاد العرب التي تسمى نجداً فما كانت الأمطار تزورها إلا أحياناً في أشهر الشتاء والربيع . وكان من آثارها أن تنبت الأعشاب والمراعي في أواسط هذه الصحراء الجرداء ، وأن تفيض منابع الماء التي تنضب في أيام القيظ . »(١) كذلك كانت هذه الصحراء خالية من الصناعة في ذلك الحين .

وقد ترتب على ذلك أن أصبح السكان في حياتهم نوعين : نوع استقر في مكان واحد ، وأقام فيه حيث وجد أسباب الرزق ميسرة ومنتظمة ، وقد

---

(١) Sir C. Lyall : Ancient Arabian poetry, Introduction P XXI.

عرف هذا النوع بالحضر وهم سكان القرى والمدن ؛ وهؤلاء كانوا يعيشون على ما تنتجه البقعة التي يقيمون فيها من زراعة ،أو يشتغلون بالتجارة ؛ كسكان المدن في اليمن في أقصى الجنوب ، واللخميين والغسانيين في أقصى الشمال، وسكان مكة ويثرب في الوسط ، وكان هؤلاء الحضر يمثلون أقلية السكان . ونوع لم تتهيأ له الظروف التي تحبب إليه الإقامة في المدن ، فعاش بين ربوع الصحراء.

وهؤلاء هم البدو ، وكانوا يعيشون متفرقين مبعثرين في أنحاء الصحراء على هيئة قبائل ، ويعتمدون في حياتهم على حيواناتهم من الخيل والإبل والغنم ومن هذا النوع كانت غالبية السكان . وكانت هذه الحيوانات في نظر البدو لا تقدر بثمن ، لأن فيها حياتهم : يأكلون لحومها ، ويشربون ألبانها ، ويتخذون من أشعارها ، وأصوافها ، وأوبارها ملابسهم ، وخيامهم ، وأثاث بيوتهم . وكانت الإبل والخيل فوق هذا وسيلة الانتقال والمواصلات في هذه الصحراء الواسعة الأرجاء ذات السبل الملتوية والطرق المجهولة المهجورة ، كما كانت من أهم العدد الضرورية في القتال . فكان البدو يعتمدون على هذه الحيوانات أيام السلم وأيام الحرب . ومن ثم أصبح لها في نظرهم قيمة عظمى ، وسموها « المال » فكانت ثروة الشخص تقدر بعدد ما يملكه من هذه الحيوانات .

لذلك كان من الطبيعي أن تكون العناية بها والمحافظة عليها شغلهم الشاغل وأن يطمح الواحد منهم إلى تكثير عدد ما يملكه منها بأية طريقة كانت مشروعة أو غير مشروعة .

وكان من أثر هذا أن عاش البدوي وكلّ همّه البحث عن الطعام لماشيته . ومع أن بعض القبائل كانت لها منازل وديار حول بعض منابع الماء ، فإنهم كانوا « بمجرد أن تغطى سهول نجد ومنحدراتها بالعشب يتحركون نحوها بحيواناتهم ، ويستولي كل منهم على مكان معين ، إلى أن ينتهي المرعى ، فيعودون ثانية إلى منازلهم »[1] . ولا شك أن التسابق على منابت الكلأ ،

---

(١) المرجع السابق ص XXI .

والرغبة في الاستيلاء على أكبر جزء منه، خليقان أن يؤديا إلى حدوث تصادم يتسبب عنه قتال . وإذا علمنا أن هذه الصحراء لم يكن بها من ذلك المشب ما يكفي جميع حيوانات القبائل كلها مدة طويلة ، فإن توقع التصادم يكون أكثر ، وما يستتبع ذلك من قتال يكون أعنف .

وإذا كانت بلاد العرب الجاهليين على هذه الحال من قلة الخير ، وعدم التنوع في وسائل الحياة ، وكسب الرزق ، فمعنى هذا انتشار الفقر والبؤس، وكثرة الجائعين والمحتاجين . وكثيراً ما ينشر البؤس غشاوة على العيون فتحجب عن أصحابها نور الحق ، ويصبح الجوع ملهبة يخلق من أهله أسوداً كواسر تهجم على غيرها في غير شفقة ولا رحمة . ومن هنا كان الفقر الضارب أطنابه على شبه الجزيرة حينئذ مصدر خطر على ذوي اليسر من السكان ؛ جعلهم يتوقعون هجمات الفقراء عليهم في كل لحظة ، خصوصاً إذا علمنا أنه قد كان هناك من العوامل ما يساعد على حدوث مثل هذه الهجمات ، وإذا لاحظنا ما كان في نفس البدوي من تقدير عظيم للماشية وطموحه للإكثار منها تبين لنا أن الهجمات على الأغنياء لم يكن يتوقع أن يقوم بها الفقراء فقط ، بل ربما قام بها الموسرون أمثالهم طمعاً في الغنى وكثرة الثروة ، فكان الطمع كالفقر يدفع صاحبه إلى الاعتداء على الآخرين ، وشن الغارات والحروب .

وقد أدى انتشار الفقر المدقع في ذلك الوقت إلى وجود فئة كانت تسمى « الصعاليك » ، وهم أفراد كانوا في منتهى الفقر ، ويمتازون بالقوة الجسمية وسرعة العدو مع الشجاعة والأنفة ، وكانوا أشبه بقطاع الطرق ، يعيشون على السلب والنهب والإغارة على أموال الأغنياء ، فكانت كل القبائل معرضة لهجماتهم . .

وكانت الصحراء التي عاشوا فيها ممتدة الأطراف ، واسعة الأرجاء ، يجري بها الحيوان كما يشاء ، ويسبح الطير كما أراد ، وكل شيء فيها حر طليق ومن الطبيعي ألا يكون الإنسان أقل شأناً من ذلك كله في الانطلاق والحرية .

فنشأ العربي وفي دمه حب الحريـــة ، وتقديسها ، وكراهية الذلة ، ومقت الاستعباد . وكان يعتقد أن الحياة في ظل الاستعباد مذلة ، وأن الموت خير من مثل هذه الحياة . ومن المؤكد أن يسوقه هذا الاعتقاد إلى أن يقف بكل قوة في وجه من تسول له غريزةُ حبِّ السيطرة محاولةَ الحد من حريته وانطلاقه ويعارضه بكل شدة ، ولو كان في ذلك حتفه وهلاكه .

والنظام الذي كان سائداً في هـذه الصحراء وقتئذ هـــو النظام القبلي . فكانت كل قبيلة تعتبر نفسها أمة قائمة بذاتها يتكون شعبها من أفرادها هي ، ووطنها هو حماها الذي تحدد مساحته هي ، وكل فرد يعمل لصالح القبيـــلة كلها ، وهي في مجموعها مطالبة بحماية أفرادها ، ولا يـدين الواحد منهم لأي شخص بالطاعة والولاء إلا لرئيس قبيلته هو فقط ، فـلم يكن العربي ليعترف بسلطة لأحد عليه سوى رئيس قبيلته. وكان الرئيس ناصح القبيلة، ومستشارها في السلم ، وقائدها في الحرب . وكانت مهمته إشاعة العدل بـين جميع أفراد القبيلة دون أدنى تحيز أو محاباة . فاعتمدت القبيلة على أفرادها ، واعتمد كل فرد على قبيلته . كل منهم عليه أن يحافظ على شرفها ، وأن يدافع عن حماها وعليها في مجموعها أن تحمي الفرد وترعى شئونه ، وبخاصة النساء ، فما كان لامرأة أن تهان أو تمس كرامتها ، والنظرة إليها كانت تعـد اعتداء عليها ، لأن في ذلك خدشاً لحيائها ، وفي ذلك اعتداء على شرف القبيلة كلهـــا ، والسكوت عليه عار شنيع ، وسبة لا تنسى .

ولم يكن في هذه البيئة تقدم علمي ، فلم تنل العقول حظاً واسعاً من الثقافة في شتى الميـادين ، فكان من أثر انتشار الفقر ، وعدم الاستقرار ، وامتلاء الحياة بالمشقات والمصاعب ، بالإضافة إلى عدم وجود الثقافة الواسعة أن كانت الغالبية العظمى من السكان حـــادي المزاج ، سريعي الغضب ضيقي الأفق ، محدودي التفـكير يبالغون في فهم كثير من الأشياء وبخاصة تلك التي تتصل بالشرف ، والعزة ، والكرامة ، والأنفة والإباء ، مما قد يبعدهم أحياناً عن الصواب ، ويجعلهم يثورون لأتفه الأسباب ، ويسرعون إلى امتشاق الحســام

في غير روية ولا أناة، وكثيراً ما يكون ذلك لمجرد فهم خاطىء أن كرامتهم قد مست ، أو شرفهم قد امتهن .

وفي هذه الصحراء الواسعة التي كان يخيم عليها الفقر ، كانت تضل فيها المسالك ، وتلتوي الطرق المحفوفة بالأخطار والمهالك ، فكان العربي يفخر بأنه يجير اللاجىء ، ويحمي المستجير ، ويجيب المستغيث ، ويعطي الواحد من هؤلاء ما لأفراد القبيلة من حقوق .

وهكذا نرى أن القبيلة كان عليها أن تصون شرفها، وتحافظ على حيواناتها، وتحمي الحمى ، وتجير اللاجىء . وفي سبيل القيام بهذه الواجبات لا بد أن العرب قد اضطروا إلى أن يتحملوا كثيراً من المشقات، ويخوضوا غمار حروب طاحنة أزهق فيها كثير من الأرواح .

فإذا ما خرجنا من نطاق الفرد والقبيلة . وأثر البيئة الجاهلية في دفعها إلى القتال ، نجد أنها قد دفعتها إلى ذلك أيضاً في نطاق أوسع بسبب الظروف التي أحاطت بالسكان في ذلك الحين : فهناك قبائل مختلفة ، كل منها تحب أن تكون أوسع حمى ، وأكثر سلطاناً ، وأعلى شرفاً وأكبر ثروة ، وأعظم مجداً ، وفي سبيل ذلك فليحدث من النزاع ما يحدث، وليكن بعده ما يكون من حرب أو قتال ، فقد يكون الحظ معها ، والنصر حليفها . وهناك البدو والحضر ، ولا شك أن الاختلاف بينهما في الحياة يسبب كراهية كل فريق للآخر ولا عجب أن ينتج عن ذلك منازعات وحروب ؛ وهناك القسمان الكبيران للسكان : فالنسابون يقسمون العرب في ذلك الوقت قسمين أصليين هما : القحطانيون وهم أهل الجنوب ، سكان اليمن؛ وفيهم حضر كثير ؛ والعدنانيون ، أهل الشمال ، ومعظمهم من البدو ؛ ويروون كذلك أن العداوة بين هذين العنصرين كانت مشهورة في التاريخ . وبعض الباحثين يرجع سبب ذلك إلى طبيعة الاختلاف بين أهل الحضر وأهل الصحراء وبغض كل منهما للآخر ، ومن ثم كان يحدث بينهما كثير من المنازعات والمشاحنات، فالاختلاف بين القبائل بعضها وبعض ، وبين أهل الحضر والبدو ، وبين سكان الجنوب

وسكان الشمال كان سبباً في شيوع الحقد والحسد والتنافس بين هذه العناصر المختلفة . ولا شك أن ذلك مما يساعد على قيام المنازعات والحروب .

وكان من أثر اعتزاز العربي بقبيلته وكل فرد فيها ، أن عظم شأن أخيه في نظره لدرجة أنه كان إذا اعتدي على واحد منهم ما كان يهنأ لهم بال حتى ينالوا من المعتدي أكثر مما فعل . فكانت عادة الأخذ بالثأر متأصلة في نفوس العرب . إذا قتل أحدهم لم يكن لهذا من دواء إلا دم الأعداء ، ولذلك كانوا يمتنعون عن التنظف والاغتسال ، وتعـــدم لديهم الرغبة في الطعام ، حتى يأخذوا بثأر القتيل . ولم يكن من شأنهم التفكير في أخذ الدية مقابل دم القتيـل ، لأن هذا يعد عاراً لا يمحى ، وطعنة في شرف القبيلة تظل تدمى خزياً وخجلاً أبد الدهر . وكان الاعتقاد السائد أن روح القتيل كانت تتمثل في شكل بومة « تسمى الهامة أو الصدى » وتظل تصيح قائلة « اسقوني ، اسقوني » حتى يؤخذ بثـأره . فقتلُ شخصٍ كان يؤدي إلى قتال جديد . وقـد يجر الأخذ بالثأر إلى تجدد القتال مرات ومرات في معارك متتالية في زمن طويل ، كما يروون عن مقتل كليب الذي كان سبباً في حرب البسوس التي يقال إنها دامت أربعين سنة .

فالبيئة الجاهلية هيأت للعرب في ذلك الوقت ظروفاً جعلتهم يتنازعون ، ويتشاحنون ، ويتحاربون ، وقد ساعد على ذلك عامل قوي جداً ؛ هو عدم وجود سلطة مركزية عامة يخضع لها العرب جميعاً . فعـدم وجود حكومة عليا تتولى شئون البلاد كلها ، وتشيع العدل بين الناس على السواء . وتنتصف للمظلوم من الظالم ، وتأخذ على يد المجرم والمسيء ، ويدين لها الجميع بالولاء ، هو العـــامل الأساسي في حدوث المنازعات ، وانتشار الفوضى ؛ وقيام الحروب .

وحياة هذه ظروفها وملابساتها لا يستطيع البقاء فيهـا إلا من كان قوياً مرهوب الجانب ، أما الضعيف أو الجبان ؛ فمأكول ومهان . لذلك كان من أهم ما يشغل العربي في ذلك الوقت أن يسعى بكل جهـــده لتقوية نفسه .

وأن يبرهن لغيره أنه قوي ؛ لكي يهابه الجميع ، ويخشوا بأسه .

وقد أحسن التعبير عن ذلك النابغة الذبياني في قوله :

تعدُو الذئابُ على مَن لا كلابَ له   وتتقي صولة المستأسدِ الضّاري

وفي سبيل القوة الحربية كان العربي يبذل كل ما يستطيع لتقوية نفسه عدة وعدداً ؛ فجمع من الأسلحة والعتاد الحربي كل ما أمكنه الحصول عليه من خيرها وأحسنها ، وعمل على أن يكون أكثر عدداً ، لأن الكثرة العددية كان يخشى بأسها حينئذ ، فحافظ على أفراد قبيلته وبطونها وبقائهم جميعاً يداً واحدة بتعظيم شأن القرابة الدموية ، وتقديس العصبية ، ورفعها مقام الألوهية ، فكان من يخرج عليها ، يعد في نظرهم كمن كفر بمعبوده ، واستحق النفي والطرد ، ويتبرأ منه الجميع ، ويبتر من كتلتهم كما يبتر العضو الفاسد المريض من الجسم القوي السليم .

كما أن العربي في سبيل الكثرة العددية من ناحية أخرى كان يعقد الأحلاف والعهود . فكان بعض القبائل يتعاهدون فيما بينهم على أن يكونوا جميعاً متحدين متساندين ، كالقبيلة الواحدة ، لا يتعدى أحد منهم على الآخر ، ويقفون كلهم صفاً واحداً في صدق وإخلاص وقت الخطر . ومع أن كثيراً من القبائل اتبعوا هذا النظام فإن بعض القبائل ممن بالغوا في فهم الأنفة والعزة والإباء رفضوا أن يتحالفوا مع أحد غيرهم ، معتقدين أنهم أقوى القبائل ، وأشدهم بأساً ، فهم وحدهم كافون لشن أية حرب على أعدائهم ، ورد أي هجوم يوجه إليهم . وأمثال هؤلاء القبائل كانوا يسمون « جمرات العرب » . وتظل القبيلة يطلق عليها أنها « جمرة » ما دامت تقف في حروبها بمفردها ، ولا تحالف أحداً من القبائل الأخرى فإذا تحالفت يقال : « طفئت الجمرة » .

أما في سبيل البرهنة على القوة ، فقد اتخذ العربي لذلك طريقة الهجوم على غيره ، وإيقاع الظلم بهم وإن لم يبدءوه ، واعتقد أنه إن لم يفعل ذلك ظنه الناس ضعيفاً ، أو جباناً ، وليست له قدرة على حماية نفسه ، وأصبح أهلاً للهجوم عليه وافتراسه . وقد عبر زهير بن أبي سلمى عن ذلك بقوله :

ومَن لم يَذُد عن حَوضِه بسِلاحه ... يُهدَّم، ومَن لا يَظلِم الناس يُظلَم

فإظهار القوة، والقدرة على مهاجمة الآخرين، والقيام فعلاً بالهجوم عليهم كانت في نظر العربي الجاهلي ضرورية لحياته. وكان الشخص يمدح بها، ويثنى عليه بسببها. وفي ذلك يقول زهير أيضاً، في معرض المدح:

جريء، متى يُظلَم يعاقب بظلمه ... سريعاً، وإلا يُبْدَ بالظلم يَظلِم

ولهذا حاول الجاهلي بكل ما يستطيع أن يقوي نفسه، وأن يظهر قوته لغيره، وأن يكون الظالم لا المظلوم، لكيلا يصبح هدفاً للأقوياء الطامعين.

من هذا كله نستطيع أن نتصور كيف أن حياة العربي في الجاهلية كانت عرضة للمشاحنات والمنازعات، محفوفة بالمصاعب والأخطار، لكن من الخطأ أن يظن الإنسان أن حياة الجاهلي كانت كلها في الحروب، ولم يكن له شغل إلا الاستعداد لها؛ فلقد كان عليه أن يبحث عن رزق له ولأسرته، ومرعى لحيواناته. ولا شك أنه قد كانت له ساعات من الفراغ، يجد فيها وقتاً للمتعة والسرور، مع الموسيقى والغناء، والرقص، وإنشاد الشعر، وقص الحكايات عن البطولة والأبطال، والشراب، ولعب الميسر. فحياة العربي في الجاهلية لم تكن كلها منازعات ومشاحنات، بل كانت مزيجاً من هذا، مع أنواع مختلفة من المسرات، غير أنه مما لا شك فيه أنه كان معرضاً للخطر على الدوام، وأنه كان عليه – من باب الحكمة وبعد النظر – أن يستعد لدفع الخطر قبل وقوعه، أو الصمود أمامه، وملاقاته بشجاعة وثبات إذا أحدق به، أو الدخول فيه إذا لم يكن منه بد.

فالظروف التي أحاطت بحياة العرب الجاهليين هيأت جواً مناسباً لحدوث الخصومات والمنازعات، ونشوب الحرب والقتال. وقد حفظت لنا كتب التاريخ كثيراً من القصص التي تتحدث عن مشاحناتهم وحروبهم. وأعتقد أنه ينبغي أن نعرف شيئاً مما قيل عن هذه الحروب، حتى يكون التمهيد لدراسة ما قالوه فيها من شعر كاملاً وافياً.

الفصل الثاني

أيام العرب

لقد اعتاد العرب والمؤرخون أن يسموا الحروب التي وقعت بين العرب « أيام العرب » . وهذا استعمال مجازي لكلمة « أيام » لأن « اليوم » وهو مفرد « الأيام » معروف معناه ، وهو الزمن المحدد الذي يشمل الليل والنهار. وقد وردت كلمة « الأيام » مستعملة هذا الاستعمال المجازي في ثلاث آيات من القرآن الكريم :

الآية الأولى : قوله تعالى : « فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم [1] . » وقد قال الطبري في تفسيره لهذه الآية مما يروى عن قتادة أن المقصود بأيام الذين خلوا من قبلهم : وقائع الذين خلوا من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود [2] .

وقال الزمخشري في الكشاف : « أيام الذين خلوا من قبلهم » وقائع الله فيهم ، كما يقال « أيام العرب » لوقائعها [3] .

والآية الثانية : قوله تعالى : « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج

---

(١) سورة يونس آية رقم ١٠٢ .

(٢) تفسير الطبري جـ ١١ ص ١٢١ .

(٣) الكشاف (دار الكتاب العربي ببيروت) جـ ٢ ص ٣٧٣ .

قومك من الظلمات إلى النور ، وذكرهم بأيام الله . »[1] وهنا يذكر الطبري أن ابن زيد قال في « وذكرهم بأيام الله » أن معناها : « أيامه التي انتقم فيها من أهل معاصيه من الأمم ؛ أي خوفهم وحذرهم إياها ، وذكرهم أن يصيبهم ما أصاب الذين من قبلهم[2] . »

وقال الزمخشري : « وذكرهم بأيام الله وأنذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم[3] .

والآية الثالثة: قوله تعالى : « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون . »[4] وفي تفسير هذه الآية يقول الطبري : « قل يا محمد للذين صدقوا الله واتبعوك يغفروا للذين لا يخافون بأس الله ووقائعه ونقمه إذا هم نالوهم بالأذى والمكروه ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون . »[5]

وقال الزمخشري : « لا يرجون أيام الله » : لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه[6] .

وربما كان استعمال كلمة « الأيام » في هذا المعنى المجازي للاحتمالات الآتية أو بعضها :

(ا) أن يكون قولهم : « أيام العرب » أصله « أيام وقائع العرب » ثم حذفت كلمة « وقائع » اختصاراً بسبب كثرة الاستعمال . ومثل هذا الحذف شائع في اللغة العربية وغيرها من اللغات ، بشرط ألا يحدث أي غموض أو إبهام كقوله تعالى : « واسأل القرية » فالمقصود « أهل القرية » .

---

(١) سورة ابراهيم : آية رقم ٥ .

(٢) تفسير الطبري جـ ١٣ ص ١٢٢ – ١٢٣ .

(٣) الكشاف : جـ ٢ ص ٥٤٠ .

(٤) سورة الجاثية : آية رقم ١٤ .

(٥) تفسير الطبري جـ ٢٥ ص ٨٦ - ٨٧ .

(٦) الكشاف جـ ٤ ص ٢٨٨ .

(ب) أن الموقعة كانت أظهر حدث في اليوم ، فسمي اليوم كله بها ، كأن لم يحدث شيء آخر سواها في هذا اليوم . وهذا الاستعمال شائع وكثير ؛ فنقول مثلاً : يوم النصر ، ويوم الامتحان ، ويوم اللقاء .

(حـ) أن كلمة « يوم » في « أيام العرب » مستعملة لتدل على مجرد الوقت كما في الحديث : « هذه أيام الفتنة »[1] أي أوقاتها وعلى هذا يكون قولهم « يوم النسار » مثلاً معناه : « وقت النسار » وفيه حذف مضاف كذلك ، أي « وقت موقعة النسار » .

(د) أن المقصود بكلمة « اليوم » في هذا الاستعمال « وقت الشدة والاختبار » كما يقال : « اليوم يومك » أي وقت القوة والجهد الذي يتطلب منك احتمالاً ، وشجاعة ، ومهارة ، وفطنة ، وفي زمن الشدة والحزن تكون الدقيقة بمثابة الساعة ، واليوم بمثابة أيام وسنين كقول محرز بن المكعبر الضبي في يوم الكلاب الثاني الذي انتصر فيه قومه في معرض الحديث عن أعدائه المنهزمين :

سَارُوا إلينا وهُمْ صِيدٌ رؤوسُهم　　فقد جَعلْنا لَهم يوماً كأيام[2]

وقوله تعالى : « تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة »[3] .

(هـ) أن القتال في كل موقعة ما كان يحدث إلا في يوم واحد فقط ، فسميت كل موقعة يوماً . ويظهر من قصص الأيام أن كل موقعة لم تكن تحدث في الغالب إلا في يوم واحد ، اللهم إلا بعض وقائع قليلة روى أنها استمرت أكثر من يوم ، كموقعة الكلاب الثاني ، فقد ورد أنها استغرقت يومين[4] ،

---

(١) لسان العرب جـ ١٦ ص ١٣٧ .
(٢) نقائض جرير والفرزدق ص / ٢٥٥ .
(٣) سورة المعارج : الآية ٤ .
(٤) النقائض ص / ١٥١ .

ومعركة فيف الريح استغرقت ثلاثة أيام [١] .

(و)أن الموقعة كانت تستعمل عنـــد العرب كإشارة أو رمز تاريخي في ذلك الزمن . ففي هذه الصحراء المترامية الأطراف والتي تسير الحياة فيها على وتيرة واحدة ، لم يكن لديهم من الحوادث ما يستحق أن يبقى ويتخذ دليلاً يميزون به ما يقع بينهم سوى وقائعهم ، فكانت كل قبيلة – إذا صح هـــذا الاحتمال – تؤرخ حوادثها بمواقعها وحروبهـا . ونستطيع أن نتصور بسهولة كيف كان هؤلاء يمكنهم بذلك أن يعرفوا مثلاً أن فلاناً قد ولد في يوم موقعة كذا ، أو قبلها ، أو بعدها ، وأن فلاناً قد توفي يوم كذا أو قبلها أو بعدها بكذا من الأيام. وعلى هذا يكون العرب قد سموا الواقعة باليوم الذي حدثت فيه ، ثم استغلوا هذه التسمية للتاريخ .

وعلى كل حال ، فقد استعمل الجاهليون كلمة اليوم للموقعة ، وظاهر من قصص الأيام أنهم كانوا يقصدون من اليوم في هـذا الاستعمال معنى [٢] النهار فقط لا معناه الذي يشمل الليل والنهار .

وكان اليوم يسمى إما باسم المكان الذي حدثت فيه الموقعة كيوم طخفة [٣] ويوم أوارة [٤] ؛ وإما باسم ماء قريب من مكان الموقعة كيوم الكلاب [٥] ؛ وإمـا باسم شخص ظاهر ، أو له أثر عظيم في الموقعة كيوم حجر [٦] الذي سميت به الموقعة التي كانت بين حجر ملك كندة وقبيلة أسد ، وفيهـــا قتل حجر . وكيوم حليمة [٧] الذي كان بين اللخميين والغسانيين ، وقد سميت

---

(١) النقائض ص ٤٧٠ .

(٢) وقد سار على هذا صاحب لسان العرب إذ يقول : « اليوم معروف ، مقـداره من طلوع الشمس إلى غروبها » (ج ١٦ ص ١٣٧) .

(٣) موضع في طريق البصرة إلى مكة : أيام العرب ص ٩٤ .

(٤) اسم جبل لتميم .

(٥) ماء بين الكوفة والبصرة : أيام العرب ص ٤٦ .

(٦) أيام العرب ص ١١٢ .

(٧) أيام العرب ص ٥٤ .

الموقعة بهذا الاسم لأن حليمة بنت الحارث الغساني كانت تضع عطراً على كل جندي من جيش أبيها ، وقد وعد أبوها أن يزوجها من الجندي الذي يقتل ملك اللخميين .

وإذا حدثت عدة مواقع لسبب واحد فإن هذه المواقع كلها كانت في العادة تسمى باسم السبب الأصلي لهذه الأحداث ويطلق عليها «حرب كذا» كحرب البسوس ، فقد تضمنت مواقع كثيرة في سنوات عدة منها يوم عنيزة ، ويوم واردات ، ويوم تحلاق اللمم . وكان السبب الأصلي ناقة البسوس التي قتلها كليب ، فكانت سبب العداوة بين بكر وتغلب زمناً طويلاً حدثت فيه هذه الحرب ، فنسبت إلى السبب الأصلي وهو البسوس ؛ وكحرب داحس والغبراء وهما فرسان كان سباقهما السبب في العداوة بين عبس وذبيان فحدثت بينهما حرب تضمنت عدة مواقع منهـــا : يوم المريقب ، ويوم ذي حسا ، ويوم اليعمرية ، ويوم الهباءة ، ويوم فروق .

وأحياناً يسمى اليوم بأكثر من اسم كيوم ذي قار فإنه يسمى بالأسماء الآتية : يوم ذي قار ؛ ويوم قراقر ؛ ويوم الحنو حنو ذي قار ؛ ويوم حنو قراقر ؛ ويوم الجبابات ؛ ويوم ذي العجرم ، ويوم الغذوان ؛ ويوم البطحاء بطحاء ذي قار . وذلك « لأن القتال بين بكر والعجم بدأ فيه أول الأمر في الحنو حنو قراقر . فجزعت العجم من العطش ، فهربت إلى الجبابات ، فتبعهم بكر وعجل ، فقاتلوهم بالجبابات يوماً ، ثم عطشت الأعاجم فمالوا إلى بطحاء ذي قار [1] » .

قد يسمى اليوم باسمي مكانين حدث فيهما القتـــال في ذلك اليوم كيوم النباج وثيتل ، وذلك لأن القوم المهاجمين وجدوا أن القوم الذين يقصدونهـم للغزو متفرقين في مكانين ، فقسم الغازون أنفسهم قسمين يذهب كل منهما إلى فريق من القوم في المكان الذي به [2] .

---

(١) النقائض طبعة أوربا جـ ٢ ص ٦٨٣ .

(٢) النقائض طبعة أوربا جـ ٢ ص ١٠٢٣ .

وقد كان الشعراء أحياناً يضطرون إلى تغيير في اسم اليوم بسبب الضرورة الشعرية ، وفي تلك الحالة كان الشاعر يختار اسماً يعرف به اليوم بسهولة ودون أدنى لبس ، من ذلك مثلاً ما يقوله الفرزدق في إحدى نقائضه :

وتقتيل الملوك وإن منهم فوارس يوم طخفة والنسار

فقد علق أبو عبيدة معمر بن المثنى على ذلك بقوله : « إن الفرزدق أراد بيوم « طخفة والنسار » يوم ضرية ، فلم يمكنه في الشعر ، فجعله يوم طخفة والنسار لقربهما من ضرية [1] » .

* * *

ومن كتب التاريخ والأدب يبدو أن هذه الايام كانت مثار إهتمام الباحثين ، فكتب عنها كثير من العلماء والمؤرخين ، ويظهر مما كتبوه أنها كانت كثيرة جداً ؛ ففي كتاب كشف الظنون يقول حاجي خليفة إن أبا عبيدة معمر بن المثنى اللغوي المشهور (حوالي سنة ٢٠٨ هـ: سنة ٨٢٥م) كتب كتابين عن الأيام: أحدهما يسمى كتاب الأيام الصغير وتحدث فيه عن خمسة وسبعين يوماً ؛ وثانيهما يسمى كتاب الأيام الكبير وتحدث فيه عن ألف ومائتي يوم . ويقال إن علي بن حسين ، أبا الفرج الأصبهاني (حوالى ٢٨٤ – ٣٥٦ هـ ، وحوالى ٨٩٧ – ٩٦٧ م) صاحب كتاب الأغاني قد كتب عن أيام العرب كتاباً يحتوي على ألف وسبعمائة يوم . وفي كتاب معجم الأدباء [2] يقول ياقوت إن أبا عبيدة ، بالإضافة إلى كتابيه السابقين عن أيام العرب ، قد كتب كذلك فيما يتصل بحروب العرب الكتب الآتية :

١ – كتاب أيام بني مازن وأخبارهم .

٢ – كتاب مقاتل الفرسان .

٣ – كتاب الغارات .

---

(١) النقائض ص ٢٣٧ .

(٢) جـ ٧ ص ١٦٩ .

وفي كتاب الفهرست يقول ابن النديم[1] أن هشاماً الكلبي (٢٠٤هـ – ٨١٩م) قد ألف الكتب الآتية :

١ – كتاب داحس والغبراء .
٢ – كتب أيام فزارة ووقائع بني شيبان .
٣ – كتاب وقائع الضباب وفزارة .
٤ – كتاب أيام بني حنيفة .
٥ – كتاب أيام قيس بن ثعلبة .
٦ – كتاب الأيام .

وهذا دليل على العناية الفائقة التي كانت لدى هؤلاء الباحثين واهتمامهم العظيم بهذه الأيام من ناحية ، وعلى كثرة هذه الأيام من ناحية أخرى . وربما لا تكون هذه الكثرة عجيبة إذا لاحظنا أن ظروف العرب الجاهلية كانت تشجع على حدوثها . ومن المؤسف أن هذه الكتب التي جمعت عدداً كبيراً من الايام لا نعلم عنها شيئاً الآن . وإذا قارنا عدد الأيام التي كتب عنها أبو عبيدة والأصبهاني بعدد ما بقي لدينا من قصص الأيام تبين أنه لم يبق لنا إلا شيء قليل منها . والقصص الباقية من تلك التي تتحدث عن الايام منتثرة في كتب التاريخ والأدب ومن أهم هذه الكتب ما يأتي :

١ – شرح النقائض بين جرير والفرزدق لأبي عبيدة معمر بن المثنى (حوالى ٨٢٥ م) .

٢ – الكامل في اللغة والأدب للمبرد (٨٩٨ م) .
٣ – شرح المفضليات للأنباري (٩١٦ م) .
٤ – تاريخ الرسل والملوك للطبري (٨٣٨ – ٩٢٣ م) .
٥ – العقد الفريد – الجزء الثالث – لابن عبد ربه (٩٤٠ م) .
٦ – الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (٨٩٧ – ٩٦٧ م) .

(١) ص ١٤٢ .

٧ – معجم البلدان لياقوت (١١٧٩ – ١٢٢٩ م) .

٨ – الكامل في التاريخ لابن الاثير (١٢٣٤ م) .

٩ – لسان العرب لجمال الدين بن مكرم (١٣١١ م) .

١٠ – نهاية الأرب للنويري (١٣٣٢ م) .

١١ – خزانة الأدب للبغدادي (١٦٨٢ م) .

١٢ – بلوغ الأرب للألوسي .

١٣ – مجمع الأمثال للميداني .

١٤ – شرح ديوان الحماسة للتبريزي .

١٥ – العرب قبل الإسلام لجورجي زيدان .

١٦ – « أيام العرب في الجاهلية » لمحمد أحمد جاد المولى وزميليه [وقد استقوا مادتهم من الكتب الخمسة عشر السالفة الذكر ، وغيرها من الكتب التي ورد فيها ذكر للأيام . وقد تحدث المؤلفون الثلاثة في كتابهم هـذا عن خمسة وسبعين يوماً من أيام العرب الجاهلية] .

وهذه الكتب الخمسة عشر تختلف في عدد الأيام ، كل بحسب غرضه ومنهجه ، فابن عبد ربه مثلاً في الجزء الثالث من كتابه « العقد الفريد » تحدث عن اثنين وثمانين يوماً وقد فصلها بحسب القبائل فذكر حروب قيس ، ثم حروب قيس وكنانة ، ثم حروب قيس وتميم ، ثم أيام تميم على بكر ، ثم أيام بكر على تميم ، ثم حرب بكر وتغلب ، ثم أيام الفجار . وابن الأثير في بدء الفصل الذي عقده لأيام العرب يقول إنه سوف يقتصر على ذكر « الأيام المشهورة والوقائع المذكورة التي اشتملت على جمع كثير وقتال شديد » وأنه لن يعرج على ذكر « غارات تشتمل على النفر اليسير لأنه يكثر ويخرج عن الحصر » أما الطبري في كتابه فيذكر من أيام العرب : أيام ذي قار ، وجذيمة الأبرش ، والزباء ، وطسم وجديس .

وليس هناك من هذه الكتب الخمسة عشر إلا خمسة كتب فقط عقد كل

منها فصلا خاصاً بأيام العرب ، هي :

١ – الكامل في التاريخ لابن الاثير – الجزء الاول .

٢ – العقد الفريد لابن عبد ربه – الجزء الثالث .

٣ – نهاية الأرب للنويري .

٤ – العرب قبل الإسلام لجورجي زيدان .

٥ – مجمع الأمثال للميداني .

أما الكتب العشرة الأخرى فلا يتحدث كل منها عن الأيام إلا عرضاً ، حينما تحين الفرصة المناسبة : فمثلا في شرح نقائض جرير والفرزدق يتحدث أبو عبيدة عن الموقعة إذا ذكرت في أحد أبيات النقيضة التي يشرحها ؛ وابن مكرم في لسان العرب يذكر قصة اليوم إذا كان موضوعها يتصل بمعنى الكلمة التي يشرحها ؛ وكذلك البغدادي في خزانة الأدب يتحدث عن اليوم إذا كان يتصل بالقصيدة التي يشرحها .

وقصص الايام في هذه الكتب مروية نثراً . مع بعض اقتباسات شعرية قالها أصحابها في اليوم الذي تروى قصته ، أو فيما يتصل به . وهذه الكتب تختلف في رواية قصص الأيام طولا وقصراً ، فأحياناً تذكر قصة اليوم بالكامل وفي غاية الطول ، وأحياناً في منتهى القصر والاختصار . وأخصر رواية لقصص الأيام هي التي ذكرها الميداني في مجمع الأمثال ، كأنه كان يقصد مجرد التسجيل لهذه الأيام التي ضمنها كتابه ، وقد تحدث فيه عن مائة وثلاثين يوماً من أيام العرب في الجاهلية ، وهو في حديثه عن اليوم يقتصر على ذكر اسمه وبيانه [إن كان مكاناً ، أو جبلا ، أو وادياً ، أو عيناً لماء] وأسماء القبائل التي اشتركت فيه ، والمنتصر في هذه الموقعة ، ثم أبيات قليلة مما قيل فيه من شعر . أما غيره من الكتب فكل منها يختلف في ذكر قصص هذه الأيام ، فأحياناً نجد المؤلف الواحد يذكر قصة ليوم في منتهى القصر ، في حين أنه يذكر قصة أخرى ليوم آخر في منتهى الطول ، فمثلاً أبو عبيدة في شرح

النقائض بينما يتحدث عن يوم سوقة [١] في سطرين ، ويوم الحداب [٢] في ثلاثة أسطر ، نجده يتحدث في عدة صفحات عن كل من يوم الحوفزان[٣]،وداحس والغبراء [٤] ، والكلاب الأول [٥] ، ويوم شعب جبلة [٦] .

ويظهر من الكتب الخمسة عشر السابقة أن جميعها على العموم تحكي عن أبي عبيدة ، فيبدأ المؤلف قصة اليوم بقوله : «قال أبو عبيدة» أو «أبو عبيدة قال» . فإذا ما رجعنا إلى أبي عبيدة نفسه نجده في القصص الطويلة غالباً يذكر الراوي ، فمثلاً في حرب داحس والغبراء يقول : « ذكر الكلبي،قال : كان من حديث داحس والغبراء ... الخ » وفي أثناء سرد القصة عند ذكر بعض المسائل التي اختلفت فيها قد يقول : « فزعم بعضهم » أو « يزعم بعضهم [٧] » أما في القصص القصيرة فلا يذكر راوياً قد أخذ عنه ، وإنما يروي القصة من نفسه . ومعنى هذا أن أبا عبيدة كان ثقة يعتمد عليه ، وقد شهد له بذلك العلماء والباحثون : فهذا جلال السيوطي يقول : « وكان في العصر ثلاثة ، هم أئمة الناس في اللغة والشعر وعلوم العرب ، لم ير قبلهم ولا بعدهم مثلهم ، عنهم أخذ جل ما في أيدي الناس من هذا العلم ، بل كله ؛ وهم : أبو زيد ، وأبو عبيدة ، والأصمعي [٨] . » وفي حديثه عن أبي عبيدة يقول : « وأما [٩] أبو عبيدة فإنه كان أعلم الثلاثة بأيام العرب وأخبارهم ، وأجمعهم لعلومهم ، وكان أكمل القوم ، قال عمر بن شبة : وكان أبو عبيدة

---

(١) النقائض ص ١٣ .
(٢) ص ١٤ .
(٣) ص ٤٧ - ٥٩ .
(٤) ص ٨٣ - ١٠٨ .
(٥) ص ٤٥٢ - ٤٦١ .
(٦) ص ٦٥٤ - ٦٧٨ .
(٧) ص ٨٥ ، ٨٦ .
(٨) المزهر ص ٤٠١ .
(٩) المزهر ص ٤٠٢ .

يقول : ما التقى فرسان في جاهلية ولا إسلام إلا عرفتها وعرفت فارسيهما». ويقول عنه ياقوت في معجم الأدباء [١] : « أبو عبيدة البصري ، مولى بني تيم ، تيم قريش ، لا تيم الرباب ، كان من أعلم الناس باللغة وأنساب العرب وأخبارها . » ثم يستمر في الحديث عنه إلى أن يقول [٢] : « وقال ابن قتيبة : كان الغريب أغلب عليه ، وأيام العرب ، وأخبارها . »

وربما كان من الممكن ترتيب أيام القبيلة الواحدة ، لأنه غالباً ما يكون اليوم منها مترتباً على سابقه لسبب من الأسباب كالانتقام أو الأخذ بالثأر ، وبذلك يمكن معرفة اليوم السابق من اليوم اللاحق في قبيلة معينة ، ومن الممكن بعد ذلك أن يعيننا هذا الترتيب الزمني على ترتيب أيام القبيلة أو القبائل التي كان لها صلة بأيام هذه القبيلة المعينة . أما تحديد تواريخ معينة لأيام العرب ، بحيث يقال إن يوم كذا حدث في سنة كذا بالضبط . فذلك يبدو غير ممكن على العموم ؛ حتى إن أبا عبيدة نفسه وهو خير من يوثق به في الأيام ، كان يخطىء أحياناً إذا حاول أن يحدد تاريخاً ليوم معين ؛ فمثلاً في حديثه عن شعب جبلة قال [٣] : « وكان جبلة قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة ، قبل مولد النبي ﷺ لسبع عشرة سنة ، وولد النبي ﷺ عام الفيل ، ثم أوحى إليه بعد أربعين سنة ، وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقدم عليه عامر ابن الطفيل في السنة التي قبض فيها ﷺ ، وعامر يومئذ ابن ثمانين سنة » . ولكنه عند الكلام على يوم النسار ويوم الجفار يقول [٤] : « وبينهما سنة ، وكانا قبل مبعث النبي ﷺ بسبع وعشرين سنة ، وكان عام جبلة مولد النبي ﷺ ، وأركضت كبشة بنت عمرو بن عتبة بعامر بن الطفيل يوم جبلة . » ففي الرواية الأولى حكي أن جبلة كان قبل ميلاد النبي ﷺ بسبع عشرة سنة ،

---

(١) جـ ٧ ص ١٦٤ .

(٢) ص ١٦٥ .

(٣) النقائض جـ ٢ ص ٦٧٦ .

(٤) النقائض جـ ٢ ص ٧٩٠ .

وأن النبي عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل ؛ وفي الثانية يقول إن جبلة كان عام مولد النبي ﷺ . والاختلاف بين الروايتين واضح فيما يخص تاريخ يوم شعب جبلة . ويظهر أن الرواية الأولى هي الأصح لأن المحقق تاريخياً أن النبي ﷺ ولد عام الفيل ، ولم يكن عام الفيل عام جبلة ، هذا إلى أن عامر بن الطفيل إذا كان ولد يوم جبلة فإن سنه تكون ثمانين في العام الذي مات فيه الرسول ﷺ . وعامر بن الطفيل ولد قبـــل النبي ﷺ ، ولم يولدا في عام واحد . ولعل هـــذا حدث سهواً من أبي عبيدة ، ولكنه يرينا أنه من الصعب تحديد تاريخ معين لكل يوم من أيام العرب على العموم .

ومن قصص الأيام التي وردت في كتب الأدب والتاريخ نجد أن الحروب الـتي وقعت بين الجاهليين كانت نوعين : نوع كان يسبقه نزاع وخصومات ، ويتعذر تسوية الخلاف بـين الطرفين بطرق سلمية ، فيعرف كل منهما سريرة الطرف الآخر ، ونيته . ويتوقع إعلان الحرب عليه في أية لحظة ، ومن ثم كان كل منهما يستعد للقتـــال ؛ فتهيأ الأسلحة ، وتجمع الكتائب ، ويدعى المتحالفون ليفوا بعهودهم والتزاماتهم ، كما أن خصوم الأعداء كانوا يدعون للقتال ضد العدو المشترك ، وأحياناً كان بعض الناس ممن لا صلة لهم بالنزاع بين الطرفين يدخلون الحرب مع أحد الجانبين طمعاً في الغنيمة ؛ ونوع آخر يفاجأ فيه القوم بهجوم المعتدين ، فيؤخذون على غرة ، في حين أن المعتـدين يكونون قد استعدوا للقتال بكل ما يستطيعون ، وهـذا النوع هو المسمى بالغارة . فالفرق بين النوعين ينحصر في الحالة التي تسبق القتال ، وفي تنظيم الجيش ، وفي مدى علم كل من الطرفين مقدماً بالقدوم على القتال .

ففي الحـالة الأولى عندما يدب النزاع بين الفريقين لسبب من الأسباب ، وتسوء الحالة بينهما ، ولا تجدي المفاوضات لتسوية الخلاف سلمياً ، يصبح كل منهما عدواً لصاحبه ويستعد بكل الوسائل للقتال ساعة حدوثه ؛ أما في الحالة الثانية فإن الغارة كانت تشن على القوم المقصودين بالهجوم فجأة . ولذلك كانت السرية أهم أسس النجاح فيها .

ومهما يكن من شيء فإنه بمجرد أن يلتقي الطرفان في كلا النوعين تظهر مقدرة كل منهما وكفاءته ، ومهارته في القتال ، وعلى هذا الأساس تتوقف النتيجة في النهاية .

وهذه القصص تحكي أنهم في الفترة التي تسبق القتال ، كانوا دائماً في شغل شاغل بالحرب والاستعداد لها بجمع الأسلحة ، وتهيئة الجيوش ، وعقد المجالس والمجتمعات لبحث شئونهم ، وأحسن الوسائل للمحافظة على شرف القبيلة ، والدفاع عن حماها ، وحماية الضعفاء ، وسلامة النساء ، والشيوخ ، والأطفال ، والأموال ، واتخاذ الأمكنة الملائمة ، والأوقات المناسبة ، وتدبير المكائد للأعداء والإيقاع بهم ، وغير ذلك مما كانوا يرون أنه كفيل بالنصر وهزيمة العدو .

لكن في الغارة ، كانوا يبذلون كل ما في جهدهم لإخفاء كل مقدماتها ، فلا يظهرون نواياهم ، ويحيطون كل شيء يتصل بها بالكتمان الشديد حتى لا تتسرب أنباؤها إلى القوم المقصودين بالهجوم. لأن المقصود من الغارة ألا يلحق المعتدين أية خسارة ، وذلك كان يتوقف على الخطة الحكيمة الماكرة ، التي تقوم على الذكاء والمهارة في اختيار الوقت المناسب ، والمكان الملائم . وكان من المقدمات للغارة إرسال العيون والجواسيس ليعرفوا مكان العدو ، ومركزه ، ويتحسسوا أخباره ، ويتأكدوا من الغنيمة التي يتوقعون الحصول عليها ، ويقفوا على أحوال رجال القبيلة المقصودة بالغارة ، ومدى ما لديهم من قوة واستعداد وإذا أفلح القوم في المحافظة على السرية التامة للغارة ، فإن النتيجة كانت غالباً في صالح المغيرين . أما إذا أخفقوا في ذلك فإن النصر في معظم الأحيان كان يحرزه المقصودون بالغارة ، إذ أن أبطالهم حينئذ يفزعون إلى أسلحتهم ، ويسرعون إلى ملاقاة الأعداء قبل أن يبدءوا بالهجوم ، فيؤخذ المعتدون على غرة . ويصدمون بما يقلب خطتهم رأساً على عقب ؛ فمثلاً في أثناء العداوة بين الأوس والخزرج نرى أن أحيحة بن الجلاج الأوسي جمع لبني النجار (قبيلة من الخزرج) ، وأراد أن يغترهم ، فواعده قومه لذلك – وكانت عند أحيحة سلمى بنت عمرو إحدى نساء بني النجار – وكان له منها ابنه

عمرو بن أحيحة ، وهو يومئذ فطيم أو دون الفطيم ، فلما رأت عزم أحيحة على غزو قومها ، عمدت إلى ابنها فربطته بخيط ، حتى إذا أوجعت الصبي تركته فبات يبكي وهي تحمله ، وبات أحيحة معها ساهراً يقول : « ويحك ! ما لابني ؟ » فتقول : « والله ما أدري ماله . » حتى إذا ذهب الليل أطلقت الخيط عن الصبي فنام ، ولما هدأ الصبي قالت : «وا أسفاه !» فقال أحيحة : « هذا والله ما لقيت من سهر هذه الليلة ، » وبات يعصب لها رأسها، ويقول: « ليس بك بأس . » حتى إذ لم يبق من الليل إلا أقله قالت له : « قم فإني أجدني صالحة ، وقد ذهب عني ما كنت أجده » . وإنما فعلت ذلك ليثقل رأسه ، وليشتد نومه على طول السهر . فلما نام قامت وأخذت حبلا وأوثقته برأس الحصن ، ثم تدلت منه ، وانطلقت إلى قومها فأنذرتهم ، وأخبرتهم بالذي أجمع هو وقومه من ذلك ؛ فحذر القوم وأعدوا واجتمعوا ؛ فأقبل أحيحة فوجد القوم على حذر قد استعدوا ، فلم يكن بينهم كبير قتال . ثم رجع أحيحة وقد فقد زوجته ، ففطن لحذر القوم ، وعلم أن سلمى قد خدعته [1]. وكذلك انتصر بنو يربوع في يوم ذي طلوح على بكر الذين كانوا ينوون الإغارة على بني يربوع وذلك بسبب وصول أنباء الغارة المزمعة إلى اليربوعيين [2] .

وعلى كل حال ، عندما كان القوم يعلمون أن هناك آخرين مقبلين لحربهم أو الإغارة عليهم ، فإنهم كانوا يستعدون للقتال بكل الوسائل الممكنة ، فيتباحثون فيما بينهم في تنظيم شئونهم ، وتحصين أمكنتهم ، وتدبير خططهم. ومن أولى الخطوات التي كانوا يعملونها حينئذ إرسال النساء مع الأطفال والمرضى والحيوانات إلى مكان أمين ، واختيار قلعة حصينة ، أو مكان يجعلهم في موقف يتغلبون فيه على الجانب الآخر، وإعداد خطة ماكرة في دقة ودهاء للايقاع بالأعداء .

---

(١) أيام العرب ص ٧٠ – ٧١ .

(٢) النقائض ص ٤٧ – ٥٩ .

ففي حديث يوم طخفة [1] يروى أنه لما اشتد النزاع بين المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ، وبني يربوع ، ولم يصلوا إلى رضا متبادل ، توقع كل منهما الشر من صاحبه ، فذهب بنو يربوع ، ونزلوا شعباً بطخفة ، ودخلوا فيه هم وعيالهم ، فجعلوا العيال في أعلاه ، والمال في أسفل . وهو شعب حصين له مدخل حصين كالباب . فلما أتاهم جيش المنذر دخل في الشعب ، « حتى إذا كانوا في مضايقه حملت عليهم بنو يربوع النعم ، وخرجت الفرسان من شمايه ، فقعقعوا بالسلاح للنعم ، فذعرها ذلك ، وحملوا على الجيش فردوا وجوههم . واتبعتهم خيل بني يربوع ، تقتل وتطعن . »

وفي يوم شعب جبلة [2] لما اشتدت العداوة بين عامر وتميم ، أخذ كل من الطرفين يجمع حلفاءه ، ويستعد لإهلاك عدوه . فكان كل من الجانبين يجتمع ويتشاور . وكان مما أشار به عمرو بن عبد الله بن جعدة (من بني عامر) على قومه أن قال : « نرجع إلى شعب جبلة ، فنحرز النساء والضعفة والذراري والأموال في رأسه ونكون في وسطه ففيه ثمل [3] ، فإن أقام من جاء أسفل أقاموا على غير ماء ، ولا مقام لهم ، وإن صعدوا قاتلناهم من فوق رؤوسهم بالحجارة ، فكنا في حرز ، وكانوا في غير حرز ، وكنا على قتالهم أقوى منهم على قتالنا . » وأشار عليهم قيس بن زهير العبسي (من قبيلة عبس ، وكانوا حلفاء بني عامر) بقوله : « أدخلوا نعمكم شعب جبلة ثم اظمئوها هذه الأيام ولا توردوها الماء ، فإذا جاء القوم فإن لقيطاً (لقيط بن زرارة من رؤساء بني تميم) فيه طيش ، وسيقتحم الجبل ، وحينئذ أخرجوا عليهم الإبل ، وأنخسوها بالسيوف والرماح ، فتخرج مذاعير عطاشا ، فتشغلهم وتفرق جمعهم ، وأخرجوا أنتم في آثارها ، واشفوا نفوسكم . » فأخذوا برأيه . ولما جاءت تميم وحلفاؤها ، وأخذوا في الصعود ، قالت بنو عامر للأحوص (وكان شيخاً

(١) النقائض ص ٦٦ .

(٢) النقائض ص ٦٥٤ ، وأيام العرب ٣٤٩ .

(٣) الثمل : الخصب والماء .

كبيراً مجرباً) : « قد أتوك » . فقال : «دعوهم» حتى إذا أنصفوا الجبل ، وانتشروا فيه قال الأحوص : « حلوا عقل الإبل ، ثم اتبعوا آثارها ، وليتبع كل رجل منكم بعيره حجرين أو ثلاثة . » ففعلوا ، ثم صاحوا بها ، فخرجت تحطم كل شيء مرت به ، وخبطت قيماً ومن معها ، وانحطوا منهزمين في الجبل حتى السهل . ولم يكن لأحد همة إلا أن يذهب على وجهه ، وجعلت بنو عامر يقتلونهم ، ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم ، وانهزموا شر هزيمة .

وفي حرب داحس والغبراء ، لما علم بنو عبس [1] أن بني ذبيان قد جمعوا الجموع لغزوهم ، تشاوروا فيما بينهم ، فقال قيس بن زهير العبسي لقومه : « أطيعوني فوالله لئن لم تفعلوا لأتكئن على سيفي حتى يخرج من ظهري . » قالوا : « فإنا نطيعك . » فأمرهم فسرحوا السوام والضعاف بليل . وهم يريدون أن يظعنوا من منزلهم ذلك . ثم ارتحلوا في الصبح ، وقد مضى سوامهم وضعافهم .

فلما أصبحوا طلعت عليهم الخيل . فقال قيس : « خذوا غير طريق المال (يقصد الإبل) فإنه لا حاجة للقوم أن يقعوا في شوكتكم ، ولا يريدون منكم في أنفسكم شيئاً من ذهاب أموالكم . » فساروا في طريق غير الطريق التي سارت فيها الإبل . فلما رأى حذيفة (رئيس بني ذبيان) الأثر قال : « أبعدهم الله ! وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم ؟ » ثم سار في طريق الإبل . وسارت ظعن بني عبس والمقاتلة من ورائهم . وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال . فلما أدركوه ردوا أوله على آخره ، ولم يفلت منه شيء ، وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الإبل ، فيذهب بها ، ثم تفرقوا ، واشتد الحر . عند ذلك قال قيس بن زهير : « يا قوم ، إن القوم قد فرق بينهم المغنم ، فاعطفوا الخيل في آثارهم . » فلم تشعر بنو ذبيان إلا والخيل دوائس [2] ، فلم يقف

---

(١) أيام العرب ص ٢٦٢ .
(٢) أي يتبع بعضها بعضاً .

لقتالهم أحد . إذ أن همة الرجل من ذبيان كانت أن يحرز غنيمته ويمضي بها. ووضعت بنو عبس فيهم السلاح ، وانهزمت بنو ذبيان .

وفي بعض الأحيان كانوا يرسلون الظعائن والأموال إلى مكان حصين ، وتنتظر المقاتلة لمنازلة الأعداء كما حدث من بني عبس بعد أن أوقعوا بذبيان يوم الهباءة . وأحياناً كانوا يضللون العدو المهاجم ، بأن يرحلوا عن منازلهم ليلاً ، ويتركوا النيران موقدة ؛ وأواني الماء معلقة في الشجر ، كما فعلت بنو عبس يوم الفروق ، وكما حدث من بني أسد بعد قتلهم حجر بن الحارث ملك كندة ووالد امرىء القيس .

وهكذا كان القوم يقومون في حروبهم بأنواع من الحيل والخطط الحربية التي تناسب تفكيرهم وبيئتهم في ذلك الحين .

وحينما يتقارب الجيشان كان القواد والرؤساء يجتمعون بالأفراد ويلهبون حماستهم، ويثيرون حميتهم ، بما يقوي شجاعتهم ، ويشحذ عزيمتهم من الأفعال والأقوال القوية المثيرة .

فمن ذلك مثلاً أنه لما جاءت مذحج لقتال تميم فزع التميميون إلى كبيرهم أكثم بن صيفي ، فقال (١) : « احفظوا وصيتي ، أقلوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، والمرء يعجز لا محالة ، يا قوم تثبتوا ، فإن أحزم الفريقين الركين (٢) ، ورب عجلة تهب ريثاً ، واتزروا للحرب ، وادرعوا الليل ، فإنه أخفى للويل ، ولا جماعة لمن اختلف عليه ، وإذا عز أخوك فهن ، البسوا جلود النمور ، والثبات أفضل من القوة ، واهنأ من الظفر كثرة الأسرى ، وخير الغنيمة المال ، ولا ترهبوا الموت عند الحرب ، فإن الموت من ورائكم ، وحب الحياة لدى الحرب زلل » .

---

(١) أيام العرب ص ١٢٦ .
(٢) الثابت الرزين .

ولما تقارب الزحفان في يوم ذي قار [1] قام حنظلة بن ثعلبة ، فقال : « إن النشاب الذي مع الأعاجم يفرقكم ، فإذا أرسلوه لم يخطئكم ؛ فعاجلوهم باللقاء ، وابدءوهم بالشدة » ، ثم قام إلى وضين [2] راحلة امرأته فقطعه ، ثم تتبع الظُّعُن يقطع وضنهن فسقطن على الأرض ، فقال : « ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته » ، ثم ضرب قبة على نفسه ببطحاء ذي قار ، وآلى لا يفر حتى تفر القبة ، وقام هاني بن مسعود فقال : « يا قوم مهلك مقدور خير من نجاء معرور [3] ، إن الحذر لا يدفع القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنية ولا الدنية ، واستقبال الموت خير من استدباره ، والطعن في الثغر أكرم من الطعن في الدبر ، يا قوم جدوا فما من الموت بد ، فتح لو كان له رجال ، أسمع صوتاً ولا أرى قوماً ، يا آل بكر شدوا واستعدوا ، وإلا تشدوا تُرَدوا . »

وفي يوم ثيتل [4] لما أصبح قيس بن عاصم المنقري ، سقى خيله ثم أطلق أفواه الروايا وأراق ما بها من ماء ، ثم قال لأصحابه : « قاتلوا فالموت بين أيديكم ، والفلاة من رائكم . »

وفي يوم حليمة [5] لما اشتبكوا في القتال قعد الحارث الغساني في قصره ، ودعا ابنته حليمة ، وكانت أجمل النساء فأعطاها طيباً . وأمرها أن تطيب من مر بها من جنده ، فجعلوا يمرون بها وتطيبهم ، ثم نادى : « يا فتيان غسان ، من قتل ملك الحيرة زَوَّجْته ابنتي . »

وكانوا يستعملون ذكاءهم وعقولهم في حروبهم . فقد روي أن النضر بن عمرو قال « قيل لعنترة : أأنت أشجع العرب وأشدها ؟» قال : لا . قيل :

(١) لبكر على العجم : أيام العرب ص ٦ .
(٢) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور وشعر .
(٣) معرور : معاب .
(٤) أيام العرب ص ١٧٥ .
(٥) للغساسنة على المناذرة : أيام العرب ص ٥٤ .

فيم شاع لك هذا في الناس ؟ قال : كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً ، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزماً، ولا أدخل موضعاً إلا أرى لي منه مخرجاً، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله » [1]

وفي بعض الأحيان كانوا يأخذون معهم النساء إلى ميدان المعركة إذ كان حضورهن من أعظم ما يشجع الرجال على القتال ، لأن الدفاع عن شرف النساء كان من أقدس الواجبات . وكان من مثيرات الشجاعة لدى المحاربين ترديد النساء بعض الأناشيد الحماسية التي تشيد بالقبيلة ، وتصور خطر الهزيمة، وتعد الفائزين بخير الجزاء والمكافأة . وقد كان مجرد النظرة إلى المرأة في ساحة القتال ، أو قريباً منه كافياً لإلهاب حمية الرجل المحارب وإثارة الحماسة والغيرة في نفسه ، مما يحمله يبذل كل ما في جهده لهزيمة العدو حتى يحمي النساء من الأسر ، وينقذ شرف القبيلة .

هذا إلى أن النساء ، مع ما كان يثيره مجرد حضورهن في الموقعة من غيرة وحمية في نفوس المحاربين ، كنّ يساعدن الرجال أحياناً في القتال ففي يوم قضّة [2] .

نصح الحارث بن عباد قومه أن يقاتلوا الأعداء بالنساء ، فقال له الحارث بن همام : « وكيف قتال النساء ؟ » قال : « قلّد كل امرأة إداوة [3] من ماء، وأعطها هراوة، واجعل جمعهن من ورائكم ، فإن ذلك يزيدكم اجتهاداً، وعلّموا قومكم بعلامات يعرفنها ، فإذا مرت امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته فسقته من الماء ونعشته ، وإذا مرت على رجل من غيركم ضربته بالهراوة فقتلته وأتت عليه » .

وكان العربي يطيع رئيسه ، وينفذ أوامره ، ولو كانت تخالف رأيه

---

(١) شعراء النصرانية ص ٧٩٨ .

(٢) أيام العرب ص ١٦٢ .

(٣) الإداوة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء .

الشخصي وكانوا سرعان ما يغيرون خططهم إذا تبين لهم عدم جدواها ، أو قلة نفعها . فمثلاً إذا بدءوا غارة ، ثم تبينوا أن أعداءهم قد عرفوا أخبار الغارة ، واستعدوا للقائهم واتخذوا لهم مركزاً أقوى مما للمغيرين ، فإنهم كانوا يغيرون وجهتهم بالغارة إلى قوم آخرين ، ويؤكدون للقوم الذين كانوا يقصدونهم أنهم ما كانوا متجهين بغارتهم نحوهم ، أو كانوا يرجعون إلى أوطانهم عملاً بالقول المشهور : « السلامة إحدى الغنيمتين . »

وكانت المعركة تبدأ بنداء أو صياح كأنه شارة البدء ، كأن ينادي على كل فريق باسمه فيقال : « يا آل فلان » وإذا كان الهجوم للأخذ بثأر فإنهم كانوا يصيحون : « يا لثارات فلان » ، وفي الغارة كان الصريخ : «واصباحاه» أو « ياصباحاه » فهذه كلمة كانت تقولها العرب إذا صاحوا للغارة ، لأنهم أكثر ما يُغيرون عند الصباح [1] » ولذلك كانوا يسمون الغارة يوم الصباح .

وعندما يلتحم الجيشان ، وتدور المعركة ، يبدي كل فرد منهم ما عنده من الشجاعة والبطولة ، وكان كل من الطرفين يوجه همه إلى قتل الرؤساء والزعماء والقادة وذوي المكانة في جيش الأعداء ، أو أسرهم على الأقل ، لكي تضعف روح الأعداء المعنوية من ناحية ، وتقوي روح القاتلين أو الآسرين من ناحية أخرى ، كما أن أسر الشخصيات الممتازة كان وسيلة للغنم المادي إذ أن فدية العظيم أكثر من فدية الشخص العادي .

وفي أثناء القتال كان الرؤساء يقومون بأعمال من شأنها أن تثير همم المقاتلين وتضاعف جهودهم ، كما كان المقاتلون يقومون بكل ما يستطيعون من حيل ومكايد للأعداء ليوقعوا بهم شر هزيمة : كاتخاذ الكمين ، بأن يجعلوا جماعة من الجيش في مكان خفي ، ليهجموا على جيش الأعداء من الخلف ؛ أو كتدبير هجوم على منازل الأعداء وقت انشغالهم بالقتال ؛ أو كأن يقاتلوا شيئاً من قتال ، ثم يتظاهروا بالهزيمة والفرار ، ليجعلوا الأعداء ينهمكون في السلب والنهب ، وحينئذ يكرون ثانية ويوقعون بهم أشد نكاية .

---

(١) لسان العرب : مادة صبح .

وعندما تنتهي المعركة ويتبين ظفر الغالب ، كان المنتصرون يتبعون المهزومين قاتلين وآسرين وجامعين الأسلاب والغنائم ، وكانوا يوجهون همهم بطبيعة الحال إلى الرؤساء وذوي المكانة ، الراكبين منهم أولاً ، ثم المشاة ثانية إذ أن في المقدور الحصول عليهم بسهولة . ولذلك كان كل من يتبع فاراً يريد أن يأسره يسأله عن شخصيته ليعرف قيمته إذ وقع في يده ، ومن هنا كان بعض الفارين يدعون أنهم أفراد من المغمورين غير المشهورين . كما أن الأسير قبل أن يؤسر كان أحياناً يسأل من يتبعه ليأسره عن شخصيته حتى لا يقع في يد شخص من غير المشهورين ذوي المكانة والشرف .

ففي يوم الكلاب الثاني [1] تولى قيس بن عاصم المنقري إمرة بني تميم ، وحملوا على أهل اليمن حملة صادقة ، فانهزموا ، وكان أول من انهزم وعلة ابن عبدالله الجرمي صاحب اللواء ، ثم تتابعت عليهم الهزائم ، وقيس بن عاصم ينادي : « يا لتميم ! لا تقتلوا إلا فارساً ، فإن الرجّالة [2] لكم » وكان قيس في هذا اليوم يسأل كل أسير : « من أي القبائل أنت ؟ » فكان الأسير يقول : « أنا من بني زعبل » طمعاً في أن يطلق قيس سراحه ، لأن هذه القبيلة لم تكن مشهورة ، وما كان رجالها يستحقون أن يؤسروا .

وفي يوم الغبيط [3] حينما أغار بسطام بن قيس الشيباني على بني يربوع ، طارده اليربوعيون وكان رئيسهم عتيبة بن الحارث اليربوعي . وألح عتيبة بن الحارث وأسيد بن حناءة ، والأحيمر بن عبدالله على بسطام بن قيس أن يستسلم للأسر وكان أسيد أدنى إلى بسطام من الرجلين ، فزلت يد فرسه في حفرة ، وتقدم بسطام ، وجعل يلتفت هل يرى عتيبة . فلحق عتيبة بسطاماً فقال له : « استأسر يا أبا الصهباء » . فقال له : « ومن أنت ؟ » قال : أنا عتيبة ، وأنا خير لك من الفلاة والعطش . » فاستأسر .

---

(١) النقائض ج ١ ص ١٤٩ .

(٢) جمع راجل وهو ما ليس براكب .

(٣) النقائض ص ٧٥ .

وفي يوم شعب جبلة انهزمت تميم ، فحاول رئيسها حاجب بن زرارة أن يفر [1] فتبعه زهدم وقيس ابنا حزن العبسيان ، وجعلا يطردانه ، ويقولان له : « استأسر » — وقد قدرا عليه . فقال : « من أنتما » ؟ فقالا : « نحن الزهدمان . » فقال : « لا أستأسر اليوم لموليين . » وبينما هم كذلك إذ أدركهم مالك ذو الرقيبة العامري : فقال لحاجب : « استأسر » ، قال : « ومن أنت ؟ » قال : « أنا مالك ذو الرقيبة » فقال أفعل لعمري ، ما أدركتني حتى كدت أن أكون عبداً وألقى إليه رمحه . فاعتنقه زهدم ، وألقاه عن فرسه فصاح حاجب : « يا غوثاه ! » وجعل زهدم يراوغ قائم السيف ، فنزل مالك ، واقتلع زهدما عن حاجب . فمشى زهدم وأخوه حتى أتيا قيس بن زهير . فقالا : « أخذ مالك أسيرنا من أيدينا . » فقال : « ومن أسيركما ؟ » قالا : « حاجب بن زرارة . » فخرج قيس حتى وقف على بني عامر ، فقال : « إن صاحبكم أخذ أسيرنا . » قالوا : «من صاحبنا؟» قال : « مالك ذو الرقيبة أخذ حاجباً من الزهدمين . » فجاءهم مالك فقال: « لم آخذه منهم ، ولكنه استأسر لي وتركهما » فلم يبرحوا حتى حكموا حاجباً نفسه في ذلك — وهو في بيت ذي الرقيبة — فقالوا : « من أسرك يا حاجب ؟ » فقال : « أما من ردني عن قصدي ، ومنعني أن أنجو ورأى مني عورة فتركها فالزهدمان ، وأما الذي استأسرت له فمالك . »

وفي بعض الأحيان تكون فرس المنتصر أبطأ من فرس من يفر من الأسر ، وعند ذلك يطعنه بالرمح إذا رفض الاستسلام ، كما حدث في يوم جدود [2] الذي كان لبني منقر على بكر ، فعندما انهزمت بكر بن وائل ، « لم يكن لرجل منهم همة إلا أن ينجو بنفسه ، وتبعتهم منقر ، فمن قتيل وأسير » ، واتبع قيس بن عاصم المنقري الحارث بن شريك وكان الحارث على فرس يدعى الزبد ، وقيس على فرس يسمى الزعفران : وكانا اذا استوت بهما الأرض

---

(١) أيام العرب ص / ٣٥٧ .

(٢) ايام العرب ص ١٧٨ .

لحقه قيس ، وإذا وقعا في هبوط وصعود سبقه الحارث ، فلما خشي أن يفوته قال : «استأسر يا حارث خير أسير . » فقال الحارث : « لا بل شر أسير . » ثم زجر فرسه ، فسبق مُهْر قَيْس وتخوف قيس أن يفوته الحارث فحفزه بالرمح . وبهذه الحفزة سمي الحارث : « الحوفزان » .

وكانوا دائماً يجزون ناصية الأسير ويحفظونها ، وربما كان ذلك لاتخاذهـا دليلاً مادياً عند الفخر على قوم الأسير خصوصاً إذ كان من الرؤساء أو ذوي المكانة فيهم .

وكانت عاقبة الأسير تتوقف على الحال التي بين قومه وآسريه أو حلفائهم؛ فإذا كان بينهما مثلاً دم فإن الأسير كان يقتل أخذاً بالثأر . ولذلك كان الأسير إذا تيقن من أنه مقتول لا محالة فإنه أحياناً كان يحاول أن يقتل نفسه بيده . من ذلك ما حدث يوم الرقم [1] الذي انتصرت فيـــه غطفان على بني عامر فيروى أن غطفان أسرت من بني عامر أربعة وثمانين رجلاً ، فدفعوهم إلى أهل بيت من أشجع كانت بنو عامر قد أصابوا فيهم ، فقتلوهم أجمعين .

وفي هذا اليوم « انهزم الحكم بن الطفيل في نفر من أصحابه حتى قطع العطش أعناقهم فماتوا ، أما الحكم بن الطفيل فإنه خاف أن يؤسر ، ويمثـل به ، فجعل في عنقه حبلاً ، وصعد إلى شجرة ، وشده ، ودلى نفسه فاختنق . وفعل مثله رجل من بني غنيّ ، فلما ألقى نفسه ندم فاضطرب ، فأدركوه وخلصوه ، وعيروه وفي ذلك يقول عروة بن الورد :

عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم ومقتلهم تحت الوغى كان أجدرا

وإذا لم يكن بينهم ثأر فإنهم كانوا يحافظون على الأسير إلى أن يُفْدَى وكانت الفدية عادة تدفع من الإبل ، وتختلف تبعاً لحالة الأسير الاجتماعية : فكلما عظمت مكانته في قومه كالرئيس أو القائد ، كانت الفدية أعظم . وربما كان ذلك من الأسباب التي كانت تجعلهم يتسابقون على أسر ذوي الشخصيات الممتازة .

---

(١) المفضليات ص ٣٠ ، وأيام العرب ص ٢٧٨ .

وكان الآسر هو الذي يأخذ فدية الأسير ، فإذا اشترك أكثر من واحد في أسره ، أخذ كل من اشترك في الأسر جزءاً من الفديـــة . وكثيراً ما كانوا يرجعون إلى الأسير نفسه ليحكي الدور الذي قام به كل من اشترك في أسره ، ثم يحكمونه ، أو يطلب هو أن يحكم بين آسريه في نصيب كل منهم في فدائه . فمثلاً حينما اختلف الزهدمان ومالك ذو الرقيبــة في أسر حاجب بن زرارة يوم شعب جبلة ، وشرح حاجب ما فعله كل من الثلاثة في كيفية أسره ، قال حاجب : « حكموني في نفسي » فقال له القوم : « قد جعلنا إليك الحكم في نفسك» ، فقال : « أما مالك ، فله ألف ناقة ، وللزهدمان مائة .»

وفي يوم ذي طلوح [1] أخذ الحارث بن شريك أسيراً ، أخذه حنظلة بن بشر فاختصم عبد الله بن الحارث ، وعبد عمرو بن سنان في الحارث . فقال : « حكموني في نفسي ، والله لا أخيّب ذا حقٍّ » ، فحكموه فأعطى عبد الله ابن الحارث مائة من الإبل ، وأعطى عبد عمرو مائة ، وجعل ناصيته لحنظلة ابن بشر .

وأحياناً كان الأسير يطلق سراحه لمجرد أن يَعِد آسريه بدفع الفديـــة وكثيراً ما كان يطلق سراح الأسير ، منّاً عليه ، أو فخراً بذلك ، أو وفاء لعهد ، أو إسداء لمعروف ، أو رداً لجميل ، أو إكراماً لعظيم .

ففي يوم الوقيط [2] أسر بشر بن العوراء ضرار بن القعقاع ، فجزت بنو تيم اللات ناصيته ، وخلوا سبيله . وفي نفس اليوم أسر عمرو بن قيس عنجل ابن المأمون ، ثم منّ عليه .

وفي يوم شعب جبلة حكي أن قيس بن المنتفق العامري لحق عمرو بن عمر التميمي فأسره ، فأقبل الحارث بن الأبرص ، فرآه عمرو مقبلاً ، فقال لقيس: « إن أدركني الحارث قتلني ، وفاتك ما تلتمس عندي ، فهل أنت مُحسنٌ

---

(١) أيام العرب ص ١٨٤ .

(٢) أيام العرب ص ١٧٠ .

إليّ وإلى نفسك ؟ تجز ناصيتي ، فتجعلها في كنانتك ، ولك العهد لأفين لك . »
ففعل ، وأدركها الحـــارث وهو ينادي قيساً ويقول : « اقتل ، اقتل ! »
ولكن قيساً أطلق عمراً ، ولحق عمرو بقومه .

وفي الشهر الحرام خرج قيس بن المنتفق إلى عمرو بن عمر يستثيبه ، وتبعه الحارث بن الأبرص ، حتى قدما على عمرو بن عمرو ، فأمر عمرو ابنة أخيه آمنة ، وقال لها : « اضربي على قيس الذي أنعم على عمك هذه القبة . » ثم قال للحارث : « ما الذي جاء بك فوالله ما لك عندي نعمة ولقد كنت سيء الرأي فيّ ، وقتلت أخي ، وأمرت بقتلي » . فقـــال الحارث : « بل كففت عنك ، ولو شئت إذ أدركتك لقتلتك . » قال : « ما لك عندي من يد . » ثم تذمم منه فأعطاه مائة من الإبل ، ثم انطلق وذهب . وأعطى عمرو قيساً إبلاً كثيرة وفاء لعهده ، وشكراً على فضله [1] .

ويروى أنه في حرب البسوس أسر الحارث بن عباد يوم التحالق مهلهلاً وكان المهلهل متخفياً ، فلم يعرفه ، فقال الحارث له : « دلني على المهلهل » . قال : « ولي دمي ؟ » فقال : « ولك دمك . » قال : « ولي ذمتك وذمة أبيك ؟ » قال : « نعم ذلك لك . » قال المهلهل — وكان ذا رأي ومكيدة — : « فأنا مهلهل ، خدعتك عن نفسي ، والحرب خدعة . » فجز ناصيته وأطلقه .

ويرى في قصة طويلة أن ربيعة بن مكدم من رهط بني مالك بن كنانة كان يسير في الوادي ومعه ظعينة [2] ، وكان دريد بن الصمة قد خرج في فوارس من بني جشم يريد الغارة فأرسل إلى ربيعة ثلاثـــة من فرسانه ؛ واحداً بعد الآخر ، يطلب إليه أن يتخلى عن الظعينة ، ولكن ربيعة كان يقتل الفارس منهم بمجرد أن يجيئه ، مع أنه لم يكن معه رمح ، فجاءه دريد

---

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٣٣ .

(٢) الظعينة : المرأة ما دامت في الهودج .

وقال له : « أيها الفارس ؛ إن مثلك لا يقتل وإن الخيل ثائرة بأصحابهـــا ، ولا أرى معك رمحاً ، وأراك حديث السن ؛ فدونك هذا الرمح ، فاني راجع إلى أصحابي فمثبطهم عنك . » وأتى دريد أصحابه فقال : إن فارس الظعينة قد حماها، وقتل فرسانكم ، وانتزع رمحي، ولا طمع لكم فيه؛ فانصرف القوم.

ومرت الأيام ، ثم أغار بنو مالك بن كنـانة رهط ربيعة على بني جشم رهط دريد وأسروا دريد بن الصمة ، فأخفى نسبه [١] . ولكن امرأة منهم عندما رأته صرخت وقالت : «هلكتم وأهلكتم ، ماذا جر علينـا قومنا ؟ هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة.» ثم ألقت عليه ثوبها، وقالت: « يا آل فراس أنا جارة له منـكم ، هذا صاحبنا يوم الوادي . » فسألوه من هو فقال : «أنا دريد بن الصمة ، فمن صاحبي؟ » قالوا : « ربيعة بن مكدم. » قال : « فما فعل ؟ » قالوا : «قتلته بنو سليم . » قال : «فمن الظعينـــة التي كانت معه ؟ » قالت المرأة : « ربطة بنت جـــذل ، وأنا هي. » فقالوا : « لا ينبغي ان تكفر نعمة دريد عنـدنا . » فأصبح القوم ، وتعاونوا بينهم وأطلقوه ، وكسته ربطة وجهزته . ولحق بقومه ولم يزل كافـاً عن غزو بني فراس حتى هلك .

ويقال إنه حينما أغار النعمان بن وائل قائـد الحارث بين أبي شمر الغساني على بني ذبيان سبى سبياً من غطفان ، وأخذ عقرب بنت النابغة ، فسألها : من أنت ؟ فقالت . أنا بنت النابغة : فقال لها : والله ما أحد أكرم علينـا من أبيك ، وما أنفع لنا عند الملك ثم جهزها وخـلاها . ثم قال : والله ما أرى النابغة يرضى بهذا منـّا. فأطلق له سبي غطفان وأسراهم[٢].

وكان إهمال الأسير عاراً كبيراً، وسبة لا يرضونها. يروى أنه يوم قشاوة[٣] أسر بسطام بن قيس الشيباني أبا مُليل ، فلمـــا صار في يدي بسطام قال له:

---

(١) أيام العرب ص ٣١٧ .

(٢) شعراء النصرانية ص ٦٦٨ .

(٣) أيام العرب ص ٢٠١ .

« يا أبا مليل ؛ إني لم آخذك لأقتلك » . قال : « قد قتلت ابني ، ووددت أني مكانه ، أما إن طعامك عليّ حرام ما دمت في يدك ! » ، فكان أبو مليل يؤتى بالطعام ، فيبيت يطرد عنه الكلاب مخافة أن تأكله ، فيظنوا أنه أكله هو ، حتى جهد ، فلما رأوا جهده ، قال بشر بن قيس لأخيه بسطام : إني لا آمن أن يموت أسيرك هذا في يديك هزلا [1] ، فتسبك به العرب » . وكان في النهاية أن خلاه بسطام بغير فداء .

أما في حالة النساء السبايا ، فإنهن كن يصبحن في العادة إماء للآسرين ، ولكنهن كن يعاملن بلطف وأدب حتى يفدين ، وأحياناً كانت بعض القبائل تطلق سراح السبايا دون أن يمسسن بسوء ، أو ينال من شرفهن ، ودون انتظار لدفع الفدية . فكانت تشعر أن من العار أن يقتل الأسير ، أو تساء معاملة السبايا ، وإنا لنجد في كتب التاريخ والأدب أمثلة تؤيد أنهم كانوا يعظمون المحافظة على الأسير ، ويكبرون حسن المعاملة للسبايا ، ويذمون ما يتنافى مع ذلك .

من هذا ما يقوله صاحب الأغاني [2] : « كان بدء ما كان بين خفاف ابن ندبة والعباس بن مرداس : أن خفافاً كان في ملأ من بني سليم فقال لهم : إن عباس بن مرداس يريد أن يبلغ فينا ما بلغ عباس بن أنس ، ويأبى ذلك عليه خصال قعدن به . فقال له فتى من رهط العباس : وما تلك الخصال يا خفاف ؟ قال : اتقاؤه بخيله عند الموت ، واستهانته بسبايا العرب ، وقتله الأسرى ، ومكالبته الصعاليك على الأسلاب . ولقد طالت حياته حتى تمنينا موته . فانطلق الفتى إلى العباس فأخبره . فقال العباس : يا ابن أخي ؛ إن لم أكن كالأصم في فضله فلست كخفاف في جهله . وقد مضى الأصم بما في أمس ، وخلفني بما في غد . ثم أصبح فأتى خفافاً وهو في ملأ من بني سليم ، فقال : لقد بلغتني مقالتك يا خفاف ، والله لا أشتم عرضك ، ولا أسب أباك

---

(١) الهزل : الهزال .

(٢) ج ١٦ ص ١٣٤ .

وأمك ، ولكن رمى سوادك بما فيك . وإنك لتعلم أني أحمي المضاف ، وأتكلم على السبي ، وأطلق الأسير ، وأصون السبية . وأما زعمك أني أتقي بخيلي الموت فهات من قومك رجلاً اتقيت به ،وأما استهانتي بسبايا العرب فإني أحذو القوم في نسائهم بفعالهم في نسائنا ، وأما قتلي الأسرى فإني قتلت الزبيدي بخالك إذ عجزت عن ثأرك ، وأما مكالبتي الصعاليك على الأسلاب فوالله ما أتيت على مسلوب قط إلا لمت سالبه . وأما تمنيك موتي فإن مت قبلك فاغن غنائي . وإن سليماً لتعلم أني أخف عليهم مئونة ، وأثقل على عدوهم وطأة منك . وإنك لتعلم أني أبحت حمى بني زبيد ، وكسرت قوى بني الحرث ، وأطفأت جمرة خثعم ، وقلدت بني كنانة قلائد العار » .

وكان الاعتداء عادة يجر إلى اعتداء أخذاً بالثأر ، وربما أدى هذا إلى طول مدة الخصومة ، وكثرة تجدد القتال ، واستمرار البغضاء زمناً طويلاً . ولكن هذا كان يتسبب عنه شيء من الملل والضجر من هذه الحال ، ويجعل النفوس في كلا الجانبين أميل إلى إنهاء النزاع ، وتسوية الخلاف . وهنا كان المصلحون والوسطاء الساعون إلى الخير يجدون منفذاً يصلون منه إلى قلوب الفريقين ، فيحببونهم في الصلح ، وينفرونهم من الحرب التي عانوا منها الويلات الكثيرة وألحقت بهم الأضرار الجسيمة . ويحاولون أن يصلوا إلى اتفاق سلمي ، وصفاء متبادل بين الطرفين . فإذا ما أظهروا القبول والاستعداد للصلح ، اجتمعوا واتفقوا فيما بينهم على ما ينهون به الخصام . وفي العادة كانت الضحايا تُعَدُّ في كل جانب ، وتدفع الفدية لمن زاد عدد ضحاياه . ولكن أحياناً في مثل هذه الأحوال كان أقرباء الضحايا الذين لم يؤخذ بثأرهم لا يحضرون أحياناً تلك المجتمعات التي تعقد للصلح ودفع ديات ذويهم ، إظهاراً لعدم الموافقة على ذلك ، وتأكيداً للتصميم على الأخذ بالثأر .

ففي نهاية حرب الفجار التي كانت فيها أيام كثيرة بين كنانة وقيس ، تداعوا إلى الصلح على أن يَعُدّوا القتلى ، فأي الفريقين فضل له قتلى أخذ دياتهم من الفريق الآخر ، فتعادّوا القتلى ، فوجدوا قريشاً وبني كنانة قد

أفضلوا على قيس عشرين رجلاً . فرهن حربُ بن أمية ابنَه أبا سفيان ، ورهن الحارث بن كــلدَة العبدي ابنه النضر ، ورهن سفيان بن عوف ابنه الحارث . ولما رأت قيس رهائن قريش بأيديهم رغبوا في العفو ، فأطلقوهم ، وانصرف الناس بعضهم عن بعض ، ووضعوا الحرب[1] » .

ولما طالت حرب داحس والغبراء ، وحدثت فيها أيام كثيرة ذهب ضحيتها عدد كثير من عبس وذبيان ، كرهها الجانبان ، وجرى بينهمــا السفراء فاجتمعوا للصلح ، إلا أن حصين بن ضمضم خرج بفرسه ، وذهب حتى قابل بيجان العبسي ، فقتله بأبيه ضمضم الذي قتله عنترة العبسي . ولم يزل أهـل الخير يتوسطون بـين الطرفين حتى اصطلحوا ، فتعاقدوا على أن يحتسبوا القتلى ، فيؤخذ الفضل مما هو عليه ، وحُمِلت عنهم الديات [2] . »

☆ ☆ ☆

ومن قصص الأيام نرى أن أيام القبيلة كانت أساس فخرها ، وقوام مجدها ، وكان كل فرد يشعر أن نصر قبيلته في موقعة كان ريشة من ذهب على هامته ، وعزّاً لقبيلته خالداً أبد الدهر ، تفخر بنفسها ، وتتيه على أعدائها ، وكان رجوع القبيلة من الموقعة ظافرة ، شرفاً عظيماً ، وفرصة طيبة لعرض مفاخرها ، وتعاظمها على العدو المنهزم ، فأيام القبيلة ذخر تدخره ، دليــل قوتها ، وسجل شرفها وعزتها . ولهذا أوْلَت كلُّ قبيلة أيامَها اهتماماً عظيماً ، وعدّدت في زهو وتفصيل دقيق ماقام به أبطالها من أعمال البطولة والشهامة ، وكانت الأيام موضوع أحاديثهم في مجالسهم ومجتمعاتهم ، فكانوا يحفظون قصص الأيام التي انتصروا فيها ، ويروونها في فخر وإعجاب ، يحافظون عليها في رعاية واهتمام ، ويسلمها السلف إلى الخلف في أمانة وعنايـــة وحرص تام وكان الأبناء يتلقونها عن الآباء في شغف عظيم فتبعث في الأبناء إكبار الآباء

---

(١) أيام العرب ص ٣٣٧ .
(٢) أيام العرب ص ٢٧١ .

والفخر بهم ، وتزرع في نفوسهم حب القبيلة ، وتثير فيهم الحمية والعصبية ، وتزيد فيهم العزيمة والتفاني في الدفاع عن شرف القبيلة وكيانها ، وكانت كل قبيلة تحب أن تنشر أخبار قوّتها الحربية في طول شبه الجزيرة وعرضها لكي تعظم منزلتها في نظر الآخرين . وكلما كثرت أيام النصر للقبيلة زادت شهرتها في الشجاعة والشرف .

وكما كانت أيام النصر للقبيلة أحسن موضوع للفخر بالقوة والبطولة والأعمال الجيدة ، فإن خير موضوعات الذم والهجاء كان الهزيمة والفرار وما لحق المغلوب من مصائب وخسائر في الحروب ، فكما كان النصر يكلل هامات القبيلة بالعز والشرف ، ويذيع شهرتها في جميع الأرجاء فإن الهزيمة كانت للقبيلة عاراً شنيعاً ، يوحي بالضعف ، ويشجع الآخرين على الطمع فيهم ، وإيقاع الظلم بهم . ولم يكن هناك من الهجاء ما يؤذي أشد من الهزيمة في الحرب . وفي ذلك يقول صاحب الأغاني [1] : «حدثنا عوف عن ابن سيرين في حديث طويل ، قال : كان يهجوهم (يعني قريشا) ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحه . وكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ، ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبدالله بن رواحه يعيرهم بالكفر وينسبهم إلى الكفر ، ويعلم أنه ليس فيهم شر من الكفر ، فكانوا في ذلك الزمان أشد شيء عليهم قول حسان وكعب ، وأهون شيء عليهم قول ابن رواحة ، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة » .

وكما كانت قصص البطولة في الماضي تحتل المكانة الأولى في أحاديثهم ، وموضوعات مجالسهم ، فكذلك اليوم ما زالت أحاديث البطولة وأعمال الشهامة موضوع مجالس الأعراب البدو . والحقيقة أن هذه الموضوعات من الأشياء التي يحلو الحديث فيها وتشتاق النفوس دائماً لسماعها ، حتى ولو بلغ الإنسان

---

(١) ج ١٥ ص ٢٨ .

أرقى درجات الحضارة والرقي ؛ فما زلنا نحن الآن نسمع من الأُمم المتمدينة الحديثة بعد الحروب التي خاضت غمارها الحكايات الكثيرة عن أبطالها وشجعانها ، وما قاموا به من أعمال الشهامة والإقدام ؛ تحكيه هذه الأمم في فخر واعتزاز ، كأن ذلك مما يرفع شأن أمتهم ، ويرسي قواعد مجدهم، ويدفع أبناءهم من بعدهم إلى ميادين العزة والشرف ، كي يحافظوا على ما أسسه آباؤهم، وبنوه شامخاً من صروح المجد والشرف . فكانت قصص الأيام في الجاهلية ، تحكى بكل فخر ، ويستمع إليها المستمعون في إعجاب عميق، ويحفظونها في شغف ، ويحكونها في إكبار جيلاً بعد جيل .

وكان الجاهلي حينما يفخر بأيامه ، يؤكد النصر الذي حازه ، ويثني على التوجيه الصحيح ، والقيادة الحكيمة ويعجب ببطولة قومه وقوتهم ، ويعظم الشرف الذي نالوه ؛ وعلى الضد من ذلك كان شأنه حينما يتصدى لهجاء الأعداء وذم المهزومين ، فكان يضخم هزيمتهم ، ويرميهم بالضعف والجبن ، وعدم الخبرة في الحرب .

وإذا تذكرنا ما كان الجاهلي يتصف به من سرعة الانفعال، وشدة الحساسية عند الغضب، والشعور بالغيرة الشديدة نحو شرفه وكرامته ، ومبالغته في فهم معنى العار والخجل ، وإذا تذكرنا كذلك أنه لم يكن هناك في ذلك الوقت تسجيل دقيق للحوادث التي كانت تقع بينهم، إذا تذكرنا هذا ، فلن يكون عجيباً حينئذ أن نجد في بعض قصص الأيام مبالغة ، أو تحويراً يتفق ووجهة نظر الراوي وميوله فقد كان همه أن يعظم من شأن قبيلته ، وأن ينسب إليها كل شيء مهما كان عددها ، ومهما كان الدور الذي قامت به ، ومهما اشترك معها من الحلفاء . كأن يبالغ في عدد الجيش ، أو يدعي أن الرئاسة في ذلك اليوم كانت لقومه ، أو يصور ما قاموا به بصورة ضخمة هائلة ، ويكثر عدد القتلى ، والجرحى ، والأسرى من الأعداء . ولكن المؤرخين والنقاد والثقات قد بذلوا جهداً كبيراً في تمحيص ما في قصص الأيام من حقائق ، محاولين بذلك إظهار الحق ، واستخلاص الصحيح من الزائف. من

ذلك مثلاً ما حاوله أبو عبيدة في قصة يوم النسار [1]، إذ أن الأنباري صاحب شرح المفضليات حينما عرض لهذه القصة قال: « وفيها أقاويل كثيرة وادّعاء من الرّباب، ومن قول بني أسد، وغطفان، وغيرهما من قيس ». ثم عقب على ذلك قائلاً: « قال أبو عبيدة: وهو عندي باطل مختلط، أخذ عن جُهّال، وجاء الشعر الثابت الذي لا يُرَدّ بغير ذلك ». ثم يذكر الأنباري رواية أبي عبيدة، والروايات الأخرى، ومناقشة أبي عبيدة لهذه الروايات، وبيانه الحقائق بالأدلة الثابتة؛ مما يدل على الدقة في البحث، وتحري الحقيقة.

ومن ذلك أيضا ما يرويه ابن عبد ربه [2] عند الكلام على يوم خزاز، إذ يقول: « قال أبو عبيدة: تنازع عامر ومسمع ابنا عبد الملك، وخالد بن جبلة وابراهيم بن محمد بن نوح العطاري، وغسان بن عبد الحميد، وعبد الله بن سالم الباهلي، ونفر من وجوه أهل البصرة؛ كانوا يتجالسون يوم الجمعة، ويتفاخرون ويتنازعون في الرئاسة يوم خزاز. فقال خالد بن جبلة: كان الأحوصُ بن جعفر الرئيس. وقال مسمع: كان الرئيس كُليبَ بنَ وائل، وقال ابن نوح: كان الرئيس زرارةَ بن عدس، وهذا مجلس أبي عمرو بن العلاء. فتحاكموا إلى أبي عمرو، فقال: ما شهده عامر بن صعصعة، ولا دارم بن مالك، ولا جشم بن بكر؛ اليوم أقدم من ذلك، ولقد سألتُ عنه منذ ستين سنة، فما وجدت أحد القوم يعلم مَنْ رئيسهم ومَن الملك، غير أن أهل اليمن كان الرجل منهم يأتي ومعه كاتب وطنفسة يقعد عليها، فيأخذ من أموال نزار ما شاء كعمال صدقاتهم اليوم، وكان أول يوم امتنعت فيه معد من الملوك ملوك حمير، وكانت نزار لم تكثر بعد فأوقدوا ناراً على خزاز ثلاث ليال، ودخنوا ثلاث أيام. فقيل له: وما خزاز؟ قال: هو جبل قريب من أمرة على يسار الطريق، خلفه صحراء منبج، يناوحه كور وكوير إذا

(١) المفضليات ص ٣٦٤.

(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ١٠٦.

قطعت بطن عاقل . ففي ذلك اليوم امتنعت نزار من أهل اليمن أن يأكلوهم: ولولا قول عمرو بن كلثوم ما عُرف ذلك اليوم ، حيث يقول :

وَنَحنُ غداةَ أُوقدَ في خزَازٍ رَفَدنا فَوقَ رِفدِ الرافدينا

قال أبو عمرو بن العلاء : « ولو كان جده كليب بن وائل قائدهم ورئيسهم ما ادعى الوفادة وترك الرياسة ، ومــا رأيت أحداً عرف هذا اليوم ، ولا ذكره في شعره قبله ولا بعده » .

فمن ينظر في قصص الأيام يتضح له أن القبائل كانت تتسابق في ذكر أيامها ، ونسبة الفضل ، والنصر ، والعمل المجيد لأفرادها . وأن النقاد والعلماء الباحثين كانوا يدققون في كل ما يسمعون ، فيمحصون ، ويتحرون الحقيقة حتى يصلوا إليها بقدر مــا يستطيعون ، وكان من أهم وسائلهم في تحري الحقيقة ، الشعر الصحيح الذي لم يداخلهم فيه ولا في قائله شك .

ونتيجة لما كان للأيام من تقدير كبير ، وأهمية عظيمة لدى العرب قبل الإسلام فإن الجاهليين كانوا يعدون من الأيام بعض المشاجرات ، أو المشاغبات ، مثل أيام الفجار ، وبعض أيام الأوس والخزرج وكذلك كان بعض الشعراء يبالغون في وصف أشياء ضئيلة حتى يصوروها كأعظم موقعة . من ذلــك مثلا ما يرويه صاحب الأغاني [1] إذ يقول : « روى حماد الراوية عن أبي ليلى قال :

أنشدتني ليلى بنت عروة بن زيد الخليل الطائي شعر أبيها في يوم محجن :

بَني عَامرٍ هَلْ تَعْرِفونَ إذا غَدا أبو مُكنِف قَد شدَّ عقدَ الدوائرِ

بجيشٍ تَضلُّ البلقُ في حَجَراته ترى الأكم فيه سجداً للحَوافِرِ

وجَمعٍ كمثلِ الليلِ مُرتجز الوَغى كثيرٍ حواشيه سَريعِ البَوادرِ

(١) ج ١٦ ص ٧ .

فقالت ليلى : فقلت لأبي : يا أبت ، أشهدت ذلك اليوم مع أبيك ؟ قال : إي والله يا بنية لقد شهدته . قلت : كم كانت خيل أبيك هذه التي وصفت ؟ قال : ثلاثة أفراس » .

ويروي صاحب الأغاني أيضاً [1] أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً ذات يوم في مجلس ليس فيه إلا خزرجي ، فسأله أحدهم أن ينشده قصيدة قيس بن الخطيم التي أولها :

أتعرف رَسْماً كاطّراد المذاهب لِعَمرةَ وحشاً غيرَ موقِفِ راكِبِ

فشرع الخزرجي ينشدها ، حتى وصل إلى قول قيس :

أُجالِدُهم يومَ الحديقةِ حاسراً كأنَ يَدي بالسَّيفِ مِخْراقُ[2] لاعِبِ

فالتفت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الآخرين وقال : هل حارب حقيقة كذلك ؟ فتصدى ثابت بن قيس بن شأس وقال للنبي عليه الصلاة والسلام : والذي بعثك بالحق لقد خرج علينا يوم سابع عرسه ، وعليه غلالة ، وملحفة مورسة ثم جالدنا كما ذكر » . ويستمر صاحب الأغاني ، فيقول : ذلك هو ما حكي لنا ، ولكن الحسن بن علي أخبرني أنه لم يكن بين الأوس والخزرج حرب إلا في بعاث التي كانت الحرب فيه عنيفة ، أما قتالهم الآخر بما فيه يوم الحديقة ، فلم يكن إلا مجرد رمي بالحجارة أو الضرب بالعصي . وقد قال زهير : إنه لما أنشد محمد بن فضالة قول قيس بن الخطيم :

أُجالِدُهم يوم الحديقة حاسراً كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

ضحك ، وقال : « في ذلك اليوم لم يتحاربوا إلا بالرطائب والسعف » .

وعلى كل حال ، مهما يكن هناك من تحوير أو تغيير أو مبالغة في قصص الأيام ، فليس ذلك مما يعنينا في هذا البحث ، إنما الذي يهمنا هو القيمة الأدبية

---

(١) ج ٣ ص ٧ .

(٢) المخراق : شيء يلعب به كالطرة .

للأيام وبخاصة الشعر الذي قال الجاهليون فيها . ويجب أن نذكر دائماً أن الشاعر شاعر أولاً وقبل كل شيء وليس مؤرخاً ، وأن ما يذكره في شعره من أمور تاريخية ، يجوز أن تكون حقيقية، لكنه كشاعر فإن له الحرية الكاملة في أن يستعمل هذه الحقائق كما يشاء ، وبأية طريقة ترضي فنه . على أن المبالغة في الشعر غالباً ما تكون من وسائل جعل الشعر أكثر جاذبية وأعظم جمالاً ، وتساعد على إيراد صور رائعة تفيض حيويـة وقوة . وإذا أردنا مثلاً لذلك ، فليكن بيت قيس بن الخطيم السابق :

أجالدهم يوم الحديقـــة حاسراً كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

ولنفرض أن تعليق صاحب الأغاني صادق ، وأنهم لم يتحاربوا حقيقة إلا بسعف النخل ، وأغصـــان الشجر . فإنه بالرغم من ذلك نرى أن التصوير الشعري في هذا البيت ساحر جذاب . فتخيل الشاعر الشغَب البسيط ودوره فيه موقعة كبيرة يصول فيها البطل ويجول ، خيال واسع ممتاز ، وتشبيه السيف في يد المحارب بالمخراق في يد اللاعب ، يوحي بأن القتال بالنسبة لهذا المحارب لم يكن إلا بمثابة لعبة رياضية محبوبة ، وأن ميدان الموقعـة كملعب رياضي ، وأن السيف في يده كان خفيفاً ، سهل الحركة في غير مشقـــة ولا عسر .

وفوق هذا ، فإن الشعر – مع أنه يكون أساساً للاستمتاع به كتعبير عن عاطفة وشعور – قد يكون من وسائل الوصول إلى الحقيقة . فقد رأينا فيما سبق من أمثلة أن النقاد كانوا يعتمدون في كثير من الأحيان على الشعر في تمييز الحقائق التاريخية الصحيحة من الفاسدة .

وعلى أية حال ، فإن قصص الأيام – سواء نظر إليها من ناحية قيمتهـــا الأدبية ، أو من ناحيـــة ما تقدمه من مادة للمؤرخين – تمدنا على العموم ، بمعلومات قيّمة عن حروب العرب الجاهليين ، وتظهر لنا كثـيراً من نواحي حياتهم الفردية والجماعية .

فهي ترينا أن كثيراً من أيام العرب لم يكن إلا مجرد نزاع بسيط ، وأن قليلاً منها هو الذي كان يرقى إلى درجـــة الحرب . وتُبين لنا كيف كانت تحدث المنازعات بينهم ، وكيف كانوا يهيئون أنفسهم للقتال ، وكيف كانوا يعدون الأسلحة ، ويرسمون الخطط ، ويقومون بالخدع والمكايد للأعداء ، وكيف كان كل عضو في القبيـلة ، يقوم بنصيبه في القتال . وتوضح ما كانوا يعدّون للنساء والأطفال والمرضى والشيوخ ، والإجراءات التي كانوا يتخذونها للدفاع عن هؤلاء ، والمحافظة على الأموال وحمايتها ساعة الخطر . وتظهر لنا كذلك أن إخلاص الفرد لقبيلته لم يكن فيه شك ، وفيها حرص القبيـلة على أفرادها واضح جلي ، والعصبية ، ولحمة الدم ، والقرابة ، قوية لدرجـة أن الشخص كان يستهين بالأخطـــار ، ويركب الصعب ، بل ويضحي بنفسه في سبيل إنقاذ قومه إذا عـلم أن شراً يتهددهم ، أو أمراً سيئاً يدبر ضدهم في الخفاء كما أن هذه القصص فيها نماذج كثيرة للسلوك الإنساني الرائع، والشهامة الحقة ، لدرجة أننا قد نشعر أحياناً أنه من الصعب أن نقنع أنفسنا بأن هذا كان يحدث في زمن الجاهلية ، وأقل ما في هذه النماذج أنها تدل على أن العربي في ذلك العصر كان يقدر المثالية في السلوك والخلق ومعاملة الآخرين .

ولئن كان للأيام الفضل في إظهار الأبطال والشجعان ، وبناء مجد القبيلة ، فقد كان لها الفضل كذلك في إظهار الأدباء والشعراء ، وتخليـد مآثر القوم ؛ فكانت قصصها مادة خصبة لأحاديث المجتمعـــات والمجـالس ، كما أنها كانت منبعاً للالهام الأدبي الرفيـع ، إذ أمدت الشعراء بمادة لا تنضب لقول الشعراء ؛ فكانت الموقعة تهيج عاطفة الشاعر وتثير مشاعره، فلا يلبث إلا أن ينطلق لسانه مصوراً هذه العواطف والمشاعر في مقاطع موسيقيـــة عذبة . ولم تكن مشاعر الشعراء يلهبها دوران رحى القتال، أو إراقة الدماء في ميدان الوغى فقط ، بل كانت عواطفهم الحساسة تثيرها الأعمال النبيلة التي قام بها أبطال القبيلة ، كما كانوا يذوبون أسى ولوعة إن ألم بهم أذى . وهكذا كان الشاعر يصور أحاسيسه المختلفة نحو الحرب وما يتصل بها ؛ فيصف لنا

في كلماته ما في الحروب من مآس وويلات ، أو يفتخر فيها بما ناله قومه من شرف ونصر ، أو يجعل من كلماته بلسماً شافياً لما لحقهم إن خانهم الحظ ، أو يرسلها شواظا من حميم ، فيقض مضاجع الأعداء منذراً ومتوعداً .

وكانت كلمات الشاعر تخترق الصحراء أسرع من السهام ، وتستكن في أعماق القلوب ، ثم تنتقل من جيل إلى جيل في قوة وجدة على الدوام . فإذا كانت الأيام قد أثارت الشعراء ، وأظهرت مواهبهم ، فإن الشعراء قد وهبوا للأيام الحياة ، وضمنوا لها الخلود .

الباب الأول

إحصاء وتحليل
لشعر الحرب في الأدب الجاهلي

تمهيد

من المسلّم به أن الحرب من العوامل المثيرة للعواطف ؛ فهي تحرك الوجدان بمظاهرها ، وتلهب المشاعر بأحداثها ، وتذيب النفوس بآثارها ونتائجها ؛ ذلك لأن الحرب بما فيها ، وما يعقبها كلها مظاهر غير عادية ، مظاهر عنيفة مثيرة ، تؤثر في الأعصاب ، وتثير الانفعالات المختلفة ، وتجعل الشخص يحس إحساساً غريباً ، ويشعر شعوراً عميقاً يختلف كل الاختلاف عن شعوره نحو مظاهر الحياة العادية .

وإنا لنكاد نجزم بأن هذا الشعور الغريب الذي ينتاب الشخص كأثر من آثار الحرب ، لا بد أنه قد ظهر أول ما ظهر حينما وجد أول اثنين من البشر تعارضت مصالحهما ، وأبى كل منهما إلا أن يتمسك بوجهة نظره ، وآلَ أمرُهما إلى اشتباك عنيف أو غير عنيف، انتهى بهزيمة أحدهما وانتصار الآخر.

ومما لا شك فيه أن الشعور بالفوز قد حرّك عواطفَ المنتصر ، وأثار وجدانه ، فتحركت مشاعرهُ بالبهجة والسرور ، بعد أن كانت نفسه قلقة ، وإحساساته مضطربة ، وأحس نشوة الفرح، فانطلق لسانه في زهو وعجب ، يتغنى بلذة النصر ، واصفاً ما قام به من مجهود ، وما لاقاه من متاعب ، وما انتهى إليه من فوز جعل الدنيا أمامه مملوءة بالآمال ؛ ولا شك كذلك أن المغلوب قد أثارت الهزيمة في نفسه لواعجَ الحزن ، ومشاعر الألم ، فثارت حفيظته ضد عدوّه ، وتأججت إحساسات الحقد والنقمة نحوه ؛ فجعل يبكي

حظه ويستبيح لنفسه الأعذار علّه يخفف مـــا يحس من آلام ، ويمني نفسه بالإيقاع بعدوّه ، فيتوعده بأشد أنواع العقاب .

وإذا كان هذا هو تأثير الحرب في الشخص العادي ، فما بال الشعراء ، وهم ذوو الإحساس المرهف ، والشعور الفياض ؟ لا بد أن يكونوا أكثر النـاس تأثراً بها ، ولا بد أن يكون تأثيرها فيهم أشد وأعمق .

ويظهر أن الحرب من أقوى المظاهر الـتي تثير الشعراء ، وأدعاها لقول الشعر ، وفي ذلك يقول ابن سلام[1] : « وإنما كان يكثر الشّعْرُ بالحروب التي تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم . والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ، ولم يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عمان وأهل الطائف » .

وقد رأينا فيما تقدم أن ظروف الحياة الجاهلية كانت ملائمة لحدوث كثير من المنازعات والحروب ، ورأينا كذلك أنه قد حدث بينهم ، فعلاً ، كثير من الحروب ، بدليـــل العدد الكبير من الأيام التي ورد أن العلماء السابقين تحدثوا عنها في كتبهم . ومعنى هذا أن الشعراء الجاهليين قد وُجدتْ لديهم ، بسبب هذه الحروب العديدة ، دوافـع كثيرة لقول الشعر في هذه الناحية . ولكي نعرف الصلة بين الشعراء والحروب في العصر الجاهلي يجب علينا أن نعرف مركز الشاعر الاجتماعي في ذلك العصر ، فبذلك تتضح هذه الصلة تمام الوضوح .

لقد كان النظام القَبَليّ سائداً في ذلك العصر ، فكانت كل قبيلة قائمة بذاتها ، كل فرد منها يُمثل لبنة في بنائها العام ، وتعتمد القبيلة في بقائهـــا وثبات كيانها على جميع أفرادهـا ، فهم في مجموعهم تتوقف حياتهم ، وهيبتهم واحترامهم ، على وحدتهم وتكاتفهم وترابطهم الوثيق ، فكان على كلٍّ منهم أن يعمل لصالح القبيلة كلها ، وعلى القبيلة في مجموعها أن تعمل لصالح كل فرد

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٠٢ .

من أفرادها، وتدافع عنه، وتحميه ؛ فكان بين الفرد والقبيلة شعور بالمسئولية متبادل ، وحب وإخلاص ، وواجب مقدس ، أوجدته القرابة الدموية ، وحتّمته ظروف الحياة ونُظمها .

وقد رأينا فيا سبق أن الأخطار كانت تتهددهم في كل وقت ، وأن القوة كانت ضرورية لمن أراد أن يعيش في ذلك العصر ، حتى كان كل فرد يتمنى أن يكون الظالم لا المظلوم ، وكانت إذاعة أنباء هذه القوة من أهم العوامل لاحترام القبيلة ، وإرهاب الآخرين ، وبعث الخشية في نفوسهم ، فلا يفكرون في مهاجمتها أو الاقتراب منها .

والشاعر كان فرداً من أفراد القبيلة ، فكان عليه ما على غيره من أفراد قبيلته من الاشتراك معهم في الدفاع عنها ، والمحافظة على شرفها ، والعمل بكل ما يستطيع لرفع شأنها وإعلاء مكانتها .

ثم هو – مع ذلك – شاعر ؛ مرهف الإحساس ، سريع التأثر بما يجري حوله ، شديد الانفعال بما يحيط به ، بَلْه الأخطار والأحداث الجسام ؛ وقد وُهِب ملكة خاصة ، وحاسة خاصة ، ليست لدى الأشخاص العاديين ، يستطيع بها كذلك أن يترجم هذا الإحساس الخاص العميق إلى صور لفظية جميلة ، تستهوي الآذان ، وتبهر العقول . ومن ثم كان الشاعر أشد تأثراً بأيام قبيلته ، وأسرع انفعالاً بمظاهر قوتها وبأسها ، وخير من يصور مفاخرها تصويراً رائعاً يذيع شهرتها في أنحاء شبه الجزيرة طولاً وعرضاً .

فالشاعر كان له في الحقيقة شخصية مزدوجة : شخصية فردية جماعية ؛ فهو إنسان له شخصية فردية حساسة ، وهو إنسان في جماعة ، فله شخصية جماعية بحكم ما عليه من واجبات مادية ومعنوية نحو هذه الجماعة . فهو من الناحية الشاعرية يتصل بالحرب أشد اتصال :

أولاً : من حيث كونه فرداً قائماً بذاته ، له إحساسه الخاص ؛ فإن أحاسيسه الشخصية سوف تثيرها مظاهر الحرب بحكم كونه شخصاً شديد

التأثر سريع الانفعال .

وثانياً : من حيث كونه عضواً في القبيلة ، فإنه – بجانب ما يقوم به من الأعمال الحربية – سوف يتغنى ، في فخر وإعجاب ، بأعمال البطولة التي قام بها أهله وذووه ، ويسجل انتصارات قومه بشغف واهتمام ، لكي تكسب قبيلته شهرة دائمة في جميع الأرجاء ، وتبعد عنهم الأخطار . ولعل هذا كان من أهم الأسباب التي جعلت الشاعر الجاهلي يحتل مكانة سامية بين جميع أفرادها ، ويحظى باحترام الجميع وإعجابهم .

وقد قوّى الشاعريةَ في الناحية الحربية ما أوجده الحسد والغيرة بين القبائل من منافسة بين الشعراء ، خصوصاً شعراء القبائل التي اشتركت في قتالٍ معاً ، أو اشتبكت في حروب بعضها ضد بعضها . فكل شاعر كان يحب أن يشيع أن قبيلته سيدة الموقف ، أو أنها المنتصرة المتفوقة ، وأنه هو خير من يجيد تصوير ذلك ، وأحسن من يتولى نشره وإذاعته وتخليده ، وطبيعي ألا يكون ذلك من شعراء الجانب المنتصر فقط ، فلئن افتخر هؤلاء ببطولتهم وشجاعتهم ، فلن يسكت شعراء الجانب المنهزم ، لأنهم لن يعدموا أن يكون لهم مفاخر كذلك ، ولن يعجزهم أن يعثروا على ما للأعداء من مآخذ ومثالب . ويمكن أن يُعتبر هذا المثيرُ للشاعرية والدافعُ لقول الشعر مزيجاً من الناحيتين الفردية والقبلية في الشعر الجاهلي .

فهذه دوافع نفسية ، أوجدتها المعارك التي حدثت بين القبائل في العصر الجاهلي ، وأثارت الشعراء ، وألهبت مشاعرهم ، فنفسوا عما يحسون بترجمته إلى شعر حربي . وإذا تذكرنا ما كان يحيط بحياتهم من أخطار واقعة أو متوقعة ، وما كان لدى العربي من إكبار وتعظيم للشجاعة والبطولة والاستعداد للمخاطر ، فسوف لا نعجب إذا وجدنا أن مُعظمَ قصائد العصر الجاهلي ، أو كلها ، لم تخلُ واحدةٌ منها من الحديث عن الحرب أو ما يتصل بها .

* * *

أما من ناحية الموضوعات الشعرية فإن الحروب الجاهلية قد أمدّت الشعراء بمعين لا ينضب ، وهيأت لهم مجـــالاً واسعاً لإظهار مواهبهم الشعرية بشتى نواحيها ومختلف اتجاهاتها .

فاجتماع القبيلة أو القبائل ، وتكوين الجيش ، وتنظيم الكتائب ، ومنظر الجنود وقد لبسوا الدروع والمغافر، وحملوا السلاح والذخائر، وتحرك الجموع، وتقدمهم لميدان القتال، والطعن ، والضرب ، وسقوط القتلى، وأنين الجرحى، وهرب الفارّين وتعقّبهم ، والأسرى والسبايا ؛ كل هذه مناظر مثيرة ، تقدم للشعراء مادة لا تفنى يصوغون منها ما يشاءون من صور وألوان .

وما أظهره الشخص من بطولة وشجاعـــة ، وثبات وقت الشدة ، وما لاقاه من مقاومة العدو الشديد ، وما بذله من مجهود جبار للتغلب على الخصم القوي العنيد ، يعتبر أحسن موضوع للفخر الشخصي ، كما كانت أعمال القبيلة المجيدة ، وآثارها الخالدة ، وانتصاراتها في أيامهـــا السابقة أحسن موضوع للفخر القَبَلي .

وإذا كانت مظاهر الانتصار ، والأعمـــال الحربية التي سبَقَته ، أحسن موضوعات الفخر، فقد كانت كذلك خير موضوع للمدح ، فالبطولة والشجاعة والقوة وإهلاك الأعداء كانت جديرة بأن تشغل أهم جزء في المدح ، ولا عجب فما المدح إلا فخر على لسان الغير .

ولئن كان الفرد – بحكم النظام القَبَلي – مطالباً بمحاربة عدوّه وإضعافه، فإن الشاعر ، فوق هذا ، كان يستطيع بشعره أن يَفُتّ في عضده، ويضعف روحه المعنوية بتضخيم هزيمته ، وتعظيم ما أوقعه به قومـــه ، وبعث الخور والضعف والاستسلام في نفسه ؛ ولا شك أن فخر الشاعر بقومه ، والإشادة بما قاموا به من بطولة ، وما حازوه من نصر ، كان يجره إلى ذكر الأعـداء المنهزمين ، والمبالغة فيما لاقوه من إهانة وتعذيب ، ورميهم بكشف سيئاتهم ، وظهور ضعفهم ، مما يدمغهم بالخزي والعار . ومن الواضح أن ذلك ميدان فسيح للهجاء والذم .

وبطبيعة الحال لم يكن لشاعر القبيلة المنهزمة أن يقف مكتوف اليد ، معقود اللسان ، بل هنا كان يتجلى أهم دور له في الدفاع عن شرف القبيلة والمحافظة على كرامتها وهيبتها ؛ فكان عليه أن يثأر لها بأشعار كلها قوة ترفع من شأن قومه ، وتحط من هيبة الشامخين المتطاولين ، وتكسر حدتهم ، وتطيح بغرورهم ، فيعظم مفاخر قومه ، ويعدّد انتصاراتهم السابقة ، ويحاول التخفيف من أثر الهزيمة ، ويتوعد أعداءه بالويل والثبور ، وغير ذلك مما يخيف الأعداء ويرهبهم ويرفع روح قومه ، ويثير فيهم العزة والقوة والأمل .

وإلى جانب هذه الموضوعات الكثيرة التي تقدمها الحرب لقول الشعر ، هناك موضوع آخر قوي ، يلهب حمية الشعراء ، ويثير شجونهم . ذلك هو ذكرى هؤلاء الأبطال الذين سقطوا في ميدان الشرف ، وضحوا بأنفسهم في سبيل العزة والكرامة . فكان الشاعر يحس أن هناك قوة خفية تلهمه ، ثم تدفعه إلى قول الشعر فينظم الأبيات يشيد فيها بهؤلاء الأبطال الذين وهبوا حياتهم في سبيل مجد القبيلة . وبهذه القصائد خلد هؤلاء الأبطال ، وظل دمهم المسفوح مصدر وحي وإلهام على مر الزمن .

وهكذا نستطيع أن نرى أن الحرب في الجاهلية ، قد هيأت للشاعر ميداناً فسيحاً لقول الشعر ، فأمدته بموضوعات شتى من وصف ، وفخر ، وذم ، وهجاء ، واعتذار ، وتهديد ، ورثاء .

* * *

من ذلك يتضح لنا أن أثر الحرب في الشعر والشعراء عميق واسع المدى ؛ فلقد رأينا كيف كان تأثيرها في الشاعر نفسياً ، وكيف كان الشاعر مدفوعاً تحت هذا التأثر النفسي إلى قول الشعر ، وكيف أنها هيأت للشاعر مجالاً واسعاً عريضاً فوجدت أمامه موضوعات كثيرة لقرض الشعر .

ولكن إذا كان للحرب أثر كبير في الشعر ، فلقد كان للشعر من ناحية

أخرى أثر كبير في الحرب كذلك : فحمية الشاعر، وغيرته الشديدة وحماسته القوية ، في أبيات ولو قليلة ، كانت كفيلة بأن تثير القوم ، وتلهب غضب القبيلة ، وتجعلهم كالبركان لا يلبث أن يفور ، ويتطاير حممه، وبقدر حرارة الأبيات وقوة المعاني تكون حماسة القوم وثورتهم .

كما كانت أبيات الشاعر من ناحية أخرى ذات أثر بالغ في تسكين القوم وتهدئة ثائرتهم ، فبعقله الكبير ، وعاطفته الصادقة الخالصة ، كانت كلماته الحكيمة الصائبة تنزل على القلوب برداً وسلاما ، فيهدأ الغضب وتتلاشى الثورة. فإذا كانت أبيات الشاعر في بعض الأحيان كشرارة تلقى في مستودع وقود ، فهي في أحيان أخرى قوة عجيبة ، تطفىء اللهب المتأجج ، وتثلج القلوب والصدور ، فيلتئم الصدع ، ويصبح الأعداء أصدقاء مخلصين .

هذا إلى أن الشاعر في ذلك الوقت كان يقوم مقام السفير بين أهله وغيرهم من القبائل الأخرى ، بحكم أنه المتحدث بلسان القبيلة ، وخير من يمثلها ، ويُفْصح عن ميولها واتجاهاتها في مختلف الظروف وشتى المناسبات . فإذا علم أن شراً يُراد بهم ، أو مكيدة تُدبّر ضدهم ، كان عليه ، من باب الحكمة والصواب ، أن ينذر مدبّري الشر ومثيري الفتنة ، ويحذّرهم من المضي في ذلك تحاشياً لعواقبه الوخيمة ؛ فربما رَدّت أبياته القوم إلى صوابهم، وحالت دون وقوع الحرب .

كما أنه من ناحية أخرى إذا علم أن العَدوّ قد تهيأ للإغارة على قومه والإيقاع بهم ، ولا أمل في رجوعه عن السير في طريق العُدوان ، فإنه في تلك الحالة كان ينبه قومه إلى الخطر المحدق بهم ، وينصحهم بالاستعداد لمقابلة الأعداء . وقد يكون لأبياته حينئذ أثر كبير في تغيير مجرى الحوادث ، فيفاجأ المغيرون بما لم يكن في حسبانهم ، ويرد كيدهم في نحورهم .

وبذلك نستطيع أن نقول إن أثر الشعر في الحرب يمكن تلخيصه فيما يلي :

١ — أن الشاعر كان في إمكانه أن يبعث الشرارة الأولى التي تشعل نار الحرب .

٢ ـ كان يستطيع أن يهدىء النفوس ، ويستل الغضب من القلوب فتصبح صافية متآخية .

٣ ـ كما كان وسيلة لإنذار مثيري الفتن ، ومدبري الشر ، وتخويفهم مما يعقب ذلك من أضرار جسيمة .

٤ ـ وكذلك كان وسيلة لتنبيه قومه إلى ما يبيت ضدهم في الخفاء ، واتخاذ كل ما يمكنهم من احتياطات وإجراءات .

ومن ثم نجد أن الحرب تفتح أمام الشاعر آفاقاً أخرى ، بجانب تلك الميادين الواسعة التي أشرنا إليها آنفاً . فكان للشاعر فيما يتصل بالحرب أغراض كثيرة هي : الوصف ، والفخر ، والمدح ، والرثاء ، والذم ، والاعتذار ، والتهديد ، والإثارة ، والإنذار ، والنصح ، والصلح .

* * *

والذي ينظر فيما قاله الجاهليون من شعر يتصل بالحرب يجد أن هذه الأغراض على العموم . لم يكن الشعراء يتحدثون في كل منها على حدة . بمعنى أن الشاعر إذا تحدث عن أحدها في قصيدة كان لا يتحدث عن غرض آخر معه في نفس القصيدة . بل إنها أغراض متداخلة متشابكة ؛ فكثيراً ما يكون الشاعر بصدد وصف معداته الحربية وقوته في القتال . ثم يتحدث مفتخراً بقومه . أو ذاماً وهاجياً لعدوه ؛ أو يتحدث عن وصف الحرب في ثنايا النصح والإرشاد . والحقيقة أنه ليس في ذلك كبير مأخذ . فالحديث كله عن الحرب وما يتصل بها. غاية ما هنالك أني رأيت أن أفصل هذه الأغراض تسهيلاً للبحث ، ووسيلة للاستقصاء ، لكي يمكن تحليل الشعر تحليلاً دقيقاً .

وإذا لاحظنا أن القصيدة الجاهلية تتكون من أغراض كثيرة غير الحرب ، وأن هذه الأغراض المختلفة الكثيرة في القصيدة الواحدة لا يذكر كلٌ منها في قسم واحد خاص . بل هي مبعثرة منتشرة في كل أرجاء القصيدة . وقد يذكر الواحد منها في أكثر من موضع . وتفصل جزئيات الغرض الواحد

بالحديث عن جزئيات غرض آخر أو أكثر ؛ إذا لاحظنا ذلك تبين مـــدى الصعوبة في جميع ما قيل من شعر جاهلي يتصل بالحرب ، وإذا تذكرنا تداخل الموضوعات الحربية والحديث عنها في القصيدة الواحدة ظهر لنا ما في تحليل هذه الموضوعات والأغراض من مشقة وعسر ، وخصوصاً إذا علمنا أن بعض الأبيات قد يصح أن تكون في غرض معين ، ولكنها في الوقت ذاته تصلح في غرض آخر وذلك مثلاً كأبيات الفخر التي يتحدث فيها الشاعر عن انتصارات قومه في أيامها الكثيرة ، ويذكر فيها أسماء القبائل الأخرى التي هزمها قومه ، ويسرد ما نالهم على يد أهله من خسارة وعار ، فمثل هذه الأبيات وإن كانت فخراً فإنها تصلح أن تُعَد من أبيات الذم والهجاء .

لكن مهما قيل في شأن الحديث عن الحرب في القصيدة الجاهلية ، وطريقة عرض الشعراء لأفكارهم في قصائدهم ، فليس مجال بحثه الآن ، إنمـا المهم هو أن نعرف أن الحروب الجاهلية وما يتصل بها قد أمدت الشعراء بفيض غزير من الأفكار . وميدان فسيح مملوء بالأغراض الشعرية . كان لهم أن يصولوا فيه ويجولوا لإظهار مواهبهم الفنية وأداء وظيفتهم الشعرية .

وحديث الشعراء الجاهليين عن هــذه الأغراض الحربية كلها هو ما نعنيه بشعر الحرب . ونحن في دراستنا هذه لشعر الحرب نقصد الشعر الذي له صلة بالحرب والقتال ، أي يشمل كل شعر قيل حول الحرب وما يتصل بهـــا من قتال ، وشجاعة ، وجرأة ، وحماسة ، وقوة ، وضعف ، وجبن ، وخور ، وأسلحة ، واستعداد للخطر ، وما قيل في موقعة معينة ، حتى ولو كانت خيالية ، كهذا الذي يقـال في المدح دون إشارة إلى حرب معينة بالذات ؛ ولن نقصره على ما قيل في معركة كبيرة ، بـل يشمل كذلك ما قيل في المنازعات والمشاجرات ، حتى ولو كانت تافهة ، خصوصاً إذا تذكرنا مـــا لاحظناه في قصص الأيام من أن معظم أيام العرب في الجاهلية كان من قبيل المناوشات الفردية ، ولم يكن إلا مشاجرات بين أشخاص يعدون على أصابع اليد . ذلك لأننـــا لو نظرنا إلى شجار بين اثنين لوجدناه في الحقيقة صورة

مصغرة للنزاع في أكبر صوره في جميع الأزمنة والأمكنة ؛ فما المتحاربون ولو كانت الحرب تشمل العالم بأجمعه إلا فريقان ، أحدهما ضد الآخر ، ويمثلان شخصين كل منهما يريد أن يتغلب على زميله . غاية ما هنالك من فرق بين الحرب العظيمة والمشاجرة البسيطة هو فرق في الدرجة فقط . وقد يكون تأثر الإنسان على العموم . أو الشاعر على الخصوص بالمشاجرة البسيطة أشد وأعمق من تأثره بالحرب العظيمة . وذلك راجع إلى عوامل كثيرة،أهمها مدى صلته بالقتال .

والآن بعد أن وضح أمامنا سعة الميدان الذي كان أمام الشعراء . وتعدُّد الأغراض بسبب الحرب، قد حان الوقت لبحث ما قاله الشعراء عن كل غرض على حدة .

الفصل الاول

الوصف

يدخل في الوصف كل شعر حاول الشعراء فيه أن يعطوا صورة لأي شيء يتصل بالحرب. وذلك يشمل ما قاله الشعراء عن : الحرب ، والغارة ، والبطل ، والخيل ، والإبل ، والأسلحة ، والعتاد ، والجيش ، والكتيبة ، والموقعة ، والضرب ، والطعن ، والرمي ، وما أصاب الأعداء ، والقتلى ، والجرحى ، والفارّين ، والأسرى والسبايا .

ومعظم ما قيل من شعر حول هذه الأشياء لم يكن الشعراء يقصدون به الوصف لمجرد الوصف ، بل قالوه في ثنايا أغراض أخرى كثيرة ، كالفخر ، والمدح ، والهجاء ، والتهديد ، والنصح ، والإنذار . فلم يكن الشعراء في الغالب ينشئون القصائد لتصوير هذه الأشياء كغرض أساسي ، وإنما كانوا يرمون بوصفهم لهذه الأشياء إلى أغراض أخرى أكثر أهمية في نظرهم ، كالإشادة بقوتهم ، أو تخويف أعدائهم ، أو ذكر أمجادهم أو تحقير منافسيهم .

وإنما جمعنا هذه الأوصاف المثيرة ، المبعثرة في أرجاء الأغراض الأخرى ، وأدخلناها كلها في باب الوصف ، لأنها في الحقيقة تعطي الصور التي أرادها الشعراء لهذه الأشياء في مختلف أحوالهم وظروفهم ، وليكون الحديث

عن كل منها مجموعا في فصل واحـــد معين يسهل الرجوع إليه ، ومعرفته جملة واحدة .

وفيما يلي سوف نحلل كل ما قاله الشعراء عن كل جزئية من هذه الجزئيات بالتفصيل ، مولين الصورَ الشعريةَ عناصر خاصة ، ثم نذكر بعد ذلك بعض نماذج من الأشعار التي وردت في الموضوع الذي نتحدث عنه .

١ ـــ الحرب

لقد وصف الشعراءُ الحربَ بأنها شرٌّ كبيرٌ لا ينعب به إلا طير الشؤم ، ساحتها خطيرة ، وهَوْلُها شديد ، طعمها مر ، وفزعها عظيم ، تغص الشيخ المجرّب ، وتخلع الأفئدة ، وتُطير العقول ، وتسقط الحاملَ ، وتشيب الولدان ، وتحبس من يصلاها في أتعس الأحوال ؛ وأنها جناية عظمى يصعب الفصلُ فيها ويلاتها عظيمة ، وآثارها جسيمة ، تهلك الرجال ، وتترك النساء أيامى ، والأطفال يتامى ، وتملأ القلوب حسرة ولوعـــة ، وتديم البكاء العويل ، ولا يقف خطرها عند حد ، ولا يقتصر ضررها على جانيها ، بل يصلي بها كارهوها ، ويتطاير شررها إلى الآمنين الوادعين ؛ ويلقي فيها الناسُ من الشدة ما تنوء به القُوَى ، وتضعف دون حمله الجبال .

وصوروها كذلك بأنها عمل خطير ، لا يقوَى عليه إلا الفتى القوي الصبور على الشدائد والمكاره ، ويلتهم الجبناء ومن ليس له أصل كريم ، ويُطيح بالمرح ذي الخيلاء الذي لاثبات عنده ولا رزانة ؛ وأنهـا شيء لا يستطيعه إلا من يطلب المعالي والمجد ولا يخشاه إلا الحقير الضعيف .

وكان حديثهم عنها بهذه الأوصاف في أغراض شتى ؛ ففي مجال الإعجاب بالنفس تحدثوا عنها بأنهم أهلها ، ذوو الشجاعة والقوة ، وأنهم هم الذين يقابلون شدائدها بقلب ثابت وصدر رحب ، ويخرجون منها ضاحكة ثغورهم ، وأنهم هم الذين يهيجون نارها ويوسمون خطرها ، ويرمون بشرّها كلَّ من عاداهم ،

وأنهم هم الذين يضعون حداً لها . ويصدرون فيها القرار النهائي .

وفي مجال التعبير والذم رموا الأعداء بأنهم ليسوا من أهلها ، لا خبرة لهم بها ، ولا يصبرون على شدائدها وقوتها .

وفي معرض الوعيد والإنذار هددوا الأعداء بإنزال هذا الشر المستطير الذي يستأصل شأفتهم .

كما تحدثوا عنها في أسلوب من اللوعة والحزن بسبب ما جرّته عليهم من الويلات وما أنزلته بهم من الخسائر . ونسَب إليها الشعراء جريرة ما لحقهم من الهزال والشحوب والشعث والضعف .

وفي مجال الصلح وصفوها على حقيقتها . وصوروها بأبشع الصور ، وأقبح الأشكال . تنفيراً للطرفين من المضي فيها وحثّاً لهم على تركها والانتهاء منها.

الصورة الشعرية للحرب (١ — ٨١) [١] .

لقد حاول الشعراء في صورهم الشعرية للحرب أن يصوروها بصور بشعة مكروهة . مملوءة بالأخطار والمصائب . فاتخذوا من المحسوسات التي كانت في بيئتهم ما يساعدهم على إبراز هذه الصور . وأهم ما أخذوا عنه صور الحرب الشعرية ثلاثة أشياء : الرحى ، والنار ، وبعض أحوالهم وأحوال حيواناتهم التي يكونون عليها ساعة الخطر ، أو الجد ، أو الغضب ، أو العنف ، أو القسوة والوحشية .

فالرحى يوضع فيها الحب فتطحنه طحناً ، وكذلك الحرب تجمع الناس ثم تبيدهم وتهلكهم ، كأنها تجعلهم كالطحين في التكسير والتفتيت .

والنار تلتهم الحطب وتأتي عليه حتى يصير رماداً ، وهكذا الحرب تهلك المتحاربين وتؤذي كل من يصيبه شررها .

---

(١) هذه الأرقام هي أرقام الصور الشعرية التي ذكرت نصوصها مع أسماء أصحابها ومراجعها في ملحق خاص بنصوص الصور الشعرية في آخر الكتاب .

والشخص يشمر عن ساقه عند الخطر علامة للجد واستعداداً للهجوم ، وكذلك الحرب عندما تكون على وشك الشروع في القتال ؛ والحيوان يكشر عن أنيابه حين يشتد غضبه ويقصد إهلاك فريسته ، وهكذا الحرب عندما يراد منها إبادة العدو ؛ والناقة تلقح ثم تلد فالحرب تشبهها عندما تمتلىء بالأخطـار ثم تنفرج عن آلام وويلات ؛ وعندما تبرك الناقة وتلقي بجسمهـا وثقلها على الأرض تفتت التراب وتقتل ما قد يكون تحتها من الحشرات ، ومثيلتها في ذلك الحرب تقع على القوم فتقتلهم بعنفها وشدة وطأتها .

أما أحوال الحرب المختلفة فقد قارنوها بأحوال مختلفة تتناسب معهـا فإثارة الحرب كمحاولة إشعال النـار (١٩ – ٢٢) واستدرار لبن الناقة (٧٣ – ٧٤) ؛ وإعلانها وجدّيتها كتجرد الإنسان من ملابسه (٤٥) ؛ ونشوبها بين القوم كشبوب النار في الحطب (١٨ – ٢٠) ؛ والحرب الأولى كالناقة البكر (٦٩) ؛ وتكرارها وقوتها كالناقة المسنة (٧٠)؛ واشتدادها كالنار المستعرة (٢٣ – ٢٧) ؛ وقوتها كإيقاد النار بالخبير المجرب (٢٩) ؛ وكإضرام النار (٢٧) ؛ وإحراق الحطب الجزل (٢٣ ، ٣٦ ، ٦٥ ، ٦٦) ؛ وانتشارُها وامتداد خطرها كسطوع النـار (٣٣ – ٣٤) ؛ وإصابتُها الأبرياء كعدوى الأجربِ الصحيحَ (٣٩) .

وُشبه ُعنفُها بإظهار الأنياب (٤٦ – ٥٢) ؛ وامتلاؤُها بالأخطار ُشبه باللاقح (٥٣ – ٥٥) ؛ وقسوة هذه الأخطار باللاقح عن حيال ، إذ يكون الولد أشد (٥٦ – ٥٧) .

كما شبهت إثارتها بعد انتهائها بإثارة النـاقة بعد شد عقالها (٧١) ؛ واشتعالها بعد خمودها بحرارة النار بعد برودتها (٣٣) ؛ وتكرارها شبه بالمرأة التي تنجب بعد بطنها الأول (٦٠ – ٦٧) ؛ واستمرارها بتجديد توهج النار كلما قاربت أن تخمد كنيران الفصح (٣٥) .

ونتائجها حيث تنجلي عن أشد المصائب والنكبات ، وازدياد ويلاتها بمرور

الزمن صوّر كل ذلك بإنتاج أشأم الغلمان وإرضاعهم وإفطامهم (٨١) . وقد قورن إهلاكها الجميع بالعقم (٥٩) حيث إنهم يسمون الأبطال بأبناء الحرب ، فكأنها بإهلاكهم تصبح عقيماً لا ولد لها . كما قورن ما يحسه الناس منها بالألم الشديد (٣٨) وبالحمل الثقيل (٩) .

وبجانب هذه الصور الكثيرة التي دار استعمالها على ألسنة الشعراء تجد صوراً أخرى لها لم يستعملها الشعراء كثيراً : كتشبيها بالطعم المر (١) ، والطعام الوبيل (٢) ، والكلأ المستوخم (٣) ، ومورد الماء (٥) ، والسوق (٦-٨) .

وشبهوا من يملك زمامها ويدير شؤونها في دقة وحزم بمن يمسك سجل البشر يتحكم فيه ويصرفه كيف يشاء (٤) ؛ وشبه من يتغلب عليها وينتصر فيها مع شدتها وفظاعتها بمن يُلقح الناقة المبسورة [١] الضرزنية [٢] حتى يُذل إباءها (٧٥) .

كما أنهم بجانب تشبيهها بالأشياء المحسوسة ، شبهوها ببعض التخيلات التي لا وجود لها . ولكنها بشعة مخيفة كالغول (٣٧) ، وببعض خيالات وتصورات مفزعة (٧٨) ؛ وشبهوا أثر وقعها الشديد على الناس وما يصيرون إليه من حيرة وارتباك حتى إنهم لا يستطيعون التفكير الصحيح بمن يُضلل الناس (٧٩) في تمويه الحق بالباطل والخلط بين الأمور .

بعض ما قاله الجاهليون في الحرب :

١ – قال زهير في معلقته :

وما الحربُ إلا ما عَلِمتم وذُقتمُ　　　وَما هو عنها بالحديث المرجَّمِ [٣]

---

(١) يقال بسر الفحل الناقة : إذا ضربها وتغلب عليها .

(٢) الضرزنية : العاصية .

(٣) الحديث المرجم : الذي يرجم فيه بالظنون .

متى تَبعثوهَا تبعثوها ذميمة وتضْرَ إذا ضرَّيتُموها فتَضرم[1]

فتعركُكم عرك الرحى بثقالها وتَلْقَح كشافاً تُنتج فَتُتْئِم[2]

فتنتج لكم غِلمانَ أشأمَ كلُّهم كأحمرِ عاد ثم تُرْضع فتُفطم[3]

فتُغلِلَ لكُم مَالا تُغِلّ لأهلها قُرىً بالعراق مِن قَفِيزٍ ودِرهم

٢ — وقال عمرو بن كلثوم في معلقته : —

مَتى نَنقُل إلى قوم رَحانا يكونوا في اللقاء لها طحينا[4]

يكون ثِقالُها شرقيَّ نجد ولُهْوَتُها قضاعة أجمعينا[5]

نزلتم منزلَ الأضيافِ منّا فأعجَلْنا القِرَى أن تشتمونا

قريناكم فعجَّلْنا قِراكم قبيلَ الصبحِ مِرْدَاة طحونا[6]

٣ — وقال أبو قيس بن الأسلت[7] :

قالتْ ولم تقصِد لقيلِ الخَنا مَهْلاً فقد أَبْلغتِ أسماعي

---

(١) الضرى : شدة الاشتعال . والضرم : الالتهاب .

(٢) الثقال : خرقة أو جلدة تبسط تحت الرحى ليقع عليها الطحين ، واللقح واللقاح : حمل الولد . والكشاف : أن تلقح في السنة مرتين . والإتآم : أن تلد الأنثى توأمين .

(٣) الشؤم : ضد اليمن . أحمر عاد : أراد أحمر ثمود وهو عاقر الناقة واسمه قدار بن سالف.

(٤) أراد بالرحى : رحى الحروب .

(٥) اللهوة : القبضة من الحب تلقى في فم الرحى .

(٦) المرداة : الصخرة التي يكسر بها الصخور ، والمراد حرب تهلككم .

(٧) المفضليات ص ٥٦٤ .

أنكرته حين توسمته والحربُ غول ذات أوجاع[1]
من يذق الحرب يجدْ طعمها مُرّاً وتحبسهُ بجعجاع[2]
قد حصّت البيضةُ رأسي فما أطعم غمضاً غير تهجاع[3]

٤ — وقال آخر[4] :

الشرُّ يبدؤه في الأصل أصغرُه وليس يَصلَى بنار الحرب جانيها
الحربُ يَلْحقُ فيها الكارهون كما تدنو الصحاح إلى الجربى فتُعْديها

٣ — الغارة

المقصود بالغارة ذلك النوع من الهجوم الذي يشنه قوم على آخرين بغتة ، ويعملون كل ما في جهدهم لإخفاء أخباره خشية أن تتسرب إلى القوم المقصودين بالغارة .

وقد كانت الغارات ميداناً فسيحاً لقول الشعر. فقال فيها الشعراء الكثير. ومن بين ثنايا أشعارهم نستطيع أن نعرف أشياء كثيرة عن غارات العرب في العصر الجاهلي .

فتدل أشعارهم على أن الباعث على الغارة كان الرغبة في سلب الأموال ونهبها ، وسبي النساء وأسر الرجال طمعاً في الفدية ، وكانوا يرغبون في ذلك إما للثروة ، وإما للمتعة ، وإما لإظهار الشجاعة والبأس والقوة وإضعاف الآخرين والنيل من شرفهم ، حتى يرهبهم الناس ، ولا يفكر أحد في غزوهم.

---

(١) الغول : ما يغتال الأشياء ويذهب بها .
(٢) الجعجاع : المحبس في المكان الغليظ.
(٣) حصته : أذهبت شعره ونثرته لطول مكثها على رأسه .
(٤) الحماسة ص ١٩٩ .

قال المثقب العبدي (١) :

وتحمي على الثغر المخوف ويتقى بغارتنا كيدُ العدا وضيومُها
صبرنا لهـــا حتى تفرّجَ بأسُنا وفئنا لنا أسلابُها وعظيمها

وفي كثير من الأحيان كانوا يقومون بالغارة انتقاما من المعتدي ، وأخذاً بالثأر منه جزاء إساءته . قال طفيل الغنوي (٢) :

أغرنا إذ أغار الملـــكُ فينا مَنالاً والقيـــابَ مَعَ القِباب
عِقاباً بابن عائـــدَة بن عبد وكُنّا في العدُوّ ذوي عقاب

ويخبرنا الشعراء في أشعارهم أن نزول الغيث بعد القحط والجدب كان مثيراً لحميّتهم ، وأن زمن المراعي والخصب كان موسما لغاراتهم. فهناك أقوال كثيرة في الأدب العربي القديم تدل على أن وفرة الماء والمراعي التي توجد بسبب المطر الذي يحدث في الخريف والشتاء كانت تشجع القيام بالغارات ، ومهاجمة القبائل بعضها بعضا . قال الشاعر :

إن الذئابَ قد اخضرّت براثنُها والناسُ كلُّهمُ بَكرٌ إذا شبِعوا

وقال طفيل الغنوي (٣) :

وكُنّا إذا مَا اغتفّت الخيلُ غفّةً(٤) تجرَّدَ طلّاب التّرات مُطلَّب

---

(١) شعراء النصرانية ص ٤١٥ .
(٢) ديوانه ص ٥٥ .
(٣) ديوانه ص ٢٦ بيت ٤٠ .
(٤) الغفة : البلغة من العيش ، واغتفت الدابة أصابت غفـــة من الربيع ، أو إذا سمنت بعض الشيء .

وقال آخر :

قَومٌ إذا نبتَ الربيعُ لهمْ نبتتْ عَــداوتُهم مَع البقْلِ

وقال خراشة بن عمرو العبسي [1] :

فلا قَومَ إلا نحنُ خيرٌ سياسةً وخيرٌ بقيــاتٍ بقين وأوّلا
وأطولُ في دارِ الحفاظ إقامةً وأربطُ أحلاماً إذا البقْلُ أجهلا

فالشاعر يريد بالبيت الأخير هنا أنهم أثبتُ القومِ وأرزنهم عقلا، وأكثرهم روية واتزانا إذا حمل البقلُ الناسَ على أن يجهلوا . وقد عقب شارح المفضليات على ذلك بقوله : « إذا كان الربيع وأمكنت المياه والبقل تذكروا الذحول وطلبوا الأوتار لإمكان البقل والماء » .

وربما كان الخصب ووفرة الماء والمراعي من دواعي القيام بالغارات :

١ — لتذكر الترات والرغبة في الأخذ بالثأر من المعتدين كما يقول شارح المفضليات ولعل السبب في تذكر الإحن والعداوات في ذلك الوقت بالخصوص أن الخصب والرعي مما يساعد المرء على الهدوء النفسي والاستقرار الداخلي ، وذلك بطبيعة الحال له تأثير كبير في العقل وتفكيره ، إذ يعطيه فرصة طيبة للتفكير في أشياء كثيرة كطلب الغنى ، وزيادة الثروة ، والانتقام من المسيء.

٢ — أو لأنهم كانوا في ذلك الوقت يتسابقون إلى امتلاك أكبر مساحة من المراعي ، فيضطرهم ذلك إلى الأشتباك مع الآخرين ، أو أخذهم على غرة لكي يتخلوا لهم عن المكان الذي سبقوهم إليه .

٣ — أو لأنهم كانوا في ذلك الوقت لا يتكبدون مشاق السفر وآلام الغزو التي يعانونها في زمن آخر كزمن الصيف والقحط إذ يكون الحر شديــداً ، والمئونة قليلة ، ففي زمن الخصب عقب المطر تكون المياه متوفرة لم تتشربها

---

(١) المفضليات ص ٨٢٣ .

مسام الأرض ولم تتبخر كلها بعد ، والمناخ معتدل ، والجو منعش ، فالانتقال بين الأماكن محبوب ، وبخاصة للغارة ، لأنها كانت مصدر الراحة النفسية إذا كانت للأخذ بالثأر أو الغنى والثروة ، أو الرهبة وإظهار القوة .

٤ — أو لأن القبائل في ذلك الحين ربما تكون مقسمة إلى عدة جماعات كل منها تنتجع مكاناً ما حيث ترعى ماشيتها ، فليسوا مجتمعين في ديارهم ومنازلهم ومن السهل حينئذ التغلب على كل منها بمفرده وسلب أمواله .

٥ — وإما لأن تأثير القحط كان عليهم شديداً ، يمانون من الجوع وهلاك الماشية بسببه ، فينتهزون فرصة الخصب للإغارة كي يعوضوا ما فقدوه .

٦ — وإما لأنهم كانوا يرغبون في الغنى واستكثار الأموال بنهب أنعام الآخرين في ذلك الوقت الذي لن يصعب عليهم فيه أن يطعموها لوفرة المراعي .

وكان الهجوم في الغارة يحدث عادة أول النهار في الصباح المبكر ، حتى إنهم سموا الغارة « الصباح » وأطلقوا على كل فتى شجاع « فتى الصباح » ، وقالوا : « صبحنا » في معنى « أغرنا » . ومعنى هذا أنهم كانوا يبدءون السير للغارة ليلا لكي يصلوا إلى القوم المقصودين بالغارة صباحا . قال زيد الخيل في معرض حديثه عن إغارته على بني الصيداء [1] :

بِتْنَا نُزَجِّي نحوهُمْ ضُمَّرا ... مَعروفَةَ الأنسابِ مِن مَنْسِرِ
حَتَّى صَبَحْنَاهمْ بِهَا غُدْوَةً ... نَقْتُلهمْ قَسراً على ضُمَّرِ

وقال زهير في مدح هرم بن سنان [2] .

إذَا أدلَجُوا [3] لِحِوالِ الغوا ... رِ لم تُلْفِ في القومِ نِكْساضئيلا

---

(١) الأغاني جـ ١٦ ص ٤٧ .
(٢) العقد الثمين ص ٨٧ .
(٣) الإدلاج : السير من أول الليل .

وربما كان اختيارهم الصباح المبكر وقتاً للغارة ؛ لأن القوم في ذلك الوقت يكونون مستغرقين في النوم ، لأن النوم عادة يلذ حينئذ ؛ هذا إلى أن الصبح يكون قد بدأ بنشر أشعة النور على الأرض، وأخذ ظلام الليل يتبدد فتسهل رؤية الأنعام ؛ وهذه عادة تكون قد استوفت حظها من الراحة طول الليل، فتكون في ذلك الوقت أنشط وأقوى على الجري ، خصوصاً أنها ربما تكون جائعة لعدم تناولها طعاماً في الليل مما يجعلها تزيد في السرعة كأنها ذاهبة إلى المرعى ؛ وإلى جانب ذلك فإن الجو في هذا الوقت يكون هادئاً والسكون شاملاً مما يساعد المغيرين على سماع أيـــة حركة من جانب القوم المقصودين بالغارة ؛ وفوق هـــذا فإن المهجوم عليهم لو تيقظوا حينئذ فلن يكونوا في حالة عادية من النشاط ، بل يكونون كسالى خاملين لم ينفضوا غبار النوم ، فما زالت أجسامهم هامدة ، وأعينهم فيها آثار النوم ، هـذا إلى أن مفاجأة المغيرين للقوم وهم على تلك الحالة ربما تسبب لهم صدمة قوية تملأ قلوبهم فزعاً ورعباً ، وتجعل الدهشة تستولي عليهم ، فيقعون في حيرة وارتباك لا يدرون ماذا يفعلون ؛ وقد يتخيرون ، وهم على تلك الحـــال ، وسيلة تؤدي عكس المقصود ، خاصة إذا قارنا حالهم هذه بحال القوم المغيرين الذين وضعوا الخطط المحكمة ، واتخذوا الاحتياطات اللازمـــة لتنفيذ أغراضهم ، فهم على العموم أحسن حالاً من أولئك القوم المقصودين بالغارة في ذلك الوقت . ولذلك كان الثبات حينئذ ورباطة الجأش ، والوقوف في وجه المغيرين بشجاعة من أعظم مجالات المدح والفخر .

وكان نجاح الغارة يتوقف على عنصر السرّيّة والمفاجأة ، وعادة كان الهجوم في الغارة يسبقه عيون يتقدمون المغيرين ليستطلعوا أخبار القوم .

فإذا سارت الغارة وفق الخطة الموضوعة ونجح أصحابهـا في المحافظة على سريتها فإن القوم المهجوم عليهم يفاجئون بوجود المغيرين بينهم ، قال المرقش الأكبر [1] :

---

(١) المفضليات ص ٤٨٢ .

فما شَعَر القـــومُ حتّى رأَوا بياضَ القوانِس فوق الغُرَرْ[1]

وقال عنترة[2]:

وما نَذرُوا حتى غَشِينا بُيوتَهمْ بغَيبةِ موت مُسبِل الودْقِ مُزعِف[3]

وفي هذه الحالة كان النصر عادة في جانب المغيرين. ولكن في بعض الأحيان كانت الأخبار تتسرب إلى القوم المقصودين بالغارة، وحينئذ كان هؤلاء بطبيعة الحال يستعدون استعداداً كاملاً للإيقاع بمن يريد الإيقاع بهم. وعند ذلك تكون النتيجة للجانب الأقوى، وكثيراً ما كان السوء يحيق بمدبري الغارة، وتحل بهم الهزيمة المنكرة وهنا نرى شاعر القوم الذين قاموا بالغارة ثم فشلوا، يتحدث، في لوعة وأسى، عن الأذى الذي لحقهم، والألم الذي حاق بهم، ويحاول أن يلتمس لقومه العذر عن فشلهم، كما نرى المهجوم عليهم المنتصرين يتيهون عجباً وزهواً، وتنطلق ألسنة شعرائهم يُحيّون أبطالهم، ويفخرون بما قاموا به من ألوان الشجاعة والبطولة.

وقد كانت الغارات على العموم مجالاً للفخر والمدح لأنها في نظرهم كانت تدل على القوة والبطولة والمهارة. وكانت كثرة الغارات، وتطويل مدتها حتى تنهك الخيل، وشنها في الأوقات الصعبة كالقيظ الشديد ووقت المجاعة والقحط من أحسن مواضيع المدح في الشعر الجاهلي، لأنها كانت توحي بعظمة الممدوح، وشدة بأسه، وقوته.

وكذلك تحدث الشعراء عن الغارات في معرض إنذار قومهم بمجيء العدو إليهم، ناصحين لهم باتخاذ الحيطة والاستعـــداد بكل الوسائل حتى يردوا كيدهم في نحورهم.

---

(١) القوانس: أعلى البيض.

(٢) العقد الثمين ص ٤٠.

(٣) نذروا: علموا. غيبة موت: موت كان غائباً عنهم. مسبل الودق: ممطر، وهـذا كناية عن انصباب الموت فوق رؤوسهم. مزعف: قاتل من السم.

الصور الشعرية للغارة (١٢ – ٩٢) :

وهنا نجد هـذه الصور مشابهة لتلك التي استعملت لوصف الحرب ؛ وفي الحقيقة – كما سبق أن قلنا – لا فرق هناك بين الحرب والغارة إلا في سرية الغارة ومفاجأتها القوم المقصودين بالهجوم . فالغارة تصبح حرباً بمجرد أن يشتبك الطرفان في القتال . ولهـذا فان الصور التي استعملت في الحرب قد استعمل معظمها في الحديث عن الغـارة ، فقالوا : لقحت الغارة (٩٠) ، وبركت عليهم (٩١) ، وهي نار (٩٢) .

ولأن الغارة كانت تحدث ، عادة ، في الصباح ، شُبّهت على سبيل التهكم « بالصبوح » وهو شرب الخمر في الصباح ، ولزيادة التهكم شبهت بالصهبـاء الصّرف من الخمر (٨٢) كأن المهجوم عليهم تمتعوا بما أوقعته بهم الغـارة تمتُّعَهم بصبوح مثل هذه الخمر .

والغارة تهلك القوم فشبهت بالسمام (٨٣) والكأس المملوءة بالسم الثميل (٨٤) في شدة القضاء على من ينال جرعة منهـا ، وقد شبهت آثارها السيئة بالمرارة التي تعقب كأس السم (٨٥) .

وشبهت جماعات المغيرين بجماعات الجراد (٨٦) ، وجراد الريح (٨٧) في الهجوم بشدة وعلى فجأة .

كما أن رغبة المغيرين في الحصول على الغنائم وحركتهم السريعـة وقوة هجومهم وشدة قتالهم قد شبهت بحال الجراد السارح في الضحى أو الصيف يلتهم أوراق الأشجار (٨٨ – ٨٩) .

نماذج شعرية للغارة :

١ – قال عامر بن الطفيل ، في غارة لهم على همدان [١] :

---

(١) ديوانه ص ١٥٠ .

للهِ غارتُنا والمَحْلُ قد شَجيت ... منه البلادُ فصار الأُفقُ عُرْيانا[1]

حتى صَبَبْنا على همدان صَيّقةً ... سُورَ الكلاب وما كانوا لناشانا[2]

فظلّ بالقاعْ يوم لم ندَعْ كَنَداً ... إلّا ضربْنا، ولا وجْهاً ولا شَانا[3]

ثم نزَعْنَا وما انفكّت شَقاوتهم ... حتى سَقَيْنا أنابيباً وخرْصَانا[4]

وما أردناهُمْ عن غير معذِرةٍ ... منّا ولكنّه قد كان ما كانا[5]

سِرْنا نُريد بني نَهْد وإخوتهم ... جَرْماً، ولكِنْ أراد الله همدانا

٢ – وقال طفيل الغنوي في غارة لهم على طيىء [6] :

ألا هَلْ أتى أهلَ الحجاز مُغَارُنا ... ومن دونهم أهلُ الجناب فأيْهَبُ

شآميةٌ إن الشـآميَّ دارُه ... تَشقُّ على دار اليماني وتَشْغَبُ[7]

فتأتيهم الأنباءُ عنا وحَمْلُها ... خفيفٌ مع الركْب المخفّين يَلْحَبُ[8]

وَفَرْنا لأقوامٍ بَنيهم ومالَهم ... ولولا القيادُ المستتب لأعْزَبوا[9]

---

(١) المحل : القحط . شجيت : امتلأت . عريان : أي من الغيم والنبـات . ويقصد بالأفق نواحي الأرض والسماء .

(٢) صيقة : ذات صيق وهو الغبار .

(٣) القاع : الأرض الحرة الطـين المستوية تمسك المـاء . والشأن هنا : مجرى الدموع . والكتد : العنق .

(٤) الخرصان : الرماح ، مفردة خرص ويطلق على السنان أيضاً .

(٥) معذرة : عذر .

(٦) ديوانه ص ٢٠ .

(٧) تشغب : تهيج الشر عليهم .

(٨) يلحب : يسرع .

(٩) المستتب : المهلك . أعزبوا : بعدوا وذهبوا .

بجيٍّ إذا قيل اركبوا لم يَقُل لهم عواوير يخشون الردى: أين يُرْكَب[1]
ولكن يُجاب المستغيثُ وخيلُهم عليها حماةٌ بالمنية تضرب
فباتوا يَسُنّون الزِّجـــاجَ كأنهم إذا ما تنادوا خَشْرَمٌ مُتَحدِّب[2]
وخيل كأمثال السِّرَاح مصونةٍ ذخائر ما أبقى الغُرابُ ومَذْهَب[3]
إذا خرجت يوماً أعيدت كأنها عواكف طـــير في السماء تَقَلّب
فَرُحنا بأسراهم مع النهب بعدما صَبَحنــاهم مَلْمُومةً لا تُكَذِّب
ونِلْنَا بقتلانا من القوم مثلهم وبالموثق المكلوب منا مكلَّب[4]
وبالمردفات بعد أنعم عيشة على عُدَوَاء والعيون تَصَبَّب[5]
عَذاريَ يَسْحبن الذيول كأنها مع القوم يَنْصُفْنَ العضاريط ربرب[6]
إلى كل فرع من ذؤابة طيىء إذا نسبت أو قيـــل من يتنسب
وبالبيضة الموقوع وسط عقارنا نِهاب تَدَاعى وسْطه الخيل مَنْهَب[7]

---

(١) العواوير : جمع عوار وهو الضعيف الجبان .

(٢) الزجاج جمع زج وهو الحديدة في أسفل الرمح ، ونصل السهم . والخشرم: جماعة من النحل والزنابير . متحدب : مكب على العمل كثير الحركة والنشاط .

(٣) السراح : جمع سرحان وهو الذئب .

(٤) المكلب : المقيد .

(٥) العدواء : المركب غير المطمئن .

(٦) ينصفن: يخدمن. والعضاريط: جمع عضرط وعضارط وعضروط وهو الخادم على طعام بطنه والأجير. والربرب: القطيع من بقر الوحش.

(٧) البيضة : الأرض البيضاء الملساء . والعقار : المنزل .

٣ ـ وقال الأعشى في مدائحه (١) :

هُوَ دَانَ الرِّبابَ إذْ كَرِهوا الدِّيـ ـنَ دِراكاً بِغَزوَةٍ وَصِيالِ (٢)

ثم أسْقَاهُمُ على نَفَـذِ العَيْـ ـشِ فأرْوَى ذَنوبَ رِفْدٍ مُحَالِ (٣)

فخمة يلجأ المضـاف اليها ورعـالاً موصولة برعال (٤)

تخرج الشيخَ من بنيه وتُلْوِي بلَبون المِعزابـة المِعزال (٥)

ثم دانتْ بَعدُ الرِّبابُ وكانت كعذابٍ عُقوبةُ الأقوال (٦)

عن تمنٍّ وطول حبس وتجميـع شَتاتٍ ورِحْلةٍ واحتمال (٧)

مِن نَواصي دُودَانَ إذْ كَرِهُوا البأْ سَ وذُبيانَ والهجان الغوالي (٨)

ثم وَصَّلْتَ صِرَّةً بربيـعٍ حينَ صَرَّفْتَ حالةً عن حال (٩)

---

(١) ديوانه : القصيدة رقم ١ من البيت رقم ٦٣ .

(٢) دان الرباب : حملهم على الطاعة حين كرهوا الطاعة بغزوه إياهم وهجومه عليهم وقتالهم .

(٣) نفد العيش: يقصد نفدت الآجال . ذنوب رفد : ملء قدح القرى . محال : مصبوب. والمراد سقاهم كأس الموت مسفوحاً .

(٤) فخمة : كتيبة ضخمة . المضاف : اللاجىء والمستجير . الرعال : جمع رعلة وهي القطعة من الخيل .

(٥) تلوي : تذهب . اللبون : الناقة ذات اللبن . المعزابة : الذي يعزب بإبله ويبعد بها في المرعى . المعزال : الذي لا يخالط الناس .

(٦) الأقوال : الملوك كالأقيال .

(٧) الاحتمال : الارتحال .

(٨) دودان : قبيلة من أسد . النواصي : جمـع ناصية وهي الرأس . البأس : القتال . الهجان : الخيار من كل شيء .

(٩) الصرة : شدة البرد في الشتاء . صرفت : بدلت .

رُب رِفْدٍ هَرقتَـــه ذلك اليو   مَ وأسْرَى من مَعْشرٍ أقتال[١]

وشُيوخ حَرْبَى بشَطَّيْ أريك   ونساء كـــأنهن السّعالي[٢]

وشَرِيكَين في كثير من الما   ل وكانا مُحَـــالفِيْ إقـــلال

قَسَما الطّارفَ التليدَ مِن الغُنْ   مِ فَآبا كلاهما ذو مـــال[٣]

لن تَزالو كَذلِـــكُمْ ثم لَا زلْ   تَ لهم خـــالداً خُلودَ الجبَال

٢ – وقـال عامر بن الطفيل معبراً عن الألم العميق الذي نزل به بسبب فشله في إغارته على خثعم الذين علموا بأخبار الغارة من قبيلة سلول[٤] .

أيا لَهفي عَلى ما ضَـــلَّ سعيي   وسَيْري في الهواجر ما أقيل

فـــإن الحيّ خثْعَمَ أحرزتهم   رماحُهم وتُنْـــذرهم سَلُول

بمَخْرجنا فـــلا تَخفَى عليهم   ويأتيهم بعَوْرَتنا الدَّليل[٥]

ولو أني أُطعتُ لكـــان مِنّي   لُمدرِكِ أكْلُب يومٌ طويل[٦]

---

(١) الرفد : القدح الضخم ويكنى بإراقتـه عن الموت . أقتال : أصحاب ترات ، جمع قتل وهو العدو .

(٢) حربى : جمع حريب وهو من حرب مـاله أي سلبه . السعالى : الغيلان وشبه النساء بها من أثر الذلة .

(٣) الطارف : الجديد . والتليد : القديم ، أي كان قديـــاً موروثاً عند أصحابه فأصبح جديداً مستحدثاً عندهما .

(٤) ديوانه ص ١٤٠ .

(٥) العورة : موضع الوصول إلى القوم وهو الثغر .

(٦) مدرك أكلب : هو أبو أنس بن مـــدرك فارس خثعم . يوم طويل أي من الشر فهو أطول ما يكون عندهم .

ولكني عُصيتُ وكانَ جَهْـلاً بهِمْ ألا يُبالوا ما أقول
يَلومُني الذينَ تركتُ خَلْفي ويَعصيني الذين بِهِمْ أُصول

٣ ـ البطل

مما ذكره الشعراء الجاهليون عن صفات البطل وهو ذلك الشخص الذي كانوا يعدونه ذخيرة لوقت الخطر وأهلاً للاعتماد عليه في القتال ، نجد أنهم كانوا يتصورون فيه « الرجل الكامل » بمعنى الكلمة ، أو بعبارة أخرى « الشخص المثالي » الحقيقي . ومع أن المقصود من البطل الناحية التي تتصل بالحرب وهي القوة والشجاعة ، فقد وصفوه فوق ذلك بصفات أخرى لو اجتمعت كلها لكان شخصاً كاملاً في الخَلق والخُلق والصفات والعادات . ويظهر أنهم كانوا لا يعنون بالقوة القوةَ الجسمية فحسب ، بل ما يشمل أيضاً القوة في العقل ، والقوة في الخلق ، والقوة في الشرف والكرامة .

فالصفات المذكورة هنا كلها مأخوذة من أقوال الشعراء حينما يتحدثون عن البطل الذي تعتز به القبيلة وتتخذه عُدةً لها في الشدائد ، وعماداً تبني عليه صرح مجدها وعظمتها . وقد نجد من بين هذه الصفات ما لا يتصل مباشرة بمهمة البطل الحربية ، ولكنها على أية حال تضم كل ما نسبه الشعراء الجاهليون إلى أبطالهم فكأنهم كانوا يريدون من الأبطال الكمال ـ لا من الناحية الحربية فحسب ، بل في جميع النواحي .

وسنحاول هنا أن نذكر بالتفصيل ما وصف به الشعراء أبطالهم المثاليين ، واستيعاباً للموضوع جعلناه أنواعاً هي : ـ

(ا) ما يتصل بالأصل والناحية الجسمية .

(ب) ما يتصل بالناحية الخلقية العامة .

(ح) ما يتصل بالشجاعة ورباطة الجأش .

(ى) ما يتصل بالمقدرة الحربية .

أولاً : الأصل والناحية الجسمية :

لقد اهتم الشعراء في حديثهم عن الأبطال بالأصل والنسب : فوصفوهم بكرم المحتد وطيب العنصر ؛ فالبطل الحقيقي من كان نبيل النسب من آباء كرماء ومن أصل عربي عريق ، لم يختلط نسبه ، وإلا كان ناقصاً ، ولذلك أنفوا أن يلحقوا أولادَ الإماء بنسبهم ، ويروي التاريخ أنه لولا ما أظهره عنترة بن شداد من البطولة والشهامة لما استلحقه أبوه بنسبه. وقد ورد أن عدم إلحاق عنترة بقومه في النسب كان له أثر كبير في نفسه جعله يفخر ببطولته ، مؤكداً أن شجاعته وبأسه خير مما فاته من النسب العريق ؛ من ذلك قوله :

إني امرؤ من خير عبس منصبا   شطري وأحمي سائري بالمنصل
وإذا الكتيبة أحجمَت وتَلاحظَت   أُلفيتَ خيراً من مُعَمّ مُخْول[1]

فكان شرف الأصل من أهمّ خصائص الشخص الكامل ؛ أما من كان خسيس النسب فلا يصل إلى مرتبة الكمال ، ولا يعتبر على أية حال مثل الأصيل ، فذو النسب العريق هو المحترم المبجل ، وهو أهل لأن يخاصم ويقارع ويقتص منه والأدب الجاهلي مملوء بالحديث عن شرف الدم وأنه هو الذي له كل تقدير ، صاحبه كفء لكل شيء ؛ صداقته غُنم عظيم ، وخصامه شرف كبير ، ومحاربته زهو وعجب ، وقتله في الثأر شفاء ورضى للموتورين . فمن المدح بذلك قول زهير بن أبي سلمى [2] :

وإنْ يُقْتَلوا فيُشتفَى بدمائهمْ   وكانوا قَديماً مِن مناياهمُ القتل

ومن الفخر قول دريد بن الصمة [3] :

يُغار علينا واترين فيُشتفَى   بنا إن أُصِبنا ، أو نُغِير عَلى وِتْر

---

(١) شعراء النصرانية ص ٧٩٥ .
(٢) العقد الثمين ص ٩٠ .
(٣) شعراء النصرانية ص ٧٥٤ .

أما الناحية الجسمية للبطل فكل ما ذكروه فيها يدور حول المنظر العام له بحيث يبعث الهيبة والروعة في قلب من تقع عليه عينه لأول وهلة ؛ فهو الشخص ذو الجسم الممتلىء ، التام الخلق، الكامل النمو ، وُلد كاملاً ، ونشأ نشأة حسنة ، فلم يكن توأماً [١] ، ورُبّي على أحسن الغذاء [٢] ، طويل الجسم ، قوي العضلات متين البنية ، ضخم كأسد غليظ الرقبة عبل المناكب [٣] ، وصحته حسنة ؛ لا يبدو عليه ضعف ، ونموه طبيعي ، غير نِكْس ولا ضئيل [٤] .

وقد أكثر الشعراء من الاعتذار عن ظهورهم أحياناً عاري الأشاجع ، أو شاحبي الألوان ، أو شعث المفارق ، لم يدهنوا ، ولم يترجلوا ، ناسين ذلك إلى ما يشغلهم من مهام الأمور ، وما خاضوه من أهوال وأخطار [٥] . مما يدل على أنهم كانوا يحبون في البطل - بجانب قوة الجسم ، وصحة البدن - أن يكون حسن المنظر جميل الهندام .

وقد ذكروا بعض الصفات التي تبدو جسمية ، ولكنها في الحقيقة تشير إلى أمور معنوية سامية مثل شَمّ الأنوف [٦] ، وبيض الوجوه [٧] ، وغير مقلمي الأظفار [٨] . فشمم الأنف إباة وعزة ، وبياض الوجه شرف وكرامة، وعدم تقليم الأظفار كمال التسلح والاستعداد .

---

(١) بطل كأن ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوأم
عنترة : ديوان طفيل الغنوي ص ٤ .

(٢) لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم طفحت عليك بناتق مذكار
النابغة : شعراء النصرانية ص ٦٧٥ .

(٣) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ١٥ ، بيت ١٧ .

(٤) النكس : الضعيف ، والضئيل: المهزول.

(٥) عنترة : العقد الثمين ص٤٣ .

(٦) النابغة الذبياني : العقد الثمين ص ٤ .

(٧) الأعشى : ديوانه ص٢٤٩ .

(٨) النابغة الذبياني : العقد الثمين ص ١٣ .

ثانياً : الناحية الخلقية العامة :

أما من ناحية الأخلاق فقد توسع الشعراء في القول فيهـا حتى ألموا بكل صفة حسنة ونسبوها إلى البطل .

فهو عزيز النفس ، أصيـــد ، أبيّ ، لا يرضى خطة خسف ، ولا يخضع للظلم ، الحرية مبدؤه ، والموت خير له من حياة الذل [1] ؛ وهو الغالب لا المغلوب ، والظالم لا المظلوم . طموح ، كبير لا صغير [2] ؛ لا يقر لهوان ، ولا يتحمل إساءة غيره ، فلا تهدأ ثائرته حتى يثأر لنفسه وكرامته ؛ حازم في أمره ، لا يتردد ، وليس للشك عنـده مجال ؛ لا أمرُه عليه بغمة ، ولا ليله بسرمد ، وإذا صمم على شيء نفذه دون أن يرده أي عائق [3] .

وقور متزن ، لا تثيره أعظم الأشياء ، ولا تخرجه شدة الأمور عـن وقاره [4] ؛ ولا يفرح للخير ، ولا يحزن للضر [5] ، وليس أهوج هذراً ، ولا مرحا طائشا ، ولا صاحب عجب أو خيلاء [6]. ولكن وجهـه باش ، وأساريره مستبشرة .

صريح في كل شيء ، يكره النفاق ، ولا يحب المراءاة[7]؛ صديق مخلص، مَن صالحه فهو آمن مطمئن،وهو خصم ألد ؛ مَن حاربه أوقع به المكروه[8]؛ ولكنه لا يرضى العذاب والتنكيل [9] ؛ وهو حذر يتوقع الشر في أي وقت،

---

(١) عنترة : شعراء النصرانية ص ٨٦٢ .

(٢) أبو قيس بن الأسلت: المفضليات ص ٥٦٤ .

(٣) عوف بن عطية التيمي : المفضليات ص ٨٣٧ .

(٤) النابغة : العقد الثمين ص ١٣ .

(٥) طرفة : العقد الثمين ص ٦٢ .

(٦) سعد بن مالك : شعراء النصرانية ص ٢٦٤ .

(٧) أبو قيس بن الأسلت: المفضليات ص ٥٦٤ .

(٨) ضمرة بن ضمرة النهشلي : المفضليات ص ٦٣٣ ، وقيس بن الخطيم : شعراء النصرانية ص ٩٣١ .

(٩) زهير بن أبي سلمى : شعراء النصرانية ص ٥٥٥ .

فهو دائما على استعداد : أدرعه مُحقَبَة ، وثيابه مشمرة ، وليس أكشف ولا أعزل ، ويحافظ على سلاحه ويعتز به فهو ما له وثروته .

وهو مطيع للرأي العام ولو خالف نظره الشخصي [1]، ويحافظ على شرفه وكرامته ، يسرع إلى الجُلَّى ، ولا يتقدم نحو الخنا [2] ؛ وقوله صائب ، وفعله محمود ، وهو في حياته ماهر حاذق ، ثقف اليدين ، ليس عاجزاً ولا أخرق ، ضرب ، خَشاش [3] ، جواد كريم .

ومن أهم صفات البطل ليكون رئيسا أن يكون لديه النزوع التام للاهتمام بشئون القوم قبل شئونه الخاصة ، وأن يكون بعيد النظر ، ثاقب الفكر قد أحكمته التجارب ، خبيراً بطبائع النفوس وحسن قيادتها [4] .

ثالثاً ـ الشجاعة

تلك هي أهم صفات البطل ، لأنها العماد الذي عليه تقوم شخصيته ، وتتوقف شهرته ، وعدُّه بطلا حقيقياً. ومعناها شدة القلب ورباطة الجأش، وقوة العزيمة والثبات عند اليأس . وهذه أمور معنوية لا تعرف بطبيعة الحال إلا بآثارها . وقد ذكر لنا الجاهليون في أشعارهم كثيراً من الصفات التي بها يعرف الشخص بأنه شجاع .

فقالوا عنه إنه هو الذي لا تروعه الأهوال ، ولا يتردد في خوض معامع الأخطار ، ولا يتزحزح عن مكانه مهما أحدقت بـه ، بل يستقبل الموت بصدر رحب، ويضحي بنفسه في سبيل مبادئه التي يعتقدها، وتُقوّى شخصيته كثرةُ تردده على اقتحام المعارك ، فتورثه التجارب حنكة ودرايـة وخبرة

---

(١) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٥٧ .
(٢) طرفة بن العبد : العقد الثمين ص ٦٠
(٣) طرفة : العقد الثمين ص ٥٩ ، والخشاش . الماضي في الأمور ، الذكي .
(٤) لقيط الإيادي : مختارات ابن الشجري .

يستطيع بها أن يحل المشكلات ، ويخرج من الأزمات ، وتمكنه من السيطرة على الحروب ، ومقابلة ويلاتهـــا بصدر رحب حتى إنه ليُسَمّى ابن الحرب وفيصلها .

وهو فتى صادق حقيقي ،موضع للثقة وأهل للاعتماد عليه إذا دهمت الخطوب ، شاب ممتلىء قوة وعزيمة ، أو شيخ قد أحكمته التجارب [١] ، يرى القتل شرفاً ومجداً ،والفرار خزياً وعاراً ، يتلقى الطعنات في صدره ووجهه ،ويأنف أن تصيبه في ظهره [٢] ، جلد ، صبور ، خبير بركوب الخيل ليس أميل ولا أعزل [٣] ، لا يعرف الخوف ، وليس للرعب لديه سبيل ، يتأجج قوة ، ويفيض حماسة وغيرة ، ويثور لشرفه وكرامته .

وهو راعي الحمى ، وحامي الضعيف ، وولي الجار ، والمدافع عن اللاجىء ، يسرع إلى إجابة الملهوف ، ويفزع إلى المستصرخ [٤] ، ويجيب الداعي على عجل دون أن يلوي على شيء ، أو يستفسر عن السبب [٥] ، ولا يتوانى ولا يتكل على غيره ، ولا يتلكأ بكثرة الأسئلة [٦] .

بأسه شديد ، وقوته معروفة مشهورة ، يطيـــل الحرب [٧] ، ويشن الغارات ، وفي وقت الشدة ، يحمي الثغور والأماكن المخيفة ، ويخرج إلى الحرب وقد وَسَم نفسه إظهاراً لشخصه ، وتحدياً لغيره [٨] ، يهرع إلى منـــازلة

---

(١) قال عمر بن كلثوم :

بشبان يرون القتل مجدا وشيب في الحروب مجربينـــا «المعلقة»

(٢) الحصين بن الحمام: الحماسة جـ ١ ص ٩٣ .

(٣) زهير بن أبي سلمى . شعراء النصرانية ص ٥٥٥ .

(٤) زهير . شعراء النصرانية ص ٥٧٠ .

(٥) قريط بن أنيف . الحماسة جـ ١ ص ٣ .

(٦) وداك بن ثميل . الحماسة جـ ١ ص ٥٧ .

(٧) عامر بن الطفيل . ديوانه ص ١٢٣ .

(٨) طفيل الغنوي . ديوانه ص ٤٦ بيت ٢٩ .

الأبطال ، ويبحث عن الرؤساء والقواد لمصارعتم ، ولقاؤه غير محبوب [1] ، ولا يمتنع عليه مكان مهماً بعد ، واشتهرت قوته حتى خافه جميع الناس .

ويقول قدامة بن جعفر عن أهمية الشجاعة [2] : « فضائل الناس من حيث أنهم ناس .... إنما هي : العقل والشجاعة والعدل والعفة ». ويقول : « ومن أقسام الشجاعة : الحماية والدفاع ، والأخذ بالثأر ، والنكاية في العدو ، والمهابة ، وقتل الأقران ، والسير في المهامه الموحشة ، وما أشبه ذلك » . ثم يقول : « وأما ما يحدث من تركيب العقل مع الشجـــاعة : فالصبر على الملمات ، ونوازل الخطوب ، والوفاء .... ويحدث عن تركيب الشجاعة مع السخاء : الإتلاف والإخلاف ومـــا أشبه ذلك . وعن تركيب الشجاعة مع العفة : إنكار الفواحش والغيرة على الحرم » .

رابعاً : المقدرة الحربية :

ونعني بذلك حركاته وسلوكه عند الحرب . وأهم ما قيل في هذه الناحية أنه قبل خوض المعركة يستعمل العقل والحكمة ، ولا يكون أهوج هذراً . ولا يخطو خطوة إلا بعد أن يعرف عواقبهـــا ، وعنده المعدات الحربية الكاملة [3] ، ولديه الخبرة بالحرب ، يعرف كيف يعالج شئونهـا ، وكيف يوجه الضربة القاصمة ، ويسدد الطعنة القاتلة ، ويوطد نفسه على الهلاك ، ولا ينظر إلى الحياة ، فحبها في الحرب فشل [4] ، يعرف كيـف يسوس الخيل في الموقعة ، ويمسكها على مكروهها عندما تشتد الحال ويصعب قيادهـا ، ويبدي في المعركة من المهارة الحربية ما يظهره بمظهر المستولي على الحرب

(١) النابغة الذبياني . شعراء النصرانية ص ١٩٠ .
(٢) نقد الشعر ، ص : ٤٧ وما بعدها .
(٣) زهير . شعراء النصرانية ص ٥٣٣ .
(٤) قال الاعشى :

أتيح لهم حب الحياة فأدبروا ومرجاة نفس المرء ما في غد غد

(ديوانه ص ١٣٢) .

والذي بيده زمامهـــا ، حتى يبدو كأنه ليس في ميدان حرب ومن حوله السيوف والرماح ، بل كأنه في ساحة رياضية ، يزاول لعبة من ألعابها [1] ، لا يهاب العدو بل يتقدم إليه حتى يصله بسيفه [2] ، ويقبل عليه وقد وضح الشر في عينيه ، عابس الوجه ، بادية نواجذه ، متمثـــلاً في أبشع صورة ، ويلهب المعركة ، ويزيد لهيبها بأعماله[3]، وينقض على خصمه بقوة وعنف [4] وعند اشتداد الأمر وضيق الحال ، لا يحجم عن أشد القتال ، ويقابل الموت بصدر رحب ونفس مطمئنة ،فلا ينكص على عقبيه ، ولا يعرف للفرار سبيلاً.

* * *

وعلى العكس من صفات البطل تكون صفات الجبان ، وبهـــا صوروا الشخص الحقير الممقوت .

* * *

وقد تحدث الشعراء عن الأبطال في معرض الحديث عن الفخر بالنفس أو بأبطال القبيلة ، وفي مجال المدح حينما يتعرض الشاعر لذكر محاسن ممدوحه ، فيتطرق بطبيعة الحال إلى ذكر بطولته وأعمـــاله ومآثره الحربية ، وكذلك تحدثوا عنهم في معرض الرثاء حينما يعدد الشاعر مآثر الفقيد ، وهنـــا تشغل الصفات الحربية – كما في المدح – أهم جزء في المرثية ، وكان البطل كذلك موضوعاً للشعر في مجال التهديد والإنذار .

وفي حديثهم عن الأعداء، وذمهم، صوروهم بصورٍ تنافي صور الأبطال .

الصور الشعرية للبطل (٩٣ – ٢٠٩)

أما الصور التي استعملها الشعراء هنا فيقصد منهـــا تصوير مركز البطل

---

(١) قيس بن الخطيم . ديوانه ص ١١ .
(٢) الأخنس بن شهاب . الشعر والشعراء ص ٢٧٩ .
(٣) زهير ، شعراء النصرانية ص ٥٧١ .
(٤) عنترة، العقد الثمين ص ٤٣ .

ووظيفته في ذلك الوقت ، فهي تصوّر موقفه من قبيلته، وواجبه العسكري، واستعداده الحربي ، وخبرته الحربية ، ونشاطه في القتال ، وأثره في الأفراد الآخرين الذين ليسوا من قبيلته .

فأهميته في قبيلته ، واعتمادهم عليه وعلى قوته شُبّها بالمعقل والحصن (٩٣ — ٩٤) كأنهم يتخذون منه ملجأ في وقت الخطر ، وهو يُبعد عنهم الأعداء فلا ينالونهم أو يقتربون منهم ، وحماية الأبطال لقومهم شبهت بالدرع والترس (٩٥ — ٩٦) لأنهم يحمونهم ويَقُونهم شر المهاجمين . أمـــا قوته وحزمه ومقدرته على التحكم في الأمور فقد شبهت بالرمح والسيف (٩٧ — ١٠١) ، وصُوّر إعجابه بنفسه وعدم مماثلة أحد له وثقته بنفسه ووقوفه وحدَه بالسيف فريداً في غمده (١٠٢) ، وحميته وشعوره الداخلي الذي يثور بسرعة إذا ظن أن كرامته قد مست أو شرفه لم يحفظ بالنار التي تشتعل بسهولة ثم تلتهب وتتأجج وتضرم فتهلك كل ما تمس (١٢٨ — ١٣١) .

وسلوكه النبيل وأفعاله الكريمة وأعمال البطولة والفروسية التي يقوم بهـا تجعله بطلا نبيلا كريماً بعيداً عن الذم والعـار حتى إن وجهه ليتلألأ بشراً جعل الشعراء يشبهونه بالسيوف المصقولة اللامعة (١٠٣ — ١٠٦) .

ولاعتمادهم على أبطالهم كانت القبيلة أشد كلمـا كان عدد أبطالها أكثر ، ومن ثم شبهوا كثرتهم بالظلام الحالك (١٠٢) كما لو كانت كثرتهم تحول بينهم وبين الشمس فتسد شعاعهـا وتجعلهم كأنهم في ظلام دامس ، أو أن كثرتهم كانت عظيمة لدرجة أنـــه لا فراغ بين كل منهم والآخر فيظهرون من بُعد كأنهم قطعة حالكة من الظلام .

وكان استعدادهم الحربي أشير إليه بالصدأ الذي يملو أجسادهم كما لو كانت وجوههم مطلية بالقار (١٠٩) لأن الصلب يترك صدأه عليهم بسبب طول لبسهم إياه . وشبهت كثرة أسلحتهم ووفرتها وثقلها عليهم بالأحمال الثقيلة على الجمال حتى إنها لتجعلهم تمشي بخطوات بطيئة (١٥٢) . وشبه تغير هيئتهم

ومنظرهم حينما يلبسون عددهم الحربية بالجن (١٣٢ – ١٣٩) في المنظر الغريب المخيف .

أما نشاطهم في المعركة وتقدمهم إلى الميدان بسرعة دون إحجام مع عدم المبالاة بالموت فقد جعلت الشعراء يشبهونهم بالجمال المصاعب (١٤٩ – ١٥١) في الإسراع وصعوبة الوقوف في وجوههم . وقد شبههم الشعراء كذلك وهم في الميدان منهمكين في القتال باللاعبين في ساحة رياضية بالمخاريق (١١٤– ١١٦) في عدم المبالاة بأي خطر ، كأن القتال مجرد لعبة رياضية ، وميدان القتال ساحة للألعاب ، والأسلحة كالمخاريق .

وقد قورن نشاطهم وشدة هجومهم بنشاط الصقر وشدة هجومه (١١٧ – ١١٩) ، وبفظاعة الأسد وقوة انقضاضه (١٥٥ – ٢٠٦) . كما شبهوا بالنمر (١٥٣–١٥٥) في القوة والإيقاع بالعدو في حيلة ودهاء ؛ وبالثعبان (١٤٠ – ١٤٧) في سرعة القضاء على من ينالونه بأذى . وفي تصوير البطل بالأسد أشكال كثيرة كل منها يشير إلى حالة معينة : فمثلاً يُصوّر بصورة أسد الغاب (١٦٧) لأنه يملأ القلوب فزعاً ورهبة ؛ وأسد مقذف له لبد أظفاره لم تقلم (١٩١) لأن مظهره مخيف مرعب ، وهو نشيط الحركة ، تام التسلح ؛ وأسدٍ حانٍ على أشباله يدافع عنها (١٩٥) وذلك لقوة الدفاع وحرارته ؛ وأسدٍ وردٍ عريض الساعدين حديد الناب ، بين ضراغم غبر ، وله جراء ، يصطاد الرجال ، فما تزال جراؤه على كفاية من الذخيرة والمئونة (٣٠٣) للشدة وروعة المنظر وإدامة الهجوم والغارة ، وشدة الافتراس ووفرة المغنم .

أما تكرار هجوم الأبطال على أعدائهم في الحرب فقد جعل الشعراء يشبهونهم بالقِدْح المشَهَّر المعروف في لعب الميسر (١٢١) في معاودة الكر ، وبالراجم الذي يكرر الرجم (١٢٠) وبالدوران حول الصنم المنوّر المشهور (١٢٢) .

وقد شبّه البِشر الذي يعلو وجوههم عقب فوزهم في المعركة حتى إن

وجوههم لتتلألأ ضياءً بسبب ما قاموا به من أعمال البطولة بانبلاج الشروق (١٢٣) وبضياء الهلال الذي انجلى عنه الغمام (١٢٤) .

أما نحافتهم ونحولهم بسبب ما يعانون من أهوال الحرب وملاقاة أخطارها، فقد كانتا سبباً في تشبيههم بأشلاء اللجام (١٢٥ — ١٢٦) .

وأما شعور الناس نحوهم، ومهابة الجميع لهم، وخوف غيرهم منهم . فقد قارن الشعراء ذلك كله بشعور الناس وخوفهم ومهابتهم للثعابين (١٤٠— ١٤٧)، والنمر (١٥٣ — ١٥٤) والأسد (١٥٥ — ٢٠٦) ، وبالطعم المر (١٠٧) .

وثباتهم ورباطة جأشهم وعـــدم مبالاتهم بالأخطار شبهت بحال الجبال والصخور (١١٠ — ١١١) إذ لا تزعزعها الحوادث ، ولا تنال منها الأيام .

* * *

أما الجبان فقد شبه بقطعة من الشحم الـــتي تهفو النفوس لأكلها ويسهل ابتلاعها (٢٠٧) لأنه تسهل هزيمته في الحرب وأكله ، وبالكلاب التي تطرد عن الماء (٢٠٨) في المهانة والاحتقار ، وبالقصب (٢٠٩) في فراغ الجوف، لخلو أفئدتهم من الشجاعة والقوة .

نماذج شعرية للبطل :

١ — قال عوف بن عطيه التيمي [١] :

لَعَمرُكَ إنني لأَخُـو حِفاظ ... وفي يوم الكريهة غيرُ غُمْرِ [٢]
أَجودُ علَى الأباعد باجتداءٍ ... ولم أحْرِمْ ذوي قُرْبَى وإصْر [٣]

---

(١) المفضليات ص ٦٣٩ .

(٢) الغمر والمغمر : الذى لم يجرب الأمور ، وكأنها تعلوه وتغمره . أما الغمر بفتح الغين فهو الكثير العطاء كأنه مأخوذ من غمرة الماء وهي كثرته .

(٣) الإصر : العهد .

وَمَا بِي — فاعلموه — مِن خُشوع إلى أحد وما أَزْهى بِكِبْر
ألم تَرَ أننـــا مِرْدَى حُروب نَسيلُ كأننا دُفّـــاع بَحْر [1]
وَنلبَسُ للعدوِّ جـــلودَ أُسْد إذا نلقـــاهُمُ وجُلودَ نُمْر
ونَرعى ما رَعَيْنا بين عبس وطيئِها وبينَ الحيِّ بَكر
وكُلهمُ عَـــدوٌّ غيرُ مُبْقٍ حديثٌ قَرْحُه يسعى بِوِتْر [2]

٢ — وقال أبو قيس بن الأسلت [3] :

بَزُّ امرىءٍ مستبسل حاذِرٍ للدهرِ جَلْدٍ غير مِجزاعِ [4]
الحزمُ والقوةُ خيرٌ من الْـ إدهانِ والفَكَّةِ والهاعِ [5]
ليس قَطاً مثلَ قُطَيٍّ ولا الْـ مَرْعِيُّ في الأقوام كالراعي [6]
لا نَألمُ القتلَ ونجزي به الْـ أعداءَ كَيلَ الصاعِ بالصاعِ
نَذُودهمْ عنا بمُسْتَنَّةٍ ذاتِ عرانينَ ودُفّاعِ [7]

(١) مردى حروب : أي نقوم بها . وقوله نسيل ... الخ يقصد كثرتهم .

(٢) حديث قرحه : أي أصبناه بجراح حديثة فهو يطلبنا ولا نحفل به ونحن على ذلك نرعى بلاده .

(٣) المفضليات ص ٥٦٤ .

(٤) البز : السلاح . المستبسل : الموطن نفسه على الهلاك . والمجزاع : الشديد الجزع .

(٥) الإدهان : من المداهنة وهي مثل النفاق والمخادعة . الفكة : الضعف . الهاع : شدة الحرص .

(٦) يقصد ليس الصغير كالكبير ولا المسوس كالسائس ؛ يحض على طلب المعالي أي كن سائساً لا مسوساً وسيداً لا مسوداً .

(٧) المستنة : الكتيبة ، وأصل الاستنان : النشاط ، أي هم جلداء أقوياء . عرانين : رؤساء ومتقدمون في الفضل والشجاعة . دفاع : أبطال يدفعون الأعداء عنهم .

كأنهمْ أُسْدٌ لَدَى أَشْبُلٍ يَنْهَتْنَ في غِيلٍ وأَجْزاعِ[1]
حتى تجلَّتْ ولنا غايةٌ من بين جَمْعٍ غيرِ جُمّاعِ[2]
هلا سألتِ إذ تقلَّصت ما كان إبطائي وإسراعي
هل أبذلُ المالَ على حُبِّه فيهم وآتي دَعْوةَ الداعي
وأضربُ القَوْنَسَ يوم الوغى بالسيف لم يَقْصُرْ به باعي[3]

٣ – وقال عبيد بن الأبرص[4] :

وفتيةٍ كليوثِ الغابِ مِن أَسَدٍ مَا للندَى عَنْهمُ نَزْحٌ وَلا شَحطُ
بيضٌ بَهاليلُ يَنفي الجهلَ حلمُهمُ وتَفْزَعُ الأرضُ مِنهُم إذْ هُمُ سخِطوا[5]
إذا تَخَمَّطَ جبارٌ تَنوْهُ إلى مَا يشتهونَ ولا يُثنَوْنَ إن خَمِطوا[6]
والفارِجو الكربِ والغُمّى برأيهمُ إذا تشابهتِ الأهواء والصّرط
والقائلو الفصلِ لا تنآد طينتُهم وما لقولِهمُ خَلْفٌ ولا مَيطَ[7]

---

(١) ينهتن : يزأرن . غيل : أجمة . أجزاع : جوانب .

(٢) تجلت : انكشفت . غايـة : راية . غير جماع : أي هذا الجمع كله منا لم نستعن بأحد غيرنا .

(٣) القونس : عظيم تحت ناصية الفرس ، وهو من الإنسان في ذلك الموضع . لم يقصر به باعي : أي لم يقطعه عني خوف ولا جبن .

(٤) ديوانه ص ٦٤ أبيات ١٨ – ٢٧ .

(٥) بهاليل : جمع بهلول وهو الضحاك ، والسيد الجامع لكل خير .

(٦) تخمط : تكبر وغضب . وخمط : غضب .

(٧) لا تنآد : لا تنعطف ولا تلين . الطينة هنا : الخلقة والجبلة . ميط : تنحية وإبعاد .

والخالطو مُعسرٍ مِنْهُمْ بمُوسِرهمْ ... وأكرم الناسِ مطْروقاً إذا اخْتبِطوا [1]
مرّو اللقاء ومبقو العَقدِ إن عَقَدوا ... إذا أضاع مِن الميثاق مُشْترط [2]
رُجحٌ إذا حضرَ النادي حُلومُهمُ ... وفيهِمُ الزّغفُ والخَطّيّ والرُّبُط [3]
والمشرفيةُ مَفلول ضواربُها ... يومَ اللقاء وأيدٍ بالندَى سبط [4]
لا يحسَبونَ غنًى يَبقى ولا عدَماً ... إذا رأى ذاك مِنْهمْ معشَر فُرُط

٤ – وقال المرقش الأكبر [5] :

إنا لنُرخصُ يومَ الروع أنفسَنا ... ولو نُسامُ بِها في الأمْنِ أُغلينا
بيضٌ مَفارُقنا تغلي مَراجِلُنا ... نأسُو بأموالنا آثارَ أيدينا
إني لَمِن مَعشرٍ أفنى أوائلَهم ... قيلُ الكُماةِ : ألا أينَ المحامونا
لو كانَ في الألفِ مِنّا واحدٌ فدَعوْا ... مَنْ فارسٌ ؟ خالَهمْ إياهُ يَعْنُونا
إذا الكماةُ تنحَّوا أن يصيبَهمْ ... حدُّ الظُّباتِ وَصَلناها بأيدينا
ولا تراهُمْ وإنْ جَلَّت مصيبتُهم ... معَ البكاةِ على مَن ماتَ يَبكونا
ونركبُ الكُرْهَ أحياناً فيفرُجه ... عنّا الحِفاظُ وأسيافٌ تواتينا [6]

---

(١) اختبطوا : سئلوا الخير والعطاء .
(٢) مشترط : ملتزم .
(٣) الزغفة : الدرع اللينة الواسعة المحكمة ، أو الرقيقة الحسنة السلاسل . ويقال كذلك درع زغف ودروع زغف . الربط جمع رباط : وهي الخيل .
(٤) سبط اليد : سخي .
(٥) شعراء النصرانية ص ٢٨٧ .
(٦) الحفاظ : الدفاع عن المحارم والشرف .

٤ ـ الخيـــل

لقد كان للخيل شأن عظيم عند العرب ، وما تزال الخيول العربية حافظة لشهرتها منذ القدم إلى اليوم ، فكلنا يعلم مدى قيمة الحصان العربي الأصيل في عصرنا الحديث ؛ لا في البلاد العربية فحسب ، بل في جميع بلاد العالم ، شرقاً وغرباً .

وليست هذه الدراسة بالطبع مجالاً لدراسة الخيل وشأنها عند العرب في العصر الجاهلي ، لأن ذلك يستدعي دراسة مفصلة تجمع كل ما قيل عن الخيل وما يتصل بها ؛ ولكننا هنا سنتعرض لما قاله الشعراء الجاهليون فيها حينما يكونون في معرض الحديث عن الحرب .

ومع هذا فإن الشاعر الجاهلي حينما تحدث عن الخيل ودورها في الحرب ، قد تحدث عنها من عدة نواح ، إن لم تكن شملت كل ما يمكن أن يقال في الخيل فعلى الأقل شملت معظم ما يمكن أن يقال عنها .

ولئن كان المقصود في الحديث عن الخيل في مجال الحروب إنما هو قوتها ونشاطها ، فإن الشاعر – فوق ذلك – كان يتطرق في شعره إلى الحديث عن مبلغ اهتمام العربي بخيله ومدى قيمتها عنده ، وكيف يقوم برعايتها والعناية بها مما يجعلها أكثر قوة ونشاطاً . ولهذا نجد الشعراء بالنسبة للخيل في شعر الحرب تحدثوا عن :

(أ) مدى اهتمامهم بالخيــل وعنايتهم بها لتكون أهلاً للاعتماد عليها في الحرب .

(ب) صفاتها الجسمية بما يظهرها مصدراً للإرهاب والإعجاب .

(ج) نشاطها وقوتها ومدى احتمالها في الحرب .

(أ) أما عن الناحية الأولى فقد ذكر الشعراء ما يبين أن اهتمام العربي بخيله

كان عظيماً . فمن شعرهم نرى أنهم كانوا يعتزون بالخيل[1] ويحفظونها قريباً من منازلهم ، ولا يرسلونها مع بقية أنعامهم ترعى بعيداً عنهم ، حباً فيها ومبالغة في المحافظة عليها ؛ قال عامر بن الطفيل[1] :

مُقَرَّباتٍ كالهيم شُعْث النواصي قد رَفَعْنا من حُضْرِها فاستَدَرَّت[3]

وأنها كانت تُسقى اللبن ، قال عوف بن عطية التيمي[2] :

وأعددت للحرب ملبونة تَرُدُّ على سائِسَيْها الحمارا[5]

وتُهيّأ لها أحسن الأطعمة صيفاً وشتاء حتى في زمن القحط ، قال عنترة[1] :

مُقَرَّبةُ الشتاء ولا تراها وراء الحيِّ يَتْبعها المِهار
لها بالصيف أَصْبِرَةٌ وجُلٌّ ونيبٌ من كرائمها غِزار[7]

وكانوا يعنون بها عناية تفوق عنايتهم بأنفسهم وأولادهم . قال رجل من تميم :

مفداة مكرمة علينا يجاع لها العيال ولا تجاع

---

(١) الحماسة ص ١٥١ .

(٢) ديوانه ص ١٠٥ بيت ٤ .

(٣) المقربة من الخيل : التي تشد عند بيوتهم لا تترك تسرح . الهيم : العطاش . الحضر والإحضار : الإسراع . استدرت : جادت بدرتها في السير .

(٤) المفضليات ص ٨٣٧ .

(٥) الملبونة : الفرس التي تسقى اللبن . ترد على سائسيها الحمار : لا يفوتها حمار الوحش أي تسبقه ثم ترده .

(٦) العقد الثمين ص ٣٩ .

(٧) مقربة الشتاء : تعدو عدواً دون الإسراع في الشتاء . الأصبرة من الغنم والإبل : التي تروح وتغدو على أهلها لا تغرب عنهم . الجل : الذي تلبسه الفرس لتصان به .

وقال ربيعة بن مقروم [1] :

وجُردا يُقرّبن دون العيال خلال البيوت يَلُكْنَ الشكيما [2]

وكانت تصنع لهـــا النعال لتقي حوافرها ضد الصخور والأرض الصلبة عندما تعدو في الصحراء ، قال زهير بن أبي سلمى [3] :

تخطو على رَبذَاتٍ غيرِ فائرة تحذى وتُعقَد في أرساغِها الخَدَم

وكانوا دائمي العناية بهـــا وملاحظتها حتى إنهم كانوا يفخرون بأن شدة العناية بخيلهم جعلتها في حالة حسنة ، وخالية من أي عيب : قال عوف بن عطية [4] :

كُميتاً كحاشية الأتحمِيّ لم يَدَعِ الصُّنْعُ فيها عَوَارا [5]

ولشدة المحافظة على نشاطها وقوتهـــا كان العربي يجريها صباحاً ومساء في اليوم الذي ليس فيه عمل للخيل .

وللمبالغة في شدة الحرص على أن تكون الخيل أصيلة كريمة ، اهتم العربي اهتماماً كبيراً بنسبها ، فحافظ على كرم أصلها ، ونقاء عنصرها ، لكي تكون جودتهـــا موضع اليقين ، وكان الشاعر يفخر بخيله وأنها من أصل عريق في الكرم والعتق . قال علقمة [6] :

---

(١) المفضليات ص ٣٥٥ .

(٢) يقرّبن دون العيال : يؤثرن . الشكيم : فأس اللجام .

(٣) شعراء النصرانية ص ٥٣٧ .

(٤) المفضليات ص ٨٣٧ .

(٥) الأتحمي : البرود ، وخص الحاشية لأنها أصنع الثوب وأحكمه . والأتحمي : نوع من البرود منسوب إلى أتحم باليمن . الصنع : الدواء الذي تصنع به ضمرها . العوار : العيب .

(٦) العقد الثمين ص ١١٣ .

وقد أُقودُ أمام الحي سَلْهبةً   يَهْدِي بها نَسبٌ في الحي مَعلُوم [1]

ولهذا كانوا يطلقون على الخيل المشهورة بالكرم والجود أسماء ، زيادة في التحقق منها ، وحتى تشرف ذريتها بحمل اسمها ، وكان الشاعر يفتخر بأن خيله من نسل أحد هذه الخيول المشهورة بالنجابة . قال النابغة الذبياني [2] :

فيهم بَناتُ العَسجَديّ وَلَاحِقٍ   وُرْقاً مَرا كِلُها من المضمار [3]

وقال طفيل الغنوي [4] :

بناتُ الغُرابِ والوَجيه ولاحِقٍ   وأعوجَ تَنمي نِسبةَ المتنسب

وقال أيضاً [5] :

وخَيل كأمثال السِّراح مَصُونة   ذَخائرُ ما ابقَى الغرابُ ومَذْهبُ

وكان الأبطال يطلقون على خيولهم أسماء خاصة تعرف بها ، فروي أن حصان عامر بن الطفيل كان يسمى «المزنوق [6]» وفرس والده الطفيل تسمى « قُرْزُل [7] » وفرس مالك بن نويرة « ذو الخمار [8] » ، وفرس طفيل الغنوي « الحذواء [9] »، وفرسا قيس بن زهير العبسي « داحس والغبراء » ،

---

(١) سلهبة : طويلة . يهدي بها نسب : أي يتبين فيها أن نسبها كريم معلوم بالنجابة .
(٢) شعراء النصرانية ص ٦٧٧ .
(٣) العسجدي ولاحق : فرسان كانا في الجاهلية من الفحول النجيبة . وورق جمع أورق وهو الذي لونه لون الرماد ويقصد أن موضع عقب الفارس قد تحات فاسود .
(٤) ديوانه ص ٧ بيت ٢٢ .
(٥) ديوانه ص ٢١ بيت ٨ .
(٦) الشعر والشعراء ص ٢٩٣ .
(٧) المفضليات ص ٣٩ .
(٨) الشعر والشعراء ص ٢٩٦ .
(٩) ديوانه ص ٢٦ بيت ٣٧ .

وفرسا حذيفة بن بدر الفزاري « الخطار والجنفاء[١] »، وفرس عنترة العبسي « جروة[٢] » .

فهذا كله يرينا أن العربي كان يعنى بخيله عناية كبيرة، وليس ذلك بعجيب منه لأن الفرس كانت عدته في الحياة وذخيرته لوقت الشدة ، فعليها يعتمد في الحرب ، ويستطيع ، إن ساعده الحظ ، بوساطة خيله أن يجلب لنفسه ثروة طائلة بفضل ما يشنه من غارات ، وما تدره عليه من غنائم وأسلاب ، وفي وقت السلم يمكنه بفرسه — إن لم يكن قوته متيسراً — أن يحصل على طعام شهي لذيذ عن طريق الصيد والقنص ، لذلك لم يكن عجيباً من العربي حينئذ أن يعنى عناية فائقة بها ، حتى أنه عدّها ذخيرته وعدّته في الحياة، ومعقله وحصنه الحصين . قال أمية بن أبي الصلت[٣] :

وأرصَدْنا لريبِ الدهرِ جُرداً ... تكونُ متونُها حِصناً حصينا

وقال مزرد[٤] :

خروج أضاميمٍ وأحصنَ مَعْقِل ... إذا لم يكن إلاّ الجيادَ مَعاقِل[٥]

ولشدة أهمية الخيل عند العربي نراها قد شغلت جزءاً كبيراً في الأدب العربي ، ولشدة اتصال العربي بخيله وقربها منه كل حياته تقريباً نرى الشاعر قد تحدث عن كل ما يمكن أن يقال عنها . ولخطورة الدور الذي لعبته الخيل في الحرب نجدها أخذت نصيباً عظيماً في شعر الحرب .

---

(١) النقائض ص ٨٦ .
(٢) العقد الثمين ص ٣٩ .
(٣) شعراء النصرانية ص ٢٣٣ .
(٤) المفضليات ص ١٦٤ .
(٥) الأضاميم : الجماعة من الخيل ، الواحدة إضمامة . خروج : خارج منها . المعقل : الحرز والملجأ والموضع الذي يمتنع فيه .

(ب) صفاتها الجسمية :

عندما يتكلم الشاعر عن وصف الفرس التي أُعِدت للحرب ، إنما يقصد ، بطبيعة الحال ، أن يعطي صورة مثـــالية للخيل التي يخوض بها المعمعة وهو راضٍ مطمئن ، يتوقع بسببها الفوز والنصر .

وكان من أثر عناية العربي الشديدة بخيله ، ومصاحبته لها في الحرب ، وقربها منه على الدوام في السلم ، أن أصبح خبيراً بها ، عالماً بدقائقها . لذلك نجده في وصفه لها يتحدث عن أجزاء جسمها واحداً واحداً ، حتى ليصف أجزاء من جسمها ليست ظاهرة أمام عينيه مثل الشظا [١] والنسا [٢] .

وفي الصفات الجسمية للخيل نجد أن الشعراء تحدثوا عن وصف الأعضاء ، والمنظر العام للجسم ، واللون المحبوب فيها .

أما من ناحية الأعضاء ، فذكروا الصفـــة المحبوبة لديهم في كل عضو من أعضائها الخارجية .

فالعين ، شاخصة [٣] ، قبلاء [٤] ، طامحة [٥] ، شديدة [٦] النظر ، كثيرة الاشتراف . والأنف ليس أقنى [٧] .

والخد : أسيل ، والشدق : واسع ، والناصية : ليست خفيفة [٨] .

والعنق : طويل مشرف . والكتف : ناتئة فيها شمم [٩] .

---

(١) الشظا : عظم مستدق ملزق بالذراع . [كتاب الخيل للأصمعي ص ٦] .

(٢) النسا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحـــافر [كتاب الخيل ص ٩ — ١٠] .

(٣) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٣٩ .

(٤) عنترة : شعراء النصرانية ص ٨٠٨ .

(٥) طفَيل الغنوي : ديوانه ص ١٥ .

(٦) ثعلبة بن صعير : المفضليات ص ٢٦١ .

(٧) سلامة بن جندل : المفضليات ص ٢٢٦ .

(٨) نفس المرجع السابق .

(٩) زهير بن أبي سلمى : شعراء النصرانية ، ص ٥٣٦ .

والكاهل : أقعس ، عريض .

والظهر : قصير ، خالص ، قوي .

والبطن : لاحق ، أملس .

والأضلاع : عوج .

والحجبات : مشرفات .

والذيل : ذو خصل ، سابغ العسيب ، كثير الشعر .

والقوائم : خفيفة ، غير فائرة ، طويلة .

والذراع : عارية من اللحم ، محصة ، عبلة .

والحوافر : صم ، صلاب ، موثقة ، رجيلة ، شديدة .

والسنابك : غير مقلمة ، تسن عليها القرون (١) .

والوظيف : سليم (٢) .

والنسور : صُم (٣) .

والمراكل : أدْم ، جون ، ورُق (٤) .

والشظـا : سليم .

والنسا : شنج ، منشق (٥) .

واللحـم : زيم ، قليل على الوجه والمتن .

والأديم : صاف .

---

(١) السنابك : مقاديم الحوافر . والدوابر : مآخير الحوافر .

(٢) الوظيف : ما تحت العرقوب من الحافر من اليد والرجل .

(٣) النسور : باطن الحوافر مما يلي الأرض .

(٤) المراكل : موضع رجل الفارس .

(٥) النسا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ، ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر ، فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين ، وجرى النسا بينهما واستبان ؛ وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان ، وخفي النسا ، فإنما يقال : منشق النسا : يريد موضع النسا (راجع في هذا كله كتاب الخيل للأصمعي) .

والشعر : قصير .

أما من ناحية المنظر العام للفرس ، فأحبها ما كانت :

ضامرة : شزب ، أقب ، طاو .

شديدة : عجلزة .

موثقة : مدمجة الخلق ، مضبرة ، فعم ، ململمة ، محبوكة .

ضخمة : هيكل ، هضبة ، نهد .

طويلة : شقاء ، خيفانة ، سلهبة ، شطبة ، شيظم .

قويات : ذكورة ، فحول .

والألوان التي ذكروها هي : -

كميت : وهو لون بين الشقرة والكمتة .

أغر : والغرة بياض في الجبهة .

وراد : أحمر ليس بشديد الحمرة .

أحوى : وهو الذي تشتد حمرته حتى يميل إلى السواد

مدماة : وهي التي تضرب كمتها إلى الحمرة .

أشقر : والأشقر من الدواب : الأحمر .

أدهم : أي أسود .

أحم : وهو ما يضرب إلى السواد .

(ح) نشاطها وقوتها

وهذه الناحية هي نتيجة الناحيتين السابقتين ، لأنها أثر القوة الجسمية ، ووليدة العناية بالخيل والاهتمام بها . وقد أكثر الشعراء من الحديث عن نشاط الخيل وحركتها في الحرب ، وبالغوا في تصوير هـذه الناحية ، كما سنرى في الصور الشعرية . فتحدثوا عن قوة الخيل ، وسرعتها في العَدْو ، وحركتها في الميدان ، وحالتها بعد انتهاء القتال .

فهي طمرة خفيفة ، وعندما تسير مجنوبة تباري الإبل ، وينافس بعضها

بعضاً ، وتجهد نفسها في الجري، حتى تشمث وتغبر وتميل سروجها، وتمرق، ويسيل العرق على جسمها ويتصبب على أرجلها، وتشق على نفسها لدرجة أنها ترمي أفلاءها في الطريق . وهي لكثرة خروجها في الغارات أصبحت معتادة السُّرَى ، والسير في الأماكن الصعبة الصلبة ، حتى إنها أصبحت كسَّاء ، ولحبّها الشديد للجري تهوى الأماكن الواسعة .

أما في الموقعة فهي قوية ، تتلقى الطعنات في صدرها، ولكنها لا تنحرف عن الأعداء ، عابسة ، لا تبرح الميدان ، ولا تشتكي الكلوم .

ومع أن بعض الشعراء قد قالوا عن خيلهم – بعد العمل الشديد المضني – إنها مازالت قوية قادرة على السير بسرعة [1] مبالغة في وصف قوتها وسرعتها. فإن بعضاً آخر منهم قد اعترف بالحقيقة في مثل هذه الحالة ؛ فذكر نحول أجسامها وغور عيونها [2] . ولكننا نجد الشعراء المداحين في هذه النقطة يبالغون في وصف إجهاد الخيل مبالغة شديدة حتى أنهم يجعلونها غير قادرة على المشي ولو ضربت بالسياط ، وذلك ليبرهنوا على شدة الممدوح وقدرته على على الغزو وإطالة مدة الحرب إلى أن صارت خيله بهذه الحالة [3] .

الصور الشعرية للخيل (٢١٠ – ٤٠٢) :

والصور الشعرية هنا تبين لنا كذلك أهمية الفرس لدى العربي ؛ وتوضح صفات الخيل الجسمية ، وأعضاءها ، وتصور نشاط ، الخيل ، وسرعتها ، ومجهودها في الحرب ، وأثر الحرب فيها .

فأهمية الخيل في الحرب وعظم قيمتها عند العرب واعتمادهم عليها لدفع الأخطار والتجاؤهم إليها وقت الشدة جعلت الشعراء يشبهونها بالحصن (٢١٠-٢١١) .

---

(١) مزرد . المفضليات ص ١٦٤ ، الأبيات ٢٣ – ٢٥ .

(٢) عبيد بن الأبرص . ديوانه ص ٢٨ ، البيتان ٨ – ٩ ؛ وعامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٢١ البيت ٨ .

(٣) راجع شعر زهير بن أبي سلمى في المدح .

وشبه منظرها العام بالخباء (٢٦٥) ، وبالسعالي (٣٠٣ — ٣٠٥) في الهيئة وإثارة الخوف في نفوس الأعداء. وقورن طول جسمها بالنخل(٢٨٩) ، ولونها في الكمتة بلون الصِّرْف (٢٨٤) ، وخضرة السندس (٢٦٤) ، وبريق متنها وصفاؤه بلون الذهب (٢٨٨) ، وبياض الغُرّة ببياض الخمار (٢٦٢) .

أما الأعضاء : فقد شبه عنقها بالجذع (٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨) ، وشبهت حدة نظرها بحدة نظر الراعي الذي هجم الذئب على غنمه ، وهو نائم ، فقام مذعوراً (٣٢٣) ، وشبه صدرها بالمَدَاك (٣٢٧ — ٣٢٩) في الملاسة ؛ والمتنُ بالحبل (٢٧٨ — ٢٨٠) في القوة والمتانة. وشبهت الأضلاع في الصلابة بالقِداح (٢٣١) ، وبالقِسِيِّ (٢٢٠) في الصلابة والالتواء ، وشبه بريق جوانبها ببريق الدهان (٢٨٧) ، أما الكَفَل فقد شبه بمتن الطِرّاف (٢٦٦) في الاكتناز ، والأوراكُ بقارورة الزعفران (٢٨٥ — ٢٨٦) في اللون والاستدارة مع الملاسة والصلابة ، والأرجلُ بإياد الغبيط (٣٦٥) في النحافة والضمور ، والحوافرُ بالحجر (٢٤٠ — ٢٤١) في الصلابة ، وبالمعاول (٢٧٠ — ٢٧١) في شدتها على الأماكن الصلبة . وشبه تأثير الحجارة فيها بتأثير المبرد في الحديد (٢٧٢) ، وشبهت الحوافر بالركبة (٢٤٣ — ٢٤٤) . وبالعقب (٢٦٨) في الاستدارة ، وشبهت النسور بالنوى (٣٠١) في الصلابة والقوة ومتانة التركيب . أما الذيل فقد قورن بسباطة نخلة مرطبة (٢٩٠) في كثرة الشمر والاسوداد .

وقد صورت قوة أجسامها ومتانة تركيبها وصلابة بنيتها وضمورها بأشياء كثيرة فشبهت بالصخرة في الصلابة والقوة والمتانة (٢٣٦) ، وبالقوس (٢٢١ — ٢٢٢) ، وبالقداح (٢٣٠) في الضمور ، وبحاشية الثوب (٢٦٣) ، وبالحبل (٢٧٧ — ٢٨٠) في متانة التركيب ، وبالرمح (٢١٢ — ٢١٩) في الطول والدقة والضمور ، وبالعنان (٢٧٥ — ٢٧٦) ، وبالنوى (٢٩٩ — ٣٠٠) في الصلابة والضمور ، وبالجذع المشذب (٢٩٢ — ٢٩٤) في الطول والملاسة والنعومة ؛ وبالسُّلَّاءة وهي شوكة النخل (٢٩٨) في دقة الصدر وعظم

العجز ، وبالعصا [٢٨١ - ٢٨٣] في الصلابة والملاسة والضمور .

أما حركتها ونشاطها : فهي تقلب خديها كما يقلب الخصم الألدّ كفّيه (٤٠٠) ومشيتها كمشية الشارب المستعجل (٣٢١) ، وعند المشي ترفع ذنبها كما ترفع النوق الحوامل أذنابها عندما يراد حلب لبنها (٣٦٢) ، وصهيلها كمزامير الشاربين (٣٢٢) .

وصوّر جدها ونشاطها بأشياء كثيرة : فهي في جدها واستعدادها للعمل كالإنسان المشمر عن ساقيه (٣٠٦) ، وشبهت في جريها بالسابح (٣٠٧-٣٢٠) في الخفة والسهولة والتتابع ، وبانصباب الماء من الدلو (٢٥٤- ٢٥٥) في السهولة واليسر .

أما في شدة سرعتها وقوتها وخفتها فقد شبهت بالسهم (٢٢٥ - ٢٢٩) ، وبالصخرة الساقطه من أعلى الجبل (٢٣٧)، وبالريح (٢٤٥)، وبالحمام(٣٣٤)، والحـدأة (٣٣٥ - ٣٣٦) ، والصقر (٣٣٧ - ٣٤١) ، والعُقاب (٣٤٢ - ٣٤٧) ، والنحل (٣٤٨) ، والقطا (٣٥١ - ٣٥٤)، والجراد (٣٥٦ - ٣٦١) ، والنعام (٣٦٦ - ٣٦٧) والظبي (٣٧١ - ٣٧٢) ، والتيس (٣٧٦ - ٣٧٩) ، والسباع (٣٨٠) ، والكلاب (٣٨١ - ٣٨٤)، والذئب (٣٨٥ - ٣٩٨) . وشبه الغبار الذي تثيره الخيل بالدخان (٢٤٨)، وبالقطن المندوف(٣٠٣) .أما حفيف جريها فقد شبه بصوت الخذروفِ (٢٣٤- ٣٣٥) والنارِ الملتهبة في السعف والعرفج (٢٤٦ - ٢٤٧) ، وشبه صوت المنخرين عند الشد بصوت الكير (٢٧٣) .

وشبه عرقها بنضح المزاد الوفر (٢٥٨) ، وثَوْبِ الماتح (٢٥٩) . أما بعد جفافه واختلاطه بالتراب فقـد شبه منظره بمنظر حصير الملح في بيت صاحب الإبل الجربى (٣٦٤) .

وملازمتها الجري صُوّر كأنه نذر(٤٠١). وشبه وقع حوافرها على الحجارة بالصواعق (٢٥٠) ، وشبه الصخر المتفتت بسبب جريها بالبرَد (٢٥١) .

أما شدتها عند الكر ، وعنفها وقت الهجوم ، وقوتها في المعركة فقد شبهت حالتها عند ذلك بحالتها وهي تطلب فلوها بين الأعداء (٢٩٩). وشبهت جماعات الخيل بأسراب الطير (٣٣٠ – ٣٣٢) ، وبأسراب القطا (٣٤٩ – ٣٥٥) وشبهت كثرة ورودها الموقعة بالمطر المنهمر (٢٥٢ – ٢٥٣) . والخيل التي يطول مكثها في الغارات المتواصلة كالطير العواكف الثوابت في السماء (٣٣١) .

أما بعد الموقعة وظهور الحرب فيها فقد شبهت الخيل بكير الجوهري (٢٧٤) في غبرة اللون . وشبهت أعناقها المخضبة بالدماء بالأنصاب التي يذبح عليها (٢٤٢) ، وشبهت عيونها الحواجل بالقِلات (٢٦٠) ، وأضلاعها بسفيف الحصير (٣٦٧) ، وخدودها بالشنان (٢٦٩) ، ورؤوسها الشعث برؤوس النساء اللائي لا يجدن الفوالي (٣٢٥). وشبهت آثار أولادها التي تضعها قبل تمام وقتها بأطلاء الطحلب (٢٦١) .

وقد تحدث الشعراء عن الخيل في معرض الحديث عن أدوات الحرب . وكانوا يذكرونها دائماً في مقدمتها ، وفي معرض الفخر والمدح والنصح والتهديد وتعرضوا للحديث عن سرعتها الفائقة في الهجاء عندما تحدثوا عن هرب العدو . فكانوا يرمونه بأنها هي التي تجته من القتل أو الأسر . وتحدثوا عنها كذلك عندما كانوا يصفون الغنائم التي استولوا عليها ، فكانوا يبالغون في وصفها ، وذلك بطبيعة الحال يُوحي بأن خيل المنتصرين أقوى وأحسن من تلك ، وهذا يشبه حديثهم عن بطولة أعدائهم وقوتهم العظيمة فمعناه أن بطولتهم كانت أقوى وأعظم .

نماذج شعرية للخيل :

١ – قال مزرد أخو الشماخ ، وقيل أنها لجزء بن ضرار أخي الشماخ [١]

---

(١) المفضليات ص ١٦٤ .

وعندي إذا الحرب العوان تَلَقَّحَت
وأبدت هوادِيها الخطوبُ الزلازل (١)

طُوال القَرا قد كاد يَذْهَبُ كاهلاً
جوادُ المَدى والعَقْبِ ، والخَلقُ كاملُ (٢)

أَجشُّ صَرِيحيٌّ كأنَّ صهيلَه   مراميرُ شَرْبٍ جاوبتها جَلاجِل (٣)
متى يُرَ مركوباً يُقَل بازُ قانصٍ   وفي مشيه عند القِياد تساتُلُ (٤)
تقول إذا أبصرتَه وهو صَائم   خِباءٌ على نَشْزٍ أو السِّيدُ ماثل (٥)
خَروجٌ أضاميمَ وأحصنُ معقل   إذا لم تكن إلا الجياد معاقل (٦)
مُبَرِّزُ غاياتٍ وإنْ يَتْلُ عانةً   يَذَرْها كذَوْدٍ عاث فيها مُخَايِل (٧)

---

(١) الحرب العوان : التي قوتل فيها مرة بعد مرة ، وهو أشد لها لتذكرهم الأوتار التي تقدمت فيها . تلقحت : أي تلقحت بالقتال أي حملته واستقلت به ، وهذا مثل . هوادي كل شيء : أوائله . الزلازل : يقصد الأمور الجسيمة التي تفعل بالناس فعل الزلازل الشديدة .

(٢) القرا : الظهر . وقال الأصمعي : يستحب من الفرس قصر ظهره وطول بطنه ، ولهذا روى هذا البيت : قصير القرا ... الخ . الطوال : فوق الطويل . كاد يذهب كاهلاً : يريد أنه عرض من قبل كاهله وهو مغرز العنق في الصلب . المدى : الغاية . العقب : جري بعد الجري الأول .

(٣) أجش : في صوته جشة أي خشن الصوت ، وذلك يستحب في الخيل . صريحي : محض النسب ، أو منسوب إلى فحل يدعى الصريح. الشرب : القوم الذين يشربون، والمفرد : شارب.

(٤) خص باز القانص لأنه أضرى من غيره من البيزان . التساتل : التتابع .

(٥) الصائم : القائم الساكت . نشز : مرتفع . السيد : الذئب . ماثل : قائم منتصب .

(٦) خروج : خارج منها ، أي يسبقها . الأضاميم : جمع إضمامة ، وهي الجماعة من الخيل .

(٧) الغاية : مدى السباق. العانة : القطعة من إناث الحمير . يتلوها : يتبعها . عاث : أفسد . المخايل : الرجل الذي يخايل صاحبه أي يباريه . الذود : ما بين الثلاث من الإبل إلى العشر .

يُرَى طامح العينين يرنو كأنه ... مُؤانِسُ ذُعر، فهو بالأُذْن خاتِل [1]

إذا الخيل من غِبّ الوَجيف رأيتَها ... وأعيُنها مثلُ القِلاتِ حواجِل [2]

وقلقلتُهُ حتى كأنَّ ضلوعه ... سَفيفُ حَصيرٍ فرَّجَتْه الرَّوامِل [3]

يرى الشدَّ والتقريبَ نذراً إذا عدَا

وقد لحقتْ بالصلب منه الشواكل [4]

له طُحَرٌ عوجٌ كأن مَضيغَها ... قِداح براها صانع الكف نابل [5]

وصُمٌّ الحوامِي ما يبالي إذا جرى ... أوَعْثٌ نقاً عنَّتْ له أم جنادل [6]

وسَلْهَبَةٌ جرداءُ باقٍ مَريسُها ... موثَّقة مثلُ الهراوة حائل [7]

---

(١) الطامح : الذي يرمي ببصره إلى أعلى. الرنو : أدامة النظر وسكون الطرف. المؤانس: الذي يستأنس يستمع شيئاً يحذره . الذعر : الفزع . بالأذن خاتل : أي كأنه يختل ما يستمع لشدة استماعه ، وأصل الختل : الخداع .

(٢) الوجيف : سير شديد دون العدو . وغبه : بعده بيوم أو أكثر . القلات : جمع قَلْت، وهي نقرة تكون في الجبل يجتمع فيها الماء . الحواجل : جمع حاجلة والصفة هنا راجعة للعيون، وحجلت عينه : غارت .

(٣) قلقلته : أذهبت لحمه من كثرة السير . الروامل : اللاتي ينسجن الحصر . سفيف حصير: ما سُفّ منه أي نسج . فرجته : جعلت فيه الفرج .

(٤) الشد : العدو . التقريب : نوع من الجري . الشواكل : جمع شاكلة وهي الخاصرة .

(٥) الطحر : الضلوع . مضيغها ، لحمها . صانع الكف : حاذق الكف لطيف . النابل : الحاذق في النبل ، القداح : السهام .

(٦) الحوامي : ما أحاط بالنسور . الوعث : المكان الذي يشتد فيـــه المشي . عنتْ : عرضت ، يصف شدة حوافره وصلابتها . النقا : مثل الكثيب من الرمل . جنادل : صخور .

(٧) السلهبة : الطويلة من الخيل . الجرداء : القصيرة الشعر . مريسها : شدتهـــا وصبرها في السير . موثقة : محكمة الخلق . الهراوة : العصا . الحائل : التي لم تحمل ، لأنها أصلب وأشد .

كميتٌ عَبَنَّاة السَّرة ِ نمى بها   إلى نسب الخيل الصَّريح وجافل [1]
من المسبَطِرَّات الجياد طِمِرَّةٌ   لجوجٌ هواها السَّبْسَبُ المتماحِل [2]
صفوحٌ بخدَّيها وقد طال جريُها   كما قلّب الكفَّ الألدُّ المُجادل [3]
يفرّطها عن كَبَّة الخيل مَصْدَق   كريمٌ وشدٌّ ليس فيه تخاذلُ [4]
وإن رُدَّ من فضل العنان توَرَّدت   هُويّ قطاةٍ أتبعتها الأجادل [5]
مُقَرَّبةٌ لم تُقتَعد غير غـارة   ولم تَمْتَرِ الأطباءَ منها السّلائل [6]
إذا ضَمِرَت كانت جَدَايةَ حُلَّبٍ   أُمِرَّت أعاليها وشُدَّ الأسافل [7]

---

(١) يقال كميت للذكور والإناث ، والكمتة لون بين الشقرة والدهمـة ، وكميت مصغر لا تكبير له . العبناة : الموثقة الخلق الشديدة ، والذكر : عبنى . الصريح وجافل : فحلان ينسب إليهما الخيل .

(٢) المسبطرة : المنقادة في السير ، السريعة . الجياد : فعال من الجودة وهي السرعة . الطمرة : القفوز الوثوب . السبسب : المتسع من الأرض . والمتماحل : المنقاد إلى مثله . اللجوج التي تترامى في العنان . وهواها ... الخ أي هواها أن تجد سبسباً متماحلاً وهو البعيد ما بين الطرفين .

(٣) الألد : الشديد الخصومة . صفوح بخديها : أي تنظر يمناً ويساراً من النشاط ؛ أي تمدل بخديها يمنة ويسرة كما يقلب المخاصم يده يمنة ويسرة ، وإنما يصف نشاطها في وقت تعبها .

(٤) يفرطها : يقدمها . كبة الخيل : دفعتها في الجري . المصدق : الصدق في كل ما كان من عمل أو قول . وقيل أن كبة الخيل معناها : جماعة الخيل . ليس فيه تخاذل : شدها واحد ليس فيه خالل ولا فتور .

(٥) يقول إن حبس من عنانهـا فهي في ذلك كقطاة تبعتها الصقور فهو اشد لطيرانهـا . توردت : أسرعت . هويّ : إسراع . الأجادل : جمع أجدل وهو الصقر .

(٦) المقربة : المؤثرة المكرمة التي لا تترك أن ترود . لم تقتعد : لم تركب . غير غارة : أي لم تركب إلا في غارة . المري : مسح الضرع لتدر الناقة فجعله هنا رضاعـاً . الأطباء : جمع طُبْي ، وهو من الفرس بمنزلة الثدي من المرأة . السلائل : الأولاد ، يريد أنهـا لم تحمل فهو أصلب لها .

(٧) الحلب : نبت ينبت في الصيف ويخضر . الجـداية : الظبي أتى عليه ستة أشهر أو نحوها . أمرت : فتلت ، أي فتل لحمها وعصبها .

وقد أصبحت عندي تِلاداً عَقيلةً ومن كل مالٍ مُتْلَدَاتٌ عَقائل[1]
وأحبسُها ما دام للزيت عاصر وما طاف فوق الأرض حافٍ وناعل[2]

٣ – وقال سلامة بن جندل السعدي[3] :

يومان يومُ مُقاماتٍ وأندية ويومُ سَيرٍ إلى الأعداء تأويبِ[4]
وكرُّنا خيلَنا أدراجَها رُجُعاً كُسَّ السَّنابكِ من بدءٍ وتعقيب[5]
والعادياتُ أَسابِيُّ الدماء بهـا كأن أعناقَها أنصابُ تَرْجيب[6]
من كل حتٍ إذا ما ابتلَّ مُلْبَدُه صافي الأديم أسيلِ الخدِّ يَعْبوب[7]

---

(١) العقيلة : الكريمة . التلاد : القديم ، يقـال للذكر والأنثى والمفرد والجمع ، وتاؤه في الأصل مبدلة من واو .

(٢) أحبسها : أحفظها عندي لا أبيعها ، ولا أهبها بسبب حبي الشديد لها .

(٣) المفضليات ص ٢٢٤ .

(٤) التأويب : سير يوم إلى الليل . أي له يومان : يوم في المقامة خطيباً ، ويوم يسير إلى الأعداء . المقامات : جمع مقامة ؛ بفتح الميم وهي المجلس ، أو بضمها وهي الإقامة .

(٥) السنابك : مقاديم الحوافر . الأكس : المتثلم ، مأخوذ من قولهم : رجل أكس وامرأة كساء ، وهما اللذان تحاتت أسنانها وقصرت . رجع أدراجه : أي في الطريق التي بدأ فيها . رجعا . هزيلة . البدء : الغارة الاولى . التعقيب : الغارة الثانية .

(٦) العاديات : الخيل . أسابي : طرائق ، واحدتها إسباءة . أنصاب ترجيب : جمع نصب ، ينصب للذبح في رجب ؛ فشبه أعناقها لما عليها من الدم بالحجارة التي يذبح عليها .

(٧) الحت : السريع . ابتل ملبده : أي من العرق ، والملبد : موضع اللبـد من ظهره . صافي الأديم : أي صفا جلده لحسن القيام عليه وقصر شعره . اليعبوب : الطويل، ويقال الواسع الخطوة وهو الكثير الأخذ من الأرض بين الخطا .

لَيس بأُسْفَى ولا أَقْنَى ولاسَغِل

يُعطَى دواءَ قَفِيٍّ السَّكْنِ مَرْبوب (١)

في كل قائمةٍ منه إذا اندفعت منه أَسَاوٍ كفَرْغ الدَّلو أُثعوب (٢)

كــأنه يَرْفئِيٌّ نام عن غنم مُسْتَنْفرٍ في سواد الليل مَذءوب (٣)

يرقى الدَّسِيعُ إلى هادٍ له بَتِعٍ في جُؤْجُؤٍ كمَداك الطيب مخضوب (٤)

تَظَــاهَرَ النِّيُّ فيــه فهو مُحْتَفِل

يُعطِي أَسَــاهِيَّ من جَرْيٍ وتَقريب (٥)

يُحاضِر الجُونَ مخضرّاً جَحافِلُها

ويسبق الألف عفْواً غير مضروب (٦)

---

(١) الأسفى : الخفيف الناصية . الأقنى : الذي في انفــه أحديداب . السغل : المضطرب الأعضاء . القُنْفية : الأثرة . القفي : الضيف الكريم أو ما يخبأ له من طعام يختص به . ومراده بالدواء ما يداوى به الفرس في ضمره أو اللبن تغذى به الخيل وتؤثر . السكن : جماعــة بيوت الحي ، أي يؤثر بما عندهم . المربوب : الذي يغذى في البيوت لا يترك يرود لكرامته على أهله .

(٢) الأساوي : الدفعات من الجري، شبهها في كثرتها بانصباب الدلو بالماء في السهولة . أثعوب: سائل . فرغ الدلو : مخرج الماء منها .

(٣) اليرفئي : هنا الراعي الجافي نام عن غنمه حتى وقعت فيها الذئاب فقام من نومه مذعوراً لذلك ، فشبه الفرس به لحدته وطموح بصره ؛ وإذا روي مذءوب بالجر كان صفة للغنم .

(٤) الدسيع : مفرز العنق في الكاهل . المداك : الصلاية . الجؤجؤ : الصدر ، يريد أن جؤجؤه مخضوب بالدم . الهادي : العنق . بتع : طويل .

(٥) النيء : الشحم ، محتفل : كثير . أساهي : ضروب وفنون ، ولا واحــد الأساهي . تظاهر : تتابع . التقريب : دون الجري .

(٦) الجون : الحمير. يحاضرها : يطاولها الجري حتى يبلغها فيصيدها . والإحضار والحضر: شدة الجري . الجحافل للحمير : بمنزلة الشفاه من الناس ، والمشافر من الإبل ، والمقمة والمرمة من الغنم والبقر ، والفقم من الحية . واخضرارها من أكل الخضرة ، وذلك أشد لها وأسرع .

كم فقيرٍ بإذنِ اللهِ قد جَبَرتْ   وذي غِنًى بوأته دار محروب[1]
مما تُقَدِّم في الهيجا إذا كَرِهت   عند الطعان وتُنجي كلَّ مكروب

وقال طفيل الغنوي :

وفينا رِباطُ الخيلِ كلُّ مُطَهَّم   رَجيل كسرحان الغضا المتأوب
يُذيقُ الذي على ظَهر مَتْنـــه   ظلالَ خذاريف من الشد مُلْهِب
وجرداء ممراحٍ نبيلٍ حزامُها   طروح كعود النبعة المتنخّب
تُنيف إذا اقورت من القود وانطوت   بهادٍ رفيعٍ يقهر الخيل صَلْهب
وعُوجٍ كأحناء السَّراء مَطَت بها   مَطاردُ تهـــديها أسنةُ قَعْضَب
إذا قيل نَهْنِهْها وقد جَدَّ جدُّهـا   ترامَتْ كخُذْروف الوليد المثقَّب

...

بناتُ الغرابِ والوجيهِ ولاحقٍ   وأعوجَ تنمي نسبةَ المتَنَسِّب
ورِاداً وحُوّاً مُشْرِفاً حَجَباتُهـا   بنات حِصانٍ قد تُعولِمَ مُنْجِب
وكُمتاً مُدمّاة كأنّ مُتونهـــا
جرى فوقَها واستشعَرَت لونَ مُذهب
نزائغ مقذوفاً على سَرَواتِهـــا   بما لم تُخالِسْها الغُزاة وتُسهب
تُبارِي مراخيها الزِّجاجَ كأنها   ضِراءٌ أحسَّت نَبْأة من مُكلِّب

---

(١) جبرت : أغنت ولمت شعثه . بوأته : أنزلته . المحروب : الذي حرب ماله .

كأنَّ يَبِيسَ الماءِ فوقَ مُتونها أشاريرُ مِلحٍ في مباءة مُجْرِب

مِن الغَزْو واقورَّت كأن متونَها زَحاليفُ وِلدانٍ عفَتْ بعدَ مَلْعب

وأذنابُها وَحْفٌ كأنَّ ذيولَها مجرُّ إشاءٍ من سُمَيحة مُرْطِب

وتمَّت إلى أجوازِها وتقَلْقلتْ قلائدُ في أعناقِها لم تُقَضَّب

كأن سُدَا قُطْنِ النوادفِ خلفَها إذا استودَعَتْه كلَّ قاعٍ ومُذْنَب

إذا هَبطتْ سهلاً كأنَّ غُبارَه بجانبه الأقصى دواخِنُ تَنْضُب

كأن رِعالَ الخيل لما تبدَّدَتْ بَوادِي جرادِ الهَبْوَةِ المتَصوِّب

وهِصْنَ الحصَى حتى كأن رَضاضَه ذُرَا بَرَدٍ مِن وابلٍ مُتَحلِّب

يُبادِرْن بالفرسان كلَّ ثنيَّة جنوحاً كفُرَّاط القطا المتسرِّب

وعارضتها رَهْواً على مُتتابعٍ شديدِ القُصَيْرَى خارجيٍّ مُحَنَّب

كأن على أعطافه ثوبَ مائحٍ وإنْ يُلقَ كلبٌ بين لَحْيَيْه يذْهَب

كأن على أعرافه ولِجامِه سَنا ضَرَمٍ من عرفجٍ مُتلهِّب

إذا انصرفت من عَنَّة بعد عَنَّة وجرسٌ على آثارها كالمؤلَّب

تصانع أيديها السَّريح كأنها كلابُ جميعٍ غرةَ الصيفِ مُهْرَب

إذا انقلبتْ أدتْ وجوهاً كريمةً محبَّبةً أدَّيْنَ كلَّ مُحبَّب

حذتْ حولَ أطنابِ البيوت وسوَّفتْ

مَراداً وإنْ تُقرع عَصَا الحرب تُركَب

...

فرحن يبارين النهابَ عشيَّة ... مقلَّدة أرسانَها غير خيب
معرَّقة الألحى تلوح متونُها ... تثيرُ القطا في منقل بعدَ مقرب
لأيامها قيدت وأيامها جرت ... لغُنم ولم تؤخذ بأرض وتُغْصَب
كأن خيالَ السّحل في كل منزل ... يضعن به الأسلاء أظلاء طحلب
طوامح بالطرف الظراب إذا بدت ... محجلة الأيدي دماً بالمخضّب
وللخيل أيام فمن يصطبر لها ... ويعرف لها أيامها الخير تُعقب

٤ – وقال زهير بن أبي سلمى في مدح هرم بن سنان [١] :

القائدُ الخيل منكوبا دوابرُها ... منها الشنُون ومنها الزاهق الزَّهِم [٢]
قد عوليت فهي مرفوع جواشنُها ... على قوائمَ عوجٍ لحمُها زِيَم [٣]
تنبذ أفلاءها في كل منزلة ... تنتخ أعينَها العِقبانُ والرُّخَمُ [٤]
فهي تتلع بالأعناق يتبعها ... خلْجُ الأجرّة في أشداقها ضجَم [٥]

---

(١) العقد الثمين : القصيدة رقم ١٧ ابتداء من البيت ١٥ ، ص ٩٨ .

(٢) الشنون : بين السمين والمهزول . الزاهق : السمين ، والزهم : أسمن منه .

(٣) عوليت : خلقت مرتفعة ، لا يدنو صدرها من الأرض . الجواشن : الصدور . عوج : ليست مستقيمة . وإذا كان في رجلي الفرس قوس (انحناء) ، وفي يديه قنا (اعوجاج) كان أسرع ما يكون . زيم : متفرق عن رؤوس العظام ، أي ليس بمجتمع في مكان واحد .

(٤) أفلاءها : أولادها .

(٥) تتلع بالأعناق : أي تمد أعناقها ، لأنها مقرونة بالإبل . ضجم : ميل . خلج : جذب . الأجرة : جمع جرير وهو حبل من جلد ، يقول الخيل مقطورة بالإبل فإذا استعجلتها الإبل لم تدركها الخيل حتى تمد جحافلها فتبلغ أعجاز الإبل لأن الخيل أبطأ إذا كانت مع الإبل .

تخطو على رَبذات. غير فـــائرة تُحْذَى وتُعقد في أرساغها الخدم (١)

قد أبدأت قُطفـــاً في المشي مُنْشَزَةَ الـ

أكتاف تنكُبُها الحِزَّان والأَكَم (٢)

يهوي بها ما جد سمحٌ خلائقُه حتى إذا ما أناخ القومُ فاحتزَمُوا (٣)

صدَّتْ صدوداً عن الأَشوال واشْتَرَفَتْ

قُبْلاً تَقَلْقَل في أعناقهـــا الجِذَم (٤)

٥ ــ الإبل

أما الإبل فلم تحظ من شعر الحرب بمثل ما حظيت بـه الخيل منه ، فبينما نرى الخيل ذكرت ، إن كثيراً وإن قليلاً ، في كل قصيدة هامة ، نجد الإبل لم تذكر إلاّ لماماً . ولكن مع أن مـا قيل من شعر الحرب في الإبل قليل بالنسبة لما قيل في الخيل ، فإن هذا القليل قد استوعب كل مـا يتصل بالإبل من حيث دورها في حروب الجاهليين .

وقد أشرنا فيما سبق إلى أن الإبل كانت تعتبر مال القوم وعماد حياتهم في ذلك الوقت ، ولذلك إذا توقعوا شراً أو توجسوا خطراً ، أو أحسوا تهديداً أو وعيداً ، كان من السهل عليهم - محافظة على إبلهم واعتماداً عليها — أن يرحلوا عن مكان حلهم ، وينزلوا في ديار أكثر أمناً ؛ دون أن يلحقهم ضـيم

---

(١) ربذات : سريعات الرفع والوضع . فائرة : ينتشر عصبهـا ، ويقال للعرق إذا ورم وانتفخ فائر . تحذى : أي تنعل دائماً . الخدم : سيور تشد بها النعال .

(٢) أبدأت : سارت في أول الأمر . القطوف : الذي ينفض يديه في سيره ويقارب خطوه. منشزة : مرتفعة . تنكبها : تؤثر فيها . الحزان : الأماكن الغلاظ .

(٣) احتزموا : استعدوا للقتال .

(٤) الأشوال : بقايا ما في الأوعية ، أي عرضوها على الماء فصدت عنه .

أو تنزل بهم خسارة ، وكان ذلك سهلاً يسيراً لهم ، بعكس هؤلاء الذين يعيشون في القرى والبلاد ذات الزروع والدُّور والأبواب ، قال الأعشى [١] :

لسنا كمن جعلت إيادُ دارَهــا
تَكْرِيتَ تنظُرُ حَبَّها أن يُحْصَدَا [٢]

قوماً يعالج قمَّلاً أبناؤهم وسلاسلاً أُجداً وباباً مُؤصدا [٣]

جعــل الإلهُ طعامَنا في مالنا رزْقاً تضمَّنه لنــا لن يَنْفَدا [٤]

مثلَ الهضابِ جَزارة لسيوفنـا فإذا تُراع فإنها لن تُطردا [٥]

ضمِنتْ لنــا أعجــازُهن قُدورَنـا
وضُروعهُن لنــا الصَّريحَ الأَجردَا [٦]

ولعظم قيمة الإبل وأهميتها في ذلك الوقت ، كان الناس يعتزون بهـا ، ويستكثرون منها بكل مـا يستطيعون ، ومن ثم كانت من أسباب الغارات طمعاً في أخذها غنائم . ولهذا كانت الإبل تحاط بدفاع قوي متين ، وتصدى أصحابها لصد المغيرين ودفعهم بالسلاح ، محافظة على مـالهم وقوام حياتهم ، قال المسيب بن علس [٧] :

رأوا نَعماً سُوداً فهمُّوا بأخذه إذا التَفَّ من دون الجميع المُزَنَّمُ

---

(١) ديوانه : القصيدة رقم ٣٤ .

(٢) يريد الشاعر : لسنا كإياد حراثين ، قد اتخذوا تكريت داراً ، فهم لاصقون بأرضهم ينتظرون الحصاد .

(٣) أي قوماً خاملين يقضون الوقت في معالجة القمل المنتشر في أبدانهم ، وقـد أوثقوا بالسلاسل ، وغلقت دونهم الأبواب .

(٤) أي جعل الله طعامنا في الإبل ، نرحلها حيث نشاء . رزقاً لا ينفد .

(٥) ضخمة كالهضاب . جزارة : أي نعقرها بسيوفنا للضيفان . لا يطردها مروع أو مغير .

(٦) ضمنت أعجازها قدورنا أن تفرغ . وضمنت ضروعها لنا اللبن خالصاً صافياً .

(٧) ديوان الأعشى ص ٣٢٨ .

ومِن دُونِه طَعْنٌ كأن رشاشة   عَزَالى مَزادٍ والأسنةُ تَرْذُمُ

وقال طفيل الغنوي [1] :

غنمْنَا أباها ثُمَّ أحرَزَ نسلَها   ضِراب العِدا بالمشرفي المصمَّم

ولأهمية الإبل في حياة العربي نجدها لعبت دوراً خطيراً في الحرب من نواع عدة ، وكانت مجالاً لقول الشعر في مناسبات كثيرة .

فإذا ما أحس شاعر القبيلة أن قوماً يدبرون غارة للهجوم على قبيلته ، كان ينذر قومه ، ويحذرهم من أن تلهيهم الإبل عن الاستعداد للعدو واتخاذ الحيطة ضد هجومهم ، وينبههم إلى أن الاشتغال بتثميرها قد يكون من صالح الأعداء ، فمن ذلك ما قاله لقيط الإيادي يحذر قومه ضد غارة كسرى [2] :

لا تُلْهِكم إبلٌ ليستْ لكم إبلٌ   إن العدوَّ بعظمٍ منكُمُ قَرَعَا

لا تُثْمِرُوا المال للأعداء إنهُمُ   إن يَظهروا يحتووكم والتلادَ معا

هيهات لامالَ مِن زرع ولا إبل   يرْجَى لغابركم إن أنفُكم جُدِعا

واللهِ ماانفكتِ الأموالُ مذأبدٍ   لأهلها إن أصيبوا مرةً تَبَعا

وكان الرجل يتخذ ناقته راحلة تحمله للذهاب إلى قومه إذا كان بعيداً عنهم ليخبرهم بما ينوي الأعداء القيام به من الإغارة عليهم . وفي تلك الحالة – إذا كان شاعرا – كانت هذه الرحلة تثير شاعريته ، فينطلق لسانه مترجماً إحساساته في ذلك الوقت . فكان يصف لنا الناقة والرحلة والمشاق التي تكبدها في سبيل ذلك . من هذا مثلا ما قاله عميرة بن طارق [3] :

---

(١) ديوانه ص ٤٦ بيت ٢٨ .
(٢) مختارات ابن الشجري .
(٣) النقائض ص ٥٠ .

ولما رأيت القومَ جدَّ نفيرُهم دعوتُ نَجِيي مُحرِزا والمثلَّما
وأعرضَ عَنّي قعْنَبٌ وكأنما يرى أهلَ أودٍ من صُداء وسلهما
فكلَّفتُ ما عندي من الهمّ ناقتي مخافةَ يومٍ أن أُلامَ وأندما
فمرَّت بجنب الزَّور ثُمَّةَ أصبحتْ وقد جاوزتْ بالأقحوانات مَخْرما
كأن يديها إذ أجدَّ نَجاؤها يَدا مُغولٍ خَرْقاءَ تُسْعِدُ مأتما
تُرائي الذين حولها وَهْيَ لَبُّها رخيٌّ ولا تبكي لشجوٍ فَتثْلَما
ومرّت على وَحْشيِّها وتذكرتْ نَصِيًّا دماءٍ من عُيَيَّةَ أسْحَما
فقامت عليه واستقر قُرُورُها من الأين والنكراء في آل أزنما
سأجشمها من رَهْبَةٍ أنْ يعزَّهم عدوٌّ من المدْماة والأمر مُعْظَما

وكان القوم المغيرون يتخذون من الإبل رواحل يركبونها ، ويحملون عليهـا الأمتعة والسلاح والزاد والذخيرة ويجنبون الخيل ادخاراً لنشاطها وحفظاً لقوتها حتى يحين وقت القتال، وإذا ما قاربوا القوم المقصودين بالغارة نزلوا عن الإبل ولبسوا السلاح ، وركبوا الخيل . قال علقمة الفحل [(١)] :

تتبع جُوناً إذا ما هُيِّجت زَجَلت كأنّ دفّاً على عَلْياء مَهْزُومُ [(٢)]

(١) المفضليات ص ٨٢٠ .

(٢) تتبع جونا : أي تتبع هذه الفرس سود الإبل ، أي تقاد وراء الإبل فتتبعها . هيجت : أي للحلب . زجلت : ارتفعت أصواتها وحن بعضها إلى بعض فكأن حنينها دف مهزوم أي مخروق فهو أبح للصوت . علياء : مكان مشرف فذلك أبين لصوته رأرفع له .

يَهْدِي بها أكلفُ الخدّين مختبرٌ من الجمال كثير اللحم عَيْثُوم [١]

إذا تزغّم من حافاتها رُبَعٌ حنّت شغاميم في حافاتها كُومُ [٢]

وقال عبيد بن الأبرص [٣] :

تمشي بهم أُدْمٌ تَئِطّ نسوعُها خوصٌ كما يمشي الهجانُ الرَّبْرَبُ [٤]

وقال الأعشى [٥] :

ودُروعٌ من نسج داودَ في الحر بِ وسُوقٌ يُحْمَلن فوق الجمالِ

وقد تحدث الشعراء كذلك عن أخذها غنائم في الحرب . قال طفيل الغنوي [٦] :

اخـــذنا بالمخطّم مَن عَلِمْتُم من الدُّهمِ المزَنّمةِ الرِّغاب

---

(١) يهدي بها : أي يتقدم هذه الإبل ويهديها جمل أكلف الخدين ، والكلفة : سواد في اللون وغبرة . مختبر : أي جرب الأسفار واستعمل فيهــا كثيراً . كثير اللحم : عظيم الخلق غليظ . العيثوم : العظيم الخف ، وقيل هو الفيل ، شبه به الجمل في العظم .

(٢) تزغم : صوت ، ويقال تزغم الفصيل إذا حن حنيناً خفيفاً أي خفياً ، الربع : الفصيل المولود أول الربيع وهو أحسن النتاج . الشغاميم : الطوال . الكوم : العظام الأسنمة . حنت : صوتت ، أي تجاوب أولادها وحن بعضها إلى بعض .

(٣) ديوانه ص ١٤ بيت ١٤ .

(٤) أدم : إبل بيض . تئط : تصيح ، ولا يكون الأطيط إلا للرحل إذا كان جديداً . خوص : غائرة العيون . الهجان : الإبل البيض . الربرب : جماعة البقر ، شبهها بالبقر لبياضها .

(٥) الاعشى : ديوانه ص ١١ ب ٥٨ .

(٦) ديوانه ص ٥٥ ب ١٢ .

وقال زهير بن أبي سلمى [١] .

إذا نهبُوا نهباً يكون عَطاءهُ   صَفايا المخاضِ والعشارُ العواطل

وقال ساعدة بن جؤية [٢] :

واستدبروهم يكفئون عُروجَهُمْ   مَوْر الجَهام إذا زَفَتْه الأَزْيَب

وقال ايضاً [٣] :

فجلَّوا بأسَاري في زِمَـــامِهمُ   وَجاملٍ كحَزيم الطَّود مُقتَسَم

وهنا يحاول الشعراء أن يصفوا الإبل بالكثرة والعظم والسمن ، ليعظموا مقدار ما أخذوه من العدو ، ومبلغ جهدهم في تخليصه من أصحابه ، إذ أن ذلك لا يكون عادة إلا في مواطن الفخر أو الهجاء .

وكانت الإبل تدفع ديات للقتلى حسما للنزاع ، ومنعاً لحدوث معارك أخرى وكان يدفعها القاتلون ، أو قوم آخرون بدافع حب السلم والإصلاح بين المتنازعين . وكان دفعها دية يثير الشعراء ، فقالوا فيه من الشعر الكثير . من ذلك :

فلو أن حيًّا يقبَلُ المالَ فديةً   لسقنا لهم سَيْلاً من المال مُفْعَما

ولكــنَ أَبى قومٌ أصيب اخوهم
رضا العـارِ فاختاروا على اللبن الدّما [٤]

وقول زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان وزميله الحارث حين تحملا

(١) ديوانه « طبعة دار الكتب » ص ٢٩٨ .
(٢) أشعار الهذليين ص ٦٤ ب ٦٣ .
(٣) أشعار الهذليين ص ٢١ ب ٤٦ .
(٤) الحماسة جـ ١ ص ٧٠ .

ديات القتلى من الفريقين المتقاتلين في حرب داحس والغبراء [1] :

تعفَّى الكُلوم بالمئين فأصبحتْ ... بنجِّمُها مَنْ ليس فيها بمُجرِمِ
ينجِّمها قومٌ لقوم غَرَامــةً ... ولم يُهَرِيقوا بينهم مِلْءَ مِحْجَمِ
فأصبحَ يجري فيهم مِنْ تِلادكم ... مغـانمُ شتَّى من إفالٍ مُزَنَّمِ

الصور الشعرية للإبل (٤٠٣ - ٤١٠) .

لقد شبه الجمل بالفيل (٤٠٧) في الضخامة ؛ وبالبقر الوحشي (٤٠٨) في حسن المنظر وجمال الجسم ، وبالطود (٤٠٩) في العِظَم ، وبالسندان (٤٠٤) في متانة الجسم وقوة التركيب واكتناز البنية ، وشبهت الإبل المسوقة بالسحاب الذي تدفعه الريح (٤١٠) في الكثرة والتحرك .

وشبهت الناقة بالقطا (٤٠٣) في سرعة الجري ، وشبهت خفة يديها وتتابعها في سرعة بحركة امرأة نائحة في مأتم (٤٠٥) . أما الصوت الذي تحدثه الإبل عندما تهيج فشبه بصوت دف مخروق في مكان عال في وضوح النغمات وارتفاعها (٤٠٦).

٦ ـ الأسلحة والمعدات الحربية

لقد ظهر لنا أن البيئة الجاهلية كانت تساعد على وجود المنازعات والمشاحنات، وانتشار الخوف والفزع، وتوقع الخطر في كل لحظة، مما نشأ عنه كثرة الحروب في أيامهم التي سبق الحديث عنها. فكان من الطبيعي أن تصبح الأسلحة والمعدات الحربية ضرورية للحياة في ذلك الوقت . لذلك اهتم العربي بها اهتماماً كبيراً ، وبذل كل ما يستطيع للحصول على أكبر كمية من خيرها وأجودها ، وقد شرح لنا الشعراء في أشعارهم وجهة نظر العربي نحو الأسلحة حينئذ ، ومنها

(١) المعلقة .

يتبين أنها كانت عدته التي يعتمد عليها لمواجهة الخطر ، قال أمية بن أبي الصلت [١] :

وأرصدْنا لريب الدهر جُرْداً تكون متونُها حصناً حصينا
وخطّياً كأشطان الركايا وأسيافاً يُقمْنَ وينحنينا

وما كان للبدوي لينزل الأماكن المخيفة لولا اعتماده على سلاحه . قال ربيعة بن مقروم [٢] :

وثغرٍ مخوفٍ أقمنا به يهابُ به غيرُنا أن يُقيما
جعلنا السيوفَ به والرماح معاقلَنا والحديدَ النّظيما
وجرداً يُقرَّبْن دون العيال خلالَ البيوتِ يَلُكْنَ الشكيما

وبعُدد الحرب كانت له الجرأة على خوض غمار الحرب ، وبها كان يُخيف مُوعِديه ، ويصدّ من يبغي ضيمَه ، قال صخر الغي ، بعد أن وصف معداته الحربية [٣] :

ذلك بَزّي ولن أفرّطه أخاف أن يُنجِزوا الذي وعدوا
فلستُ عبداً لموعِديّ ولا أقبل ضيماً يأتي به احد

وعلى درجة تلك المعدات من الوفرة والجودة تتوقف درجة الحرب ونتيجتها ، فما أُعِدّ خير إعداد كان أحسن ما يصلح للقتال .

والحربُ لا يَبقَى لجا حِمها التخيُّل والمِراح

---

(١) شعراء النصرانية ص ٢٣٣ .
(٢) المفضليات ص ٣٦٣ .
(٣) شعر الهذليين ج ٢ ص ٦١ .

إلا الفتى الصبّار في النَّـ ... ـجَدَات والفرسُ الوَقَاح

والنثرة الحصداء والـ ... ـبيض المُكَلَّل والرِّماح [1]

وما كان العربي يتمنى شيئاً يوم الشدة سوى رمح قوي حاد، وسيف حسام صقيل، وفرس جرداء سلهبة، ودرع سابغة متينة، ذلك هو كل ما كان يبغيه من مال، استمع إلى عامر بن الطفيل إذ يقول [2] :

يوم لا مال للمحارب في الحر ... ب سِوَى نَصْلٍ أسمر عَسَّال

ولجامٍ في رأس أجرد كالجذ ... ع طُوالٍ وأبيض قَصَّال

ودِلاصٍ كالنِّهْي ذات فُضُول ... ذاكَ في حلبة الحوادث مالي

وقد بلغ من اعتزاز العربي بعدات الحرب وعظم تقديره لها أن كان لو ملكها وحدها دون أن يكون في حيازته أي مال آخر لعدّ نفسه غنياً، ولو مات عنها لكان في توريثها ورثته من بعد خير غناء .

وهكذا بيّن الشعراء لنا سبب اهتمام العرب بعدات الحرب : فبها كانوا يحافظون على حياتهم، ويصونون شرفهم، ويدافعون عن عزتهم، ويرضون رغبتهم، ويحققون أمانيهم . قال عامر بن الطفيل [3] :

فما أدركَ الأوتارَ مثلُ محقّقٍ ... بأجردَ طاوٍ كالعَسيبِ المُشذَّب

وأسمرَ خطيٍّ وأبيضَ باترٍ ... وزَغْفٍ دلاصٍ كالغدير المثوَّب

سلاح امرىءٍ قد يعلم الناسُ أنه ... طلوبٌ لثاراتِ الرجال مطلَّب

(١) سعد بن مالك البكري : شعراء النصرانية ص ٢٦٤ .

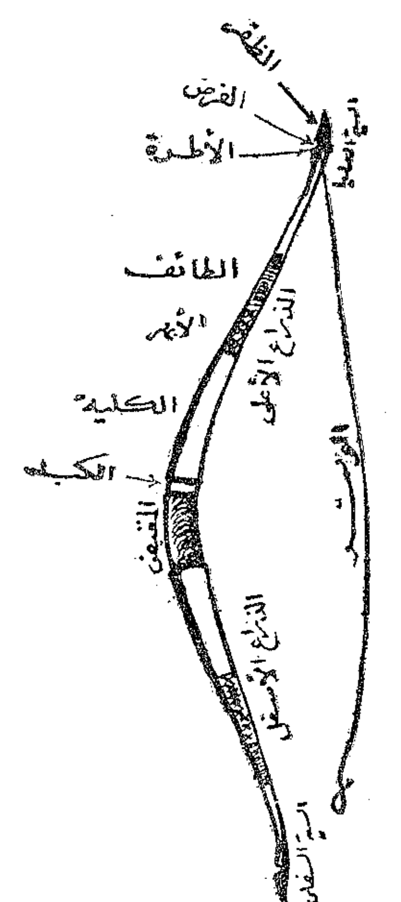
(٢) ديوانه ص ١٥٧ .

(٣) ديوانه ص ١٥٢ الأبيات ٥ — ٧ .

ومن الشعر الذي بين أيدينـــا نجد أن الأسلحة والمعدات التي استعملها الجاهليون في حربهم كانت: القوس ، والسهم ، والرمح ، والسيف ، والدرع ، والبيضة ، والترس .

وفيما يلي الحديث عن كل منها حسب الترتيب السابق :

أولاً : القوس



أجزاء القوس :

تتكون القوس من خمسة أجـزاء عدا الوتر، وهي **السِّيَتان، والذراعان والمقبض** .

وللقوس نصفان : أعلى ، وهو ما يكون في جهـــة السماء عند الرمي ؛ وأسفل وهو الذي يتجه نحو الأرض.

والأعلى عبـــارة عن الجزء الذي يبتديء من نهاية السِّيَة العليـــا إلى مقدار عرض أصبـع من المقبض. وما بقي فهو عبارة عن الجزء الأسفل وهو السية السفلى والذراع السفلي. والمقبض ناقصاً مقدار عرض أصبع .

وعرض الأصبع من المقبض مما يلي الذراع العليـــا وهو وسط القوس ، يسمى **كبد القوس** ، وهو الموضـع الذي يمر منه السهم عند الرمي .

ويقع في منتصف القوس ، ليوجد التوازن المطلوب لدقة الرمي وضبطه .
وها هي ذي تفصيلات كل جزء من الأجزاء الخمسة السابقة :

السية :

السية هي الجزء المنحني عند طرَفي القوس ، وفيها :

١ – الفَرْض : وهو الموضع الذي يربط فيه الوتر .

٢ – الظفر : وهو الجزء من الفرض إلى نهاية السية، ويسميه المحترفون: العصفور .

٣ – الأُطْرَة : وهي الجزء البارز من الحرف الأسفل للفرض ويسميه المحترفون : العَقَبَة .

الذراع :

الذراع هي الجزء الذي بين السية والمقبض : ويسمى : البيت . وفيه :

١ – الركبة : وهي موضع اتصال السية بالذراع ، وهي الجزء الذي يرى بارزاً ومنحنياً .

٢ – العنق أو الطائف وهو الجزء الذي يلي السية نحو المقبض .

٣ – الكُلْيَة : وهي الجزء الذي يلي الكبد ، وهي أغلظ نوعاً ما ، وأعلى من المقبض .

٤ – الدّفة : وهي نهاية كل ذراع عند المقبض، وعندها تبتدىء المرونة.

٥ – الأبهر : وهو الجزء الذي يلي الكلية من الذراع .

المقبض :

المقبض هو الجزء الذي يقبض عليه الإنسان عند الرمي ، وفيه :

١ – الكَبِد : وهو الجزء الذي يمر فيه السهم عند الرمي ، وهو بمقدار عرض الأصبع من المقبض ، ويقع في وسط القوس .

٢ – المُرْف : وهو شيء كالجلد على ظهر المقبض ، ويسميه المحترفون الفَرَس .

٣ – الخدرود : عظم يغطي المقبض .

٤ – الإبرنجاق: قطعة من الخشب توضع على المقبض عند نهاية قرن كل من الذراعين .

وللقوس ظهر وبطن .

فالظهر : هو الجهة التي لا تقابل وجه الإنسان عند الرمي ، ويغطى بنوع من الجلد .

والبطن : هو الذي يكون مقابل وجه الإنسان عند الرمي ، ويغطى بالقرن .

خشب القوس :

ذكر الشعراء أن القسي كانت تصنع من خشب النَّبع ، أو الشوحط ، أو الشرْيان . والواقع أن هذه الأسماء الثلاثة لنوع واحد من الشجر ، ولكن تختلف أسماؤه باختلاف أماكنه .

فالنبع : ما كان في قلة الجبل .

والشريان : » » » سفح الجبل .

والشوحط: » » » الحضيض .

أما الوتر فيصنع عادة من الجلد ، وأحسنها ما كان من جلد الإبل غير السمينة [١] .

---

(١) راجع تفصيلات هذا في كتاب : Arab Archery

وقد ذُكرتْ قليلاً أسماء أنواع أخرى من الخشب تعمل منها القسي: وهي: السندرة[1] : وهي شجرة للقسي والنبل ؛ والسَّرَاء : واسم الشجرة منه : سَرَاة[2] ؛ وشجر الحرم[3] نسبة إلى الحرم .

حديث الشعراء عن القوس :

تحدث الشعراء عنها في معرض النصح ، والتهديد ، والفخر ، والوصف.

وكان حديثهم عنها يدور حول الخشب الذي صنعت منه ، وصنعها ، وأهم صفاتها المستحسنة . أما الخشب الذي صنعت منه ، فقد أكثر الشعراء من ذكر شجر النبع ، وذلك - على ما يظهر - لأنه ينبت في قمم الجبال . ولذلك افتخر بعضهم بأن الشجر الذي صنعت منه قوسه لم يشرب من ماء الأنهار[4] ، وليس شجراً خوار؛ ولشدة إعجابهم بشجر المرتفعات نجد بعض الشعراء حاول أن يذكر لنا قصة طويلة يصف فيها ما ناله من الجهد والإعياء حتى توصل الى الشجرة التي أخذ منها فرعاً ليصنع منها قوسه ، حيث كانت في قمة جبل عال تحيط به صخور ملساء صلبة، أدمت يديه ورجليه وأظفاره، وبلغ منه الإعياء درجة همَّ عندها أن يصرف نظره عن الحصول على هذا الفرع . وفضّل الشعراء ما كان خشبها من أعلى الغصن[5] ، ولم ينبت قضيبها أعوج[6] .

وأما صنعها : فخيرها ما تتبعها باريها حتى جعلها مطرورة متتابعة ، ولم يهمل فيها، بل قام عليها قياماً حسناً، حتى تمت ، ليس فيها عيب من العيوب.

---

(١) أبو جندب : أشعار الهذليين طبعة دار الكتب ج ٣ ص ٩٣ .

(٢) عنترة : العقد الثمين، قصيدة رقم ١٥ .

(٣) حسيل بن سجيح : الحماسة ج ١ ص ٢٢٢ .

(٤) راشد بن شهاب : المفضليات ص ٦١٢ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ج ٢ ص ٢٦ .

وأهم صفاتها المحمودة ، أن تكون متوسطة؛ لا يشينها طول ، ولا يعيبها قصر[١] ؛ مضلوعة أي شديد.[٢] ؛ سمحة أي سهلة ،وليست بكزة، تعطي ما عندها عفوا [٣] ؛ كانفة، أي ليس فيها صدع [٤] ؛ وليس بها وقر أي ثلم[٥]؛ حاشكة أي تحشك بدرتها ، إذا رمي عنها أسرع سهمها [٦] ؛ هتوف ، أي مصوّنة، صوتها غرِد ، بعيد؛ مَصُونة، تحفظ في عناية ليوم الحاجة إليها[٧].

وقـــد أكثر الشعراء من ترديد أصفرارها ، وإن كان يوصف ليطها [٨] بالاحمرار [٩] . وورد في أشعارهم .

١ – **قِسِيّ زارِرة** : وهم حي من أزد السراة [١٠] .

٢ – **الماسخية** : وهي الأقواس التي نسبت إلى ماسخة ، وهو قواس أزدي [١١]. ويقال إنه أول من عمل القسي من العرب .
والقواسون والنبالون من أهل السراة كثير لكثرة الشجر بالسراة [١٢] .

٣ – **قوس رَضَوِيّة** : نسبة إلى رضوي ، وهي امرأة [١٣] .

---

(١) أوس بن حجر ؛ شعراء النصرانية ص ٤٩٥ .
(٢) المتنخل :ديوان الهذليين جـ ٢ ص ١١ .
(٣) أبو المثلم : ديوان الهذليين جـ ٢ ص ٢٣٠ .
(٤) المرجع السابق .
(٥) المتنخل : ديوان الهذليين جـ ٢ ص ١١ .
(٦) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين جـ ٢ ص ٢١٦ .
(٧) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٢٢ ب ٣٣ .
(٨) الليط : القشر الأعلى .
(٩) ديوان الهذليين جـ ٢ ص ١٢ .
(١٠) الهذليين : ص٦٠ .
(١١) القاموس . جـ ١ ص٢٦٩.
(١٢) لسان العرب جـ ٤ ص ٢٣ .
(١٣) عنترة . العقد الثمين قصيدة ١٥ .

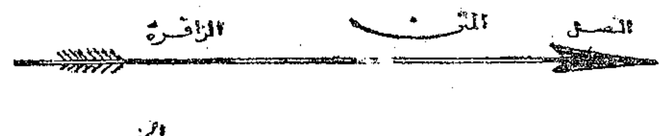
صور القوس الشعرية (٤١١ – ٤١٧) .

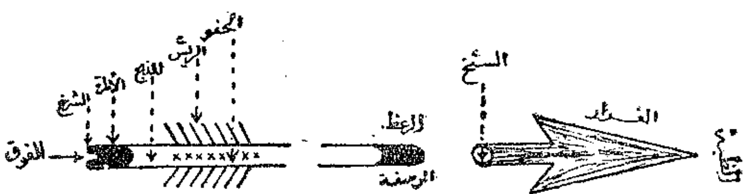
شبهت بالأضلاع (٤١٢) في الصلابة والانحناء ؛ وبحاشية الإزار (٤١٧) في المتانة والقوة ؛ والسبيكة (٤١٣ – ٤١٤) في الاصفرار والحسن وجمال الصنعة ، وشبهت براية عودها بسَمَا البُهْمَى (٤١١) ، وشبه هزمها في الوتر بصوت النحل (٤١٥) ؛ وشبه حفيفها بحفيف ريح شديدة تحطم كل ما مرت به (٤١٦) .

ثانياً : السهم

السهم : ما يُرْمى في الهدف ، وهو قبل أن يُرَيَّش يسمى : القِدْح فإذا ما وضع عليه الريش سمي : المرّيش ، وإذا ما وضع فيه النصل فهو السَّهْم ، وهذه أجزاؤه :

١ – الفُوق أو الكَزّ : وهو الحز الذي في السهم حيث يوضع الوتر .
٢ – الشَّوْخان : مُشَنَّى شرخ ، وهما فلقتا الفوق
٣ – الأُطْرة : قطعة من الجلد تُلَف حول قاعدة الفُوق .
٤ – الحفو : وهو الجزء الذي يوضع فيه الريش .
٥ – المذبح أو الخصر : وهو ما بين أصول الفوق والريش .
٦ – الزافرة : وهو الجزء الذي يلي الحفو .
٧ – المتن : وهو الجزء الذي يلي الزافرة حتى النصل .
٨ – الرَّصَفَة : وهي قطعة من الجلد تلف حول نهـــاية السهم لتثبيت النصل فيه .
٩ – الرُّعْظ : وهو الجزء الذي يدخل فيه النصل .
١٠ – النصل أو الحديد: وهو نهاية السهم المعدنية .
١١ – الظُّبَة : وهي نهاية النصل المدببة .
١٢ – الغراران : شفرتا النصل .
١٣ – الكُلية : ما عرض من النصل مما يلي الرّصاف .
١٤ – السِّنخ : الحديدة التي تدخل من النصل في رأس السهم .





حديث الشعراء عن السهام :

تحدث عنهاالشعراء في ثنايا حديثهم عن الأدوات التي أعدوها لحروبهم ، وفي مجال النصح والتهديد لمن تحدثه نفسه بالاعتداء ، وفي مقـــام الإثارة ، إذ ينصحون القوم باتخاذ أحسنها ؛ وافتخروا بجودتها ، وحسن صنعها ، وشدة إحكامها ، وجمال هيئتها بحيث تسر الخبير بها ، وبسرعتها ، وقوتها ، ممـــا يجعلها شديدة الوقع عظيمة الأثر .

وخيرها عندهم ما أخذ من أجود شجر السهام بحيث يكون عديم العُقَد أو قليلها ، وعيدانه متخيرة منتقاة قليل أمثالها ، وقد براها صانع حاذق ، وتأنى فيها وتأمل ، حتى جاءت متقنة البري محكمة الصنع ، متينة صلبة ، كتوم ليس فيها صدع ولا شق ، قوية الأطر .

أما من حيث هيئتها ، فأحسنها ما كانت متشابهة الطول ، معتـــدلة ، وليس بها اعوجاج ، مصفرة اللون .

وورد في شعرهم ذكر أنواع من النصال منها :

المعابل : وهي النصال العريضة الطوال (١) .

والوهاب : وهي النصال المرهفة الرقيقة (٢) .

---

(١) ذو الأصبع : شعراء النصرانية ص ٦٣١ .

(٢) ديوان الهذليين جـ٢ ص ٥٩ .

والمباعج : وهي النصال العريضة .

والشجر : وهي عرائض الأوساط [1] .

والسلاجم : وهي الطوال [2] .

واستحسن الشعراء من النصال ، ما كانت خفيفة ، فيها لمعان وبريق ، وكانت مصقولة مسنونة، حادة الغرارين، وليست شديدة الرقة لئلا تتكسر، وقد لطف حدها حتى غمض ، وهي صلبة .

وخير ريشها عندهم ما كان من أقوى الطيور ، وكان أحم ، أسحم ، ناعماً ، لين الملمس ، بطن كلٍّ إلى ظهر الأخرى [3] .

وقد تحدث الشعراء عن سرعة السهام ، وشدة طيرانها ، وقوة وقعها . وورد في أشعارهم ذكر نبل يثرب [4] ؛ والسهام الحرمية أي ما صنعت من شجر الحرم [5] .

الصور الشعرية للسهم (٤١٨ — ٤٣٨) :

شبهت السهام بالسيور في النعومة ، واستواء القطع والقدر (٤١٨-٤١٩) وشبهت بأعناق الظباء (٤٣١) في الحسن والجمال ، وشبهت أطرها بمراقيب القطا (٤٣٥) في الصلابة ؛ وقورن لونها بلون الزعفران (٤٢١) في الصفرة .

وشبهت أثناء الرمي بمطر الخريف (٤٢٣) ، وبالبرَد (٤٢٤ — ٤٢٨) في الكثرة والتتابع والسرعة ، وقورنت بالنحل (٤٣٢ — ٤٣٤) في السرعة والإيذاء بمجرد اللمس . أما حركتها عند الإنطلاق ، وقوة اندفاعها ، وشدة وقعها على الهدف ، فقد شبهت بحركة الغضبان الثائر (٤٣٦) .

---

(١) ساعدة بن جؤية ؛ ديوان الهذليين ج ١ ص ٢٢٥ .

(٢) حسيل بن سجيح : الحماسة ج ١ ص ٢٢٢ . والأعشى قصيدة ٢ ب ٧٢ .

(٣) ذو الإصبع : شعراء النصرانية ص ٦٣٢ ، وساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين ج ١ ص ٢٢٥ .

(٤) طفيل الغنوي : ديوانه ص ١٣ ب ٥٧ .

(٥) حسيل بن سجيح : الحماسة ج١ ص ٢٢٢ .

وشبهت النصال بالنار (٤٢٩ – ٤٣٠) في التوهج والقضاء على كل ماتلمسه وقورنت آثارها بآثار السم (٤٢٢) في الأذى والإهـــلاك. وشبه منظرها في أجسام المصابين بالكراث (٤٣٨) لأن الكراثة بهـا ثلاث ورقات تشبه قذذ السهم .

وقد شبه الشعراء السهام بالحصن (٤٣٧) في اعـتماد أصحابهـــا عليها والتجائهم إليها وقت الشدة والخطر .

ثالثاً : الرمح

يتكون الرمـح من ثلاثة أجزاء هي :

١ – الزج : وهو حديدة تكون في أسفل الرمح .

٢ – القناة : وهي القائم الذي يثبت في أسفـــله الزج ، ويدخل في أعلاه السنان وهي ذات جـــزأين رئيسيين هما :

(أ) السافلة: وهي النصف الذي يلي الزج :

(ب) والعالية : وهي النصف الذي يلي السنان .

وقد تطلق كلمة «العوالي» ويراد بها الرمـاح أنفسها أما الجزء الذي على قدر ذراع من السنان فيسمى « عاملاً » . وذلك لأنه الجزء الذي يعمل . وقيل إن العامل هو كل الرمح، لأنه لا يعمل ببعض دون بعض؛ وقيل بل هو السنان لأنه الجزء الذي يعمل به [١] . والجـزء الذي يدخل من القناة في السنان يسمى «الثعلب» . أمـا الكعب فهو كل عقدة بين أنبوبين . والليط : قشر القناة .

٣- السنان : وهو النصل ، ويصنع من حديد .

ونهاية السنان المدببة تسمى «الظبة» .

أما الجزء الذي تدخل فيه القنـاة من السنان فيسمى « الجبة » والمسمار الذي يكون في جبة السنان حيث يركب في عاليه الرمح يسمى «الظُنبوب» .

المادة التي تصنع منها الرماح :

تقدم أن كلا من الزج والسنان مصنوع من الحديد . أما قناة الرمح فقـد قال أبو منصور الثعالبي في كتابه «فقه اللغة» إنها تصنع من نبـات الوشيج والمرّان . وقال تشارلز لايل L yall في ترجمة المفضليات : « إن الرمـاح العربية كانت تصنع من Bamboos القصب الهندي . »[١]

حديث الشعراء عن الرمح :

قد تحدث الشعراء في أشعارهم عن الصفات المحبوبة في كل جزء من أجزاء الرمح ، وأعطوا عناية خاصة للسنان وقائم الرمح ، أمـا الزج فلم يجيء في الشعر إلا مجرد ذكر اسمه فقط .

فاستحسن الشعراء من أسنة الرماح ما كان صافياً ، لامعاً ، حاداً ، ماضياً ، مصقولا .

أما قائم الرمح فأجوده عندهم ما كان أصم غير أجوف ، مطرداً ، ممتدلا

(١) Mufaddaliyyat Translation, p. 82. footnote 17.

ليس به أعوجاج ، أملس لا لحاء عليه ولا نتوء، صلبا ، غير يابس ، مارنا ، يضطرب عند اهتزازه ، لدنا لينا ، يرضي صاحبه،ويلذ به الكف كلما هز، مثقفا ، مقوّما ، وُعقدُه صلبة ليست خوارة ، وكعوبه مطّردة صحيحة . وفضلوا من ألوانه :الأحمر،والأسمر لأن كلًّا منهمايدل على الصلابة وتمام النضج. وخير الأسنة ما كان أزرق لأنه يدل على صفاء معدنه .

أما طول الرمح فخيره ما كان متوسطا،لا هو بالغ الطول،ولا شديدالقصر. وقد قال بعض الشعراء إن رمحه كان إحدى عشرة ذراعا :

وأسمر خطيا كأن كعوبه نوى القسب قد أربى ذراعا على العشر[1]

ولكن عبيد بن الأبرص اختار رمحه خَمْس أذرع :

هاتيك تحملني وأبيض صارما ومحربا في مارن مخموس[2]

طريقة وضعها عند الذهاب للحروب :

ورد في الشعر أنها كانت أحيانا توضع متجهة إلى أعلى ، فتنتصب قائمة ، قال الأعشى :

على جُرد مسوَّمة عَوابسَ تعلُك اللجما
تخال ذوابل الخطي في حافاتها أَجَما

---

(١) نسب هذا البيت في شعراء النصرانية إلى حاتم الطائي . ولكن صاحب سمط اللآلي — ص ٢٨٦ — نسبه إلى عتيبة بن مرداس أحد بني كعب بن عمرو بن تميم ، وقال هناك معقباً على طول الرمح المذكور بأن هذا أوسط القنا عندهم ، وهو المحمود ، وروى قول البحتري :

كالرمح أذرعه عشر وواحدة فما استبد بـه طول ولا قصر

(٢) ديوانه ص ٤٣ ب ١٩ .

أو توضع مائلة بحيث تكون موازية لخدود الخيل قال لبيد [١] :

يطرد الرمح يباري ظلّه　　　بأسيل كالسنان المتنخل

وقالت الخنساء [٢] :

ولما أن رأيتُ الخيلَ قُبْلا　　　تباري بالخدود شَبَا العوالي

وأحيانا كانت تعرض فوق الخيل ، قال النابغة الذبياني [٣] :

لهن عليهم عادة قـــد عرفنها　　　إذا عرض الخطي فوق الكواثب

ويظهر أن كل قبيلة كانت لها طريقة في وضع رماحها على الخيل ، بدليل هذه القصة التي يرويها أبو عبيدة في شرح النقائض عـــن يوم المروت ، إذ يقول فيها [٤] :

« ... فكان أول من لحق بنو عمرو بن تميم ، فقال بحير لأصحابه : انظروا ! ما ترون ؟ قالوا : نرى خيلا عارضة الرماح . قال : أولئكم بنو عمرو بن تميم . فلحقوا بحيرا وهو بالمروت ، فاقتتلوا شيئاً من قتال . ثم لحق بنو حنظلة ، فقال لأصحابه : انظروا ! ما ترون ؟ قالوا : نرى خيلا ناصبة الرماح . قال : أولئك بنو مالك بن حنظلة ، فقاتلوا شيئاً من قتال ، ثم لحقت خيل شماطيط ، فقال بحير : ما ترون ؟ قالوا : نرى خيلا شماطيط ليس معها رماح . قال : أولئكم بنو يربوع ، رماحهم عند آذان خيلهم » .

---

(١) سمط اللآلىء ص ٨٨١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) العقد الثمين ص ٢ ، قصيدة ١ بيت ١٤ .

(٤) النقائض (طبعة أوربا) ص ٧٠ .

أسماء الرماح :

ورد في الشعر الجاهلي الأسماء الآتية للرماح : —

(١) خطّية (٢) ردينية (٣) سمهرية (٤) يزنية (٥) هندية .

ونسبت كذلك إلى أبْزَى وشَرْعب وقعضَب .

أما الخطّية ، فمنسوبة إلى الخطّ . وقد اختلف في المقصود بالخط هذه :

فقال شارح ديوان عامر بن الطفيل : « هي قرية في البحرين ، وكانت سفن البحر ترفأ إليها في القديم [1] » ، وقال في موضوع آخر [2] : « هي جزيرة البحرين ، يقال إنها تنبت عصا الرماح » ، ثم أتبع ذلك بقوله : « قال الأصمعي : ليست بها رماح ، ولكن سفينة كانت وقعت إليها فيها رماح ، وأرفئت بها في بعض السنين المتقدمة ، فقيل لتلك الرماح : الخطية ، ثم عمّ كل رمح هذا النسب إلى اليوم » .

وقال صاحب القاموس المحيط : « هي مرفأ السفن بالبحرين ، وإليه نسبت الرماح لأنها تباع به ، لا أنه منبتها » .

وقال صاحب لسان العرب : « الخط أرض تنسب إليها الرماح الخطية . قيل وهو خط عمان . قال أبو منصور : وذلك السّيف كله يسمى الخط ؛ ومن قرى الخط : القَطِيف والعُقَير وقَطَر . قال ابن سيدة : والخط سِيف البحرين وعمان . وقيل بل كل سِيفٍ خط . وقيل : الخط مرفأ السفن بالبحرين تنسب إليه الرماح ، وليست الخط بمنبت للرماح ، ولكنها مرفأ السفن التي تحمل المسك من الهند . قال أبو حنيفة : الخط خط البحرين ، وإليه ترفأ السفن إذا جاءت من أرض الهند ، وليس الخطي الذي هو الرماح من نبات أرض العرب . وقال الجوهري : إن الخط موضع باليمامة ، وهو خط هجر تنسب إليه الرماح الخطية لأنها تحمل من بلاد الهند فتقوم به » .

---

(١) ص ١٣٧ ، بيت ٦ .

(٢) ص ١٦٣ ، بيت ٦ .

وقال شارح ديوان حسان بن ثابت :[1] « والخطي : الرماح منسوبة إلى الخط نسبة جرت مجرى الاسم العلم » .

ومن كل هذا يمكن أن نستنتج : أن الخط كان مكاناً على الشاطىء العربي للخليج الفارسي أو كل هذا الشاطىء ، وأن نسبة الرماح إليـــه لا تشير إلى المكان الذي تنبت فيه أشجـــار الرماح ، لكن للمكان الذي ترد إليه من الخارج، أو تُقَوَّم به ، وأن هذه النسبة في الأصل كانت صفة لنوع مخصوص من الرماح ، ثم أصبحت تطلق على كل رمح فصارت اسماً للرمح أيّاً كان .

أما الرماح **الردينية** ، فنسبة إلى ردينة ، وهي امرأة كانت تقوّم الرماح بالخط في البحرين[2] .

وأما **السمهرية** ؛ فنسبة إلى سَمْهَر زوج ردينـــة ، وكانا مثقفين للرماح ، وقيل إنها نسبة إلى قرية بالحبشة[3] .

و**اليزنية** : نسبة إلى ذي يزن أحد ملوك حمير .

و**الهندية** : نسبة إلى الهند .

أما **أبزى وشرعب** ، فقد ذكر الأعشى في أحد أبياته[4] ما يفهم منه أنهما كانا رجلين يقومان بسَنّ الرماح .

وأما **قعضب** ، فهو رجل قيل إنه كان يعمل الأسنة في الجاهلية[5] .

وأكثر هذه الأسماء وروداً في الشعر : الخطية ، وقل عنها ذكر الردينية، ثم السمهرية ، ثم اليزنية .

---

(١) ص ١٣١ ملاحظة رقم ٣ .

(٢) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٣٧ بيت ٦ . والمفضليات ص ١٠٩ بيت ١٦ .

(٣) القاموس المحيط .

(٤) ديوانه قصيدة رقم ٣٠ بيت رقم ٢٦ .

(٥) ديوان طفيل الغنوي ص ٦٥ .

الصور الشعرية للرمح (٤٣٩ - ٤٨٨) :

قد صوّر الرمح بصورة الشطن (٤٣٩ - ٤٤٧) في الطول مع الاستقامة والاطراد وبصورة الخيزران (٤٥٣) في الليونة والمرونة ، وأشير إلى ملاسته ولمعانه بأنه كأنما تغشاه زيت سائل (٤٤٩).

وشبهت حركة اضطرابه عندما يهتز بحركة الثعلب الذي يعسل في الطريق (٤٥٣) ، والثعبان الذي يبحث عن مأوى في الرمل (٤٥٤) ، وذلك في الروغان والاضطراب في الحركة ، كما شبه بالمسد (٤٤٨) في القوة والمتانة ، وشبهت كعوبه بالنوى (٤٥٥-٤٥٨) في الصلابة .

أما السنان فقد شبه بالشهاب (٤٥٨-٤٦١) في التلألؤ والبريق ؛ وبالنار (٤٦٢-٤٦٧) في التوهج وإهلاك من تصيبه ؛ وبالمصباح (٤٦٨-٤٧٠) في الضياء والتوهج ؛ وبالهلال (٤٧١) في الضياء مع الاستدارة والنحافة . وعند الطعن به شبه سنانه بخرطوم النسر (٤٧٤) في التقوس وشدة الفتك ؛ وبالحيوان المحرب اللحم (٤٧٥) في حبه للافتراس والتهام لحوم الفريسة ؛ وبالعطشان الذي يبحث عما يروي ظمأه (٤٧٧-٤٨٤) وذلك في قوة الحركة وشدة الاندفاع في سبيل الحصول على ما يشفي غلته .

وشبه الصوت الذي يحدث وقت الطعن به بصوت الرماح عندما توضع في الثقاف لتقويمها (٤٨٥) ، أما أثر الرماح في المطعون بها فكالسم (٤٨٦) ، وشبهت قطعها المكسرة في الموقعة بقطع الحصير التي تقطعها الشواطب على قدر ذراع لعمل الحصر (٤٨٧) . وشبهت كثرة الطعن بها وتتابعه وتساقط الدم منها بالسيل الكثير المطر (٤٨٨) .

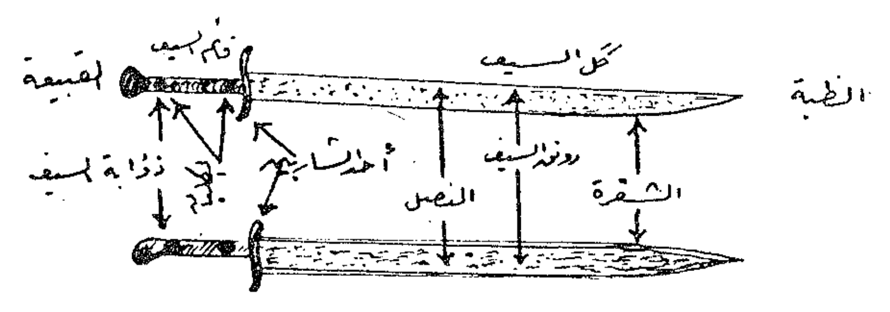
وقد شبهت الرماح بالأجم (٤٥٠-٤٥١) في الطول مع الكثرة والكثافة كما شبهت على سبيل السخرية والتهكم بالأعداء – بمكان القيل (٤٧٢) وهو المكان الذي يلجأ اليه الإنسان ليستريح في الظهيرة. وكذلك شبهت باللاعب (٤٧٦) كأنها تتخذ القوم المطعونين بها لعبة لها .

رابعاً : السيف

يتكون السيف من الأجزاء الآتية :

١ – **قائم السيف** : وهو مقبضه . والسَّفَن : الجلدة المحببة التي يلبسها القائم .

٢ – **الكلبان** : وهما المسماران المعترضان في القائم . والأعلى منهما يسمى ذؤابة السيف . ورأس الكلب تسمى الشّعيرة .



٣ – **الشاربان** : وهما الحديدة المعترضة في أسفل القائم على فم الجفن، ولها طرفان ينظران عن يمين وشمال .

٤ – **القبيعة** : وهي الحديدة العريضة التي تلبس أعلى القائم وتسمى القُلّة .

٥ – **النصل** : وهو حديدة السيف .

٦ – **السيّلان** : (في النصل) ، وهو سِنْخه الذي يدخل في القائم .

٧ – **المضرب** ، وهو الموضع الذي يضرب به .

٨ – **الشفرتان** : وهما حد السيف .

٩ – **الظبة** : وهي نهايته .

١٠ – **رونق السيف** ، أو ماؤه ، أو فرنده ، أو أثره ، وهو الوشي الذي يكون في متن السيف ، وقيل : الأثر : ما استبنته من فرنده .

١١ — الرُّبَد : لمُعَ تكون في متنه تخالف لون الأثر .
١٢ — كل السيف : قفاه الذي ليس بحاد .

حديث الشعراء عن السيف :

تحدث الشعراء الجاهليون في شعرهم الحربي عن السيف من عدة نواح ، هي : —

مادته ، وصفاته المحبوبة ، وعناية صاحبه به ، وحدّته وأسماؤه ، ثم الصور التي رسموها له ولأجزائه .

أما مادة السيف ، فخيرها عندهم ما كان مصنوعاً من خالص الحديد ، وأخلصته الصياقل حتى صار نقياً [١] ، وأصبح خالياً من العيوب [٢] ، صافي الجوهر بحيث يخفى جرسه عند استلاله [٣] .

وأحبوا من السيوف ما كان خفيف النصل [٤] ، ورقيق الشفرتين [٥] ، أملس ، لينا ، صقيلا أبيض ، يتلألأ حده ، وتبرق صفحته .

أما اهتمام صاحبه به فيتجلى في محافظته عليه ، وإدامة جلائه وصقله ، وإغماده في قرابه ، وتحليته بحلى جميلة كالتمويه بالذهب [٦] أو نقوش مختلفة كرسم حية أو سمكة . ومن ثم كان بعضهم يسمي سيفه تبعاً للرسم الذي عليه ؛ فذو الحيات كان سيف الحارث بن ظالم ، وذلك لرسم حيتين عليه [٧] ؛ وذو النون كان سيف مالك بن زهير لنقش صورة سمكة عليه [٨] ؛ وذو الفقار سيف

---

(١) مزرد : المفضليات ص ١٧٥ الأبيات ٤٥ — ٤٩ .
(٢) الحصين بن الحمام : المفضليات ص ١٠٨ ب ١٥ .
(٣) مزرد : المفضليات ص ١٧٦ ب ٤٩ .
(٤) ديوان الهذليين (طبعة دار الكتب) ج ٣ ص ١٦ ب ٤ .
(٥) المفضليات ص ٦٢٣ ب ٧ .
(٦) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٥٦ ب ١ .
(٧) المفضليات ص ٦١٦ ب ٥ .
(٨) النقائض ص ٨٩ .

مرثد بن سعد عم عمرو بن قميئة، وذلك لوجود حزوز فيه مطمئنة عن متنه[1].

وأما عن حدة السيف ومضائه فقد أكثر الشعراء من الحديث عن هذه الناحية، وربما كان ذلك، لأنها أهم ناحية في السيف فعبروا عنها بتعبيرات كثيرة جداً، مختلفة في اللفظ، لكنها تتحد في المعنى، فقالوا عن السيف: حسام، مرهف، عضب، صارم، باتر، قصال، مقصل مِخْضَل، مخذم، مجراز، قاضب، هذّام. وقد خصصوا بعض الصفات لحالات معينة؛ فمثلا: «رسوب» إذا كان يمضي في الضريبة؛ و«صمصامة» إذا كان صارماً لا ينثني؛ و«إصليت» إذا كان ماضياً نافذاً؛ و«مصمّم» إذا كان يمر في العظام.

وقد بالغ بعض الشعراء أحيانا في حدة السيوف التي يصفونها؛ فمنهم من وصف السيف بأنه يقطع العظم إذا مسه؛ قال ذو الأصبع العدواني[2]:

إما ترى سيفه فأبيض قصّـــال إذا مسّ مُعْظَماً قطعا

في حين يصف المزرد[3] سيفه بأنه يقطع البيضة، ويتعداها حتى يقطع الكاهل.

وأملس هندي متى يعلُ حدُّه ذرا البيض لا تسلم عليه الكواهل

والنابغة يذكر أن السيوف تقد الدروع المضاعف نسجها، وتوقد بالصُّفّاح ناراً، فيقول[4]:

تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباحب

(١) أبو منصور الثعالبي. فقه اللغة ص ٣٦٦.

(٢) شعراء النصرانية ص ٦٣١.

(٣) المفضليات ص ١٧٥ ب ٤٦.

(٤) العقد الثمين: القصيدة رقم ١ السلوقي: أحـد الدروع منسوب إلى «سلوق»: مدينة. المضاعف: الذي نسج حلقتين. الصفاح: البيض والساعد من الحديد، وهو ما يوضع على الذراع، وقيل: إنه الصخر. الحباحب: ذباب له شعاع بالليل.

وقد افتخر الشعراء بقِدَم سيوفهم ، معتقدين أن ذلك يشهد بجودتها لأن معناه أنها مجربة في الحروب فهي أهل للاعتماد عليها والثقة بها. كما أنهم وصفوا سيوفهم بأنها صارت كهاماً ، ثلت مضاربها ، وبها فلول ؛ يشيرون بذلك إلى كثرة حروبهم ، وضربهم الأعداء بها ضرباً متواصلا حتى أثر في سيوفهم .

وقد ورد في الشعر أسماء السيوف الآتية :

(١) هندية (٢) مشرفية (٣) يمنية (٤) رومية (٥) سريجية (٦) أريحية .

أما **الهندية** ، فنسبة إلى الهند . قال أبو منصور الثعالبي[١] : « فإذا كان السيف قد سوي وطبع بالهند ، فهو مُهنّد وهندي وهندواني » . وهذا يفيد أن مثل هذه السيوف كانت تستورد من الهند وقد أثبت التاريخ أنه كانت هناك منذ القدم صلات تجارية بين جزيرة العرب والهند [٢] .

وأما **المشرفية**،فنسبة إلى مَشرف، وهو رجل من ثقيف [٣] ، أو نسبة إلى المشارف ، وهي أدنى الريف من البدو [٤] ، أو مشارف قرى بالشام [٥]، أو مشارف قرى من أرض اليمن وقيل إن المشارف كل قرية بين بلاد الريف وجزيرة العرب ، يقال لها ذلك لأنها أشرفت على السواد [٦] .

فمن ذلك يتضح أن المشارف هي القرى التي تدنو من الريف،سواء أكانت في الشمال (الشام) ، أو في الجنوب (اليمن) .

وأما **اليمنية** ، فنسة إلى اليمن. والرومية نسبة إلى الروم . أما **السريجية** فهي نسبة إلى سُريج ، وهو قين مشهور .

---

(١) فقه اللغة ص ٣٦٨ .

(٢) Nichlson, Literary History of the Arabs, 4.

(٣) المفضليات ص١٠٦ بيت ٩ .

(٤) ديوان طفيل ص ١٤ بيت ١٦

(٥) ديوان عبيد ص ٢٨ بيت ١١ .

(٦) لسان العرب جـ ١١ ص ٧٥ .

وأما **الأريحية** ، فيجوز أن تكون نسبة إلى أن أرْيَح كأحمد ، وهي قرية بالشام أو أريحا [1] . ويجوز أن تكون وصفاً للسيف لأنه يهتز فكأنه يرتاح للضرب .

وكان أكثر هذه الاسماء ذكراً في الشعر الهندية ، ويقلّ عنها المشرفية ، ثم اليمنية .

الصور الشعرية للسيف (٤٨٩ — ٥١٩) :

لقد شبهت المادة التي صنع منها السيف بسلاف الشراب أي خيره(٤٨٩)، وذلك مأخوذ من السلف وهو المتقدم من الشيء لفضله ، يراد بذلك أنه صنع من سلاف الحديد وهو جيده . وشبه السيف بالورق الخفيف (٥٠٨)في الخفة، أو بمخاريق اللاعبين (٥١٥ — ٥١٦) في الخفة وعدم تهيب صاحبه له وقت استعماله ؛ وبالعصا (٥١٧ — ٥١٩) في الخفة ، وعدم التهيب،وقلةالاكتراث بحمله واستعماله ؛ وفي ملازمة صاحبه لحمله كأنه يتخذ بدل العصا .

أما منظر السيف فقد شبه بالملح (٤٩٠ — ٤٩٣) في البياض ، وبالغدير (٤٩٤ — ٤٩٦) في الصفاء واللمعان . وبالفضة (٤٩٧) في البياض والبريق ، وبالبرق (٤٩٦ — ٥٠٤) في الضياء وشدة البريق (ويظهر أن ذلك التصوير كان يستعمل عادة حين يوصف السيف في وقت المعركة فيقارن السيف بالبرق في الغمام أو الليل) ، وكذلك شبه بالصبح الأبلج (٥٠٩) في الضياء . وشبه منظر بريقه وشدة لمعانه واهتزاز ذلك اللمعان عند النظر اليه بمَدَبّ النمل الصاعد إلى أعلى الجبل ، وبمَدْرَج الذر الذي خاف البرد فهبط نازلاً ، وبمنظر الشبثان (٥١٠ — ٥١١) وذلك لاهتزاز الأشعة المنبعثة من البريق وشدة اللمعان في نظر الرائي بحيث تبدو كأنها متحركة كحركة هذه الحيوانات الصغيرة التي بعضها صاعد وبعضها هابط ويختلط بعضها ببعض .

وشبه بريقه مع شدة أثره عند الضرب بالشهاب (٥٠٥) في الضياء، وبالنار

---

(١) شرح ديوان الحماسة ص ٣١٩.والقاموس المحيط.

(٥٠٦ – ٥٠٧) في التوهج وإهلاك من يصيبه . وشبه أثره الشديد بأثر الناقة الضروس (٥١٢) في عنف الهجوم وفظاعة المنظر وهول الأثر ، والشخص المجنون حينما يهاجم غيره (٥١٤) في العنف والقسوة وعدم القدرة على ضبط النفس .

وهنا كذلك نجد الشعراء يستعملون صوراً للسيف فيها تهكم وسخرية ، فيشبهونه بإنسان بليغ ينطق بأعذب الألفاظ. كأن في صوته نغمات الموسيقى، وهو فصيح يعرف مواقع الكلم فيتخير أنسبها وأوقعها أثراً وأشدها تأثيراً (٥١٣)، وذلك في شدة الأثر وكسب الموقف وإرضاء صاحبه لدرجة المتعة والسرور .

خامساً: الدرع

الدرع : لبوس الحديد، وتذكّر وتؤنّث، وهي تشمل السابغة والقصيرة. والغلالة التي تلبس تحت الدرع من ثوب أو غيره تسمى «الشليل» وقيل : هي درع قصيرة[١] .

أسماء ما في الدرع :

١ – **الزرد** : حَلَق الدرع . والزّرّاد : صانعها .

٢ – **المِغْفَر** : زرد ينسج من الدرع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة .

٣ – **رَفْرَفُ الدرع**: زرد يشد بالبيضة فيطرحه الرجل على ظهره .

٤ – **رَيْع الدرع** : فضول كُمَّيْها على أطراف الأنامل .

٥ – **الغلائل** : مسامير الدروع التي تجمع بين رأسَيْ الحلقة .
: وقيل هي بطائن الدرع .

---

(١) المخصص جـ ٦ ص ٧٠ .

٦ – **القتير** : مسامير الدروع ، وقيل : هي رؤوس المسامير في الحلقة .

٧ – **الدخاريص** : ما يوصل به البدن ليوسعه، واحدتها : دِخريصة.

٨ – **مطاوي الدروع**: غضونها .

حديث الشعراء الجاهليين عن الدرع :

ذكرت الدرع في الشعر بأنها عُدة ضرورية من أدوات الحرب ، وتحدث الشعراء عنها في مجال الفخر بامتلاك خير الأسلحة وأجود الأدوات الحربية ؛ وفي مجال النصح والتهديد لمن تحدثه نفسه بمهاجمة أصحابها ؛ وفي معرض الحث على اتخاذ العدة وإعداد كل ما يستطاع من قوة ، احتياطاً للطوارى ؛ كما مدح الشعراء عظماء القوم وشجعانهم بامتلاك أحسن الدروع وأجودها .

وقد تحدث الشعراء عن جودة مادتها ، وإحكام صنعتها ، وصلابتها وقوتها ، ومدى اهتمام القوم بها .

فاكثر الشعراءُ من وصفها بجودة مادتها وأنها صنعت من صافي الحديد[1] ، بيد ماهر حاذق ، فجاءت محكمة الصنع ، مطردة ، يزينها تتابع النسج[2] ، ولا ثلم فيها ولا خرق [3] ، وفي مساميرها استواء ، فلا شذوذ ولا عيب[4] ، وحلَقها موثقة ، ونسجها محكم [5] ، لها غضون فوق النطاق وطرائقها دانية [6] .

وقد ردّد الشعراء ذكر : الدروع المضاعفة النسج التي نسجت حلقتين

---

(١) بشامة بن عمرو : المفضليات ص ٨٩ ب ٣٥ .
(٢) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٠١ ب ٤ .
(٣) الحصين بن الحمام : المفضليات ص ١٠٨ ب ١٤ .
(٤) راشد بن شهاب : المفضليات ص ٦١٢ ب ٧ - ٩ .
(٥) المتلمس : شعراء النصرانية ص ١٦ .
(٦) مزرد : المفضليات ص ١٧٣ ب ٣٨ .

حلقتين ؛ والسهلة اللينة ؛ والواسعة ؛ والسابغـــة التي تفيض على الأنامل ؛ وتغشى البنان والكف والقدم [١] وذيلها يجر على الأرض [٢] ، والرقيقة النسج التي تتضاءل في الطي ؛ والخفيفة ؛ والملساء ، والجديدة التي تكون في بدء الأمر خشنة ، والصموت التي لا يسمع لها صوت ، والتي لهـا أصوات خفيفة فتخشخش على أبدانهم .

وأحبوا منها ما كانت صلبة متينة ، تردّ النبال ، ولا تنفذ فيها السهام ، ولا تؤثر فيها النصال ، ولا تعمل فيها السيوف ، بل تصلّ فيها إذا ضربتها ، وتؤثر هي في السيوف فتفلّها .

ومن شعر الجاهليين نرى أنهم كانوا يحافظون على صفاء الدروع وجلائهـا وعدم صدئها باستعمال دقاق التراب المخـــلوط بدردي الزيت والبعر العفن . قال الأعشى :

مُلْبسات مثل الرماد من الكُرَّ ... ة من خشية النَّدَى والطَّلال [٣]

وقال النابغة الذبياني [٤] :

عُلِينَ بِكِدْيَوْنٍ وأُبْطِنَّ كُرَّةً ... فهن وضاء صافيات الغَـــلائل

وكانوا يضعونها في صناديق محافظة عليها ، فإذا ما أزمعوا القيام بغارة أو حرب وضعوها في حقائب ثم حملتها الإبل ضمن المتاع والذخيرة إلى أن يقتربوا من مكان العدو أو القتال ، وعند ذلك كانوا ينزلون عن رواحلهم ويلبسون الدروع ثم يحملون الأسلحة ويركبون الخيل .

---

(١) راشد بن شهاب : المفضليات ص ٦١٢ب ٧ - ٩ .

(٢) قيس بن خفاف : الحماسة جـ ١ ص ٣١٢ .

(٣) ديوان الأعشى : قصيدة رقم ١ بيت ٥٩ . الكرة : البعر يفتت ثم يجلى به الدرع ؛ الطلال : جمع طل وهو المطر الخفيف.

(٤) العقد الثمين ص ٢١ ، قصيدة رقم ٢٠ بيت ٢٦ . والكديون : دقاق الترب عليه دردي الزيت ، تجلى به الدروع .

وقد مدح الشعراء أبطالهم بلبس الشليل تحت الدروع ؛ قال زهير [1] في مدح هرم بن سنان :

فلمَّا تبلَّج ما فوقــــه   أَناخ فشَنَّ عليه التَّليلا
وضاعفَ مِن فوقها نَثْرَةً   تردُّ القواضبَ عنها فُلولا [2]

وأكثر الشعراء من ذكر «اليَلَب» ؛ وقد اختلف في مدلوله ، فقال أبو منصور الثعالبي [3] : أنه « الدَّرَق » ، ويقال له : اليلب أو الحجف . أما ابن سيدة [4] فقال : اليلب : الدرق ، ويقال : هي جلود تلبس بمنزلة الدروع ، الواحدة «يَلَبَة» . وقيل : اليلب جلود يُخْرَز بعضها إلى بعض تلبس على الرؤوس خاصة وقيل : هي جلود تعمل منها دروع فتلبس ، وليست بترسه .

وورد في الشعر أن القوم كانوا يتخذون الحزام فوق الدروع ، قال الأعشى :

سوابغ محكم الماذي شدوا فوقها الحُزُما

وجاء كذلك أن العرب كانت تعمل في أغماد سيوفها شيئاً يشبه الكُلاَّب ، فإذا ثقلت الدروع على لابسها رفعها من أسفلها ، فجعلها بالكلاب لتخف عليه ، قال أبو قيس بن الأسلت [5] .

أحفِزُها عني بذِي رَونق   مُهنَّدٍ كالملح قطّاع

---

(١) العقد الثمين ص ٨٨ قصيدة رقم ١١ ، البيت ١٠ - ١١ .

(٢) تبلج : أضاء ، والمراد الصبح . الشليل : الغلالة التي تلبس تحت الدرع ، وقيل هي الدرع القصيرة وتكون تحت الكبيرة . النثرة : الدرع . ضاعف : لبس من فوقها درعاً أخرى . القواضب : السيوف القواطع . فلولا : مثلمة مكسرة .

(٣) فقه اللغة ص ٢٣٦ .

(٤) المخصص ج ٦ ص ٧٥ .

(٥) المفضليات ص ٥٦٧ بيت رقم ٧ . وأحفزها : أدفعها . والرونق : ماء السيف .

وقد ذكروا في أشعارهم الدروع الآتية : —

١ – الدروع التي من صنع داود: ويقصدون بذلك النبي داود عليه السلام، لأن الله قد ألان له الحديد . وقد عقّب شارح المفضليات على ذكر هذه الدروع في بيت أحد الشعراء ، فقال : « سمع الشاعر أن الحديد سخر لداود عليه السلام ، ففهم أنه عملها بيده[١] » . وقال شارح ديوان زهير : « إن داود أول من عمل الدروع» . وكذلك قال ابن سيدة[٢] .

٢ – العادية : نسبة إلى عاد ، وهم قوم هود الذين كثر ذكرهم في القرآن الكريم . وربما كانوا يقصدون بذلك القِدَم ، إذ جرت العادة أن ينسب العرب كل قديم إلى عاد فيقال : «عاديّ».

٣ – التُّبَّعِيَّة : نسبة إلى تُبَّع ، وهو اسم كل مَن ملك اليمن وكانت له حمير وحضرموت[٣] . وقال شارح المفضليات[٤] : « كان تبع أعظم شأناً من أن يصنع شيئاً وإنما عُملت بأمره ، وفي ملكه . وفي نفس المعنى قالوا : « الدروع الحميرية» نسبة إلى حمير ، وهم الذين كان ملوكهم يعرفون بالتتابعة وقد خلفوا الدولة السبئية .

٤ – السلوقية : نسبة إلى «سلوق» ، وهي قرية باليمن تنسب إليها الدروع والكلاب ؛ أو بلد بطرف أرمينية ، أو إنما نُسبتا إلى «سَلَقِيَّة » محركة: بلد بالروم، فغُيِّر النسب[٥] ».

(١) المفضليات ص ٨٨١ بيت ٥٩ .

(٢) المخصص جـ ٦ ص ٧١ .

(٣) القاموس المحيط جـ ٣ ص ٨ .

(٤) المفضليات ص ٨٨١ بيت ٥٩ .

(٥) القاموس المحيط جـ ٣ ص ٢٤٦ .

٥ – **الفارسية** : نسبة إلى فارس[(١)] .

٦ – **الحُطَمِيّة** : نسبة إلى حُطَمَةَ بن محارب العبدي ، وكان صانع دروع ؛ وهو من قبيلة عبدالقيس[(٢)] .

٧ – **من كساء مُحرِّق** : نسبة إلى محرق، وهو أحد ملوك اللخميين، وهو لقب لعمرو بن هند (٥٥٤ – ٥٦٩ م) . وقيل إنه سمي بذلك « لأنه حرق مائة من بني تميم[(٣)] »

٨ – **من نسج بني سليم**[(٤)] .

الصور الشعرية للدرع (٥٢٠ – ٥٤٥) :

شبهت الدرع بالسمكة (٥٢٠) في الملاسة واللين واستدارة القطع التي في السطح الخارجي ؛ وشبهت طرائقها بخطوط المبرد (٥٢١) في دقتها وحسن تواليها وترتيبها . وقورنت مساميرهـا بعيون الجنادب (٥٢٢ – ٥٢٣) في الاستدارة والصغر. وشبه سَكّتها وهو حلقها الضيقة بحب الأبلم المتفلق (٥٢٤) في الاستدارة وصغر الحجم . وشبهت الدرع في إسباغها على لابسها بفيضان المطر المنهمر على الأرض (٥٢٥) .

وشبهت الدرع بالماء والنهْي والغدير عند هبوب الريح على سطحها (٥٢٦ – ٥٤٣) في الصفاء ، وفي التدرج والاطراد، وذلك لأنه عندما تضرب الرياح سطح الماء يتدرج وتطرد أمواجه فترى له طرائق وصفاء شُبّه بهما طرائق الدرع وصفاؤه .

وشبه صوت الدرع عند الحركة واهتزازها بحفيف الريح في الحصاد(٥٤٤ – ٥٤٥) في خفة الصوت وتواتره .

---

(١) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٥٦ .

(٢) المفضليات ص٦١٣ بيت ٨ .

(٣) القاموس المحيط جـ ٣ ص ٢٢٠ .

(٤) النابغة الذبياني : العقد الثمين ص ٢١ البيتان : ٢٦ – ٢٧ .

سادساً : البيضة

البيضة : غطاء الرأس . وفيها « القونس» : وهو مقدم البيضة[1] . فإذا لم يكن في البيضة قونس سميت « تَرْكة » [2] ، وقال ابن دريد «سُميت تركة تشبيهاً بتركة النعامة وهي بيضتها إذا خرج منها الفرخ [3] » . وفي البيضة « الطرائق » ، ويقال لها « الحُبُك» : وهي خطوطها .

حديث الشعراء عنها :

تحدث الشعراء الجاهليون عن البيضة في مجال حديثهم عن أدوات الحرب: افتخاراً بملكيتها وأنهم ذو بأس شديد ، يصمدون للحرب ، ولا يتهيبون بأسها لما لديهم من العدد الكاملة والأسلحة الجيدة ، أو تهديداً لمن عساه يفكر في مهاجمة مالكيها .

وكان حديثهم عنها يدور حول المادة التي صنعت منها ، وعن جودتها ، ومنظرها. فخيرها ما كان منأجود الحديد؛ دلامصة أي سهلة لينة، قوية صلبة بحيث تتكسر عنها الحجارة وتتفتت لو ضربت بها [4] .

وامتدحوا بريقها ولمعانها ، وأكثروا من ذكر التشبيهات التي تصور هذا اللمعان كما سنرى فيما بعد .

وقد ورد في شعرهم أنها كانت تحلى بخطوط مختلفة تسمى الطرائق أو الحبك ، وبعضهم ذكر أن بيضهم كان يُحَلّى بالذهب [5] .

الصور الشعرية للبيضة(٥٤٦ - ٥٥١) :

قارن الشعراء فائدة البيضة لصاحبها بفائدة الحصن (٥٥١) في الالتجاء

---

(١) ابن سيدة: المخصص جـ ٦ ص ٧٣.
(٢) المفضليات ص ١٧٤ بيت ٤٢ .
(٣) المخصص جـ ٦ ص ٧٣ .
(٤) مزرد : المفضليات ص ١٧٤ بيت ٤٢ .
(٥) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١١ بيت ١٧ .

إليها والاعتماد عليها للوقاية وتجنب الخطر .

وشبهوا لمعانها وبريقها عندما تسقط عليها أشعة الشمس بمصابيح الرهبان الموضوعة على مكان عال (٥٤٦) في انتشار الأشعة في جميع النواحي ، مع شدة البريق ؛ وبالنار التي تتوهج على شرف مرتفع (٥٤٧) ، كما شبهت البيضة بالنجوم والكواكب (٥٤٨ – ٥٥٠) في التلألؤ والضياء .

سابعاً : الترس

الترس : ويقال له الجَوْب ، من أدوات الحرب التي تتخذ للوقاية . وقد ذكره الشعراء مفتخرين بصلابته ، وجودة مادته ، وإحكام صنعته .

وورد في شعرهم أنه كان يصنع من جلود الإبل الجيدة ، قال طفيل الغنوي[1] :

فلما فَنى ما في الكنائن ضاربوا　　عَلَى القُرْعِ مِنْ جِلْد الهجَانِ المجوَّب

ومن جلود البقر كذلك . ومن ثم كان أسمر اللون، ولكن الأجود ما كان مع هذه السمر، لامعاً برّاقاً .

وذكروا في أشعارهم بعض أوصاف الترس : فهو محدودب ؛ وأجُد أي شديد وقُرّاع أي صلب [2] ، ومُشَرّص[3] أي صنعه محكم .

الصور الشعرية للترس : (٥٥٢)

قورن الترس بالشمس في طخية الدجى(٥٥٢) في القتام واللون الباهت بين اللامع والداكن .

---

(١) ديوانه ص ١٣ بيت ٦٠ .

(٢) أبو قيس بن الأسلت : المفضليات ص ٥٦٧ بيت ٨ .

(٣) الأعشى : ديوانه قصيدة رقم ١٨ بيت ٥٣ .

نماذج شعرية للأسلحة والمعدات الحربية :

١ – قال أوس بن حجر [١] :

وإني امرؤٌ أعددتُ للحرب بعدما رأيتُ لها ناباً من الشر أعصلا
أصمَّ رُدَيْنياً كأن كُعوبــه نوى القَسْب عرّاصاً مزجّاً منصَّلا [٢]
عليه كمصبــاح العزيزِ يَشُبُّه لفِصْح ويحشوه الذُبالَ المفتَّلا [٣]
وأملسَ حَوْليّاً كنِهْي قرارةٍ أحسَّ بقاع نفْحَ ريحٍ فأجفلا [٤]
كأن قرون الشمس عنــد ارتفاعها
وقد صــادفتْ طِلْعاً من النجم أعزلا [٥]
تردَّد فيه ضوءها وشعاعهــا فأحصِنْ وأزين لامرىء إن تسربلا
وأبيضَ هندياً كــأن غِراره تلألؤُ برق في حَبِيٍّ تكلّلا [٦]
إذا سُل من غِمــدٍ تأكّلَ أثْرُه على مثل مِصحاة اللُّجَين تأكّلا [٧]

---

(١) شعراء النصرانية ص ٤٩٤ .

(٢) القسب : التمر اليابس . والقسب : الصلب الشديد . عراصاً : لدناً .

(٣) الفصح : عيد النصارى . الذبال : جمع ذبالة وهي الفتيلة . يشبه : يشعله .

(٤) الحولي : ما أتى عليه حول . وفي رواية « صولي » : نسبة إلى موضع معروف . النهي : الغدير ، القرارة . المطمئن من الأرض . القاع : الموضع المطمئن الجيد الطين تكون فيه حصى صغار . نفح الريح : هبوبها . أجفل : تحرك واطرد .

(٥) قرون الشمس : أعلاها أو أول شعاعها . الطلع : المكان المشرف الذي يطالــع منه ، والناحية ، وكل مطمئن من الأرض . النجم : ما لا ساق له من النبات .

(٦) الحبي : السحاب الذي يشرق من الأفــق على الارض ، أو الذي بعضه فوق بعض . تكلل السحاب عن البرق : تبسم وتكلل البرق ، لمع خفيفاً .

(٧) أثر السيف . فرنده . تأكل : اشتد بريقه . مصحاة : إناء . اللجين : الفضة .

كأن مَدَبَّ النمل يَتّبِع الرُّبا ... ومَدرَج ذَرٍّ خافَ برداً فأسهَلا[1]

على صفحتيه بعــد حين جِلائه ... كفى بالذي أبلى وأنعت منْصُلا

ومبضوعةً مِن رأس فرعٍ شظية ... بطَودٍ تراه بالسحــاب مُجَلَّلا

على ظهر صَفوانٍ كــأنّ مُتونَه ... عُلِلْن بــدهن يُزلق المتنزّلا

يُطيف بهــا راعٍ يُجشّم نفسه ... ليكلأ فيهــا طَرفَهُ مُتأمّلا

فلاقى امرءاً من مَيدَعان وأسمحتْ ... قرُونَتُه باليأس منها وعَجّلا[2]

فقــال له : هل تذكرنَّ مخبِّراً ... يدل على غُنْم ويَقصُرُ مُعْمِلا

على خير ما أبصرتَها مِن بضاعة ... لمُلْتَمسٍ بَيْعاً لها أو تبكُّلا[3]

فُويق جُبيل شامخ الرأس لم تكن ... لِتبلغَه حتى تَكِلَّ وتَعمــلا

فأبصرَ ألهاباً من الطَّود دونَــه ... يرى بين رأسَي كلِّ نِيقَيْن مَهْبِلا[4]

فأشرطَ فيها رأسَه وهو مُعْصِم ... وألقى بأسْباتٍ له وتَوَكَّلا[5]

وقد أكلتْ أظفارَه الصخرُ كلما ... تعيَّا عليــه طولُ مُرقىً تسهَّلا

فما زال حتى نالَها وهي مُشفق ... على مَوطِن لَوْ زَلَّ عنه تفصَّلا[6]

---

(١) مدب النمل : مجراه . المدرج : المسلك . الذر : هوام صغيرة .
(٢) ميدعان : موضع أو قبيلة . القرونة : النفس .
(٣) التبكل : الغنيمة .
(٤) اللهب بالكسر : مهواة ما بين كل جبلين ، أو الصدع في الجبل ، أو الشعب الصغير فيه ، أو وجه كالحائط فيه لا يرتقى . والجمع : ألهاب ، ولهاب ، ولهُوب ، ولهابة . النيق : أرفع موضع في الجبل . المهبل : المهوى من رأس الجبل إلى الشعب .
(٥) أشرط نفسه لكذا : أعلمهــا وأعدها . معصم : ممسك . الأسبات : جمع سبت وهي الحبرة . وفي رواية « بأسباب » جمع سبب .
(٦) تفصل : انفصلت أجزاؤه بعضها عن بعض أي تقطع .

فأقبلَ لا يرجو الذي صَعِدَتْ به ... ولا نَفْسَهُ إلا رجـــاء مُؤَمَّلا
فلمـا قَضى مما يريد قضـــاءه ... وحلَّ بها حِرْصاً عليها فأطْوَلا
أمرَّ عليها ذاتَ حدٍّ غُرابُهـــا ... رقيقٌ بأخذٍ بالمداوس صَيْقَلا
على فخذيه من بَرَايَةِ عُودهـــا ... شبيه سَفَا البُهْمَى إذا ما تفتلا[1]
فجرَّدها صفراءَ لا الطولُ عابَهـا ... ولا قِصَرٌ أَزْرَى بَهَا فتعطَّلا
إذا ما تعاطَوْها سمعتَ لصوتهـا ... إذا أَنْبَضُوا عنها نَئِيماً وأَزْمَلا[2]
وإن شُدَّ فيها النَّزْعُ أدبرَ سهمُها ... إلى منتهًى من عَجْسِها ثم أقبلا[3]
وحَشْوَ جفيرٍ من فروعٍ غرائبٍ ... تَنَطَّعَ فيها صـــانعٌ وتَنَبَّلا[4]
تُخُيِّرْنَ أنضاءً ورُكِّبْنَ أَنصُلاً ... كجمرِ الغَضَا في يوم ريحٍ تَزَيَّلا[5]
فلما قضى في الصنع منهن فَهْمَه ... فلم يبق إلا أن تُسَنَّ وتُصْقَلا
كساهنَّ من ريش يمانٍ ظواهراً ... سِخاماً لُؤَاماً لَيِّنَ المسِّ أَطحلا[6]

---

(١) البهمى : نبات معروف ، له شوك ، تكلف به الحمير رتصلح عليه . وأسفت البهمى: سقط سفاها . (راجع ديوان امرىء القيس : دار الكتب ، ص ٨٠ ب ٩) .

(٢) النئـــيم : الأنين ، وهو صوت القوس والأسد والظبي . الأزمل : كل صوت مختلط ، ورنين القوس . نبض في قوسه وأنبض : أصابها ، أو حرك وترها لترن .

(٣) العجس : مقبض القوس كالمعجس .

(٤) تنطع في عمله : تأنق وبالغ في صنعه . الفروع : جمع فرع ، وفرع كل شيء : أعلاه ، والقوس الفرع : التي عملت من طرف القضيب ، وهي خير القسي ، ويقال : قوس فرع وفرعة. واستنبل المال : أخذ خياره . الجفير : الكنانة وهي جعبة السهام .

(٥) النضي : السهم بلا ريش ولا نصل . تزيل : تفرق وتطاير .

(٦) السخام : الريش اللين تحت ريش الطير . لأم السهم : جعل عليه ريشاً لؤاماً ، وسهم لؤام عليه ريش لؤام ، أي بعضه يلائم بعضاً ، بأن تكون بطن كل ريشة إلى ظهر الأخرى . الطحلة : لون بين الغبرة والسواد ببياض قليل .

فذلك عَتادي في الحروب إذا التظتْ وأردفَ بأسٌ من خطوب وأعجلا

فإني رأيتُ الناسَ إلا أقلَّهم خفافَ العهود يُكثرون التنقُّلا

٢ – وقال مُزَرِّد بن ضرار الذبياني (١) بعد أن وصف خيل الحرب :

ومَسفوحةٌ فضفاضةٌ تُبَعيّة وَآها القتيرُ تجتويها المعَابِل (٢)

دِلاصٌ كظهر النون لا يستطيعها سِنَانٌ ولا تلك الحظاءُ الدواخل (٣)

موشَّحة بيضاءُ دانٍ حبيكُها لها حَلَق بعد الأنامل فاضل (٤)

مشهَّرة تُحنَى الأصابعُ نحوَها إذا جُمعت يوم الحفاظ القبائل (٥)

وتَسبِغةٌ في تَرْكَة حِمْيريةٍ دُلامِصَةٍ تَرْفَضُّ عنها الجنَادل (٦)

كأنَّ شُعاع الشمس في حَجَراتها مصابيحُ رُهبانٍ زَهَتْها القنادل (٧)

---

(١) المفضليات ص ١٦٤ .

(٢) المسفوحة : الدرع المصبوبة . الفضفاضة : الواسعة . تبعية : منسوبة إلى تبع . القتير : المسامير . وآها : شددها . المعابل : سهام طوال عراض النصال . تجتويها : تكرهها .

(٣) الدلاص : الدرع اللينة السهلة . النون : السمكة ، شبهها بها في ملاستها ولينها وصغر حلقاتها . لا يستطيعها سنان : لا ينفذ فيها . الحظاء : جمع حظوة (بتثليث الحاء) ، وهي سهم يلعب بها الصبيان ؛ يريد أنها لا ينفذ فيها سهم ولا دونه .

(٤) حبكها : طرائقها . الأنامل : الأصابع . فاضل : يريد أنها سابغة .

(٥) يريد أنها يشار إليها بالأصابع لشهرتها .

(٦) التسبغة : نسيج من حلق يكون تحت البيضة . التركة : البيضة بلا قونس . الحميرية : منسوبة إلى حمير . دلامصة : سهلة لينة ، وإذا لان الحديد كان أجود لها . ترفض : تكسر . الجنادل : الحجارة .

(٧) حجراتها . نواحيها . زهتها : رفعتها وأشعلتها .

وَجَوْبٌ يُرَى كالشَّمْس في طَخْيَةِ الدُّجَى
وأبيضُ ماضٍ في الضَّرِيبَــةِ قاصلُ[1]

سلافُ حديدٍ ما يزال حسامُه ذَلِيقاً وَقدَّتْهُ القرونُ الأوائلُ[2]
وأمْلسُ هنديٌّ متى يَعْلُ حدُّه ذُرَا البَيضِ لا تَسلمْ عليه الكواهلُ[3]

إذا ما عَدَا العادي به نحو قِرْنه
وقد سَامَه قولا : فَدتْكَ المَنَاصِلُ

ألستَ نقيًّا ما تَليقُ بكَ الذُّرَا
ولا أنت إن طالت بك الكفُّ نَاكِلُ[4]

حُسامٌ خَفيُّ الجرْسِ عند استلاله صفيحتُه مما تَنَقَّى الصَّياقلُ[5]

---

(١) الجوب : الترس . الطخية : القتام يحول دون السماء من دون الشمس . الدجى : ظلمة الغيم . الأبيض هنا : السيف . القاصل:القاطع .

(٢) سلاف حديد : خيره ، شبهه بسلاف الشراب . وهو مأخوذ من السلف ، وهو المتقدم من الشيء لفضله . الذليق : الحاد ، يقال : سيف ذليق ولسان ذليق والمصدر الذلاقة . قدته : طبعته . القرون الأوائل : أراد عتق السيف ، وكلما قدم السيف كان أجود له .

(٣) الكواهل : جمع كاهل ، أراد أنه يتعدى البيضة أي يقطعها ويجوزها حتى يصل إلى الكاهل .

(٤) القرن : الموازي في القوة والشجاعة والعمل ، وإن اختلفت السن . المنــاصل : جمع منصل وهو السيف . سامه : كلفه ، ويقال : سامه قولا : أي قال له . فدتك المناصل : أي إنك أفضلها .

(٥) الجرس : الحركة والصوت الخفي ، وخفي جرسه لجودته وسهولته ، وإنما سهل لصفاء حديده وخلوصه .

ومطّرد لدْن الكعوب كأنمـــا   تغشاه مُنْباعٌ من الزيت سائل[1]

أَصمُّ إذا ما هُزَّ مارتْ سَراته   كما مارَ ثعبانُ الرمالِ المُوائل[2]

له فارط ماضي الغِرار كأنـــه   هِلال بدَا في ظلمة الليل ناحل[3]

٣ ـ وقال أبو قيس بن الأسلت [4] :

أَعددتُ للأعـــداءِ مَوْضونةً   فَضْفَاضَة كالنِّهْي بالقَـــاع[5]

أَحفِزُها عني بـــذي رَوْنق   مهنّد كالملح قَطّاع[6]

صَدْقٍ حسامٍ وَادِقٍ حَـــدُّه   ومُجْنَـــأٍ أسمَرَ قَـرّاع[7]

بَزُّ امرىء مستبسل حـــاذرٍ   للدهرِ جَلْدٍ غير مِجْزاع[8]

---

(١) يعني رمحا . المطرد : المضطرب وذلك للينه . واللدن : اللين . والمنباع : السائل المتتابع السيلان . وقيل المطرد : المتابع الذي لا اختلاف فيه . انباع : سال .

(٢) أصم : ليس بأجوف . مارت : جاءت به وذهبت . سراته : أعلاه ، وشبه اضطرابه إذا هز باضطراب حية في عدوها ، والثعبان في الرمل أسرع في الجري للينه . والموائل : المحاذر الذي يلتمس الملجأ .

(٣) فارط : سنان : الغرار : الحد .

(٤) المفضليات ص ٥٦٤ .

(٥) الموضونة : التي نسجت حلقتين حلقتين ، وقيل الموضونة : التي لصق بعض نسجها ببعض . الفضفاضة : الواسعة من الدروع ، وكل واسع فضفاض . القاع : الموضع المطمئن الجيد الطين تكون فيه حصى صغار . شبه صفاء الدرع بصفاء الماء في الغدير .

(٦) أحفزها : أرفعها ، قال الأصمعي : كانت العرب تعمل في أغماد سيوفها شبيهاً بالكلاب فإذا ثقلت الدرع على أحدهم رفعها من أسفلها فجعلها بالكلاب لتخف عليه . الرونق : ماء السيف .

(٧) الصدق : الصلب من كل شيء . الحسام : القاطع . الوادق : الماضي الحاد . المجنأ : الترس . وجعله أسمر لأنهم كانوا يتخذون التروس من جلود الإبل .

(٨) البز : السلاح . المستبسل : الموطن نفسه على الهلاك . مجزاع : شديد الجزع .

٤ - سيف طرفة بن العبد (١) :

وآليتُ لا ينفكُّ كَشْحي بطانةً لعضبٍ رقيقِ الشفرتين مُهَنَّدِ (٢)

أخي ثقةٍ لا ينثني عن ضريبةٍ إذا قيل مهلاً قال حاجزهُ قَدي (٣)

حسامٍ إذا ما قمتُ منتصراً به كفى العَوْدَ منه البدءُ ليس بِمِعْضَدِ (٤)

إذا ابتدر القوم السلاحَ وجدتني منيعاً إذا بَلَّت بقائمهِ يدي (٥)

٥ - سيف ممدوح النابغة الذبياني (٦) :

فَهُمْ يَتَساقَونَ المنيـــةَ بينَهُمْ بأيديهمُ بيضٌ رِقاقُ المَضَارِبِ (٧)

يَطيرُ فُضَاضاً بينها كلُّ قَوْنَس ويتْبعُها منهمْ فَرَاشُ الحواجبِ (٨)

ولا عَيْب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فُلولٌ من قِراع الكتائبِ (٩)

تُورِّثْن مِن أزْمانِ يومِ حليمة إلى اليوم قد جُرِّبْن كلَّ التجاربِ (١٠)

---

(١) المعلقة .

(٢) الكشح : الخاصرة . العضب : السيف القاطع . يقول : أقسمت لا يزال السيف متصلاً بكشحي ملازماً لي .

(٣) أخي ثقة : أي السيف . يعني يوثق بمضائه وحده . الضريبة : المضروبة . قدي ؛ يقول : إذا أمر حاجزه بالتأني والرفق أعجله السيف لمضائه أن يمهله ، فقال : قدي ، أي قد فرغ ومضى . حاجزه : الذي يحجز أي يقطع .

(٤) حسام : قاطع . منتصراً به : أي إذا انتصرت من ظلم فضربت به كفتني الضربة الأولى التي بدأت بها أن أعيد ضربة ثانية . المعضد : الرديء من السيوف .

(٥) ابتدر القوم السلاح : عجلوا إليها وتبادروا نحوها لأمر دهمهم . بلت بقائمة يدي : علقت بقائمه وظفرت به . قائم السيف : مقبضه .

(٦) العقد الثمين : القصيدة رقم ١ ص ٢ .

(٧) رقاق المضارب : يقصد سيوفاً حادة .

(٨) الفضاض : ما انفض وتفرق . القونس : أعلى الرأس . الفراش : عظام رقاق على الخياشيم من الداخل .

(٩) القراع : المجالدة . وهذا البيت توكيد المدح بما يشبه الذم .

(١٠) يوم حليمة : الموقعة المشهورة بين اللخميين والغسانيين .

تَقُدُّ السلوقيَّ المضاعفَ نسجُه وتُوقِدُ بالصُّفّاح نارَ الُحباحب[1]

٦ – رمح ساعدة بن جؤية الهذلي [2] :

فتعاوروا ضرباً وأُشرع بينهم أَسَلاتُ ماصاغ القُيونُ وركَّبوا[3]

من كل أظمَى عــاترٍ لا شانَه قِصَرٌ ولا راشُ الكعوب مُعَلَّبُ[4]

خَرِق من الخطيّ أُغمض حَدُّه مثل الشهاب رَفَعْتَه يتلهَّبُ[5]

مما يُتَرَّصُ في الثّقاف يَزينـه أَخْذَى كخافية العُقاب مُحرَّبُ[6]

لَذٌّ بهزّ الكفّ يَعْسِل متنُه فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ[7]

٧ ـــ الكتيبة والجيش

قال أبو منصور الثعالبي [8] : الكتيبة : من أربعمائة إلى الألف . والجيش

(١) المضاعف نسجه : الذي نسج حلقتين . الصفاح : الصفا الذي لا ينبت . وقيل ان المراد هنا : البيض والساعد من الحديد وهو يجعل على الذراع . الحباحب : ذباب له شعاع بالليل .

(٢) ديوان الهذليين ، ج ١ ص ١٨٨ (طبعة دار الكتب) .

(٣) تعاوروا ضرباً : أي يضرب بعضهم بعضاً . الأسلات: جمع أسلة وهي الرمح .

(٤) الراش : الخوار . المعلب : المشدود بالعلباء ، وعلباء . البعير : عصب عنقه ؛ يصف الرمح بأنه صحيح لم يكسر ولم يشد بعلباء ، أظمى : أسمر . عاتر : مضطرب المهتز .

(٥) الخرق في الرجال : الذي يتخرق في المال والخير يقصد أنه إذا هز تخرق . فلم يكن كزا صلباً . أغمض حده : ألطف .

(٦) يترص في الثقاف: أي يحكم . الاخذى : الذي كسر حرفاه ، أي ليس بمنتشر الرأس يعني كسرت ناحيتاه حتى دق ، يقصد السنان. محرب : أي قد حرب حتى غضب شهوة إلى الدم.

(٧) لذ : أي تلذ الكف بهزه . يعسل متنه فيه : أي في الكف ، أو في الهز . يعسل : يضطرب . عسل الطريق : أي في الطريق .

(٨) فقه اللغة ص ٣٢٩ .

من ألف إلى أربعة آلاف . والخميس [1] : من أربعة آلاف إلى اثني عشر ألفاً . والعسكر يجمعها .

وقد تحدث الشعراء الجاهليون عن الكتيبة والجيش في الوصف والفخر والمدح والذم والنصح والتهديد وإثارة القوم والاعتذار واللوم والعتاب .

وكان حديثهم يدور حول صفات الجيوش وشجاعة أفرادها وكثرة عَدَدهم وعُدَدهم ، وعن نظام جيوشهم : من استعدادهم عندما ينوون القيام بعمل حربي ، وسير الجيوش ، وألويتهم وراياتهم ، والربيئة والعيون ، وترتيبهم عندما يقتربون من الأعداء ، وتقدمهم نحوهم ، ومقابلتهم .

فأما الصفات التي امتدحوا بها أفراد جيوشهم ، فهي في الحقيقة ما سبق أن ذكرناه في الحديث عن البطل . والواقع أن ما ذكر هنا وما ذكر هناك من الصفات ، إنما هو حديث عن موضوع واحد يكمل بعضه بعضاً ، لأن البطل هو الذي منه ومن أمثاله يتكوّن مجموع الجيش . وأهم الصفات التي أكثر الشعراء من ترديدها في هـذا المقام : عزة النفس ، والإباء ، وعدم الاستكانة ، والدفاع عن الحمى والشرف ، والمحافظة على مجد القبيلة وحسن سمعتها وكرامتها ، والحزم ، والصبر على المكاره ؛ وأشادوا بالشجاعة والجلد والقوة والبطش وشدة البأس ، وأنهم يسرعون إلى ملاقاة الموت ولا يرهبونه :

رجالٌ متى يُدْعَوا إلى الموت يُرقِلوا ... إليه كإرقال الجِمال المصاعب [2]

ولا يألمون القتل ، ولكن يَجزُون به [3] ؛ ويعيدون الكرّ . دون أن يلينوا [4] ، ويلتهمون كل ما تصل إليه أيديهم ، ويقصدون الثغور التي يخافها

---

(١) وقال ابن سيدة في المخصص ج ٦ ص ١٩٩ : وانما سمي الخميس بذلك لانه يخمس ما وجده أي يأخذه .

(٢) قيس بن الخطيم ، ديوانه ص ١١ .

(٣) أبو قيس بن الأسلت ، المفضليات ص ٥٦٩ بيت ١٢ .

(٤) الأعشى ، ص١٦٤ بيت ٨ .

سواهم [1] ؛ ويخشى الكُماة نزالهم [2] ؛ ويملئون قلوب غيرهم خوفاً ورعباً :

وكان مُعادينـــا تَهِرُّ كلابُه　　مخافة جيشٍ ذي زُهاء عَرَمْرَمِ [3]

وقد افتخر الشعراء بأن قومهم لا يختتلُون ، ولا يتسترون في عداوتهم ، ولا عند هجومهم ، بل يجاهرون الأعداء بالشر ، قال بشر بن أبي خازم [4] :

عَطفنا لهم عطفَ الضروسِ من المَلاَ　　بشهباء لا يمشي الضَّراءَ رقيبُها

ومدحوا الجيوش بإشهار أنفسهم ، فلا يخفضون أصواتهم ، ولا يخفون نيرانهم . وقد أكثروا من وصف جيوشهم بأنهم غير أشائب ، أي ليس فيهم خليط ، أو أجنبي غريب . قال طفيل الغنوي :

قبائل من فرعيْ غنِيٍّ تواهقت　　بها الخيل لا عُزْلٌ ولا أُشُبُ [5]

وقال النابغة الذبياني [6] :

وثقتُ له بالنصر إذ قيلَ قد غَزتْ　　كتائبُ من غسانَ غيرُ أشائِب

بنو عمه دنيا وعمرُو بن عـامر　　أولئك قومٌ بأسُهم غيرُ كاذب

ومما افتخروا به كثيراً ضخامـة الجيوش وكثرة عددها . وصوروا ذلك

---

(١) سلامة بن جندل . النقائض ص ١٤٨ .

(٢) الاعشى ، ديوانه ص ٢٧ بيت ٥٢ .

(٣) جابر بن حني : المفضليات ص ٤٤١ بيت ٢٥ . هرير الكلب : صوت دون النباح . زهاء : عدد كبير . عرمرم : كثير .

(٤) المفضليات ص ٦٤٣ ب ١٠ . الضروس : الناقة السيئة الخلق . المـــلا : الصحراء . الضراء : ما واراك من شجر ، وفلان يمشي الضراء : إذا مشى مستخفياً فيه . الرقيب : المراقب والناظر . أي لا نختل ولكنا نجاهر . وشهباء : كتيبة عليها بياض الحديد .

(٥) ديوان طفيل الغنوي : ص ٦ ب ١٩ .

(٦) العقد الثمين : ق ١ البيتان ٨ — ٩ .

في أشعارهم بصور مختلفة : فهذا يذكر أن جيش قومه لا يتبين سيره من كثرته ويملأ الفضاء :

مَجْرٍ يَغَصُّ به الفضاءُ له   سَلَفٌ يَمُورُ عجَاجُهُ فَخْمِ [١]

وآخر يقول إن جيشهم كان يزحم المكان لدرجة أن الحنظل لو ألقي على رؤوسهم لتدحرج ، ولم يصل الأرض لشدة التحامهم :

لَوَ انَّكَ تُلقِي حَنظلًا فوقَ بيضِنا   تَدَحْرَجَ عَن ذي سَامِهِ المتقاربِ [٢]

وهذا لقيط الإيادي يصوّر الجيش بأن في استطاعته أن يهد الجبال [٣] ، ويصوّره النابغة الذبياني بأن المكان يضيق به ، ويؤثر فيه حتى إنه يجعل الأكام وهي ما ارتفع من الأرض وغلظ ، أرضاً رملية منخفضة :

جمعاً يَظلُّ به الفضاءُ معضّلا   يَدَعُ الإكَامَ كأنهن صَحَارِ [٤]

وكانت كثرة الجيش داعية لتصور أشياء أخرى مترتبة عليها ، فهذا مثلاً أوس بن غلفاء يقول إن الجيش ، بسبب كثرته كان يخرج الجرذانَ من أحجارها .

بكل مُنَفِّق الجُرْذَانِ مَجْرٍ   شديدِ الأسْرِ للأَعداءِ حامِ [٥]

---

(١) الجميح الاسدي : المفضليات ص ٧١٩ ب ٨ . المجر : الثقيل الذي لا يتبين سيره من كثرته . يغص به : يضيق . السلف : الخيل المتقدمة . يمور : يذهب ويجيء . العجاج : الغبار . الفخم : الضخم .

(٢) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٦ . السام : عروق الذهب .

(٣) مختارات ابن الشجري .

(٤) العقد الثمين : القصيدة رقم ١٠ .

(٥) المفضليات ص ٧٥٦ .

وعلقمة يقول إنه كان ينفي الطير من أوكارها :

فإن أبا قابوسَ يَبْني و بيْنَهـا بأرْعَنَ يَنْفي الطيرَ حُمْرٌ مَنَاقِلُه [1]

ويصفه النابغة بأنه يذعر الوحوش في مواطنها حتى ينفيها عنها :

حتى استَقَلَّ بجَمْع لا كِفاءَ له ينفي الوحوشَ عنِ الصَّحراء جَرَّار

ويقول الأعشى إنه كان ضخماً تضيق به الصحراء . وكان أوله يستنفد الموارد الغزيرة الماء قبل أن يبلغها آخِرُه :

عريض تَعْجِزُ الصحراءُ عنـــه ويَشربُ قبلَ آخرِه الجِماما [2]

ويدّعي سلامة بن جندل أن الأرض كانت ترجف بسببه :

تكَـــادُ له الأرضُ من رِزِّه إذا سَار ترْجُف أركانُهـــا

أما حديثهم عن تسلح الجيش ، فقد أكثروا فيه من وصف جيوشهم بأنهم كاملوا السلاح ، وعلى أتم استعداد من الأسلحة والذخيرة ، قـــال عبيد بن الأبرص [3] :

سَلَفاً لأَرعَنَ ما يَخِفُّ ضَبابُه متقنِّس بادِي الحديد لُهامِ

---

(١) العقد الثمين : ق ١٢ . أبو قابوس : هو النعمان بن المنذر ملك الحيرة وهو الذي كان يمدحه النابغة . أرعن : يقصد جيش كثير المدد ، المناقل : جمع منقل ، وهو الثنية والطريق . أي احمرت من كثرة الدم .

(٢) الأعشى : قصيـــدة رقم ٢٩ بيت رقم ٢٧ . الجمـــام : جمع جم وهو الكثير من كل شيء .

(٣) سلفا : متقدمة ، يريد الخيـــل . أرعن : جيش . ضبابه : سحابه . متقنس : لابس القونس وهو العمود القائم في وسط البيضة . بادي الحديد : ظاهر الحديد ، أي السلاح . لهام : كثير المدد . كل مصونة : محفوظة ، يريد القوس أي ودعت ليوم الحاجة إليها . المثقف : الرمح المصلح . الحسام : السيف الذي يقطع كل شيء .

فيه الحديدُ وفيه كلّ مَصُونَة   نَبْعٍ وكلُّ مثقَّفٍ وحُسَام

ومن ثم ورد في أشعارهم كثير من أوصاف الكتائب والجيوش التي تشير إلى كثرة السلاح ؛ فقالوا :

كتيبة شهباء : أي عليها بياض الحديد .

وكتيبة خضراء : عليها سواد الحديد .

وكتيبة بيضاء : صافية الحديد .

وكتيبة خرساء صامتة : من كثرة الدروع ليس لها قعاقع .

وكتيبة جأواء : عليها صدأ الحديد .

وسَهِكُون من صدأ الحديد : وذلك لاستدامة لبسه .

ونفوا عن البطل في الجيش أن يكون أعزل، أي لا سلاح معه ؛ أو أجَمّ : أي ليس معه رمح ؛ أو أنكب [1] : أي لا قوس معه ؛ أو أكشف : أي ليس له ترس ؛ أو حاسراً : أي ليس عليه درع . وهذا يدل على شدة اهتمامهم بالأسلحة ، وعدم خروجهم للحرب إلا وهم [2] على أتم استعداد وأكمل تسلح [3] .

وأما حركات جيوشهم العسكرية ، فقد تحدث الشعراء عن كثير من مظاهرها ، فجاء في الشعر أنهم كانوا عندما ينوون القيام بحرب يأخذون في

(١) راجع الثعالبي : فقه اللغة ص ١١٠ .

(٢) راجع قصيدة زهير في مدح هرم بن سنان . العقد الثمين : القصيدة ١١ .

(٣) قد يكون من الطريف أن نذكر القصة الآتية : روي أن كثير عزة لما مدح عبد الملك ابن مروان بقوله :

علي ابن أبي العاصي دلاص حصينة   أجاد المسدي سردها فأذالها

أنكره عليه عبد الملك ، وقال له : إن الأعشى أشعر منك حيث يقول :

وإذا تكون كتيبة ملمومة   خرساء يخشى الواردون نهالها

كنت المقدم غير لابس جنة   بالسيف تضرب معلما أبطالها

فقال : إن الأعشى وصف صاحبه بالتغرير ، ووصفتك أنا بالحزم .

الاستعداد ، فيسنون الأسلحة ويصقلونها للقتال ، ويقضون أوقاتهم في شغل تام بشئون الحرب .

قال طفيل الغنوي [1] :

تَبِيتُ كعقبانِ الشُّرَيْفِ رجالُه   إذا ما نَوَوا إحداثَ أمرٍ معطّبِ

وقال أيضاً [2] :

فَباتُوا يَسُنُّونَ الزِّجاجَ كأنهم   إذا ما تنادوا خَشْرَمٌ مُتَحَدِّبِ

وقال لقيط الإيادي [3] :

في كل يوم يَسُنّونَ الحِرابَ لكم   لا يَهْجَعون إذا ما غافلٌ هَجعا

فإذا ما بدأ الجيش في السير نحو الأعداء تولى الرئيس قيادتهم ، وفوق كل كتيبة لواؤها ، وكان اللواء يعقد في رأس رمح [4] ، ويحمله بطل عظيم ، قال عنترة :

كتائب تُزْجَى فوق كل كَتِيبةٍ   لواءٌ كظل الطائر المتقلّبِ [5]

وقال عبيد بن الأبرص [6] :

بمعضّلٍ لَجِبٍ كأن عُقَابَـــه   في رأس خُرصٍ طائرٌ يتقلّبُ [7]

---

(١) ديوانه ، ص ٤ بيت ١٢ .
(٢) ديوانه ، ص ٢١ بيت ٧ .
(٣) مختارات ابن الشجري .
(٤) يقال إن اللواء كان يثبت في أعلى الرمح على قدر ذراع أو شبر من السنان (راجع شرح ديوان عبيد بن الأبرص ص ٧١ بيت ١٢) .
(٥) العقد الثمين قصيدة رقم ٤ ص ٣٥ .
(٦) ديوانه ص ١٥ بيت ٢١ .
(٧) معضل : كثير يضيق بهم موضعهم من كثرتهم . العقاب : الراية . الخرص: سنان الرمح.

وقال النابغة الذبياني :

لهمْ لواء بِكَفَّيْ ماجدٍ بطَلٍ   لا يقطع الخرْقَ إلا طَرفُه سَامِ [1]

وكانوا يرسلون أمام الجيش ربيئة يتقدمهم ، ليعرف أخبار العدو سراً ، ويخبرهم بها . وكان يُختار من أذكى الناس وأشدهم جرأة وأحدّهم نظراً ، حتى كان ذلك مجالاً للفخر ، قال ربيعة بن مقروم [2] :

ومربأةٍ أوْفَيتُ جنْح أصيلة   عليها كما أوْفَى القَطَاميُّ مَرْقَبا

وكان من مهمته أن يتبين الفرصة الملائمة لقومه كي يشنوا الهجوم على العدو، وعند ذلك يعطيهم إشارة البدء المتفق عليها [3] .

وفي سيرهم إلى ميدان المعركة كانوا يركبون الإبل ، ويضعون عليها حقائب الذخيرة والمئونة ، ويجنبون الخيل استبقاء لنشاطها وقوتها في الميدان، قال عبيد بن الأبرص [4] :

تمشي بهم أُدْمٌ تَئِطُّ نُسُوعُها   خُوصٌ كما يمشي الهِجان الرَّبرب [5]

وهُمُ قد اتخذوا الحديدَ حقائباً   وخِلالهم أُدْمُ المرَاكلِ تُجْنَب [6]

فإذا أعطاهم الدليل الإشارة بالتقدم ، وكانوا على مقربة من العدو ، أخذوا في الاستعداد للهجوم ، فأناخوا الإبل ، وأعدوا الخيل بعد عرضها على الماء ، وبعد ذلك كانوا يلبسون السلاح ، ويركبون الخيل ، ويتركون

---

(١) العقد الثمين ص ٢٨ .

(٢) المفضليات ص ٧٣٦ بيت ١٥ .

(٣) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٣٣ بيت ٥ .

(٤) ديوانه ص ١٤ البيتان ١٤ – ١٥ .

(٥) أدم : إبل بيض . تئط نسوعها : تصيح ، ولا يكون الأطيط للرحل إلا إذا كان جديداً . خوص : غائرة العيون . الهجان : البيض . الربرب : جماعة البقر .

(٦) أدم المراكل : أي أبيض موقع عقب الفارس من الفرس مما يركله برجله .

الإبل في رعاية حراس مخصوصين . قال الأعشى [١] :

حتى إذا لَمعَ الدليلُ بثوبه ... سُقِيت وَصَبَّ رُواتُها أشوالَها [٢]

فكفى العضاريطُ الركابَ فبُددت ... منــه لأمرٍ مؤمَّلٍ فأجالَها [٣]

ثم يقسمون أنفسهم كتائب، فإذا ما أعطاهم الرئيس الأمر بالبدء انطلقوا نحو الأعداء مسرعين ، قال مالك بن نويرة [٤] :

فقال الرئيسُ الحوفزانُ تكتَّبوا ... بني الجعْن ، قد شارفتُمْ ، ثم جَرِّدوا

وقال زهير بن أبي سلمى [٥] :

ينظر فرسانُهمْ أمرَ الرئيس وقد ... شَد السُّروجَ على أثباجِها الحُزُم

يرونها ساعـــةً مَرْياً بأسوقهم ... حتى إذا مَا بَدَا لِلغارة النَّعَمُ

شَدُّوا جميعاً وكانت كلها نُهَزاً ... تحشِكُ دِرّاتِها الأرسانُ والجِذَم [٦]

الصور الشعرية للكتيبة والجيش (٥٥٣ – ٦٦٥) :

وهنا نجد الشعراء قد أشاروا في صورهم الشعرية إلى كثرة الجيش

---

(١) ديوانه : قصيدة رقم ٣ البيتان ٤٤ — ٤٥ .

(٢) لمــع الدليل بثوبه : أشار به . والدليـــل هو الربيئة الذي يرشد الجيش . الأشوال والأوشال : القليل من الماء . يقصد أن ما بقي من الماء بعد سقي الخيل يراق ليقاتل المقاتلون على ماء العدو .

(٣) العضاريط : جمع عضروط ، وهو التابــع أو الخـــادم والمراد : أمسك الخدم بالركاب فركب الفرسان ، حتى إذا أشار الممدوح بالهجوم ، أجيلت بأمره الخيل .

(٤) العقد الفريد ج ٣ ص ٨٧ .

(٥) ديوانه ، طبعة دار الكتب ص ١٥٩ .

(٦) يصفهم بطاعة رئيسهم ، وذلك أحزم . الأثباج : الأوساط ، والمراد تأهبوا وأسرجوا خيلهم فلم يبق إلا أن يأمرهم رئيسهم بالقتال أو الغـــارة فينفذوا أوامره . نهزاً : غنيمة . تحشك : تستخرج . الدرات : دفعات الجري .

وضخامته وعظمه ، وإمداداته ، وكثرة السلاح وثقله ولمعانه ، وشجاعتهم وجراءتهم ، ومكرهم ودهائهم ، وشدة هجومهم ، وهول آثارهم ؛ وإلى الراية ، والربيئة ، والغبار الذي يثيرونه : فشبهوا الجيش في الكثرة بأهمية الكثيب (٥٨٠) ، وبالليل (٥٥٩ – ٥٦٣) في الكثرة ، والانتشار على وجه الأرض ، وحجب كل شيء ؛ وبالليل في سماء بروق (٥٦٤) في الانتشار في جميع البقاع مع اللمعان والبريق ، وبالسحاب (٥٩٣ – ٥٩٥) في الاعتراض في الأفق وتغطية المكان ، وبالجبل (٥٦٥ – ٥٧٩) في الطول والرفعة والضخامة مع الثبات وعدم التأثر بحوادث الزمن ، وبالغابات (٥٨١) في الكثرة والكثافة وبالإيوان (٦٢٤) في الضخامة والعظم ، وبالجراد (٦٢٨ – ٦٣٠) ، والقطا (٦٣١) في الكثرة والانتشار مع السرعة والنشاط . وقورنت آثارهم في الأرض الصلبة لكثرتهم بتشقيق الهاجري أرضه للزراعة (٥٨٢) .

وصوّرت كتائب الجيش بعصائب الطير (٦٣٣ – ٦٣٤) ، وشبهت إمدادات الجيش بالأمطار التي تمد السيل من وقت لآخر (٦١٩) ، وبخوالف الضرع التي توجد في نواحيه (٦٢٠) في المجيء من كل صوب .

وشبهوا في مشيهم وقد لبسوا أسلحتهم ومعداتهم بالجمال الدوالح (٦٤٦ – ٦٤٧) في ثقل الحمل عليهم ، وشبهوا بالنجوم (٥٥٣ – ٥٥٧) في اللمعان والبريق ، وبالسراب (٥٨٩) في اللمعان والامتداد في الأفق ، وبالسحاب مع البرق (٥٩٩ – ٦٠٤) في الامتداد والبريق ، وبالرعد والبرق (٦٠٥) في هول ضوضائهم وزئيرهم والبريق،وبالسحاب ذي البَرَد (٦٠٦ – ٦٠٩) في الانتشار في الأفق مع شدة الرمي وتتابعه ، وبالمطر المنهمر (٦١٠ – ٦١٤) في الكثرة والتتابع مع توالي الحركة وتدفقها ، وبالسيل (٦١٥ – ٦١٩) ، وبالبحر (٥٩٠ – ٥٩١) في التدفق والسير بسرعة مع الاندفاع الشديد والإتيان على كل ما في طريقه ، وبالريح تسوق السحاب (٥٩٦ – ٥٩٨) في الكثرة والسرعة وتوالي الإمدادات ، وبالريح

الحاصب (٥٩٢) في السرعة والشدة والأذى .

وصُوِّرا بصور النار (٥٨٣ - ٥٨٧) في التأجج بسرعة مع العنف والقسوة والتهام كل ما تصل إليه وإهلاكه، والرحى (٦٢٢ - ٦٢٣) في اللف والدوران مع الإهلاك والتدمير ، والسنان (٩٢٦) في الإهلاك والحزم وسرعة المضاء وشدته مع الإشراق الذي يعلو وجوههم فيلمع لمعان الأسنة ، والأشطان (٦٢١) في الاستقامة والسير مباشرة للغرض المقصود والتوجه للوجهة المطلوبة وشبهت همهمتهم وقت القتال بغماغم الثيران (٦٤٥) في اختلاطها وعدم وضوحها ومجيئها من الأعماق . وشبهوا بالصقور (٦٤٣) والإبل الضروس ، والواردة الخُنْس (٦٤٨ - ٦٥١) في شدة الهجوم وسرعة الاندفاع ، وبالنمر (٦٥٣- ٦٥٤) في شدة الهجوم مع المكر والدهاء وتحين الفرص ، وبالأسد (٦٥٥ - ٦٦٥) في شدة الهجوم مع الشجاعة والجرأة والقوة .

وشبهت الراية بالطائر المتقلب (٦٣٥ - ٦٣٩)في الخفقان والتقلب وشبه الربيئة بالصقر (٦٤٤) في حدة النظر وشدة الانتباه .

بعض ما قيل في الكتيبة والجيش :

١ - قال أبو قيس بن الأسلت [١] :

نَذودُهُمْ عنـــا بمستَنَّة ... ذاتِ عَرانينَ ودُفَّـاع [٢]

كأنهمْ أُسْدٌ لَدَى أَشْبُـلٍ ... يَنْهَتْنَ في غِيلٍ وأَجْزاع [٣]

حتى تجلَّتْ ولنا غايـــةٌ ... من بين جَمْعٍ غير جُمَّاع [٤]

---

(١) المفضليات ص ٥٦٤ .

(٢) تذود : تدفع . المستنة : الكتيبة ، وأصل الاستنان : النشاط ، أي هم جلداء أقوياء . عرانين : رؤساء ومتقدمون في الفضل والشجاعة . دفاع : أبطال يدفعون الأعداء عنهم .

(٣) ينهتن : يزرأن . الغيل : الأجمة . الأجزاع : الجوانب .

(٤) تجلت : انكشفت . غاية : راية . غير جماع : أي كله منا لم نستعن بأحد غيرنا .

٢ — وقال عبد الشارق بن عبد العُزّى (١) :

فأرسلْنا أبا عمرو رَبيئاً ... فقال ألا انْعَمُوا بالقوم عَيْنَا
ودَسّوا فارساً منهم عِشاءً ... فلم نغدر بفارسِهم لدَينا
فجاءوا عارضاً بَرداً ، وجئنا ... كمثل السيل نركب وَازِعَيْنا

٣ — وقال النابغة الذبياني (٢) :

أو تزْجروا مُكْفَهِراً لا كِفاءَ له ... كالليل يَخْلِطُ أصْرَاماً بأصرام
مُستحقبي حَلَق الماذِيّ يقدُمُهم ... شُمّ العرانين ضَرّابون لِلْهام
لهم لواءٌ بكَفّيْ ماجد بطَـــل ... لا يقطع الخَرْق إلا طرفه سام
يَهدي كتائبَ خُضراً ليس يَعْصِمها ... إلا ابتدارٌ إلى موتٍ بإلجام

٤ — وقال الجميح الأسدي (٣) :

لا تسقني إن لم أُزِر سَمَراً ... غَطَفَانَ مَوْكِبَ جَحْفَلٍ دُهْمِ (٤)
لَجِبٍ إذا ابْتَدُّوا قنَـــابِلَهُ ... كَنَشاصِ يوم المِرْزَم السَّجْم (٥)

---

(١) الحماسة ص ١٧٠ .

(٢) العقد الثمين ، قصيدة رقم ٢٧ .

(٣) المفضليات ص ٧١٨ .

(٤) سمراً : ليلاً . الجحفل : الجيش المظيم . دهم : كثير .

(٥) اللجب : ذو الأصوات لكثرته . ابتدوا : أخذوا بجانبيه . القنابل : الجماعات . النشاص : ما ارتفع من السحاب . المرزم : نجم له نوء . السجم : السائل .

مَجْرٍ يُغَصُّ به الفضــاء له   سَلف يَمُور عَجاجُه، فَخْمِ[1]

٨ ــ الموقعة

يشمل حديثنا عن الموقعة تحليل ما قاله الشعراء الجاهليون عن وصف الموقعة وما كان يحدث فيها من أنواع القتال ، وما تحدثوا به عن يوم الموقعة وما صوروا به شعور القوم منذ اللحظة التي يحدث فيها النزاع إلى انتهــاء الموقعة .

أولاً : وصفها :

ونقصد بذلك ما قاله الشعراء عما كان يحدث منذ التقاء الجيشين إلى أن ينتهي القتال ، وهنا نجدهم يتحدثون عن الحال وقت المفاجأة بالغارة ، ومقابلة الفريقين ، وحال القوم في القتال ، ومنظر الميدان على العموم .

ومن حديث الشعراء نجد أنه حينما يفاجأ القوم بالغارة ، ويؤخذون على غِرة كانت تحدث فوضى واضطراب ، وبخاصة بين النساء ؛ إذ يستولي عليهن الذعر والرعب ، فيولين هاربات ، وهن كاشفات حاسرات ، أو مختمرات على غير النظام المألوف .

مِن بَين واضعةِ الخِمارِ وأختها   تَسعى ومِنْطَقُها مكانَ المِئزَر[2]

وفي تلك اللحظة ، كان الهياج يزداد ، ويكثر الصراخ ، ويعلو النداء من كل ناحية .

---

(١) مجر : ثقيل لا يتبين سيره من كثرته . يغص به الفضاء : يضيق به لكثرته . سلف : خيل متقدمة . يمور : يذهب ويجيء ، العجاج : الغبار . فخم : ضخم .

(٢) عوف بن عطية ، المفضليات ص ٦٣٨ .

فيا لَكَ من صُراخٍ وافتضـــاحٍ وَنَقْعٍ ثائرٍ وسطَ الديار [1]

وإذا مـــا تقابل الجيشان نادى كل فريق باسم قبيلته ؛ افتخاراً بها ، وتشجيعاً لرجالها ، وإثارةً لهممهم ، وكان ذلك يتخذ عـــادة كإشارة لبدء القتال ، وحينئذ تدور المعركة [2] . قال أنيف بن زبان النبهاني [3] :

فلما أتينا السفحَ من بَطن حائل بحيثُ تلاقَى طَلْحُها وسَيَالُها
دَعوا لِنزارٍ وانتمينـا لِطيٍّءٍ كأُسد الشَّرَى إقدامُها ونِزَالُها

وقد بيّن الشعراء درجات القتال عندهم ؛ فمن أقوالهم يظهر أن أول درجة كانت الرمي بالسهام ، حيث يكونون بعيدين بعضهم عن بعض ، حتى تفنى سهامهم ؛ وبعد ذلك يتقاربون ويتطاعنون بالرماح ، ثم يتضاربون بالسيوف : قال طفيل الغنوي [4] :

فلما فَنَى ما في الكنائن ضاربوا على القُرْعِ من جلد الهجان المجوَّب

وقال عمرو بن كلثوم :

نُطاعِن مَا تراخَى الناسُ عنـا ونَضرِبُ بالسيوفِ إذا غُشينا

---

(١) البراق : شعراء النصرانية ص ١٤٣ .

(٢) روي أنهم كانوا عندما يتقابل الجيشان يعرضون الزجاج أولاً إشارة إلى تحكيم العقل والمنطق ، ودعوة إلى السلم ، فإن أبوا أداروا الرمـــاح واستعملوا الأسنة بالطعن، واستدلوا على ذلك بقول زهير :

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالي ركبت كل لهذم

ولكن يبدو أن الشاعر لم يكن يشير إلى عادة خاصة ، وإنما يقصد بذلك : أن من لم يرض بالحل اليسير ويقنع به فانه قد يعاني الصعب العنيف من الشرور والويلات .

(٣) ديوان الحماسة جـ ١ ص ٤٩ . السفح: أسفل الجبل . بطن حائل: موضع. الطلح والسيال: نوعان من الشجر . انتمينا : انتسبنا ، أي قالوا يالنزار ، وقلنا ياطيء .

(٤) ديوانه ص ١٣ بيت ٦٠ .

وقال عنترة العبسي [1] :

فطعنته بالرمح ثم علوته بمهنّدٍ صافي الحديدةِ مِخْذم

وبعد ذلك يكون النزول والاعتناق .

ويفهم من هذا أن كل درجة كانت أشد من سابقتها وأخطر ، فالطعن بالرمح أشد من الرمي بالسهم ، والضرب بالسيف أخطر من الطعن . ولهذا مَدَحَ زهيرُ بن أبي سلمى بالأفضلية في القتال حيث يقول :

يطعنهم ما ارتموا ، حتى إذا اطّعنوا
ضاربَ ، حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا [2]

وكانت المنازلة أشد أنواع المقاتلة وأخطرها ، ولذا افتخر الشعراء ومدحوا بها ؛ قال عنترة :

إن يُلحَقوا أكْرُرْ وإن يُستلحَموا أشْدُدْ وإن يُلفَوا بضنكٍ أنزِلِ
حينَ النزولُ يكونَ غايَةَ مثلِنا ويفرُّ كُلُّ مضلَّل مستوهَلِ

وقال زهير :

ولنعم حَشوُ الدرعِ أنت إذا دُعيتْ نَزالِ ولُجَّ في الذُّعرِ

وافتخر الشعراء بخبرتهم في حالتي الركوب والنزول ؛ قال الأعشى :

قالوا : الركوب ، فقلنا تلك عادتُنا أو تنزِلونَ فإنّا مَعشَرٌ نُزُلُ

---

(١) المعلقة . مخذم : قاطع .

(٢) العقد الثمين : شعر زهير ، قصيدة رقم ٩ بيت ٣١ .

أما شعرهم عن الحال وقت القتال ، فقد كان يدور حول تراشق السهام ، واشتجار القنا ، وصليل السيوف ، وخشخشة الدروع ، ولمعان البيض ، وأزم الخيل وحمحمتها وظهورها ساهمة الرؤوس ، عابسة الوجوه ، وارتفاع الغبار وكثرته ، وحركات الأسلحة ، وتكسر الرماح ، وانحناء السيوف وانثلامها ، والكر والفر ، وثوران النفوس ، والتهاب الصدور ، وشدة ضربات القلوب ، واحمرار العيون ، وسرعة الأنفاس ، وخفة الأيدي ، واشتداد الطعنات ، وتوالي الضربات ، وتساقط القتلى ، وأنين الجرحى ، وسيلان الدم على صدور الخيل ، وفيضانه على أرض الميدان .

وأكثر ما استرعى أنظار الشعراء من أفعال المتقاتلين كان الطعن بالرماح ، والضرب بالسيوف ، ولذلك سنتحدث عنهما بالتفصيل .

(أ) الطعن :

تحدث الشعراء عن الطعنة من عـــدة نواح ، ولكن أحاديثهم كلها على العموم تدور حول وصف الطعنة بالشناعة والروعة ، وأنهـا كانت قاضيـة لا أمل في شفاء المطعون منها .

فتحدثوا عنها من حيث الحالة النفسية للطاعن ، ومكان الطعن ، وهيئـة الطعنة ووصف الدم الذي يخرج منها ، وروعتها ، وأثرها في النفس .

أما وصفها بما يصور حال الطاعن فقالوا فيه إنها كانت طعنة ثائر [1] أي اخذ بالثأر ، أو طعنة عاجلة مسرعة[2] ؛ أو مختلَسة لم يَدْمَ لها النصل[3] ؛ أو طعنة على دهش وذعر [4] .

---

(١) قيس بن الخطيم : ديوان الحماسة ج ١ ص ٥٤ .

(٢) عنترة العبسي : المعلقة .

(٣) المسيب بن علس : ديوان الأعشى . قصيدة المسيب رقم ١٨ .

(٤) يزيد بن سنان : المفضليات ص ١٢٢ بيت ٦ .

وأما أماكن الطعن ، فقد ذكروا المواضع القاتلة ؛ وهي :

مجامع الأوصال [1] – الأثباج والنحور [2] – الجوف [3] – الكلي [4] – المتن [5] (عند الفرار) .

وتردد في أشعارهم وصف الطعنة والدم الذي يخرج منها بالأوصاف الآتية :

١ – نافذة ، وقد بدا عامل الرمح من الخلف .

٢ – واسعة ، لا يمكن التئامها ، ويصعب علاجها لتقطيعها من كل الجهات .

٣ – يخرج الدم منها بشدة ، وأكثروا من وصف الدم بأنه من نجيع الجوف ، يخرج بغزارة ، فيلطخ صاحبه ، ويملأ فراشه وينزف المطعون حتى تصفر أنامله ، ويندفع بشدة فيفور بجيشان ونشيج بحيث يكون له جرس شديد ، واندفاعه بقوة كاندفاع بول الإبل ، أو الماء من فم الزق الملآن ، حتى إنه لينفي التراب ويبعده [6] .

أما روعتها وأثرها في النفس ، فهي تبعث الهلع ، وتذهل البطل ، وتهول عيون الأواسي ، وتضرب منها النساء نحورهن ، وتسوء العدو ، ولكنها تبلغ إرادة الطاعن ، وترضي قلبه . وتقر عين الشامت ، وتفصل بين الحق والباطل ، وتصد الأعداء ، وتحمي الديار .

---

(١) يزيد بن سنان : المفضليات ص ١٢٢ - بيت ٦ .

(٢) المهلهل : شعراء النصرانية ص ١٧٠ .

(٣) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين ج ٢ ص ٢٩ بيت ٨ .

(٤) الأعشى : ديوانه قصيدة ٥٣ بيت ١٥ .

(٥) ثعلبة بن عمرو : المفضليات ص ٥١٤ بيت ١٢ ، ومقاس العائذي : المفضليات ص ٦١ بيت ٥ .

(٦) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٣٩ .

الصور الشعرية للطعن (٦٦٦ – ٦٨٩) :

شبهت الطعنة بجيب المرأة الحمقاء الهاربـــة من شدة الخوف والذعر على فجأة (٦٧٢ – ٦٧٣) في الاتساع ، وشبهت بالجلد المشقق (٦٧٠ – ٦٧١) في التقطيع والتشقيق من كل ناحية بحيث لا يمكن التئامه وشبهت حركة الطاعن طعنة مستديرة ومعوجة بحركة من ينازل نابلا سهمين سهمين (٦٧٤) وذلك في خفة اليدين وحركتهما وانشغالهما ، مع النشاط وسرعة الحركة وتواليها .

وشبه فوران الدم بالنار (٦٧٥ ٦٧٧) في الاضطرام، وشبه اندفاعه برَمْح الشول مَن يريد حلبها (٦٧٩) ، وبإيزاغ المخاض (٦٨٠ – ٦٨١)، واندفاع الماء من المزادة المملوءة ماء أو لبنا (٦٨٢ – ٦٨٨) في شدة الاندفاع وقوته.

وأما صوت توالي الرماح وتكاثرها ، فقد شبه بصوت وقع الصياصي على النسيج الممدد (٦٨٩) ، وشبه موضع الطعنة بمشافر الإبـــل المخيسة المذللة (٦٧٨) في استرخاء اللحم وتدليه .

وعلى سبيل التهكم والسخرية بالمطعونين شبهت الطعنة بالحباء والهدية (٦٦٦ - ٦٦٩) في الإعطاء دون رد شيء نظيره .

(ب) الضرب :

أما الضرب فقد جاء الحديث عنه مقرونا في كل الأحيان تقريباً بالطعن . ووصف كذلك بالشدة والقوة والروعة ، فقالوا فيه إنه ضرب شديد ، يهبر اللحم ، ويتر العظم أي يطيره ، ويزيل الهام عن سكناته ، ويقـــد الهام والبيض والدروع ، ويكب الدارعين على وجوههم ويملأ قلوب الأعداء رعباً ورهبة ويشيب المُرْد وافتخروا بأن ضربهم لم يكن مخالسة ، ولم يتعجل فيه صاحبه جُبنا أو فَرَقاً .

الصور الشعرية للضرب (٦٩٠ – ٩٩٩) :

شبهت الضربة بتشقيق الجلد (٦٩٢) في التقطيـــع من كل النواحي ؛

وبتشقيق الحصير (٦٩٣ — ٦٩٤) في التقطيع ، وبتشقيق ثوب المرأة الحمقاء التي ريعت فجأة ، فولت هاربة ، وقد ضلت السبيل ، فكانت تتخبط وسط الأشجار والأشواك حتى تقطعت ثيابها (٦٩٥)، وذلك في التقطيع من كل ناحية وكثرة التقطيع وعدم انتظامه بحيث لا يرجى إصلاحه وشبه الضرب بتقطيع المنجل السبال (٦٩٦) في التقطيع قِطعا قطعا . وبالنار (٦٩٧) في الاضطراب وشدة الألم .

أما وقع السيوف على الرؤوس، فقد شبه بوقع المطر على الطراف (٦٩٨) وذلك في تشابه الصوت الذي يحدث من كليهما مع التتابع والتوالي والكثرة وشبه تطـــاير الرؤوس عند الضرب بتطاير الحصاد المحرق عند هبوب الريح عليه (٦٩٩) وذلك في سرعة التطاير مع الخفة والتتابع .

وهُنا على سبيل التهكم والسخرية بالمضروبين ، كذلك ، شبه الضرب بإكرام الضيف (٦٩٠) في الإسراع به والمبالغة فيه وبذل كل ما يمكن بذله عن رغبة وسرور . كما شبه بالكسوة (٦٩١) في الإسباغ والكمال والشمول ، مع ستر العورات والتخلص من المنظر غير المقبول .

ثانياً : يوم الموقعة :

جاء تصوير يوم الموقعة في الشعر بما يظهره في شكل يوم شديد ، مكروه، مملوء بالرعب والخوف والمصائب والويلات ؛ إذ قالوا عنه أنه يوم يكثر فيه الهياج والاضطراب ، ويملو الصراخ ، ويكثر العويل ، يوم تكرهه النفوس ، وترجو عدم رؤيته ، وتتمنى الموت قبله [1] .

وقد أفاض الشعراء في وصف شدته على الأعداء المغلوبين ، وبالغوا في وصفه بأبشع الأوصاف وأشنعها ، فهو يوم طويل عليهم يتراءى كأنه أيام ،

---

(١) الحصفي : المفضليات ص ٦٢٦ بيت رقم ٧ .

وذلك لما فيه من الحزن والغم ومعاناة الشدائد وتكبد الخسائر ، مظلم حتى لكأن الكواكب تبدو فيه .

تبدو كواكبهُ والشمسُ طالعةٌ   لا النور نور ولا الإظلام إظلام[(١)]

وهو يوم بالغ الشدة والقسوة ، عصيب ، كالح ، عبوس ، بادي الشر ، يوم نحس ، عسير ، تقطع منه عرا الأنفس ، ويشيب الولدان ، ويشيع الرعب والهلع .

ولكن مع شدته على الفريقين المتحاربين ، لم تكن شدته على الغالبين كتلك التي على المغلوبين ، فليس طويلاً عليهم ، بل كان قصيراً .

فظَلّ قَصيراً على صَحْبِه   وظَلّ عَلى القوم يوماً طويلا[(٢)]

لأنهم لم يعانوا فيه ما عاناه المغلوبون من المآسي والآلام ، وقد تمتعوا بلذة النصر ونشوة الفرح ، فمر عليهم اليوم سريعاً[(٣)] .

وقد افتخر الغالبون به ؛ إذ كان دليلاً على قوتهم وشجاعتهم ، ورمزاً إلى علو شرفهم وكرامتهم ، حتى كأنه موسوم بسمة تميزه عما سواه من الأيام ، فوصفوه بأنه أغر محجل. ولعظم ما نالوه فيه من العز والشرف ، وما هيأه لهم النصر من أسباب الفخر ، جعلوا أيامهم كأنها معروفة مشهورة بين الناس جميعاً ، لا يجهلها أحد .

---

(١) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، قصيدة رقم ٢٧ .

(٢) زهير : العقد الثمين : قصيدة رقم ١١ .

(٣) وذلك لأن يوم الشر طويل ، ويوم الخير واللذة قصير ؛ قال بشر بن أبي خازم في المفضليات ص ٦٦٦ الأبيات ١٨ — ٢١ :

فإن تكن العقيليات شطت   بهن وبالرّهينات الديار
فقد كانت لنا ولهنّ حتى   زوتْنا الحربُ أيام قصار
ليالي لا أطاوع من نهاني   ويضفو فوق كعبي الإزار
فأعصي عاذلي وأصيب لهواً   وأوذي في الزيارة من يغار

وأيمُنا مشهورةٌ في عَـــدوِّنا   لها غُرَرٌ معلومة وَحُجول[1]

وقد أحسن علقمة حين وصف حال الناس جميعاً يوم الموقعة في قوله :

فلم أر يوماً كـان أكثرَ باكياً   وأكثرَ مَغْبوطاً يُجَرّ وغابطا[2]

فوصفه بأنه يوم كثر فيه الباكون على قتلاهم وأسراهم وسباياهم وخسائرهم ، وكثر فيه المسرورون بمـا غنموا وأسروا وسبوا ، وكذلك كثر فيه الذين كانوا يتمنون حال الغالبين لعظم ما نالوا وكسبوا .

الصور الشعرية ليوم الوقعة (٧٠٠ - ٧٠٦) :

شبه يوم الموقعة بأيام (٧٠٠ — ٧٠١) في الطول وعدم الأمل في انتهائه وذلك لأن يوم الحزن والغم طويل . كما شبه اليوم بالليل الذي تبدو كواكبه (٧٠٢ — ٧٠٣) وذلك في الإظلام وعدم الوضوح [3] . وشبه كذلك بيوم كثير الغمام متكاثفة (٧٠٤) في قلة الضوء وعدم سرور النفس به [4] .

وصوّر يوم الموقعة بصورة حيوان بادي النواجذ (٧٠٥) في وضوح الشر وشدة الخطر . ومن ناحية أخرى صوّر بصورة الخيل الغر المحجّلة (٧٠٦) في الضياء واللمعان ، وذلك للشرف والفخر اللذين كسبهما المنتصرون في هذا اليوم .

---

(١) السموأل : ديوان الحماسة جـ ١ ص ٣٠ .

(٢) العقد الثمين : القصيدة رقم ١٠ من ديوان علقمة .

(٣) قد يكون ذلك لكثرة الغبار وتكاثفه بسبب حركات المتحاربين الشديدة ، وتحرك السيوف والرماح اللامعة حتى تبدو وكأنها كواكب في وسط ليل مظلم . وقد يكون ذلك من تصوير الحالة النفسية للمغلوبين ساعة القتال ؛ إذ يتراءى لهم أن الجو المحيـط بهم مظلم لكثرة ما غشيهم من الفزع والهول حتى كأنه غطى على أعينهم فـلا يرون ، وعلى عقولهم فلا يدرون ماذا يفعلون ، فسقط في أيديهم ، وأصبحوا في ظلام حالك وضلال مبين كما يقـال : « لأرينك نجوم الظهر » .

(٤) وذلك إما للغبار ، أو لوصف الحالة المعنوية .

ثالثاً : الشعور النفسي :

ونعني بهذا ما قاله الشعراء عن الشعور الداخلي للقوم : المهاجمين والمهجوم عليهم ؛ وعما يترتب على هذا الشعور من آثار في مظهرهم وسلوكهم منذ حدوث أسباب النزاع إلى نهاية الموقعة .

ومن الشعر في هذا الموضوع نجد أنه عندما كان يحدث للشخص ما يثير مشاعره مما يعتبره كافيا للدخول في الحرب ، يلتهب صدره ، ويتطاير الشرر بين جنبيه ، ويعشو بصره ، وتصبح الحياة لا قيمة لها عنده[1] ، ويذبو جنبه عن الفراش ، ولا ترقأ عينه ، ولا يسيغ شرابه [2] ، ويستولي عليه ألم شديد ، وهمّ عظيم ، وحزن عميق ، وحرارة تحرق صدره ، لا يبردها ، ولا يشفيه ، إلا القضاء على عدوه . ولذا كان الشخص يحرم على نفسه ملذات الحياة ، ولا يُعنَى بمظهره ، ويظل أشعث أغبر ، ويديم حمل السلاح ، حتى يأخذ بثأره .

وعندما كان المهاجمون يأتون ، وتقع أعينهم على العدو ، يتذكرون الإحن والبغضاء ، ويعرفون فيهم الشناءة والبغض ، فتثور نفوسهم ، ويندفعون نحو الأعداء بقوة ، ويهجمون عليهم بقسوة وعنف [3] .

أما حال المهجوم عليه فوصفوها بأنه إذا أُخذ على غِرّة كان يضطرب ، وتجيش نفسه ، وكان الشجاع من يضبط أعصابه ، فيطمئن نفسه ، ويهدئها بعد الفزع [4] .

وقد ذكر الشعراء من علامات الفزع والشدة أن تخرج النساء خائفات ، وقد كشفن عن وجوهن وسيقانهن ، ويعلو الصراخ ، ويَسُود الذعر .

---

(١) المهلهل : شعراء النصرانية ص ١٦٤ .

(٢) معد يكرب عم امرىء القيس : شعراء النصرانية ص ٣ .

(٣) يزيد بن سنان : المفضليات ص ١٢١ .

(٤) عمرو بن معد يكرب : ديوان الحماسة جـ ١ ص ٤٤ .

فإذا ما التحم الجيشان وبدأ القتال ملأت النفوس الصدور [١] ، وطالعت الثغر [٢] فتعبس الوجوه ، وتقطب الجباه ، وتحمر العيون [٣] ، وإن اشتد القتال ، وحمي الوطيس ، تقلصت الشفاه عن الأفواه [٤] وعجزت المشافر عن الضم [٥] ، وبدت النواجز .

وقد أكثروا من وصف حال الجبان حينئذ ؛ فقالوا إنه عندما يرى كثرة المهاجمين وقوتهم ، يسقط في يديه ، فيتحير ويضطرب ويرتبك ، ولا يدري ماذا يفعل ! أيقاتل فيقتل ، أم يفر فيناله الخزي والعار [٦] وكان يطالع ثغره حر شديد يؤذي الجوف والصدر [٧] ، فترتعد فرائصه [٨] ، وترجف روانف إليتيه [٩] ، ويقلّ الريق [١٠] في فمه ! وتغص الحناجر بالريق القليل [١١] ، ويمسك بعُرف الدابـــة [١٢] ، ويملك الرعبُ قلبَه حتى إنه ليظن العصفورة فرساً مسوّمة [١٣] .

وإذا انتهت الموقعة لوى العدو المنهزم رأسه ، وعضّوا بالأنامل حُزناً

(١) الأعشى : ديوانه ص ٧٢ بيت ٦٣ .

(٢) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٣٩ بيت ٥ .

(٣) زيد الخيل : سمط اللآلى ص ٥٥٧ .

(٤) عنترة : المعلقة بيت ٦٤ .

(٥) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٢٣ بيت ٦ .

(٦) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٤٣ ب ١١ - ١٢ .

(٧) الحارث بن وعلة : المفضليات ص ٣٢٩ ب ٦ .

(٨) طرفة : المعلقة ، بيت ٨٩ .

(٩) عنترة : العقد الثمين ديوان عنترة قصيدته رقم ١١ .

(١٠) الأعشى : ديوانه ص ١٤٤ بيت ١٤.

(١١) المعقر البارقي : العقد الفريد جـ ٣ ص ٦٤ .

(١٢) الأعشى: ديوانه، قصيدة ٦٢ بيت ٧ .

(١٣) العوام الشيباني : النقائض ص ٥٨٥ .

وغماً [1] ، أما المنتصر فقد كان له في كل رمية نَفَس راحة ، وفي كل طعنة غيظ يهجع ، وفي كل ضربة رجع يخف [2] . وحينما تحيق الهزيمة بعدوه كان يحس أنه شفى نفسه بهلاكهم [3] . فتسكن ثائرته ، ويبرد غليله ، ويذهب همه وحزنه ، وتسر يمينه [4] ، وتقر عينه [5] ، وعند ذلك تعود حياته إلى مجراها الطبيعي ، ويحلل ما حرمه على نفسه ، ولو وافاه أجله ، فإنه حينئذ يموت راضياً مطمئناً ، لأنه حقق رغبته ، وحصل على آماله ؛ وكان لسان حاله يقول :

متى يأتِ هذا الموتُ لا تَبقَ حاجةٌ   لنفسي إلا قد قضيتُ قَضاءها
وكانت شجاً في الحلقِ ما لم أبُؤْ بها   فأُبْتُ بنفسٍ قد أصبتُ دواءها [6]

وقد بالغ بعض الشعراء في ستر شعور الفزع ، حيث وصفوا أنفسهم بأنهم ليلة القتال باتوا يسمرون ، ويزمرون ، غير عابئين بالعدو المتربص :

فباتُوا لنا ضَيْفاً وبتنا بنعمة   لنا مُسمِعاتٌ بالدفوفِ وزامر [7]

أو بأنهم كانوا مثل اللاعبين في الميدان . قال قيس بن الخطيم :

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا   كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

---

(١) عميرة بن طارق : النقائض ص ٥٤ .

(٢) طفيل الغنوي : ديوانه ص ١٤ بيت ٦١ .

(٣) عنترة : العقد الثمين قصيدته رقم ٤ .

(٤) عميرة بن طارق : النقائض ص ٣ - ٤ .

(٥) مالك بن نويرة : العقد الفريد جـ ٣ ص ٨٧ .

(٦) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٣-٤ .

(٧) المعقر البارقي : النقائض ص ٦٧٦ .

وقال عمرو بن كلثوم في معلقته :

كأن سيوفنا منـــا ومنهم مخـــاريق بأيـدي لاعبينا

الصور الشعرية للشعور النفسي (٧٠٧ - ٧١١) :

شبه الهجوم عليهم حينما فاجأهم المهاجمون بامرأة طابخة تسلأ سمناً على نار قوية ، فغلت الزبدة وارتفعت إلى أعلى القدر دفعة واحدة ، فتحيرت المرأة واضطربت ، ولم تدر ماذا تفعل: أتـُنزِل القدَر بدون إكمال ، فتتلف الزبدة وتعيَّر بالخيبة ، أم تتركهـــا تفور وتطفو فتقع على الأرض وتخسر السمن (٧٠٧) ، وذلك في الحيرة والارتباك وعدم الاهتداء إلى الطريقة المثلى عند حدوث مفاجأة غير متوقعة ، مع عدم اتخاذ الحيطة اللازمة لمواجهة مثل هذه الحالة . وشبهوا كذلك بالحمار الساكت (٧٠٨) في السكون التام وقطع الحركة بسبب ما غشيهم من الخوف الذي أخرس ألسنتهم وشل حركتهم حتى صاروا كأنهم جامدين في أمكنتهم .

وشبهت حالة الخائف بحالة الوعل الذي يطارده الصياد (٧٠٩) في شدة الخوف واستيلاء الفزع على القلب . كما صورت حالتهم وهم في حزنهم الشديد بحالة الناقة التي ذبح فصيلها ، فعُمِل لها بَوّ ، فلم يُنسها ذلك ولدَها ، ولم يخفف شيئاً من حرارة فقده ، وشدة حزنها ووجدها عليه (٧١٠ - ٧١١) ، وذلك في شدة الحزن وعظم الفجيعة وعـــدم وجود أي شيء يخفف من شدة الوقع .

نماذج شعرية للموقعة :

١ - قال عبد الشارق بن عبد العزي [١] :

---

(١) ديوان الحماسة جـ ١ص ١٧٠ .

فجاءوا عارضاً بَرِداً ، وجئنا كَمثلِ السَّيلِ، نركَب وازعَينا[1]
ونادَوْا يا لُبهثَـةَ إذا رَأونا فقلنا : أحسِني ضرباً جُهَينا[2]
فلما ان تواقفنا قليـــلاً أنخنا للكَلاكِلِ فارتَمينا[3]
فلمّا لم ندع قوساً وسهماً مَشَينا نحوَهُمْ ، وَمَشَوا إلينا
تلألؤَ مزنةٍ برقَتْ لأُخرى إذا حَجَلوا بأسيافٍ رَدَيْنا[4]
شدَدنا شـــدةً فقتلتُ منهم ثلاثةَ فتيـــةٍ ، وقتلتُ قَيْنا
وشَدُّوا شـدةً أخرى فجرُّوا بأرجلِ مثلِهم ، ورَمَوا جُوَيْنا

٢ – وقال يزيد بن سنان بن حارثة[5] :

لمّـــا أن رأيتُ بني حُيَيٍّ عرفتُ شَناءتي فيهم ووِتري[6]
رميتُهمُ بوَجْرَةَ إذ تواصَوْا ليَرْمُوا نَحْرَها كَثَباً وَنحري[7]
إذا نفـــذتهمُ كرَّتْ عليهم كأن فَلُوَّها فيهم وبِكري[8]

(١) العارض : السحاب المعترض في الأفق . بَرِد : فيه بَرَد . الوازع : الذي يرتب الجيش يقدم فيه ويؤخر .
(٢) نادوا بالبهثة : أي دعوا بهثة .
(٣) تواقفنا قليلا : أي وقف بعضنا مع بعض إما للتعبئة ، أو لتداعي المبارزة . للكلاكل للصدور واللام زائدة ، أو بمعنى على . ارتمينا : ترامينا بالسهام .
(٤) المزنة : السحابة البيضاء . حجلوا : من الحجلان وهو تقـارب الخطو كمشي المقيد : ردينا : من الرديان وهو مشية فوق الحجلان .
(٥) المفضليات ص ١٢١ .
(٦) شناءتي : بغضي . وتري : ثأري .
(٧) وجرة : فرسه . كثباً : قرباً .
(٨) الفلو : ولد الفرس . يقول : من شدة طلبي وطلب فرسي لهم كنت كأني أطلب فيهـم ولداً لي ، وهي كذلك .

بِذات الرِّمث إذ خَفَضُوا العَوالي ... كأن ظُبَاتِهـا لَهَبَان جمر [1]

فلم أنكُل ولم أجـبُن ولكن ... يَمَّمْتُ بها أبا صَخْرَ بنَ عمرو

شككتُ مجامعَ الأوصال منه ... بنافـذة على دَهَش وذُعر

تركت الرمح يبرق في صَلاه ... كأن سنانه خُرطوم نسر [2]

وقال عنترة العبسي في معلقته :

ومدَجَّـج كَرِهَ الكُماةُ نِزاله ... لا مُمعنٍ هرباً ولا مستسلم [3]

جادت يداي له بعاجـل طعنةٍ ... بمثقف صَدْق الكعوب مُقوَّم

برحيبة الفرغين يَهدِي جَرسُها ... بالليل مُعتس الذئاب الضُّرم [4]

فشككتُ بالرمح الأصمّ ثيابَه ... ليس الكريمُ على القنا بمحَرَّم

فتركتُه جَزَرَ السباع يَنُشْنَه ... يَقْضَمْنَ حُسنَ بنانه والمِعصَم [5]

ومَشكِّ سابغةٍ هتكتُ فروجَها ... بالسيف عن حامي الحقيقة مُعلم [6]

رَبِذٍ يداه بالقـداح إذا شتا ... هتَّاكِ غايات التجار مُلوَّم [7]

---

(١) ذات الرمث : وادٍ لبني أسد . اللهبان : اشتعال النار إذا خلص من الدخان .

(٢) الصلا : ما اكتنف الذنب من الجانبين .

(٣) المدجج : التام السلاح . الإمعان : الإسراع في الشيء والغلو فيه .

(٤) رحبة : واسعة . الفرغ : مدفع الماء إلى الأودية . الجرس : الصوت ، المعتس من الذئاب وغيرها : الذي يطلب فريسة يأكلها . الضرم : الجياع ، جمع ضارم .

(٥) جزر السباع : طعمة لها . القضم : الأكل .

(٦) المشك : الدرع التي قد شك بعضها إلى بعض ، وقيل مساميرها . المعلم : الذي شهر نفسه بعلامة يعرف بها .

(٧) الربذ : السريع . شتا : دخل في الشتاء . الغاية : راية الخمار .

لما رآني قد نزلت أُريــــدُه أبدى نواجــــذَه لغير تبسُّم

عهدي به مَدَّ النهار كأنمــــا خُضِبَ البنانُ ورأسُه بالعِظْلِمِ (١)

فطعنتُه بالرمح ثم علوتــــهُ بمهنّدٍ صافي الحديدة مِخْذَمِ

وفيها يقول أيضاً :

ولقد حفظتُ وصاةَ عمي في الوغى إذ تَقلصُ الشفتانِ عن وَضَحِ الفم (٢)

في حَوْمة الحرب التي لا تشتكي غمراتِها الأبطالُ غيرَ تغمغم (٣)

إذ يتقون بِيَ الأسنـــةَ لم أَخِمْ عنها ولكن قد تضايق مَقْدَمي (٤)

لما سمعتُ نداء مُرّةَ قد عــــلا وابنَيْ ربيعةَ في الغُبار الأَقْتَم

ومُحلِّم يسعـــون تحت لوائهم والموتُ تحت لواء آل محلم

أيقنتُ أن سيكون عند لقائهم ضربٌ يَطير عن الفراخ الجُثَّم (٥)

لما رأيتُ القومَ أقبل جمعُهم يتذامرون كررتُ غيرَ مذمَّم (٦)

يدعون عنترَ والرماحُ كأنهـــا أشطانُ بئر في لَبَان الأدهم (٧)

---

(١) يقول رأيته طول النهار بعد قتلي إياه وجفاف الدم عليه كأن رأسه وبنانه مخضوبان بهذا النبت ،

(٢) القلوص : التشنج والقصر . وضح الفم : الأسنان .

(٣) حومة الحرب : معظمها وشدتها . التغمغم : صياح وجلب لا يفهم منه شيء .

(٤) الخيم : الجبن . المقدم : موضع الأقدام ، أو الإقدام .

(٥) فرخ الرأس : الدماغ ، والمراد يطير الهام .

(٦) يتذامرون : يحض بعضهم بعضاً . مذمم : مذموم .

(٧) الأشطان جمع شطن وهو الحبل . اللبان : الصدر . الأدهم : فرسه .

ما زلتُ أرميهم بِثُغْرَةِ نَحْرِه   ولَبَانِه حَتّى تَسَربل بالدم[1]
فازْورَّ من وقْع القنـــا بلَبانه   وشكا إليَّ بِعَبرة وتَحَمْحُم[2]
لو كان يدري ما المحاورةُ اشتكَى   ولكان لو عَلِم الكلامَ مُكلِّمي[3]
ولقد شفى نفسي وأذهبَ سقمها   قِيلُ الفوارسِ وَيْكَ عنترُ أقْدم
والخيل تقتحم الخَبارَ عوابساً   من بين شَيظمةٍ وأجرَدَ شيْظَمِ[4]

٤ – وقال المهلهل لما قُتل أخوه كليب[5] :

أرَى طول الحيـاة وقـد تولّى   كما قد يُسلَب الشيءُ المعار
كأني إذ نَعَى الناعي كليباً   تطايرَ بينَ جنبيَّ الشَّرار
فدُرتُ ، وقد عَشا بصري عليه   كما دارتْ بشارِبها العقار
خذ العهدَ الأكيـدَ عليَّ عُمري   بتركي كلَّ ما حوت الديار
وهجري الغانياتِ وشربَ كأسٍ   ولُبسي جبـــةً لا تُستعار
ولستُ بخالعٍ دِرعي وسيفي   إلى أن يخلع الليلَ النهار
وإلا أن تبيـد سَراة بكر   فلا يَبقى لها أبداً أثار

(١) الثغرة : الهزمة التي في الحلق . تسربل : سار بمنزلة السربال .
(٢) ازورّ : مال . التحمحم : صوت مقطع ليس بالصهيل .
(٣) المحاورة : المراجعة .
(٤) الاقتحام : الدخول بسرعة . الخبـــار : الأرض اللينة ذات الأحجار . العوابس : الكوالح . الشيظم : الطويل . الأجرد : القصير الشعر .
(٥) شعراء النصرانية ص ١٦٤ .

٥ - وقال الحصين بن الحمام [١] :

فليت أبا شبلٍ رأى كرَّ خيلنا وخيلِهمُ بين السِّتار فأَظْلَما [٢]
نطاردهمْ نستنقذُ الْجردَ كالقَنا ويستنقذون السمهريَّ المقوَّما [٣]
عشيةَ لا تُغني الرماحُ مكانَها ولا النبلُ إلا المشرفيُّ المصمَّما [٤]
لَدُنْ غدوةٍ حتى أتى الليلُ ما ترى من الخيل إلا خارجيّاً مسوَّما [٥]
وأجردَ كالسِّرحان يضربُه الندَى ومحبوكةً كالسِّيد شقّاءِ صِلْدِما [٦]
يطأْن من القتلَى ومن قِصَدِ القنا خَبَاراً فما يجرين إلا تجشُّما [٧]
عليهن فتيانٌ كساهمْ مُحرِّقٌ وكان إذا يَكْسُوأجادَ وأكْرَمَا [٨]
صفائحَ بُصْرَى أخلصتها قُيونُها ومطَّرِداً من نسج داودَ مُبْهَمَا [٩]
يهزون سُمراً مِن رِمَاحِ رُدَيْنةٍ إذا حُرِّكتْ بضَّتْ عواملُها دما [١٠]

---

(١) المفضليات ص ١٠٥ الأبيات ٨ - ١٦ .

(٢) الستار وأظلم : موضعان .

(٣) الجرد : الخيل القصيرة الشعر . السمهري : الرمح .

(٤) مكانها : أي مكان استعمالها . المصمم : الذي يمضي في صميم العظم .

(٥) الخارجي من الخيل : الجواد في غير نسب تقدم له كأنه نبغ بالجودة . المسوم : المعلم بعلامة في الحرب ، ولا يفعل ذلك إلا الفارس الشجاع ، فهم الذين يسومون أنفسهم وخيلهم ، شجاعةً وجرأةٍ .

(٦) المحبوكة : الفرس التي حبك خلقها أي فتل فتلا شديداً . شقاء : طويلة . صلدم: صلبة.

(٧) قصد القنا : القطع المكسرة من الرماح . الخبار : الأرض اللينة فيها جحور . التجشم: حمل النفس على المشقة .

(٨) محرق : أحد ملوك اللخميين بالحيرة ، قيل إنه عمرو بن هند ، وقيل الحارث بن عمرو .

(٩) الصفائح : السيوف العريضة . أخلصتها : نقتها من العيوب . القين : الحداد والصيقل . المطرد : المتتابع يريد أنها لا فتق فيها . المبهم: الذي لا ثلم فيه ، أو الذي لا يخالط لونه لون آخر .

(١٠) السمر : رماح أصلب من غيرها . بضت : سالت .

٦ – وقال امرؤ القيس بعد قتال من قتلوا أباه [١] :

قد قَرّتِ العينانِ من مالكٍ ... ومن بني عمروٍ ومن كاهِل
ومن بني غَنْمِ بن دُودانَ إذْ ... تَقْذفُ أعلاهُمْ على السافل
نطعنهمْ سُلْكَى ومخلوجَة ... كَرَّكَ لأْمين على نابل
إذ هُنَّ أقساطٌ كرِجْلِ الدَّبا ... أو كقَطَا كاظِمَةَ النَّاهِل
حتى تركْناهمْ لدى مَعْرَكٍ ... أرجلهمْ كالخَشَبِ الشَّائل
حلت لي الخمرُ وكنت امرءاً ... عن شُربِها في شُغُلٍ شاغِل
فَاليوم فَاشْرَبْ غيرَ مستحقِبٍ ... إثما من الله ولا واغِل

٧ – وقال قيس بن الخطيم [٢] :

ثأَرتُ عديًّا والخطيمَ فلم أُضعْ ... ولايةَ أشياءٍ جُعِلتُ إزاءها [٣]
ضربتُ بذي الزِّرَّين رِبْقَةَ مالكٍ ... فأُبتُ بنفسٍ قد أصبتُ شفاءها [٤]
وسَامَحَني فيها ابنُ عمرو بن عامرٍ ... خِداشٌ، فأدَّى نعمةً وأفاءها [٥]
طعنتُ ابنَ عبدالقيس طعنةَ ثائرٍ ... لها نَفَذ لولا الشُّعاعُ أضاءها [٦]

---

(١) العقد الثمين : ديوان امريء القيس القصيدة رقم ٥١ وديوانه (دار المعارف) ص ١٢٠،
(٢) ديوانه ص ٢ الأبيات ٤ – ١٤ .
(٣) ثأرت فلاناً : طلبت قاتله واقتصصت منه إزاءها : جعلت القيم بها .
(٤) ذو الزرين : سيفه . ربقة مالك : يريد رقبته .
(٥) سامحني : تابعني . فاء : رجع .
(٦) الشعاع : بضم الشين : حمرة الدم . وبفتح الشين : انتشار الدم . لهـا نفذ : نافذة . يريد : لولا الدم لأضاءها النفذ حتى تستبين .

مَلكتُ بها كفّي فأنهرتُ فتقَها ... يَرى قائمٌ من خَلفها ما وراءها [1]
يَهونُ عليَّ أن تردَّ جراحُها ... عيونَ الأواسي إذ حَمِدتُ بلاءها [2]
وكنت امرأً لا أسمعُ الدهرَ سُبَّةً ... أُسَبُّ بها إلا كشفتُ غطاءها
وإنّي في الحرب الضروسِ مُوَكَّلٌ ... بإقدام نفسٍ ما أريدُ بَقاءها
إذا سَقِمتْ نفسي إلى ذي عداوةٍ ... فإني بنصل السيف باغٍ دواءها
متى يأت هذا الموتُ لا تَبْقَ حاجةٌ ... لنفسيَ إلّا قد قضيت قضاءها
وكانت شجاً في الحلق مالم أبُؤ بها ... فأبتُ بنفسٍ قد أصبتُ دواءها [3]

٩ ــ ما حدث للأعداء

ونعني بهذا ما تحدث به الشعراء عن حال الأعداء منذ تقابلهم مع جيش الشاعر ، إلى نهاية المعركة ، وما لحق بهم من أذى ، وما نزل بهم من أضرار وويلات بسبب القتال .

وهنا نجد الغالبية العظمى من الشعراء قد أفسحوا المجال لخيالهم ، وأطلقوا العنان لتصوراتهم ، فبالغوا في وصف سوء حال العدو ، خصوصاً بعد انتهاء القتال ؛ فصوَّروهم بما يفهم منه أنهم قد هلكوا عن آخرهم ، أو كسرت شوكتهم بحيث لن تقوم لهم قائمة بعد ذلك .

لكن بجانب هذه الغاية ، نجد جماعة من الشعراء لم يندفعوا في تيار المبالغة والمغالاة في تصوير حال الأعداء ، بل كانوا معتدلين منصفين ؛ فوصفوا في

---

(١) ملكت : شددت . أنهرت : أجريت الدم ، أو من قولهم ينهرون الأنهار أي يحفرونها .
(٢) يقصد أن هؤلاء النساء لا يستطعن النظر إليها من شدة هولها .
(٣) الشجا : الغصص ، يقال شجي بالشيء إذا غصه وإذا أحزنه .

قصائدهم ما حدث للفريقين دون تحيز لأحدهما ، وقد اشتهرت هذه القصائد ، وكان لها تقدير خاص ، حتى سميت باسم « المنصفات » ، وأظهر شيء فيها أن الشاعر كان يحكي فيها ما حدث لقومه في مقابل ما حدث للأعـــداء ، ويتحدث عن الجانبين بما يصف الحقيقة والواقع ، وقد يمدح فيها العدو بالقوة والشجاعة . من ذلك مثلاً ما قاله عبد الشارق بن عبد العزى [1] :

فلمَّا لم نَدَع قوساً و سهماً ... مشيْنا نحوهم وَمشَوا إلينا
تلألؤَ مُزْنةٍ برُقتْ لأُخرى ... إذا حَجلُوا بأسيافٍ رَدَينا
شَدَدْنا شَـــدّة فقتلتُ منهم ... ثَلاثَةَ فتية وقتلتُ قَيْنا
وشدُّوا شدةً أخرى فجرُّوا ... بأرْجل مثلِهم : ورَمَوْا جُويَنا
وكان أخي جُوينُ ذا حِفاظ ... وكان القتلُ للفتيانِ زَيْنـا
فـآبوا بالرمـاح مكسَّرات ... وأُبنا بالسيوف قد انْحنينا
وباتوا بالصعيد لَهُم أَحاح ... ولو خَفَّت لَنَا الكَلْمَى سَرَينا

أما أشعار الغالبية من الشعراء فتجد فيها صوراً شتى لحال الأعـــداء ، فبعضهم يدعي أنهم عندما رأوا كثرة قومه تحيروا ، واضطربوا . وضل عنهم الرشد ، ففقدوا صوابهم ، ولم يدروا ماذا يفعلون ؛ وبعضهم يذكر أن الأعداء في يوم الموقعة جرى لهم طير النحس بالشؤم عليهم ، فلقوا يوماً غشوماً مظلماً ، كثرت فيه قتلاهم ، حتى شبعت الضباع والذئاب والنسور والغربان ، وكل أنواع الوحوش والطيور الجارحة ، وفي صورة أخرى نرى أنه قد قتل منهم الرؤساء والملوك ، ولم يبق إلا هارب ملَكَ الخوفُ قلبـه ، أو أسير مكبل بالأغلال ، أو سبية تشكو الهوان ، أو امرأة تلبس السواد ، وتتألم من

(١) ديوان الحماسة ج ١ ص ١٧١ - ١٧٢ .

الترمل والذل ، أو طفل يئن ويبكي اليتم والحاجـــة ، في حين أننا نجدهم في صور أخرى قد بادوا وهلكوا ، وعادوا رميماً كأن لم يكونوا .

وقد أكثر الشعراء في هذه الناحية من ترديد إذلالهم الأعـداء ، ووسمهم بسمة الفضيحة والعـــار ، وهتك بيوتهم ، ومحو شرفهم ، وأخـــذهم عبيداً أذلاء ، والاستيلاء على أموالهم واغتنام أسلحتهم ومعداتهم ، وتشتيت قبائلهم ، واستباحة أوطانهـــم ، واحتلال منازلهم ، وإلجائهم إلى استبدال الجبال والبان والعرعر بديارهم ، وطردهم إلى أماكن مجهولة لم يعرفهـــا أحد قبلهم .

ومن الطبيعي أن يتحدث الشعراء هنا عن القتلى ، والجرحى ، والفارين ، والأسرى ، والسبايا . وفيما يلي تحليل ما قالوه عن كل من هؤلاء .

ا – **القتلى** :

بجانب ما كثر الفخر به في الشعر من قتل الأعداء وإهلاكهم ، فقد افتخروا على الخصوص ، بقتل كرماء القوم ورؤسائهم وملوكهم .

أما كيفية قتلهم ، فقد بالغ الشعراء هنا في وصف الطعنات والضربات كما سبق بيانه وذكروا من مواضيع الطعن والضرب ما كان قاتلا : مثل الحشا ، والثغرة ، والهام ، وصماخ الأذنين .

وأما وصف القتلى ، فقد قالوا فيه : إنهم كانوا يتساقطون ، وقد أوجروا الرماح ، ينزفون الدماء حتى تبل أجسامهم وثيابهم ، فرووا الكثبان وملئوا البقاع ، لم توسد خدودهم فتعفرت جباههم ووجوههم بالتراب ؛ وسقطوا في القفر حيث لا حبيب معهم ، يألم لألمهم ، أو يبكي لما نالهم ، ولا قريب يحملهم أو يواريهم التراب ؛ وتركوا في مكان مهجور لا يمر بهم إنسان ؛ تعودهم الضباع وتحجل فوقهم الطير ، وكانوا غـــذاء شهياً للسباع ، تلتهم لحومهم ، وتجر أوصالهم ، وتتمخخ عظامهم ، وتكسر هامهم ، وتقطع لحامهم ، أو تركوا حتى

انتفخت أجسامهم ، وعلاهم جاسد الدماء فبشع منظرهم ، وشالت أرجلهم ، وطال عليهم الزمن حتى يبست أجسادهم ، وتكسرت كالهشيم .

ب - الجرحى :

لم يتحدث الشعراء عن الجرحى إلا نادراً ويـــكاد الحديث عنهم في شعر الحرب يكون معدوما،ولعل هذا راجع إلى اعتقادهم أن البطل كانت طعنته قاضية ، وضربته قاصمة، يخر على أثرها العدو صريعاً لا حركة به ولا حياة؛ فمن أصابه البطل بطعنة أو ضربة سقط قتيلا في الحال ، أو جريحاً لا أمل فيه للحياة .

ومما لدينا من أمثلة قليلة للجرحى ، نجد الشاعر يتحدث فيها مثلا عن حالة المصاب قبل أن يلفظ أنفاسه كقول عنترة [١] :

وقرنٍ قد تركت لدى مَكَرّ ... عليه سبائب كالأرجوان

تركتُ الطيرَ عاكفةً عليه ... كما تَرْدِي إلى العُرس الغواني

ويمنعهن أن يأكلن منه ... حياةُ يدٍ ورجلٍ تركُضان

أو عن حالة مصاب قد أصيب ، وتركه الطاعن أو الضارب ، فلم يدر ما آل إليه أمره ، كقول يزيد بن سنان [٢] :

شككتُ مجامعَ الأوصال منه ... بنافـــذة على دَهَش وذُعر

تركت الرمح يبرُقُ في صَلاه ... كأن سِنانه خُرطومُ نَسر

---

(١) العقد الثمين ؛ ديوان عنترة قصيدة ٢٥ .

(٢) المفضليات : ص ١٢١ .

فإن يبرأ فلم أنفث عليه وإن يَهْلك فذلك كان قَدْري [1]

وعلى كل ، ففي مثل هذه الحالة نجد الشاعر يصف المصاب بأنه كان في حالة خطرة ، ملأه الدم ، وإصابته شديدة ، مما يقلل الأمل في شفائه ، ويجعله على وشك الهلاك .

حـ – الفارّون :

كان ما تحدث به الشعراء عن أعدائهم الهاربين يدور حول ذمهم وهجائهم بفرارهم من القتال عندما رأوا خصومهم وتحققوا من شدة الخطر المحدق بهم. وقد أرجع الشعراء ذلك إلى الجبن ، والخوف، وشدة الحرص على متع الحياة ، وطول الأجل ، والراحة .

وقد بالغ الشعراء في وصف سرعة الفارين ، وصوروهم بصورة يبدو منها أنه لم يكن من الممكن الوصول إليهم أو اللحاق بهم ، بسبب سرعة الخيل التي فروا عليها وأنها كانت سرعة خارقة للعادة .

فلو أنها تجري على الأرض أدرِكتْ ولكنها تهفُو بِتمثال طائِر [2]

وكان الشاعر يؤكد أنه لولا سرعة الخيل لعانى صاحبها متاعب شديدة ، وآلاماً شتى :

فوالله لو أنّ امرأ القيس لم يكن بفَلْجٍ على أن يَسبق الخيلَ قادراً
لقاظ أسيراً ، او لعالجَ طعنةً تَرى خَلفَه منها رشاشاً وقاطراً [3]

---

(١) يقول : إن برىء فلم يكن برؤه من رقية مني رقيته بها لأني لم أرد أن يبرأ ، وإن يهلك فذلك الذي قدرت له وأردت به .

(٢) سلمة بن الخرشب : المفضليات ص ٣٦ بيت ٨ .

(٣) مقاس العائذي : المفضليات ص ٦١٠ البيتان ٤ – ٥ .

ولهذا تراهم على سبيل التهكم والسخرية بالفارين يطالبونهم بشكر خيلهم التي نجتهم وأطالت آجالهم ؛ قال سلمة بن الخرشب[1] :

فأثنِ عليها بالذي هي أهلُه ... ولا تكفرنْها ، لا فَلَاح لكافر

وقد وصفوا حالة الذعر والرعب التي استولت عليهم بأنها كانت شديدة لدرجة أنهم ما كانوا يلوون على شيء إلا أن ينجوا بحياتهم ؛ فكانوا يرمون أطمارهم ليخففوا عن أنفسهم وعن الفرس فتزيد سرعتها ، وكانوا في حالة اضطراب وذهول ، وقد أكثر الشعراء من الحديث عن حالة الدهشة والخوف التي كان عليها الفارون وما كانوا فيه من فقدان الرشد والصواب ، وضلالهم عن الطرق المألوفة ، وسلوكهم أماكن مجهولة لم يعرفها أحد قبلهم .

د – الأسرى :

كان الحديث عن الأسرى من الرجال مجالاً لفخر الشعراء ، والمدح ، والذم ، والهجاء ، والتهديد : وكان يدور حول مكانة الأسير الاجتماعية ، وحالهم وقت الأسر ، وفي أثناء إقامتهم أسرى ؛ حسب الغرض الذي يتحدث فيه الشاعر .

فافتخروا ومدحوا بأسرهم سراة القوم ورؤساءهم ، وملوكهم ، ورجوعهم بجماعات كثيرة من الأعداء ، مقرنين في الحبال . ويساقون مجنبين ، ويهبطون بهم البيد ، ويصعدون الأعلام .

وذموا وهددوا بتكبيل الأسرى بالأغلال والسلاسل والقيود المصنوعة من الحديد ، أو الحبال ، أو القدّ وهو الجلد الخشن .

وهجوا الأعداء وعيّروهم بأن رجالهم في الأسر كانوا يمانون الألم ، ويعالجون القيود التي تمضّهم ، ويقضون القيظ وهم عانون ، خاشعون أذلاء ، وقد سلبوا كل ما معهم ، لا ينالون من خير الطعام شيئاً ، وشرابهم كان بقية شرب آسريهم .

ويفهم من أشعارهم أن نهاية الأسير كانت إما الفـــداء أو إطلاق السراح بدون فدية ، منّاً أو تكرّمـاً ، مع جز الناصيـــة . وجاء في أشعارهم أنهم كانوا يقتلون الأسرى ، أو بعضهم ، أخذاً بالثأر .

هـ – السبايا :

لقد تحدث الشعراء كثيراً عن سبي النساء ؛ ويظهر أن ذلك راجع إلى صلته الشديدة بشرف القوم وكرامتهم ، وشدة عنايتهم واهتمامهم بالمحافظـة على أعراضهم .

وكان الحديث عن السبايا كذلك مجالاً للفخر ، والمدح ، والهجاء ، والذم ، والتهديد ، والإنذار . ويدور حول وصفهن ، ووصف أحوالهن وقت الأسر ، وفي أثنائه ، وعند رجوعهن إلى أهليهن .

فافتخر الشعراء ومدحوا بسبي النساء : الأبكار والعون ، خاصة مَن كنّ من شريفات القوم ، وكرائم العقيلات ، وبنات الوجهاء ، وحلائل الرؤساء ، ومَن كنّ في نعمة ورفاهية .

وذموا ، وهجوا . وعيّروا ، وهددوا بأن السبايا يحملن على مركب وعر ، يُدمي عجوبهن ، أو يمشين على كُره ، يلطمن الوجـــوه ويذرفن الدموع ، ويتلفتن يميناً وشمالاً علهن يجدن مُعيناً ، وينادين مستغيثات ؛ تعضهن القيود ، وتوجعهن فوق المعاصم والعراقيب . يقضين الوقت ساهمات ، وقد أبدلن بالمنازل الشّعابَ ، وأرغمن على الظهور كاشفات حاسرات ، واتخذن للخدمة والتمتع بهن ، حتى إنهن ليخدمن العضاريط ؛ عبراتهن تنهمر ، ويشهقن كلما اشتد بهن الشجو ، ويبكين حزناً وألماً ، لما يلقين من الذلة والإهانة .

ومما يستدعي الانتباه أن الشعراء أكثروا من الحديث عن جمـال السبايا ، وكان حديثهم في ذلك يدور حول الجمـــال الجسماني ؛ فوصفوا السبايا بأنهن رائعات جميلات ، فاتنات ، حتى إنهن كن يتخذن التمائم خوفاً من الحسد ؛ بيض ، ناهدات ، حور العيون ، غريرات . ورددوا وصف السبية بأنها صافية

البشرة ، حسنة الوجه ، كاعب ، خدلة الساق رخصة اليد ، مخضبة البنان ، برود الرضاب .

الصور الشعرية لما حدث للأعداء ، (٧١٢ – ٧٨٨) :

شبه توالي الطعن والضرب من كل ناحية بالمطر المنهمر (٧٣٧ – ٧٣٩) في الكثرة والتوالي والنزول من كل صوب ؛ وبسجل الماء (٧٦٢ – ٧٦٣) في الكثرة وسرعة الانصباب .

وقورنت حالتهم عند سقوطهم صرعى باللعبة التي يرمى بها في اللعب (٧٤٥) ؛ وبالشجر المقطوع (٧٦٨ – ٧٦٩) في القطع والسقوط بمجرد الرمي .

وشبهت رؤوسهم المتساقطة في القتال بالحنظل (٧٤١ – ٧٤٢) ؛ وأحمال الجمال المتساقطة عنها (٧٦٥) في السقوط والبعثرة في الصحراء وبين ثنايا الرمال .

وشبهت حالتهم والسهام مغزورة فيهم بالجفير الذي يحفظ النبال (٧٦٤) في الاشتمال على السهام .

أما كثرة الدماء السائلة على وجوههم فقد شبهت بالخمار (٧٥١) في تغطية الوجه وستر ملامحه . وأما تلك التي تجري في الميدان فقد شبهت بالبحار حتى إن القتلى كالسابحين فيها (٧٤٧) في الكثرة والتدفق في جميع النواحي . وشبهت حال الأسلحة المنغمسة في دمائهم بحال العطشان كأنها تشرب (٧١٥ – ٧١٦) .

وشبهت حالة سلبهم جميع ممتلكاتهم بتقشير الجذع (٧٦٦ – ٧٦٧) في التجريد من كل شيء . أما تصورهم من الألم الذي لحق بهم فقد شبه بهرير الكلاب التي تعضها الأفاعي (٧٧١) في التوجع والأنين . وقورنت شدة الوقع عليهم بالأحمال الثقال على الإبل حتى إنها لتمعج منها (٧٨٨) في الثقل والتألم . وشبهت آثار المصيبة الشديدة فيهم بالأثر الذي يحدث من ثقل وطء البعير المقيد (٧٨٠ – ٧٨١) ، وبروك الإبل بصدورها (٧٧٦) .

أما عدم استطاعتهم الصمود أمام القوة العظيمة ، فقد قورن بانهيار الجرف

أمام قوة اليمّ الجارفة (٧٤٠) وشبهت حالة ذلّهم واستكانتهم بجراء الكلاب التي تنقل إلى أية جهة (٧٠٠)، وبالغنم والإبل تذبح عند المشيئة (٧٧٢و٧٧٥)، وبالسقبان بين الحلائب (٧٧٧) وبالجلب الذي يساق (٧٨٢ – ٧٨٣) في الضعف والمهانة والتصرف حسب رغبة المالك المتسلط .

وأما إهلاكهم فقد شبه بالطحين (٧٧٣ - ٧٧٤) في التكسير والتفتيت؛ وبهلاك الأمم السابقة عاد وثمود (٧٨٥ – ٧٨٨) في فنائهم عن آخرهم، وعدم بقاء أحد منهم . وقورن مجيء الطير إلى جثثهم بمجيء الغواني إلى حفلات العرس (٧٥٢) في السرعة من الفرحة والبهجة .

وشبهت حالة طردهم خزايا منهزمين بطرد الإبل العطاش عن الماء (٧٧٩)؛ وطرد الإبل الغريبة عن ورود المياه (٧٨٤) في الصد عن تحقيق رغبة ملحة مع ما في معنى ذلك من استضعاف وتحقير .

أما العار الذي لحقهم بسبب هزيمتهم فقد شبه بخواطم الإبل على أنوفها (٧١٤) في الظهور والوضوح وبقائه على مر الزمن مع تشويه المنظر ؛ وشبه كذلك بكساء من القبح والذل (٧٤٩–٧٥٠) في الاشتمال عليهم وتغطية كل ما تحته .

وقد شبهوا ما حدث للأعداء تهكماً وسخرية ، بالدواء الذي يعطى للمريض ليشفيه (٧١٢–٧١٣) لإنقاذهم مما هم فيه، وردّهم إلى أحوالهم الطبيعية ؛ وبالشرب وكؤوس الخمر والصبوح (٧١٥–٧٣٦) في الوصول إلى أجوافهم والاختلاط بأجسامهم كأنهم يحسون له متعة ولذة ؛ وبالغنائم التي يحصل عليها المحاربون (٧٤٣–٧٤٤) كأنهم فازوا بما نالوا . وشبهوا حين تطعنهم الرماح بلعبة اللاعب (٧٤٦) كأن الرماح تجد فيهم ما يجد اللاعب في لعبته من اللذة والترويح والمتعة النفسية. وقورن ما ناله الأعداء بإكرام الضيف(٧٥٣–٧٦١) في الإسراع به ، وبذل كل ما في الجهد ، والسعة ، والإكثار ، والمبالغة فيه .

الصور الشعرية للقتلى (٧٨٩ – ٧٩٤) .

شبهت حالة القتلى الذين تقطعت جلودهم وانتفخت أجسادهم بقشر

القتادة بعد المطر (٧٨٩) في التقاص والتصلب. كما شبهوا بالخشب (٧٩١-٧٩٤) في الجفاف والصلابة . أما حالة أجسامهم بعد أن تحللت لطول الزمن فقد شبهت بالهشيم (٧٩٠) في التكسر والتفتت بمجرد المس .

الصور الشعرية للفارين (٧٩٥-٨٠٧) .

شبهت حالتهم عند الهرب بحالة التيوس التي لها يعار (٧٩٥) في الخوف والضوضاء التي يحدثونها . وشبهوا بالعقاب (٧٩٧) ؛ وبالصخرة الساقطة من مكان عال (٧٠٧) في السرعة .

وشبهوا بالمها (٧٩٦) وبالغنم التي تجري وراءها الذئاب (٨٠٤) ، وبالأتان (٨٠٥) ، وبالنعام الذي يطارده صائدوه (٧٩٨-٨٠٣) في السرعة الشديدة مع الخوف والرعب .

وشبهت حالة الهاربين ، وهم يجرون في الأماكن البعيدة عن الطرق ، وبين الأشجار والأعشاب بحال حاطب يجمع الحطب الجاف (٨٠٦) في الضلال والتوغل في الجهات النائية المجهولة .

الصور الشعرية للأسرى (٨٠٨-٨١٠)

شبهوا في سيرهم وعليهم الدروع بالجمال الجربَى المطليّة بالقار (٨٠٨) في السواد والغبرة التي تعلو وجوههم وأجسامهم . كما شبهت أصوات الحديدالذي في القيود والسلاسل والأغلال بالغناء (٨٠٩-٨١٠) في الرنين والنغمات وكأن في ذلك طرباً يتمتعون به .

الصور الشعرية للسبايا (٨١١-٨١٩)

شبهت القيود والسلاسل التي تعض معاصمهن وعراقيبهن بالثقاف التي تضغط على الرماح لتقومها وتسويها (٨١٦) في الضيق الشديد والصلابة مع الضغط بقوة ، وكأن ذلك يقوّم اعوجاج قومهن ، وشبهن بالسعالي (٨١٣) في القبح وبشاعة المنظر .

أما جمالهن الجسماني فقد قورن بجمال الدمى (٨١١) ، والربرب (٨١٢) ، والمهاة (٨١٥) ، والظباء (٨١٧) .

وشبهت ثديهن بالرمان (٨١٤) في الاستدارة والاكتناز . وشبهت وجوههن بالهلال (٨١٨) ، وشمس الضحى (٨١٩) في البياض والضياء .

نماذج شعرية لما حدث للاعداء :

١ - قال عامر بن الطفيل [١] :

تركْنا مَذْحِجاً كحديث أمس ... وأرْحبَ إذ تَكَفَّنُهم فِئاما [٢]
وبعْنا شاكــراً بتِلاد عَكٍّ ... ولاقى مَنْسِرٌ منا جُذَاما [٣]
وَطحطَحْنـا شَنوءةَ كلَّ أوْب ... ولاقت حِمْيرٌ منا غَراما [٤]
وهَمْدانٌ هنــالك ما أبالي ... أحرباً أصْبَحوا لي أم سِلَاما
ولاقينا بأبطحِ ذي زَرُودٍ ... بَني شَيبانَ فالتَهموا التهاما [٥]
وحيًّا من بني أسَــدٍ تركْنا ... نساءهمُ مسلِّبــةً أيامَى [٦]
وقتَّلنا حنيفةَ في قُراهـــا ... وأفْنَى غزوُنا حَكَماً وحَاما

---

(١) ديوانه ص ٩٥ .

(٢) مذحج : قبيلة من اليمن . وأرحب من همــدان . تكفنهم : أراد الخيل أي تضمهم وتجمعهم . فئاماً : جماعات .

(٣) المنسر من الخيل : ما بين الستين والسبعين .

(٤) شنوءة : يعني الأزد ؛ من أقام باليمن فهم السراة ، ومن سار منهم فتخلف بمكة فهي خزاعة ، ومن أقام بالمدينة منهم فهم الأوس والخزرج ، ومن نزل منهم بالشام فهم غسان ، ومن نزل منهم عمان فهم شنوءة . غرام : عذاب .

(٥) الأبطح والبطحاء : كل بطن واد ، زرود : جبل رمل . التهموا : ابتلعوا .

(٦) مسلبة : تركت الزينة وهي السلوب ، وهي الحاد خاصة التي تترك الصبغ والكحل على ميتها . وأيامى جمع أيم ، وهي التي لا زوج لها .

قتلْنا كبشَهم فَنَجَوا شِلالا كما نفَّرْت بالطَّرد النَّعاما [1]
وجئنا بالنساء مُرَدَّفات وأذوادٍ فكنَّ لنا طَعاما
وبيَّتْنا زُبَيْداً بعد هَدْءٍ فصبَّح دارَهم لجبا لُهاما [2]
وقد نِلنا لعبد القيس سَبْياً من البحرين يُقتَسم اقتساما
ولاقينا بذي نجَبٍ حُصَيْنا فأهلكْنا بمَقْلَتِنا أُسَاما [3]
وأَفْلَتَنا على الحَوْمان قَيسٌ وأسلَمَ عِرْسَه ثم استقاما [4]
ولو آسَى حَليلَتَه للاقَى هنالك من أسنتنا حِماما [5]
وآلُ الجَوْن قد ساروا إلينا
غَداةَ الشِّعب فاصطُلِموا اصطلاما [6]
قَتَلْنا منهمُ مائةً بشيخ وصفَّدْناهُمُ عُصَباً قياما [7]
ويومَ الشِّعب لاقينا لَقِيطاً كَسَوْنا رأسَه عضْباً حُساما [8]

---

(١) الكبش : الرئيس . شلالاً : طرداً . وذكر النعام لأنه ليس هناك شيء أنفر من النعام ، ومنه المثل : أشرد من نعام .

(٢) الهدء والهدوء : قطعة تمضي في الليل . واللجب : الجيش الكثير الصوت . واللهام : الجيش الكثير يلتهم كل شيء مر عليه .

(٣) ذو نجب : موضع كانت لهم به وقعة . المقلة : المهلكة ، وأفلته : أهلكه أو عرضه للهلاك . أسامة : رجل .

(٤) الحومان : في طريق اليمامة إلى البصرة . العرس : المرأة ، أي أسلم إلينا عرسه وأفلت ، يعيره بقلة الوفاء وضياع الحريم ، وعدم حفظ ما يجب عليه حمايته وحفظه .

(٥) آسى وواسى : من المؤاساة ، أي لو قاتل عنها لقتل .

(٦) غداة الشعب : أراد يوم شعب جبلة . اصطلموا : اجتيحوا .

(٧) صفدناهم : قيدناهم . العصب : جمع عصبة وهي الجماعة .

(٨) العضب : القاطع ومثله الحسام .

أسرنا حاجباً فثوى أسيراً ولم نترك لأسرته سَواما [1]
وجَمْعَ بني تميم قد تركنـــا نُبين سواعداً منهم وهاما [2]
وكان لهم بها يومٌ طويـــلٌ كما أُجّجت باللَّهب الضِّراما [3]
بدارهمُ تركنا يومَ نحس لدى أوطـــانهمْ تُسقى السِّماما

٢ – وقال عوف بن عطية [4] :

ولَنِعْم فتيانُ الصبـــاحِ لقيتمُ وإذا النساءُ حواسر كالعُنْقُر [5]
من بين واضعة الخمار وأختها تسعَى ومِنْطَقُها مكانَ المِئزَر [6]
ونَكُرّ أولاهمْ على أخراهمُ كرَّ المحلأ عن خلاط المَصْدَر [7]
فهمُ ثلاثة أفرقــاء : فسابحٌ في الرمح يَعثُرُ في النجيع الأحمر [8]
ومكبَّل يُفْدَى بوافر ماله إن كان صاحبَ هَجْمَةٍ أو أَيْصَر [9]

---

(١) ثوى : أقام . السوام : ما رعي من المال .

(٢) نبين : تقطع وتفرق . والهام والهامة : أم الدماغ .

(٣) أججت : أوقدت . اللهب : النار . والضرام : ما دق من الحطب وضمر . والجزل : الغليظ من الحطب .

(٤) المفضليات ص ٦٣٧ .

(٥) العنقر : أصل البقل والقصب والبردي مـــا دام أبيض لم يتلون ؛ أي فوجئن بالغارة وسلبن فهن حواسر .

(٦) أي لما فزعن جرين ، فاسترخت النطق فصارت مكان الأرز .

(٧) المحلأ : البعير يمنع من ورود الماء، المصدر هنا : صدور الماء . والخلاط : مخالطتها . أي نطردهم كطرد الإبل عن الماء .

(٨) أفرقاء : جمع فريق .

(٩) المكبل : المقيد . الهجمة : القطعة من الإبل ، مائة أو نحوها . الأيصر : الكساء يحمل فيه الحشيش .

أو بين ممنونٍ عليه وقومِهِ　　　إن كان شاكرَها وإن لم يَشكرِ

٣ – وقال بشر بن أبي حازم [١] :

قطَعناهمُ فباليمامة فرقةٌ　　　وأخرى بأوْطاسٍ تَهِرّ كَليبُها [٢]
نقلناهمُ نقل الكلاب جِراءَها　　　على كل مَعْلُوبٍ يثور عَكُوبُها [٣]
لحوناهمُ لَحْوَ العِصيِّ فأصبحوا　　　على آلةٍ يشكو الهوانَ حَريبُها [٤]
لدن غُدوةً حتى أتى الليلُ دونهم　　　وأدركَ جريَ المبقياتِ لُغوبُها [٥]
جَعَلْن قُشَيراً غايةً يُهتدَى بها　　　كما مَدّ أشطانَ الدلاءِ قليبُها [٦]
إذا ما لَحِقْنا منهمُ بكتيبةٍ　　　تُذَكِّرُ منها ذَحْلُها وذُنوبُها [٧]
بني عامرٍ إنا تركنا نساءكم　　　من الشَّلِّ والإيجافِ تدمَى عُجوبُها [٨]

---

(١) المفضليات ص ٦٤٠ .

(٢) تهر كليبها : يهرون مثل هرير الكلاب .

(٣) المعلوب : الطريق المعبد . العكوب : الغبار . نقل الكلاب جراءها : أي كنا مقتدرين عليهم ، وكانوا أذلاء بهذه المنزلة نصرفهم كيف نشاء .

(٤) الآلة : الحالة . اللحو : قشر العود ، أي فعلنا بهم مثل ذلك ، أي أخذنا جميع أموالهم .

(٥) لدن غدوة : أي قتلناهم من الغدوة إلى الليل . المبقيات : ذوات الجري . اللغوب : الإعياء .

(٦) جعلن : يريد خيل قومه . غاية : أي كانوا غايتهم وطلبتهم . كما مد أشطان الدلاء : أي قصدنا إليهم لا نلتوي يمينا ولا شمالاً كما مد الحبل .

(٧) يريد إذا لحقناهم تذكرنا ما أتوا إلينا من ذحل أو ذنب ، وإذا ذكرت الذحول كان أشد للقتال .

(٨) الشل : الطرد . الإيجاف : السير الشديد . العجب : آخر العصعص .

عضاريطُنـــا مستبعنو البيضِ كالدُّمَى
مُضَرجـــةً بالزعفرانِ جيوبها [1]

تَبيت النساءُ المرضعات برَهْوَةٍ تَفَزَّع من خوف الجنان قُلوبها [2]

٤ – وقال ساعدة بن جؤية الهذلي [3] :

فأشرعوا يَزَنِيَّات مُحَرَّبَـــةً مثلَ الكواكب يَسَّاقون بالسُّمَم [4]

كأنما يقـــع البُصْرِيّ بينهمُ من الطوائف والأعناق بالوَذَم [5]

يجدِّلون ملوكاً في طوائفهمْ ضرباً خَراديلَ كالتشقيق في الأدَم [6]

ماذا هُنالك من أسْوانَ مكتئبٍ وساهفٍ ثِمَلٍ في صَعْدَةٍ حِطَم [7]

وخِضْرِمٍ زاخرٍ أعْرَاقُه تَلِفٍ يُؤوي اليتيمَ إذا ماضَنَّ بالذِّمَم [8]

---

(١) الدمى : التماثيل ، شبه بهن النساء في الحسن .

(٢) الرهوة : ما ارتفع من الأرض وما انخفض ، والمراد هنا ما انخفض ، أي فررن فاستترن بما انخفض ، وقيل المراد ما ارتفع أي من أفلت من نسائهم علا لينظر من شدة الحذر ، وقيل : هن سبايا مع الرجال .

(٣) ديوان الهذليين ج ١ ص ٢٠٣ طبعة دار الكتب .

(٤) أشرعوا : سددوا الطعن . محربة : أي كأن بها غضباً . يساقون : أي يسقي بعضهم بعضاً الطعن ، كأنما يتساقون بالسمم .

(٥) البصري : سيف من سيوف بُصري . الطوائف : النواحي يقصد الأيدي والأرجل . الوذم : جمع وذمة وهي السير بين العرقوة وإذن الدلو ، أي كأنمـــا يقع الضرب في سيور من شدة وقعه .

(٦) يجدلون : يصرعون . طوائفهم : نواحيهم . خراديل : من قولهم خردل الشاة إذا قطعها قطعاً قطعاً .

(٧) أسوان : حزين من الأسى . الساهف : العطشان . وهو ثمل من الجراح ، صعدة : قناة . حطم : جمع حِطْمة وهي القطمة ، ككسرة وكسر ، وقطعة وقطع .

(٨) الخضرم : الواسع الخلق . والخضارم : الأشراف . أعراقه : أي له عروق ترفع فروعه فهو أصيل . تلف : هالك .

وشَرْجَبٍ نَحْرُهُ دامٍ وصَفْحتُه يَصيحُ مثل صياح النسْرِ مُنتحم [1]

مُطَرِّفٍ وَسْطَ أولَى الخيل مُعْتَكِرٍ

كالفحل قَرْقَرَ وَسْطَ الْهَجْمَةِ القَطِمِ [2]

وحُرَّةٍ من وراء الكور واركة

في مَركب الكُرْهِ أو تَمشي على جَشَمِ [3]

يَذْرين دمعاً على الأشفار مُنْحَدِراً

يَرْفُلْن بعد ثياب الخال في الرُّدُمِ [4]

فاستدبروهمْ فَهاضوهمْ كأنهمُ أرجاء هَارٍ زَفَاه اليمُّ مُنْثَلِم [5]

فَجَاوزوا بأُسارَى في زمامِهِمُ وجامل كحَزيم الطوْدِ مُقْتَسَم [6]

٥ وقال محرز بن المكعبر الضبي [7] :

فدًى لقوميَ ما جمَّعتُ من نَشَبٍ إذ لقَّتِ الحرب أقواماً بأقوام [8]

---

(١) الشرجب : الطويل . الانتحام : شبيه بالنفس من الصدر .

(٢) المطرف : الذي يرد أوائل الشيء . والمعتكر : الذي يعتكر وسطها يقبل ويدبر . القرقرة : الهدر . الهجمة : القطعة من الإبل . القطم : الصؤول والمهتاج

(٣) مركب الكره : يعني على رحل متعب مكروه . جشم : مشقة وصعوبة .

(٤) ثياب الخال : برود حمر فيها خطوط خضر . الثوب المردم : المرقع .

(٥) هاضوهم: كسروهم . أرجاء : نواح . هار : تكسر وانهدم. اليم: البحر. زفاه: استخفه.

(٦) جازوا : مضوا ومروا مراً خفيفاً . زمامهم : حبالهم . وحزيم الطود : وسطه .

(٧) المفضليات ص ٥١٠ .

(٨) النشب : المال الأصيل .

إذْ خُبِّرتْ مَذْحِجٌ عنا وقــــد كُذِبَتْ

أن ان يُورِّع عن أحسابنـــــا حام [1]

دارت رحانا قليلًا ثم صبَّحهم ضرب يُصيِّح مِنه جِلَّةَ الهام [2]

ظلت ضباعُ مُجَيْرَاتٍ يَلُذْنَ بهم وأَلحمُوهُنَّ منهم أيَّ إلحام [3]

ساروا إلينا وهم صيدٌ رءوسُهُمْ فقد جعلنا لهم يوماً كأيام [4]

حتى حُذُنَّةُ لم نترك بها ضَبُعاً إلا لها جَزَرٌ مِن شِلْوِ مِقْدام [5]

ظَلّتْ تَدُوسُ بني كعب بِكَلْكَلِها وهمَّ يومُ بني نهـــد بإظلام [6]

٦ — وقال النابغة الذبياني [7] :

ولا تُلاقي كما لاقت بنو أسد فقد أصابتهم منهـــا بشؤبوب

لم يَبقَ غيرُ طريد غيرِ منفلت وموثَقٍ في حبال القِدّ مسلوب

أو حُرّة كمهاة الرمل قد كُبِلت فوق المعاصِم منها والعراقيب

تدعو قُعيناً وقد عضّ الحديدُ بها عضَّ الثقافِ على صُمّ الأنابيب

(١) يورع : يدافع ويحمي .

(٢) رحانا : يريد الحرب ودوراتهم فيها . يصيح : أي صوت الضرب. جلة الهام : عظيماتها. والهام : الرؤوس .

(٣) مجيرات : مكان ذو هضبات حمر تنسب إليها الضباع . ألحموهن : أطعموهن اللحم .

(٤) الصيد : جمع أصيد ، وهو الذي يرفع رأسه كبراً .

(٥) حذنة : موضع . جزر : ما جزر أي قطع . الشلو : بقية المقتول والميت ، والجمع : أشلاء . المقدام : المتقدم في الحرب .

(٦) الكلكل : الصدر .

(٧) العقد الثمين : ديوان النابغة ص ٤ .

الفصل الثاني

الفخر

الفخر هو التمدح بالخصال[1] . ومن دراسة شعر الجاهليين في الحرب يتبين أن الشعراء في فخرهم بالناحية الحربية كان لهم اتجاهان : أحدهما شخصي ، والآخر قَبَلي . ومن مجموع ما أحصيناه من شعر قيل في الحرب في العصر الجاهلي ، وقد بلغ ٥٠٨٠ بيتاً ، وجد أن في هذه الأبيات ٢٣٤٠ بيتاً في الفخر ؛ منها ١٦٤٨ بيتا في الناحية القبلية ، والباقي وقدره ٦٩٢ بيتا في الناحية الشخصية . وكل من هاتين الناحيتين يشتمل على الفخر بثلاثة أشياء رئيسية هي : —

أولاً : البطولة ؛ والأعمال الحربية ؛ ومجموع ما قالوه في هذه الناحية ١٨٨٢ بيتا منها ١٤٠٧ قبلية ، ٤٧٥ شخصية .

ثانياً : الخيل المعدة للحرب ، وجاء فيها ٢٦٩ بيتا ، قيل في الناحية القبلية منها ١٥٨ ، وقيل في الناحية الشخصية ١١١ بيتا .

ثالثاً : الأسلحة ، ومجموع ما قيل في الفخر بها ١٨٩ بيتا منها ٨٣ بيتا في الفخر القبلي ، والباقي وقدره ١٠٦ في الفخر الشخصي .

---

(١) القاموس المحيط .

وفيما يلي جدول يبين هذه الإحصائية : —

نواحي الفخر	البطولة	الخيل	الأسلحة	المجموع
الناحية القبلية	١٤٠٧	١٥٨	٨٣	١٦٤٨
الناحية الشخصية	٤٧٥	١١١	١٠٦	٦٩٢
المجموع	١٨٨٢	٢٦٩	١٨٩	٢٣٤٠

وبطبيعة الحال كان الفخر بكل من الخيل والأسلحة يدور حول عرضها عرضاً يصورها في منتهى الجودة والكمال بحيث ترضي أصحابها ، وتجعلهم يتيهون بها عجباً وزهوا ، وترهب أعداءهم ، وتجعلهم يخشونها خوفاً وفزعاً .

أما الفخر بالبطولة والأعمال الحربية فكان يدور حول الموضوعات الآتية :

١ — الشهامة والمروءة :

وذلك يشمل : الإسراع إلى إجابة الداعي والمستغيث والمكروب، وحماية الذليل ، وتأمين الخائف ، وتهدئة المرتاع خاصة النساء ، وعدم السؤال عن السبب عند الدعاء ، وكشف الكرب ، والتوقد حماسة وغيرة ، ولين الجانب في السلم ، والعنف في الحرب ، والحزم في القول والفعل ، والحذر ، والحيطة، وعدم العجب والخيلاء إذا جاء الخير ، والبعد عن الأسى والقنوط إذا نزل الضر ، وعدم الاهتمام بالغنى أو الفقر ، والوقار عند الأزمات والشدائد ، ورباطة الأحلام في الرخاء ، والأنفة من الظلم ، وعدم الخضوع لأحد مهما كان شأنه ، والعزة ، والإباء ، والكرم ، والمحافظة على الشرف ، والوفاء بالعهد ، وإعزاز الجار ، ومنعة الولي ، والرأفة بالصديق ، واستعمال العقل والحكمة ، وضبط النفس ، وعدم التهور عند الفزع ، والبعد عن التكبر، وإهلاك الطغاة، ونفي الظالم الغشوم ، وعدم الرضا بالذل أو الإقامة في دار الهوان ، وتجنب ما يخزي القبيلة أو يسيء إليها ، والصفح عن ذنوب الأهل، والمنّ على الأسرى

والسبايا دون انتظار شكر أو ثواب ، وعدم الطمع في الغنائم ، والمحافظة على تراث الآباء وأمجادهم وإعلاء كلمة القبيلة ورفع شأنها .

٢ – الشجاعة :

وهذه تشمل الفخر بما في البطل من جرأة وإقدام ؛ فهو لا يخاف في أشد المواقف، ولا يحتمي بغير السلاح ، ويشهد الغارات والحروب المملوءة بالأبطال والخيل والجياد والأسلحة المرهفة ، ويتقدم نحو الأعداء ، فيطيل سلاحه بالخطوات ، ويكر في أشد الاوقات ، ويهجم بشدة ، ولا يرهب الأبطال ، ويصرع الأنداد ، ويهاجم الأعداء جهاراً ، فيُعْلم نفسه ، ويحتقر الجموع الكثيرة ، وهو صادق الصباح ، صادق الطعن والضرب ، ولا يرهب القيام بما فيه خطر من الأعمال كأن يتقدم الجيش، أو يكون ربيئة له ، ولا يرهب الثغور ولا أماكن الخطر . فهو محمود اللقاء ، وضامن الحمد يوم الوغى .

٣ – الدفاع :

وهذا يشمل حماية النساء ، والشرف ، والإبل ، والخيل ، والحمى ، والجار .

٤ – القوة :

ونعني بهذا كل ما افتخروا به مما يصورهم أشداء بحيث يجعل كل من عاداهم يرهبهم ، ويخشى الوقوع في حرب معهم . وذلك يشمل وصف أنفسهم بأنهم يحتلون مساحات واسعة حتى أصبح لهم فضاء الأرض ومنابع الماء ، يتنقلون مع الغيث أينما وجد ، ودوابهم ترعى حيثما شاءت دون أن تمس بسوء ، وإذا ما شربوا منهلا ذهبوا إلى غيره ، وحاربوا من عليه حتى يتركوه لهم، ويمنعون غيرهم من ورود الماء ولا يستطيع أحد منعهم . ويزيدون على أعدائهم في الأخذ بالثأر ، فلا يطل لهم قتيل ولا يثأر غيرهم منهم ، ويتحدون الأعداء، ولا يؤخذ منهم ما غنموه ، يظلمون الناس ، ويثنون كل جبار ، ويذلون

المختال ، ويشكو منهم الأعداء دون جدوى .

وفي هذا المجال افتخروا بأنهم يقيمون بالثغور ، ويطيلون الإقامة في دار الحفاظ ، وينزلون بالسهول ، فلا يحتمون بالهضاب أو الجبال ، ودارهم عزيزة لا ينالها أحد بسوء ، وسِربُهم آمن حين يعم الخوف ، ومن دخل في جوارهم امتنع على طلابه . ويفزع الناس منهم إذا سخطوا ، حربهم شديدة،وغاراتهم ثقيلة ، ويشنونهـــا وقت المَحْل والشدة . بأسهم شديد ، ولا يقوم أحد مقامهم .

٥ - الخبرة الحربية :

وهذه تشمل فخر البطل بأنه أخو الحرب ، وابن الحرب ، مدرب وابن مدرب ، يعض الحرب ، ويثيرها ويلهبها ، متعود القتل والطعن والضرب ، يطيل الحرب ، ويديم الغارات ، يقود الخيل الجامحة ، ويحكمها ساعة الشدة ، مردى حروب ، يعاود الحرب والقتال ، ويجوب البلاد لحب اللقاء ، ولقاؤه مُر ، وجياده معودة الإقدام ، وإبله مذللة تطاوعه أينما ذهب لتعوُّدهـــا الحروب ، وهو يهش حينما يُدعَى للقتال ، لا يميل على السرج ، ولا يجاري في الرمي ، يسرع إلى قتال أعدائه دون إعطائهم مهلة .

ومن الصفات التي افتخروا بها دليلاً على الخبرة الحربية وصف البطل بأنه نحيف الجسم ، ساهم الوجه ، أغبر ، أشعث ، سهك من صدأ الحديد ،ويرجع بخيل متعبة منهكة ترمي أفلاءها في الطريق .

٦ - الايقاع بالعدو :

ويدخل في هذا ما افتخروا به من هزيمة الأعداء ، وإهـلاكهم ، وكسر شوكتهم ، ونفيهم ، واحتلال مواطنهم ، أو تركها قفرا ، وطردهم إلى أماكن لا غناء فيها ولا نفع ، وإبعادهم عن المـاء والكلأ ، وأخذ الأسرى والسبايا والغنائم ، وإشباع الضباع والطيور ، وقتلهم في ديارهم . ويندرج تحت ذلك

ما يذكرونه في معرض الفخر ، من وصف الأعـــداء بالقوة وكمال التسلح ، والكثرة ؛ لأن التغلب على مثل هؤلاء الأقوياء دليـــل التفوق في القوة والاستعداد .

٧ - التضحية بالنفس :

وكان التفاخر بذلك يدور حول استهانتهم بالقتل في سبيل الدفاع عن الشرف والكرامة، وادعاء أنهم لا يألمون القتل ، وأنهم يرخصون أنفسهم في الروع ، فلا يتأخرون ولا يحجمون خوفـــاً منه لأنه آت لا محالة ولا بد منه ، وأنهم لا يبكون على من مات قتيلاً منهم ، فهم مستبسلون ، ولا تسيل دماؤهم على غير الظبات ، ولم يمت منهم سيد حتف أنفـــه ؛ ولا يرهبون القتل فلذلك قربت آجالهم ، ويعدون القتل وقت الشدة مكرمة .

٨ - قتل العظماء أو إيذاؤهم :

ويشمل ذلك ما أنزلوه من محن وآلام بالمـــلوك والرؤساء ، والسادة ، والسراة ، والأبطال ، وكل من له مكانة سامية .

٩ - الصبر :

وكان فخرهم بذلك يدور حول الثبات، وعدم الفرار ، وتفريج الكروب في الشدائد بالسلاح ، وادعاء أنهم يظلون على ظهور خيلهم تتعاورهم الرماح ولا ينحرفون عن الطعن ، بل يبقون في الميدان إلى أن يفوزوا بالنصر .

١٠ - الرئاسة :

ويقصد بذلك الفخر بتولي زمـــام القوم في الأزمات والشدائد ، وشن الغارات القوية الكثيرة ، وقيادة الكتائب والجيوش الضخمة .

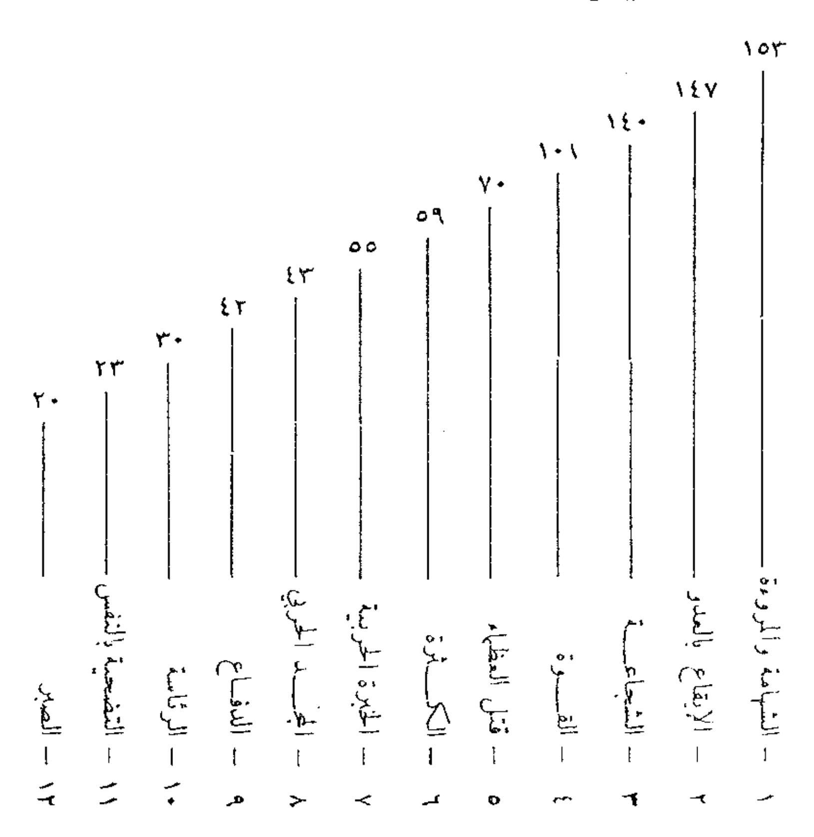
١١ – الكثرة :

وهذه تدور حول الفخر بضخامة عـــدد الأفراد والقبائل ، والكتائب والجيوش دون أن يكون بينهم أجنبي أو غريب .

١٢ – المجد الحربي :

ويشمل ذلك الفخر بانتصاراتهم في حروبهم السابقة ، والإشادة بالأيام التي تغلبوا فيها على أعدائهم . وتعداد هذه الأيام ، والإكثار منها .

وفيما يلي رسم بياني يوضح عدد المرات التي كرّرت فيها كل صفة من هذه الصفات فخراً بها في شعر الحرب .



دوافع الفخر :

يتبين من دراسة شعر الحرب في العصر الجاهلي أن الشاعر كان مدفوعاً للفخر بالصفات السالفة الذكر أو بعضها بأحد الدوافع الآتية :

أولاً : نشوة النصر :

لا شك أن النصر مما يفتق الأذهان ، ويحرك المشاعر ، ويثير الإحساسات ، فهو يلهم الشاعر أعذب المعاني ، فينطلق لسانه مصوراً ما يجيش بصدره من عواطف وانفعالات ، فيتغنى بذلك النصر ، ويرسله مع النسيم عطراً شذياً : يخبر الأقارب والأباعد ، ويسجل على صفحات التاريخ ما ناله القوم من مجد ؛ فيعطر الأرجاء ، ويسر القلوب ويقر العيون .

ومن ثم كان النصر فرصة ثمينة للشاعر تظهر فيها مواهبه ، وتتجلى براعته الفنية . ولهذا كان يعز عليه أن تفوته هذه الفرصة ، أو يحرم منها ، وإذا حدث هذا كان له وقع شديد على النفوس ، وهنا كان الشعراء يألمون أشد الألم وتنعقد ألسنتهم فلا تنطق إلا بقليل يعبرون به عن أسفهم العميق ؛ من ذلك مثلا قول عمرو بن معد يكرب :

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقتُ ، ولكنَّ الرماح أجرّت ! [1]

فقد قال هذا في بعض حروبه التي كانت بينه وبين بلحرث بن كعب ، وذلك في يوم نهد وجرم ، وكان ذلك اليوم عليه وانهزم . فقال متحسراً « لو أن قومي أبلوا بلاء حسناً لجعلوا لساني يتحرك مشيداً بذلك . ولكن رماحهم أساءت البلاء . فعقدت لساني ومنعته من قول الشعر » .

ومثل ذلك قول الشميذر الحارثي [2] :

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما دفنتم بصحراء الغُمير القوافيا

(١) ديوان الحماسة ج ١ ص ٤٥ ، والنقائض ص ٥٢ .

(٢) ديوان الحماسة ص ٣١ .

فكانت الهزيمة من شأنها أن تخرس الشعراء، وتجعل الكلام منهم مستغربا؛ استمع إلى قيس بن الخطيم إذ يقول :

أَبني دَحيٍّ والَخنىَ من شأنكم أنىَّ يكون الفخر للمغلوب [1]

وفي الفخر بالنصر كان الشاعر يحاول أن يفخم هذا النصر ، ويجعله نصراً عظيما بكل ما وسعه من جهد ؛ فيصور الحالة بأنها كانت على أشد ما يكون، والعدو كان كثير العدد . كامل التسلح : وأبطاله أقوياء أشداء في منتهى الثبات والجلد ، كل هذا ليعطي صورة لقومه – عن طريق غير مباشرة – بأنهم كانوا أقوى وأشد بأساً من الأعداء؛ إذ لو لم يكونوا كذلك لما كان النصر في جانبهم. ومن ثنايا الفخر في تلك الحال نحس أن الشاعر كان يعبر عن شعور ملأ جوانحه بأن قومه قد كسبوا شرفاً ومجداً عظيمين. انظر مثلا إلى بعض ما يقوله طرفة ابن العبد مفتخراً بيوم تحلاق اللمم [2] :

سَائلوا عنّا الذي يعرفنا بقوانا يَومَ تَحْلَاقِ اللّمَم

يوم تُبدي البيضُ عن أَسْؤُقِها وتَلُف الخيلُ أعراجَ النَّعَم [3]

أو إلى قول الأعشى في انتصار بكر ضد كسرى في يوم ذي قار [4] :

وجُندُ كسرى غداةَ الحِنْو صبَّحهم

منا كتائبُ تُزْجِي الموتَ فانصرفوا [5]

---

(١) ديوانه ص ٦ بيت ٩ .

(٢) العقد الثمين : شعر طرفة القصيدة رقم ١١

(٣) تبدي البيض ... الخ : تظهر وتحسر عن أسؤقها للهرب من الفزع ، يعني أنهن رفعن ذيولهن للهرب فكشفن عن أسؤقهن . الأعراج : جمع عرج ، وهو ما بين الخمسين والمائة أو المائتين من الإبل . تلف الخيل : أي تجمع الغنم وتسوقها.

(٤) قصيدته رقم ٦٢ الأبيات ١٧ - ٢٢ .

(٥) الحنو : منعرج الوادي ، ويوم الحنو هو يوم ذي قار .

جَحاجِحٌ وبنو مُلكٍ غَطارِفَة ... من الأعاجِم في آذانها النُّطُف [1]
إذا أمالوا إلى النشّاب أيديَهم ... مِلْنا ببيض فظلّ الهامُ يُختَطف [2]
وخيلُ بكرٍ فما تَنفكّ تطحنُهم ... حتى تولّوا وكاد اليوم يَنتصف
لو أن كل مَعَدٍّ كان شارَكَنا ... في يوم ذي قارِ ما أخطاهُمُ الشرف [3]
لما أتَوْنا كأنّ الليل يَقْدُمُهم ... مُطبِّقَ الأرض يغشاها بهم سَدَف [4]

ثانياً — ثورة الغضب :

والغضب من أشد العوامل التي تثير الوجدان ، فهو يهيج العواطف ، ويلهب المشاعر . وقد يكون مما يهدىء روع الغضبان ، ويعيده إلى حالته الطبيعية أن ينفس عما في نفسه بكلمات يخرجها من صدره ، فيحس أن في كل كلمة جذوة تنطفىء ، وفي كل جملة راحة تثلج الصدر . وكلمات التنفيس في هذا المقام تختلف باختلاف أسباب الغضب وما يحيط بالغضبان من ظروف وملابسات . فقد تقتضي الحال أن تكون هذه الكلمات فخراً بالنفس . وقد تقتضي الحال شيئاً آخر غير الفخر تبعاً للظروف والمناسبات .

وقصيدة الفخر في الجاهلية كثيراً ما تشغل الناحية الحربية جزءاً كبيراً

---

(١) جحاجح . جمع جحجح وجحجاح وهو السيد المسارع إلى المكارم . وكذلك الغطريف (بكسر الغين) . النطف : جمع نطفة وهي لؤلؤة تعلقها الأعاجم في الأذن .
(٢) النشاب : السهام . البيض : السيوف ، الهام : جمع هامة ، وهي الرأس .
(٣) معد : هو معد بن عدنان جد عرب الشمال من قبائل ربيعة ومضر جميعاً .
(٤) يقدمهم : يسبقهم ويتقدمهم . طبق الماء وجه الأرض : غطاها . السدف : الظلمة .

منها . ومن دراسة شعر الحرب في العصر الجاهلي نجـد أن الشاعر كان يندفع إلى الفخر بأعمال البطولة أحيانـاً عندما تتملكه سورة الغضب ، وتهيج عاطفته ، وكان هذا يحدث حينما يتوهّم طعناً في الشرف ، أو انتقاصاً من الكرامة أو تهديداً ووعيداً ؛ من ذلك مثلاً :

١ – أن يرى الشاعر أن قومه قد عوملوا معاملة غير عادلة ؛ لا تليق بكرامتهم ، ولا سمعتهم ، ولا بما يستحقونه من مهابة وإجلال . فهنا كان يندفع لذكر أمجادهم وسرد آثارهم الخالدة ، وتعداد ما قاموا به من أعمال البطولة والشهامة ، وما يتصفون به من شجاعة وقوة ، وما لهم من خطر وبأس ، مما يرفعهم إلى الذروة ، ويجعلهم أهلاً لكل تقدير وإكبار . ومن الأمثلة على ذلك معظم ما يقوله عمرو بن كلثوم في معلقته مخاطباً عمرو بن هند ملك الحيرة لما رأى منه تهاوناً في حقه وحق قومه ؛ ومنها :

أبا هنـدٍ فلا تَعْجَل علينا ... وأَنظِرْنـا نُخَبِّرْكَ اليقينا
بأنّا نُورِد الرايات بيضـاً ... ونُصْدِرُهنّ حُمْراً قد رَوِينا[1]
وأيامٍ لنا غُرٍّ طِـوالٍ ... عَصَيْنا المَلْكَ فيها أن نَدِينا[2]
وسيّدِ مَعْشَرٍ قـد تَوَّجُوه ... بتاجِ المُلْكِ يَحْمِي المُحْجَرِينا[3]
تركْنا الخيلَ عاكفةً عليـه ... مُقلَّدَةً أَعِنَّتَهـا صُفُونا[4]
وأنزلْنا البُيوتَ بذِي طُلوحٍ ... إلى الشّامَاتِ تَنْفِي المُوعِدِينا[5]

---

(١) يقصد أنا نورد الأعلام بيضاً ، ونرجعها حمراً منها قد روين من دماء الأبطال .
(٢) غر : بيض مشهورة . طوال : أي على الأعداء . ندين : نقر له بالخضوع والطاعة .
(٣) المحجرين : الملتجئين .
(٤) عاكفة : مقيمة . الصفون : جمع صافن ، وهو الذي يقوم على ثلاث قوائم ، ويثني سنبكه الرابع . قتلناه وحبسنا خيلنا عليه وقد قلدناها أعنتها في حالة صفونها .
(٥) ذي طلوح : مكان . الموعدين : الأعداء .

وقد هرّتْ كلابُ الحيِّ منّـا ... وشذَّبنا قَتَادَةَ مَنْ يَلينا[1]
متى ننقل إلى قوم رَحَانا ... يكونوا في اللقاءِ لها طحينا[2]
يَكونُ ثِفالُها شرقيَّ نجـدٍ ... ولُهوتُها قُضَاعَةَ أجمعينا[3]
نزلتم منزلَ الأضيافِ منّا ... فأعجَلْنا القِرَى أن تَشتُمونا[4]
قَريْناكم فعجّلْنـا قِراكم ... قُبيلَ الصبحِ مِرْداةً طَحونا[5]
نَعُمُّ أناسَنـا ونعِفُّ عنهم ... ونحمـلُ عنهمُ ما حمّلونا[6]
نُطاعنُ ما تراخَى الناسُ عنّا ... ونَضرِبُ بالسيوفِ إذا غُشينا[7]
بسُمْرٍ مِن قنا الخَطّيِّ لُدْنٍ ... ذوابِلَ أو ببِيضٍ يَعتَلينا[8]
نَشقُّ بهـا رُءوسَ القومِ شَقًّا ... ونَخْتَلِبُ الرِّقابَ فتَختَلينا[9]

---

(١) القتادة : واحدة القتـاد وهو شجر ذو شوك . والتشذيب : قطع الشوك والأغصان الزائدة . يلينـا : يقرب منا . هرت كلاب الحي منا : يقصد أن الكلاب أنكرتهم حين لبسوا السلاح . أو كرهتهم كلابهم لسوء أخلاقهم .

(٢) الرحى هنا : الحرب .

(٣) الثفال : خرقة أو جلدة تبسط تحت الرحى ليقـع عليها الدقيق . اللهوة : القبضة من الحب تلقى في فم الرحى .

(٤) يريد أنكم تعرضتم لمعاداتنا كما يتعرض الضيف للقرى فقتلناكم على عجلة كراهية أن تشتمونا إن أخرنا قراكم .

(٥) المرداة : الصخرة التي يرمى بها واستعارها للحروب .

(٦) يقصد أن خيرنا يعم عشائرنا ولا ننظر نحن إلى أموالهم .

(٧) يقصد أننا نطاعن الأبطال إذا كانوا بعيدين ، فإذا قربوا ضربناهم بالسيوف . تراخى : بعد . الغشيان : الإتيان .

(٨) اللدن : اللين . ذوابل : يابسة . يعتلين : أي تعتلي الرءوس .

(٩) الاختلاب : قطع الشيء بالخلب وهو المنجل الذي لا أسنان له . والاختلاء : قطع الخلاء وهو رطب الحشيش .

كأن جماجمَ الأبطال فيهــــا   وسُوقٌ بالأمَاعِز يَرْتمينــــا [1]

وإنَّ الضِّغن بعدَ الضغن يبْدو   عليكَ ويُخْرج الداءَ الدَّفينا [2]

وَرِثنَا المجْد قـد علمتْ مَعدّ   نُطاعِنُ دونَه حتى يَبينَا [3]

ونحنُ إذا عِمادُ الحيّ خرَّت   على الأحفاض نمْنَع مَنْ يلينا [4]

نَجُذ رءوسَهم في غــيْرِ برٍّ   فما يَدْرون ماذا يتَّقونا [5]

كأن سُيوفنـــا فينا وفيهم   مخاريقٌ بأيدي لَاعبينا [6]

كأن ثِيابنا منا ومنهم   خُضِبْن بأُرْجُوانٍ أو طُلِينا [7]

إذا مــا عَيَّ بالإسْنافِ حَيٌّ   منَ الهَوْل المُشَبَّه أن يكونا [8]

نَصبْنا مثلَ رَهْوَةَ ذاتَ حدٍّ   محافظةً وكنّــا السابقينا [9]

---

(١) الأبطال : جمع بطل وهو الشجاع الذي يبطل دماء أقرانه . الوسوق : جمع وَسْق وهو حمل البعير . الأماعز : جمع أمعز وهو المكان الذي تكثر حجارته .

(٢) يقصد أن الضغن بعد الضغن تنشو آثاره ويخرج الداء المدفون من الأفئده ، أي يبعث على الانتقام .

(٣) يريد أننا ورثنا شرف آبائنا ، ونحفظه بطعن الأعداء عنه حتى يظهر ويقروا لنا به .

(٤) عماد الحي : العُمُد التي تحمل البيت . الأحفاض : جمع حفض وهو متاع البيت . يريد أن يقول : إذا قوضت الخيام فسقطت على أمتعتها نحمي من يقرب منا من جيراننا ، وذلك وقت الشدة أي نحميهم حين لا يحمى غيرنا .

(٥) غير بر : عقوق . يتقون : يحذرون من القتل والسبي واستباحة الأموال .

(٦) أي لا تحفل بالضرب بالسيوف كما لا يحفل اللاعبون بالضرب بالمخاريق . وهذا البيت وما بعده يعدان من المنصفات . والمخاريق : جمع مخراق وهو ثوب يفتل للعب به .

(٧) الأرجوان : صبغ أحمر .

(٨) الإسناف : الإقدام في الحروب . عي : عجز . المشبه : المتوقع والمنتظر .

(٩) رهوة: جبل . حد : شوكة يقصد كتيبة ذات شوكة ، محافظة: أي دفاعاً عن أحسابنا.

بشبّانٍ يَرَوْنَ القتلَ مَجْداً ... وشيبٍ في الحروب مُجرّبينا[1]

حُدَيّا الناس كلّهم جميعـاً ... مُقَارَعَةً بَنِيهِمْ عَنْ بَنِينَا[2]

فأمّا يومَ خَشيتنـا عَلَيهِمْ ... فتُصْبِحُ خيلُنا عُصَباً ثُبِينا[3]

وأمـا يومَ لا نخشَى عليهم ... فنُمْعِنُ غـارةً مُتَلَبّبِينا[4]

برأسٍ من بني جُشَم بن بَكْرٍ ... نَدقُّ به السُّهولةَ والحُزُونا[5]

ألا لا يَعلمُ الأقوامُ أنّا ... تَضَعْضَعْنا وأنّا قد وَنِينا[6]

ألا لا يَجْهَلَنْ أحـدٌ علينا ... فنَجْهَلَ فوقَ جَهْلِ الجاهلينا[7]

بأي مشيئةٍ عمرَو بنَ هِند ... نكُون لِقَيْلكم فيها قَطينا[8]

بأي مشيئةٍ عمروَ بن هند ... تُطيع بنا الوُشاةَ وتَزْدرينا[9]

---

(١) المجد : الحظ الوافر الكافي من الشرف والسؤدد . مجربين : أي مرنوا على الحروب .

(٢) حديا: اسم جاء على صيغة التصغيرمثل ثُريا وحُميا وهي بمعنى التحدي . مقارعة : نقارع ونذب أبناءهم عن بنينا .

(٣) العصب : جمع عصبة وهي ما بين العشرة والأربعين . والثبين : جمع ثبة وهي الجماعة . يقول يوم نخشى على أبنائنا وحرمنا من الأعداء تصبح خيلنا جماعـات تتفرق في كل وجه لذب الأعداء عن الحرم .

(٤) الإمعان : الإسراع والمبالغة في الشيء . والتلبب : لبس السلاح .

(٥) الرأس : الرئيس . السهولة والحزون : يقصد الضعاف والأشداء . والسهولة هنـا : ما لان من الأرض . والحزون : جمع حَزَن : وهو ما غلُظ من الأرض .

(٦) التضعضع : التكسر والتذلل . الونى : الفتور .

(٧) يجهل : يسفه .

(٨) القيل : الملك دون الملك الأعظم . القطين : الخدم . والقطين « في غير هذا المكان » : سكان المنزل .

(٩) ازدراه وازدرى به : قصر به واحتقره .

هدِّدْنا وأَوْعِدْنا رُوَيْـداً متى كُنَّا لأمِّك مَقْتَوِينا [1]
فإن قَناتَنـا يا عمرُو أَعْيَتْ على الأعداء قَبْلَك أَن تَلينا [2]
إذا عَضَّ الثِّقافُ بها اشْمأزَّت وَوَلَّتهم عَشَوْزَنَةً زَبوناً [3]
عَشَوْزَنَةٌ إذا انقلبتْ أَرَنَّتْ تَشُجُّ قَفَا المثقِّفِ والجَبينا [4]
فهل حُدِّثت في جُشَم بنِ بَكرٍ بنقصٍ في خُطوبِ الأوَّلينا [5]
وَرِثْنا مَجْدَ عَلقمةَ بنِ سَيْفٍ أَباح لنا حُصُونَ المجدِ دِينا [6]
ورِثتُ مُهَلْهِـلاً والخيرَ منه زُهيراً نِعمَ ذُخْرُ الذاخرينا [7]
وَعتَّاباً وكلثُومـاً جَميعاً بِهِمْ نِلْنا تُراثَ الاكرمينا [8]
وذا البُرَةِ الذي حُدِّثتَ عنـه به نُحْمَى ونَحْمِي المُلْجَئينا [9]

---

(١) القَتْـو : خدمة الملك والفعل قتا يقتو ، والمصدر قتو ومقتى والنسب إليه مقتوي ، ثم يجمع مع طرح ياء النسب فتقول مقتوون في الرفع ومقتوين في النصب والجر كما يجمع الأعجمي بطرح ياء النسب فتقول أعجمون وأعجمين . رويداً : أي في رفق .

(٢) العرب تستعير للعز اسم القناة . يقصد أن عزهم منيع لا يرام .

(٣) الثقاف : الحديدة التي يقوم بها الرمح . اشمأزت : نفرت . عشوزنه : صلبة شديدة زبون : دفوع من قولهم زبنت الناقة حالبها إذا ضربته بركبتيها ، ومنه الزبانية لزبنهم أهل النار أي دفعهم .

(٤) أرنت : صوتت أي إذا أريد تثقيفها أحدثت صوتاً ولم تطاوع المثقف بل تشج قفـاه وجبينه ، كذلك عزتهم لا تلين لمن رامها بل تقهره وتهلكه .

(٥) يقول : هل أخبرت بنقص كان من هؤلاء في العهود السالفة . الخطوب «هنا» : الأمور .

(٦) الدين : القهر . أي غلب غيره على المجد ثم أورثنا إياه .

(٧) مهلهل : جد عمرو بن كلثوم من قبل أمه . وزهير جده من قبل أبيه .

(٨) تراث : ميراث . عتّـاب : جدّه . وكلثوم : أبوه .

(٩) البرة : الحلقة في أنف البعير . وذو البرة : رجل من بني تغلب وقيل هو كعب بن زهير ، وإنما قيل له ذلك لشعر كان على أنفه يستدير كالحلقة . الملجئين : الذين قد التجئوا واحتاجوا إلى من ينصرهم .

ومنّا قبلَه السّاعي كُلَيْب   فأيُّ المجدِ إلا قد وَلينا [1]
متى نعقِد قرينتَنا بحبلٍ   تجُذّ الحبلَ أو نقِص القَرينا [2]
ونوجَدُ نحنُ أمنَعَهُمْ ذماراً   وأوفاهُمْ إذا عقدُوا يمينا [3]
ونحنُ غداةَ أوقِد في خزَازٍ   رَفَدْنا فوقَ رِفْدِ الرّافدينا [4]
ونحنُ الحابسُون بذي أراطى   تسَفُّ الجِلّةُ الخُورُ الدّرينا [5]
وكُنا الأيمَنينَ إذا التقينا   وكانَ الأيسَرينَ بنُو أبينا [6]
فصَالُوا صَولَةً فيمَن يَليهِم   وصُلْنا صَولةً فيمَن يَلينا [7]
فآبُوا بالنِّهابِ وبالسَّبايا   وأُبنا بالملُوكِ مُصَفّدينا [8]
إليكُم يا بَني بَكرٍ إليكُمْ   ألمّا تعرِفوا مِنّا اليَقينا [9]
ألَمّا تعرفوا مِنّا ومنكُمْ   كتائبَ يَطّعِنَّ ويرتَمينا [10]

---

(١) الساعي : أي للمعالي . ولينا : من الولاية ، أي صار إلينا فصرنا ولاة عليه .
(٢) نعقد : نقرن . تجذ : تقطع . الوقص : دق العنق ؛ يقصد متى قرنا بقوم في قتال أو سباق أو جدال غلبناهم وسبقناهم وقهرناهم . القرينة : التي تقرن إلى غيرها .
(٣) الذمار : حريم الرجل وما يجب عليه أن يحميه .
(٤) أوقد : أي نار الحرب . الرفد : الإعانة والإعطاء .
(٥) أراطى : مكان وقيل ماء . تسف : تأكل . الجلة : العظام من الإبل . والخور : الغزار الكثيرة الألبان . الدرين : الحشيش اليابس والقديم الأسود . يقول : إننا حبسنا أموالنا بهذا المكان حتى أكلت النوق الغزار قديم النبت وأسوده أي صبرنا حتى ظفرنا ولم يطمع فينا عدو .
(٦) الأيمنون : أصحاب الميمنة . والأيسرون أصحاب الميسرة .
(٧) صالوا : حملوا .
(٨) النهاب : الغنائم . الأوب : الرجوع . مصفد : مقيد .
(٩) إليكم : اسم فعل بمعنى ابعدوا عنا وارجعوا .
(١٠) يطعن : يطعن بعضها بعضاً.

عَلَينا البَيضُ واليَلَبُ اليَماني وأسيافٌ يُقمْنَ ويَنحنينا[1]
عَلينا كلُّ سَابغـةٍ دِلاصٍ تَرَى فَوق النطاقِ لها غُضُونا[2]
إذا وُضعت عن الأبطال يوماً رأيتَ لها جُلودَ القوم جُونا[3]
كأن غُضونَهن مُتونُ غُـدْرٍ تصفّقُها الرياحُ إذا جرينا[4]
وتحملُنا غداةَ الرَّوْعِ جُرْدٌ عُرِفْنَ لنا نَقَائِذَ وافتُلِينا[5]
وَرَدْنَ دَوارعا وخَرَجن شُعْثا كأمثال الرَّصائعِ قد بَلينا[6]
وَرِثنَاهن عن آباءِ صدقٍ ونُورِثُهَا إذا مُتْنا بَنينا[7]
على آثارنا بِيضٌ حِسَانٌ نُحـاذِر أن تُقَسَّم أو تَهُونا[8]

---

(١) البيض : جمع بيضة يقصد بيضة الحديد : اليلب : قيل الدرع ، وقيل : تِرْسَة تعمل في اليمن من جلود الإبل ، وقيل نسيجة من سيور تلبس تحت البيض ، وقيل : جلود تلبس تحت الدروع . يقمن وينحنين : أي لطول الضرب بها ؛ فيضرب بها حتى تنحني ، ثم تقوّم فيضرب بها ، وهكذا .

(٢) السابغة : الدرع الواسعة التامـة . الدلاص : اللينة البراقة . الغضون جمع غضن وهو التشنج في الشيء ، والمراد هنا فضول الدرع وثنياتها . والنطاق : ما شددت به وسطك .

(٣) الجون هنا : السود وذلك من صدأ الحديد وطول لبسهم إياها .

(٤) الغدر : جمع غدير . بشبه الطرائق التي ترى في الدرع بالتي ترى في الماء حينما تضربه الريح . متون : ظهور . تصفقها : تدرجها وتموجها .

(٥) الروع : الفزع يريد الحرب . الجرد : التي رق شعر جسدها وقصر . نقائذ : جمع نقيذة ، مخلصات من أيدي الأعداء . والفلو والإفلاء : الفطام والولادة ، أي نُتِجن عندنا وفطمن عن أمهاتهن في ديارنا .

(٦) دارع : عليه درع ، ودروع الخيل: تجافيفها. الرصائع : جمع رصيعة وهي عقدة العنان.

(٧) يريد أنها عندهم من قديم وستبقى عندهم إلى الأبد ، يرثها الأبناء عن الآباء على الدوام.

(٨) أي كان نساؤهم خلفهم في الحرب .

أَخذْن على بُعولتهن عَهــــداً إذا لاقوْا كتــائبَ مُعْلمينا[1]
لَيَسْتَلِبُنَّ أفراســـاً وَبيضاً وَأسْرَى في الحديدِ مُقَرَّنينا[2]
تَرَانَا بَارِزِينَ وَكُـــلُّ حَيٍّ قد اتخذُوا مَخافَتَنا قَرِينا[3]
إذا مَــا رُحْنَ يَمشِيْنَ الْهُوَيْنَى كَمَااضطرَبَتْ مُتون الشاربينا[4]
يَقُتْن جِيـــادَنا ويَقُلن لَسْتُم بُعولَتنا إذا لم تَمنعونـا[5]
ظعائنَ من بني جُشم بنِ بكرٍ خلَطْنَ بِمِيسَمٍ حَسَباً ودِينا[6]
وما منع الظعــائنَ مثلُ ضربٍ ترَى منهُ السَّواعدَ كالقُلِينا[7]
كأنَّــا والسُّيوف مُسَلَّلات وَلَدْنا الناسَ طُرّاً أجمعينا[8]
يُدَهْدُون الرءوسَ كما تُدَهْدِي حَزَاورَةٌ بأبْطَحِها الكُرِينا[9]

(١) معلمين : أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها في الحروب .
(٢) مقرنين : قرنوا في الحديد ؛ أي قيدوا بالسلاسل والأغلال .
(٣) بارزين : خارجين وظاهرين في الأرض لا نعتصم بشيء لقوتنا وشوكتنا ، في حين أن كل قبيلة تستجير وتعتصم خوفاً منا .
(٤) الهوينى : تصغير الهونى مؤنث الأهون . أي إذا مشين يمشين مشياً رقيقاً لثقل أردافهن ثم شبههن في تبخترهن بالسكارى في مشيهم .
(٥) القَوْت : الإطعام ، والاسم القُوت . تمنعونا : تحمونا من سبي الأعداء إيانا .
(٦) الميسم : الحسن وهو من الوسام والوسامة وهما الحسن والجمال . والحسب : ما يحسب من مكارم الإنسان ومكارم أسلافه .
(٧) كالقلين : أي تطير سواعد المضروبين كما تطير القلة إذا ضربت بالمقلاة . والقلون : جمع قُلَة وهي الخشبة التي يلعب بها الصبيان يضربونها بالمقلاة .
(٨) مسللات : أي في حال استلالها من أغمادها وقت الحروب . ولدنا الناس ... أي نحميهم حماية الوالد لولده .
(٩) يدهدون : يدحرجون . حزاورة : جمع حزور وهو الغلام الغليظ الشديد . الأبطح : المكان المطمئن من الأرض . الكرين : الكرات جمع كرة .

وقد علم القبائلُ من مَعــدّ   إذا قُبَب بأبطَحِها بُنينـا
بأنا المطعِمون إذا قَـدَرْنا   وأنا المُهلِكون إذا ابتُلينا
وأنا المانعون لمـا أرَدْنا   وأنا النـازلون بحيث شِينا
وأنا التاركون إذا سَخِطنـا   وأنا الآخذون إذا رَضينـا
وأنا العاصمون إذا أطِعْنا   وأنا العازمون إذا عُصينا[1]
ونشرب إن وَرَدْنا الماء صفواً   ويشربُ غيرُنا كَدَراً وطينا
ألا سائلْ بني الطَّمَّاح عنا   وَدُعْمِيّاً فكيفَ وَجدْتمونا
إذا ما المَلْكُ سَامَ الناسَ خَسْفاً   أبيْنا أنْ نُقِرَّ الذّلَّ فينـا[2]
مَلأنا البرَّ حتّى ضاقَ عنّـا   ونحنُ البحرُ نملؤهُ سَفينا[3]
إذا بَلغَ الرضيعُ لنا فِطاماً   تخِرُّ له الجبابرُ سَاجدينا[4]

٢ — أو أن يرى الشاعر أنه لا يلقى من الاحترام والإجلال مثل ما يلقى أمثاله من الأبطال الشجعان ؛ وذلك بسبب فقره ، فهنا تثور عاطفة الشاعر ويتصدى للدفاع عن شرفه المهان : فيفخر بشهامته وشجاعته ، ويؤكد أن في بطولته وأعماله الحربية ما يجعله خيراً من ذوي النسب الرفيع أو الغنى المريض الذي هو خارج عن حدود طاقته ، وليس بيده ما يمكنه من إصلاح هذا النقص، ويبين أن الفخر الحقيقي لا ينبغي أن يكون لمن هو معم مخول ، أو ذو ثروة طائلة، بل يجب ألا يكون إلا للبطل الشجاع الذي تتجلى شخصيته

---

(١) العازمون : أي نعزم بالعدوان إذا عصينا .
(٢) الخسف : الظلم . السوم : أن تجشم إنساناً مشقة وشراً .
(٣) أي ملأنا الدنيا براً وبحراً فضاق البر عن بيوتنا والبحر عن سفننا .
(٤) يقول : إذا بلغ صبياننا وقت الفطام سجدت له الجبابرة من غيرنا .

في أشد المواقف وأحلك الأوقات ، ومن تزينـــه صفاته الحسنة ومروءته وشهامته . من ذلك ما كان من عنترة بن شداد حينما عيّره بعض القوم بأنه « ابن السوداء » لأن أُمّه كانت أمة ؛ إذ يقول [1] :

إني امرؤ من خير عبسٍ منصِباً   شطري وأحمي سائري بالْمُنْصُل
إن يُلْحَقوا أَكْرُرْ وإن يُسْتَلْحَمُوا   أَشـــدُدْ وإن يُلفَوْا بضنك أَنْزِل
حين النزولُ يكون غاية مثلنا   ويفرّ كل مضلَّل مُستوهَل [2]
ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظلُّه   حتى أنالَ به كريمَ المأكل [3]
وإذا الكتيبة أحجمتْ وتلاحظَتْ   أُلفِيتُ خـــيراً من مُعمٍّ مُخْوِل [4]

وما يقوله طرفه في معلقته :

فلو شاء ربي كنتُ قيسَ بن عاصم   ولو شاء ربي كنتُ عمروَ بنَ مَرْثَدِ [5]

---

(١) العقد الثمين : ديوان عنترة قصيدة ١٦ .

(٢) المضلل : الذي لا يوفق لخير . المستوهل : المفزع .

(٣) الطوى : الجوع . وأظله : أي أظل كذلك جائعاً بالنهار حتى أنال به مأكلا كريمــاً لاعيب فيه علي .

(٤) أحجمت : نكصت وتأخرت وتهيبت العدو . تلاحظت . نظر بعضهم إلى بعض ، أو لوحظ عليها الإحجام .

(٥) هذان سيدان من سادات العرب معروفـان بوفرة المال ونجابة الأولاد وشرف الحسب وعظم النسب .

فأصبحتُ ذا مالٍ كثير وزارني بنون كرامٌ، سَادَةٌ لِمُسَوَّدِ[1]
أَنا الرجل الضَّرْب الذي تعرفونه خَشاش كراس الحية المُتوقِّد[2]
فآليت لا يَنفكُّ كَشْحِي بطانةً لعَضْبٍ رقيقِ الشفرتين مُهَنَّد[3]
حسامٍ إذا مـــا قمتُ منتصراً به
كفَى العَوْدَ منه البدءُ ليسَ بِمِعْضَد[4]
أخي ثِقـــةٍ لا يَنثني عن ضَريبةٍ
إذا قيلَ : مهلاً ، قال حاجزُه قَدِي[5]
إذا ابْتَدرَ القومُ السلاحَ وَجَدتَني مَنيعاً إذا بَلَّتْ بقائمه يدي[6]

٣ — أو أن يوجَّه إليه أو إلى قومـــه شيء من اللوم يرى أنه في غير موضعه ، أو أن يكفر حسن بلائهم ، ولا يقابل بالاعتراف الجميل والشكر ، فتثور عاطفة الشاعر ، وهنا يتصدى لبيان مآثر قومه وسرد أمجادهم ، وما قاموا به من أعمال البطولة والشهامة . من ذلك ما يقوله عامر بن الطفيل[7] :

بني عامرٍ غُضّوا المَلامَ إليكُمُ وهاتوا فعُدُّوا اليوم فيكم مَشاهِدي

---

(١) أي كما يزور السادةُ سيدَهم العظيم .

(٢) الضرب : الخفيف اللحم . خشاش : دخال في الأمور بخفة وسرعة . كرأس الحيـــة المتوقد : أي في التيقظ والحرارة وسرعة الحركة ، والامتلاء بالأخطار .

(٣) البطانة : ضد الظهارة كأن كشحه بالنسبة للسيف بمنزلة البطانة للظهارة .

(٤) كفى العود منه البدء : أي الضربة الواحدة منه تكفي للقتل ولا تحتاج إلى تكرارها مرة أخرى . المعضد : آلة لقطع الشجر ، ويقصد هنا السيف الرديء .

(٥) قدي : حسبي .

(٦) بلت بقائمة يدي : ظفرت به .

(٧) ديوانه ص ١٣٤ قصيدة رقم ١٤ .

ولا تكفُروا في النائبات بلاءَنا … إذا عَضَّكم خطبٌ بإحدى الشدائد

سلوا تُخْبَروا عنا غَداةَ أُقَيْصِرٍ … وأيامَ حِسْمَى أو ضَوارِس حَاشِد [1]

وبالكَوْرِ إذ ثابت حلائبُ جَعفرٍ … إليكُمْ وجاءت خثْعَمٌ للتحاشُد [2]

لينتزعوا عِلْقاتنـا ثم يرتعوا … فأرْدَتْ قناتي منهمُ كلَّ ماجِد [3]

فأنفذْتُ عبدالله ثَمَّ بضربةٍ … وقد خامَ عنها كلُّ حامٍ وذَائد [4]

تركتُ صريعاً بالعراء مُجدَّلاً … ضُبَيْعَةَ إذ نجَّى شُتَيرَ بنَ خالد [5]

طِمرٌّ، وزَيدُ الخيلِ قد نالَ طعنةً … إذِ المرءُ زيدٌ جائرٌ غيرُ قاصد [6]

فذلك ما أعددتُ في كل مَأقطٍ … كريهٍ وعام للعشيرة آئِـد [7]

وما يقوله طفيل الغنوي [8]:

بني جعفرٍ لا تكفُروا حُسنَ سعينا … وأثنُوا بحسن القول في كل مَحفل

ولا تكفُروا في النائبات بلاءنا … إذا مسَّكم منها العدوُّ بكَلكَل

فنحنُ مَنَعنا يومَ حَرْسٍ نساءَكم … غداةَ دعانا عامرٌ غيرَ مُؤْتَل

---

(١) حسمى: موضع أو بلد. ضوارس: ما ضرسهم من الحرب. حاشد: من همدان.
(٢) الكور: جبل. الحلائب: الجماعات. التحاشد: من الإحشاد وهو الاجتماع والالتفاف.
(٣) العلقاة: المعاش وقوام الحياة. أردت: أهلكت. ماجد: شريف.
(٤) خام: ضعف وجبن. الذائد: المانع والمدافع.
(٥) ضبيعة: رجل من عبس. مجدلا: مصروعاً. العراء: القفر من الأرض.
(٦) طمر: فرس وثوب، وهو فاعل «نجى» في البيت السابق. جائر: منحرف عن الطريق.
(٧) المأقط. مضيق الحرب. آئد: مثقل.
(٨) ديوانه ص ٣٧ الأبيات ١٧ — ٣٥.

دعا دعوة يالَ الْجُلَيحاء بَعْدَمَـــا
رأى عُرْضَ دَهْمٍ صَرَّعَ السِّربَ مثعل

فقال اركبوا أنتمْ حماة لَنَا بِهَا
فَطِرْنَا إلى مَقصورَةٍ لم تُعبَّل

فجاءت بفرْسان الصباح عَوابساً
سراعاً إلى الهيجا معاً غير عُزَّل

فأَخْمَشَ أُولَاهم وأَلْحَقَ سِربَهُمْ
فوارِسُ منّـــا بالقنا المتنخَّل

فحامى محامينـا وطَرَّفَ عنهُمُ
عصائبُ منا في الوغى لم تُهَلَّل

رددنا السبايا من نُفَيل وَجَعْفَر
وهنَّ حَبالَى من مُخِفٍّ ومُثْقَل

وراكِضَةٍ مـــا تستَجِنّ بجُنَّـةٍ
بغير حلالٍ راجعَتْه مُجَعْفَل

فقلتُ لها لمّا رأينا الذي بِها
من الشرِّ لا تَستَوْهِلي وتَأَملي [1]

فإن كان قومي ليس عندكِ خُبْرُهم
فإنّ سؤال الناس شافيكِ فاسألي

ومُستَلْحمٍ تحت العوالي حَمَيْتُه
مُعَمَّمٍ دَعْوَى مُستَغيثٍ مُجَلّل

ففرَّجتُ عنه الكربَ حتى كأنَّما
تأَوَّى من الهيجَا إلى خير مَعْقِل

مُشيفٍ على إحدى اثنتَيْن بنفسِهِ
فُوَيْتَ العوالي بين أَسْرٍ ومَقْتَل

برمَّاحَةٍ تنفي الترابَ كأَنَّهَـــا
هَراقَةُ عَقٍّ من شَعيبَيْ مُعَجّل

إذا نظرتْ فيها الحفيَّةُ وَلْوَلَتْ
خَنُوفاً بكفَّيْهَا بُعَيدَ التَّوَلُّل

وكائن كَرَرْنَا من جوادٍ وراءَكم
وكائن خضَبْنَا من سِنانٍ ومُنْصُل

---

(١) لا تستوهلي : لا تفزعي .

وكائن كَرَرْنَا من سَوامٍ عليكُمُ ومن كاعِبٍ ومن أسِيرٍ مُكَبَّل

٤ – أو أن تُستنكر حالته ، وتُستغرب منظره ، لعدم اعتنائه بـه ؛ كأن يرى نحيل الجسم ، شاحب الوجه ، أو أغبر ، أشعث ، أو هندامه غير حسن ، ومظهره غير لائق ، ويرى الشاعر أو يظن أن لذلك أثراً في معاملة الناس له وأنه لا يقابل بما يليق بالبطل الشجاع ، فهنا تتحرك مشاعره ، ثم ينطلق لسانه مُعدّداً ما قام به من أعمال البطولة والشهامة ، وينسب السبب في ظهوره على تلك الحالة إلى انهماكه في الحرب ، وأثرها فيه : ويؤكد أن اهتمامه كان موجهاً كله إلى ما يكفل له الفوز والنصر في القتال ، لدرجة أنه لم يفكر في نفسه ، أو مظهره .

من ذلك مـا قاله أبو قيس بن الأسلت حينما رجع من حرب حاطب التي كانت بين الأوس والخزرج ؛ فيروى أن الأوس كانت أسندت أمرها في هذه الحرب إلى أبي قيس ، فانقطع لها ، وبذل فيها مجهوداً عظيماً حتى شحب وتغير ولبث بعيداً عن امرأته مدة طويلة ، ثم جاء ليلة فدقّ عليها الباب ، ففتحت له ، فأنكرته وقالت : « لم أعرفك » ، حتى تكلم ، فقال [١] :

قالت ولم تقصد لقيل الخنا مهلاً فقد أبلغتِ أسْمَاعي [٢]
أنكرْتِهِ حينَ تَوَسَّمْتِهِ والحربُ غولٌ ذاتُ أوْجاع [٣]
قد حَصَّتِ البَيضةُ رأسِي فما أطعَمُ غُمْضاً غير تَهْجَاع [٤]

---

(١) المفضليات ص ٥٦٤ .

(٢) يريد أنها لم تقصد الخنا بقولها . مهلا : كفى . والخنا : الكلام الرديء . أسمـاع : جمع سمع .

(٣) أنكرته : شككت فيه . التوسم : التثبت في معرفة الشيء . الغول : ما اغتال الأشياء وذهب بها .

(٤) حصت البيضة رأسه : أذهبت شعره . غمضا : نوما . تهجاع : قليل .

أسعى على جُلّ بني مالك كل امريءٍ في شأنه ساعٍ

ثم استمر في قصيدته يفخر بأعماله الحربية وأسلحته ، وصفاته ، ومآثره. وكثيراً ما يعرض الشاعر بطولته بين يدي محبوبته إذا رأى منها إعراضاً ، كما حدث من عنترة إذ يقول [1] :

عجبتْ عبيلةُ مِن فتى متبذِّلِ
عَاري الأشاجع ، شاحب كالمُنْصُلِ [2]
شَعثِ المفارقِ مُنْهَجٍ سِرْبالُه لم يَدَّهن حَوْلاً ولم يَتَرَجّلِ [3]
لَا يكْتسِي إلا الحديدَ إذا اكتَسَى
وكـــذاك كلُّ مُغاورٍ مُسْتبسلِ [4]
قد طال ما لَبسَ الحديد فإنما صدأُ الحديد بجلده لم يُغْسلِ
فتضاحكت عجباً وقالت قولةً لا خيرَ فيـــك كأنما لم تَحفلِ
فعجبتُ منها كيف زَلَّت عينها عن ماجدٍ طلقِ اليدين شَمَرْدَلِ [5]

(١) العقد الثمين : ديوان عنترة ، قصيدة رقم ٢٠ .

(٢) متبذل : لابس المبذل وهو الثوب الخلق . عاري الأشاجع : عروق ظاهر الكف ؛ أي ليس عليها لحم . شاحب : متغير اللون . المنصل : السيف .

(٣) التشعث : التفرق والتلبد . المفارق : جمع مفرق وهو وسط الرأس . منهج سرباله : بال سرباله . لم يترجل : لم يتمشط .

(٤) المغاور والمغوار : المقاتل كثير الغارات .

(٥) زلت عينها : تحول بصرها . شمردل : فتى قوي حسن الخلق .

يا عبلُ كم من غَمرَةٍ باشرتُها   بالنفسِ ما كادَت لعمرُكِ تَنجلي
إما ترَيْني قد نحَلْتُ ، ومَن يكن   غرَضاً لأطراف الأسنة يَنحَل
فلربَّ أبلجَ مثلِ بعلِك بادنٍ   ضخمٍ على ظَهرِ الجواد مُهبَّل[1]
غادرتُهُ متعفِّراً أوصالُه   والقومُ بين مُجَرَّحٍ ومُجَدَّل
فيهم أخو ثقةٍ يضارب نازلاً   بالمشرفيّ ، وفارسٌ لم يَنزِل
ورماحُنا تَكِفُ النجيعَ صُدورُها
وسيوفُنا تُخْلي الرقابَ فتَختَلي[2]
والهامُ تَنْدُرُ بالصعيد كأنّما
تلقى السيُوفُ بها رُؤوسَ الحنظَل[3]
ولقد لقيتُ الموتَ يوم لقيتُه   مُتَسربلاً والسيفُ لم يَتسرْبَل[4]
فرأيتُنا ما بيننا من حاجز
إلا المِجَنُّ ونصلُ أبيضَ مِقْصَل[5]

---

(١) أبلج : طلق الوجه . بادن : سمين . مهبل : كثير اللحم ممتلىء الوجه .
(٢) تكف النجيع : يسيل منها الدم . تخلي الرقاب : تعزلها عن أجسادها فتنعزل .
(٣) تندر : تسقط . الصعيد : وجه الأرض ، شبه رؤوس الأعداء برؤوس الحنظل في سهولة قطعها .
(٤) يريد بالموت هنا : العدو وكان العدو متسربلا . ويريد بالسيف نفسه أي لم يكن هو متسربلا أي ليس عليه درع .
(٥) يريد أنه لم يكن بينه وبين الموت حاجز إلا المجن وحد السيف .

ذكرٍ أشقُّ بـــه الجماجمَ في الوغى

وأقول لا تُقطَع يـــينُ الصَّيقلِ [1]

ولرُبَّ مُشعَـــلةٍ وَزعْتُ رِعالَهـــا

بمُقلِّصٍ نَهْـــدِ المراكِل هَيكَلِ [2]

سَلِسِ العِنانِ إلى القتال فعينُه قَبْلاءُ شاخِصةٌ كعينِ الأحْوَلِ [3]

وكأن مِشيتَـــه إذا نَهْنَهْتُه بالنِّكلِ مِشيةُ شارب مستعجلِ [4]

فعليه أقتحم الهيـــاج تقَحُّماً فيها وأنقضُّ انقضاضَ الأجدَلِ [5]

وقد يكون فخر الشاعر ببطولته رداً على إعراض حبيبته عنه بسبب شيبه وكبر سنه . فيتغنى بذكر ماضيه الخالد المجيـــد ؛ استمع الى ربيعة ابن مقروم حين يقول [6] :

ألا صَرَمتْ مودّتك الرَّوَاعُ وجدَّ البينُ منها والوَداعُ [7]

وقالت : إنـــه شيخٌ كبير فَلَجَّ بها ، ولم تَرِعِ ، امتناعُ [8]

---

(١) الذكر من الحديد : أيبسه وأشده وأجوده .

(٢) مشعلة : كتيبة مبثوثة منتشرة . وزع : حبس أولهم على آخرهم . الرعال : جمع رعلة هي القطعة من الخيل قدر العشرين ، وقيل أولها .

(٣) سلس العنان : سهل القياد . قبلاء : حولاء .

(٤) نهنهته : زجرته .

(٥) اقتحم الهياج : أرمي بنفسي في الحرب . الأجدال : الصقر .

(٦) المفضليات ص ٣٦١ .

(٧) الرواع : اسم امرأة .

(٨) لج : تمادى . لم ترع : لم تكف ؛ يقال : ورع الرجل لم يرع ، من باب وثق والمصدر رعة وورعا ، بفتح الواو وسكون الراء ، ومعناه : الكف عن الشيء .

فإمّا أُمْسِ قد راجعتُ حلمي | ولاحَ عليَّ من شيبٍ قِناع
فقد أَصِلُ الخليلَ وإن نآني | وغِبُّ عداوتي كلأٌ جُدَاع [1]
وأحفظُ بالمَغيبةِ أمرَ قومي | فلا يُسْدَى لَدَيَّ ولا يُضاع [2]
ويَسعدُ بيَ الضَّريكُ إذا اعتراني | ويكره جانبي البطلُ الشجاع [3]
ويأبى الذمّ لي أني كريم | وأن مَحَلِّيَ القَبَلُ اليَفاع [4]
وأني في بني بكر بن سعد | إذا تمّت زَوافِرُهم أُطاع [5]
وملمومٍ جوانبُها رَدَاحٍ | تُزَجَّى بالرماحِ لها شُعاع [6]
شهدتُ طِرادَها فصبرتُ فيها | إذا ما هَلَّلَ النِّكْسُ اليَراع [7]
وخصمٍ يَرْكبُ العوصاءَ طاطٍ | عن المُثْلَى، غُناماه القِذَاع [8]
طموحِ الرأسِ، كنتُ له لجاماً | يُخَيِّسُهُ، له منه صِقاع [9]

---

(١) نآني: بعد عني. غب عداوتي: عاقبتها. جداع: وخيم وسيىء غير مريء.

(٢) يسدى: يهمل ويترك سدى.

(٣) الضريك: المحتاج الضعيف. اعتراني: ألم بي.

(٤) القبل بفتحتين: ما استقبلك من الجبل. اليفاع: المرتفع.

(٥) الزوافر: جمع زافرة وهي الجماعة.

(٦) ملموم جوانبها: كتيبة لمت فجمعت فهي قوية، رداح: ثقيلة جرارة. تزجى: تساق وتدفع. شعاع: من كثرة بياض الحديد وصفائه.

(٧) هلل: جبن ورجع. النكس: الوغد من الرجال. اليراع: الذي لا جرأة له ولا صبر في الحرب، شبه بالبراعة، وهي القصبة، لتجوفها، فهو خال لا قلب له.

(٨) العوصاء: الخطة الشديدة. طاط: منحرف. غناماه: غايته ومبلغ أمره. القذاع: المقاذعة، وهي المسابة والشتم.

(٩) يخيسه: يحبسه ويكبح جماحه. له منه: أي من اللجام. الصقاع: حديدة تكون في موضع الحكمة من اللجام.

إذا ما انآدَ قومَه ، فلانتْ أخادعُه، النّواقِرُ والوِقاع [1]
وأشعثَ قد جفا عنه الموالي لَقىً كالحِلْسِ ليسَ به زَمَاع [2]
ضَريرٍ قد هَنأناه فأمسَى عليه في معيشتِه اتساع [3]
وماءٍ آجِنِ الجمّاتِ قفْرٍ تعقَّمُ في جوانبه السِّباع [4]
وَرَدْتُ وقد تهوّرت الثُّريا وتحتَ وَليّتي وَهْمٌ وَسَاع [5]

ثالثاً : الرغبة في ذكر الأمجاد الحربية :

ذلك حينما يحس الشاعر ميلاً إلى التغني بالبطولة الشخصية والقبلية : إظهاراً لشرفه وشرف قومه ؛ أو تخليداً لبطولتهم ؛ أو إثباتاً لتفوقهم في الناحية الحربية والاستعدادات للخطر ؛ أو لبيان عزتهم وقوتهم لكي يرهبهم الآخرون ؛ أو رغبة في تسجيلها لتكون ذخيرة تلهمهم القوة عند الشدة وتقوي عزيمتهم عند المحنة ، وتدفع الخلف إلى البطولة والشهامة ، أو حباً في الاستمتاع بهذه الأمجاد ، حينما يكون الشاعر في ساعات النشوة ، إذ يحلو له أن يعدد لذاته وما يحب في هذه الحياة ، وكثيراً ما تكون أعمال البطولة وذكريات الحرب المجيدة من لذات المرء في الحياة .

وغالباً ما نجد المرء في أيام هرمه وشيبه يطرب بذكر أمجاده الحربية

---

(١) انآد : تلوى وامتنع . الأخادع : جمع أخدع ، وهو عرق في موضع الحجامة من الرأس . النواقر : الدواهي . الوقاع : جمع وقعة .

(٢) أشعث : محتاج . الموالى هنا : بنو العم . اللقى : الشيء المطروح . الحلس : الكساء . الزماع : المضاء في الأمور والعزيمة . جفا عنه الموالي : تركوه ولم ينصروه .

(٣) الضرير : المضرور بمرض أو هزال أو نحو ذلك . هنأناه : أعطيناه .

(٤) آجن : متغير . الجمات : جمع جمة وهو ما كثر من الماء . تعقم : تذهب وتجيء .

(٥) تهورت الثريا : سقطت للمغيب ، وإنما تغيب آخر الليل . الولية : ما ولي ظهر البعير من كساء ونحوه . الوهم : البعير الضخم . الوساع : السريع في السير .

وقت شبابه ، فيرددها في شعره غناء ، تسري ألحـــانه في جنبات نفسه مسرى الدم في شرايين جسمه . ولكنا قد نجـــد في هذا الغناء نغمة توحي بحزن الشاعر العميق ، وأسفه الشديد لذهاب الشباب الذي كان يتمتع فيـــه بهذه الملذات :

أوْدَى الشبابُ الذي مَجْدٌ عواقبه فيه نَلَذُّ ولا لَذّاتَ للشِّيب

يومان : يوم مقاماتٍ وأَنْدية ويومُ سيرٍ إلى الأعداءِ تأويب [1]

وقد يثير الرغبة في ذكر الأمجاد الحربية سؤال بعض الناس للشاعر عن مجده ومجد قومه ، فهنا تهيج شاعريته . ويرتل آيات مجـــدهم الحربي لحناً شعرياً . وقد يكون هذا السؤال حقيقياً ، وقد يكون مفتعـــلاً ، من إيحاء الشاعر لغيره أن يسألوه ، أو من خياله هو ، عندما تفيض شاعريته بالفخر بنفسه أو بقومه ، فيتخيل سائلاً يسأله عن مجـــدهم الحربي ، ويتصدى للرد عليه ، قال عبيد بن الأبرص [2] :

يأيها السائلُ عن مَجْـــدِنا إنك عن مَسْعَاتنـــاجاهل [3]

إن كنت لم تأتِكَ أيامُنـــا فاسأل تُنَبَّأْ أيهـــا السائل

سائل بنـــا حُجْراً وأجنادَه يوم تولّى جمعَـــه الجافِل [4]

يومَ أتى سَعْداً على مـــأقِط وجاوَلَتْ من خلفه كاهِل [5]

(١) المفضليات ، قصيدة رقم ٢٢ ، ب ١ – ٢ .

(٢) ديوانه ص ٧٢ .

(٣) مسعاتنا : فعلنا وفضلنا ، وأراد « بمسعاتنا » فأدخل « عن » مكان الباء .

(٤) الجافل : الهارب المذعور .

(٥) سعداً : هو سعد بن ثعلبة بن كاهل بن أسد بن خزيمة . المأقط : المأزق وهو مضيق الحرب .

فأوْرَدوا سِرْبــاً له ذُبَّلاً كأنهن اللهبُ الشاعِل [1]
وعامراً ؛ أنْ كيف يَعْلوهُمُ إذ التقينا ، المرهَفُ الناهل [2]
وجَمْعَ غَسّــان لقيناهُمُ بجَحْفل قسْطَله ذائِلُ [3]
قَوْمي بنو دُودَانَ أهـلُ النُّهى يوماً إذا أُلقحت الحائِل [4]
كم فيهمُ من سيدٍ أيِّــدٍ ذي نَفَحاتٍ قائلٌ فاعلُ
مَنْ قولُه قولٌ ، ومَنْ فِعلُه فِعلٌ ، ومن نائلُهُ نائِل
القــائلُ القولَ الذي مثلُه يَنْبُتُ منـه البلَدُ الماحِل
لا يَحْرِمُ السائلَ إن جاءه ولا يُعقِّي سَيْبَه العاذِل [5]
والطاعنُ الطعنةَ يوم الوغى يَذْهلُ مِنهــا البطلُ الباسل

وقال ربيعة بن مقروم [6] :

وقَوْمي فإن أنتَ كذبتَني بقوليَ ، فاسأل بقومي عَليما
أليْسُوا الذين إذا أزْمَـةٌ ألَحَّتْ على الناسِ تُنْسي الحُلُوما [7]

---

(١) الذبل : القنا اليابس .
(٢) المرهف : السيف المحدد . الناهل : العطشان .
(٣) القسطل : الغبار . الذائل : الطوال الذيل لا ينقطع .
(٤) ألقحت : حملت . الحائل التي أتى حول ولم تحمل .
(٥) يعقي : يحبس ويمنع .
(٦) المفضليات ، ص ٣٥٩ .
(٧) ألحت : لزمت وتتابعت . الحلوم : العقول ؛ ولا ينسى الرجل حلمه إلا شدة الحال .

يُهِينُون في الحقِّ أموالَهم إذا اللَّزَباتُ الْتَحَيْنَ الْمُسِيما [1]
طِوالُ الرماحِ غداةَ الصَّباحِ ذَوُو نجدةٍ يمنعون الحرِيما [2]
بنو الحرب يوماً إذا اسْتَلأَموا حَسِبتَهُمُ في الحديدِ القُرُوما [3]
فِدًى بِبزَاخَةَ أَهْلي لهمْ إذا مَلأُوا بالْجموعِ الحَزِيما [4]
وإذْ لَقيتْ عامرٌ بالنِّسا رِ منهمْ وطِخْفَةَ يوماً غَشُوما [5]
بهِ شاطَروا الحيَّ أموالَهم هَوازِنَ، ذَا وَفْرِها والعَدِيما [6]
وساقتْ لنا مَذْحِجٌ بالكُلَابِ مَواليَها كلَّها والصَّمِيما [7]
فدارتْ رَحانا بفُرْسانِهم فعادوا، كأنْ لم يكونوا، رَمِيما [8]
بطعنٍ يجيشُ له عانِدٌ وضربٍ يُفَلِّق هاماً جُثوما [9]

---

(١) يهينون في الحق أموالهم : أي ينفقون أموالهم في الحقوق التي تعتريهم، من قرى ضيف، ومنحة، ودية . اللزبات، بفتح الزاي : جمع لزبه بسكون الزاي وهي القحط . التحين: قشرن، من لحوت العود ولحته إذا قشرت ما عليه من اللحاء . المسيم : صاحب الإبل والغنم .

(٢) النجدة : الرفعة في كل أمر . الحريم : ما يجب عليهم منعه .

(٣) استلأموا : لبسوا اللأمة وهي السلاح . القروم : فحول الإبل.

(٤) بزاخة : موضع . الحزيم والحزم من الأرض : الصلب منها .

(٥) النسار وطخفة : موضعان . الغشوم : الظالم .

(٦) شاطروا : أخذوا الشطر وهو النصف . الوفر : المال الكثير . العديم : المقل . به : أي باليوم المذكور .

(٧) الموالي هنا : الحلفاء . الصميم : الصريح الخالص في النسب . الكلاب : موقعة الكلاب التي كانت بين مذحج وتميم .

(٨) عادوا رميما : صاروا عظاماً بالية .

(٩) يجيش : يفور لكثرته . العاند : ما عند من الدم أي سال . الجثوم : جمع جاثم وهو اللازم مكانه لا يبرح .

وأضحت بِتَيْمَنَ أجسادُهم يُشَبِّهُها مَن رآها الهَشِيما (١)
تركْنا عُمارةَ بين الرِّماح عمارةَ عبسٍ نَزيفاً كَليما (٢)
ولَوْلا فوارسُنا ما دَعتْ بذاتِ السُّلَيْمِ تَميمٌ تَميما (٣)
وما إنْ لِأُوتِبَها أنْ أعُدَّ مَآثِرَ قوْمي ولا أنْ ألُوما (٤)
ولكنْ أُذَكِّرُ آلاءَنا حديثاً وما كان مِنّا قديما (٥)
ودارِ هَوانٍ أنِفْنا المُقامَ بها فَحَلَلْنا مَحلاًّ كريما
إذا كان بَعْضُهُمُ للهوانِ خليطَ صفاءٍ وأُمّاً رؤوما (٦)
وثغرٍ مَخوفٍ أقمْنا به يَهابُ به غَيْرُنا أن يُقيما (٧)
جعلْنا السيوفَ به والرِّماحَ معاقِلَنا والحديدَ النَّظيما (٨)

---

(١) تيمن : بفتح الميم وضمها : موضع . الهشيم : ما يبس وتكسر من ورق الشجر .

(٢) نزيف : كليم . فعيل بمعنى مفعول ، والكلم : الجرح . عمارة عبس : هو عمارة ابن زياد العبسي وهو أحد الكملة الأربعة أولاد فاطمة بنت الخرشب الأنمارية ، وهم : عمارة والربيع وأنس وقيس أبناء زياد العبسي .

(٣) ذات السليم : موضع كان به يوم من أيامهم .

(٤) أوتبها : أخزيها وأفضحها ؛ أوأبت فلاناً : أخزيته ، والإبة بكسر الهمزة وفتح الباء : العار وما يستحيا منه . يقول : لست أعد مآثر قومي لأخزي هذه .

(٥) الآلاء : النعم والأفضال .

(٦) الرءوم : التي تعطف على ولدها وتحبه .

(٧) الثغر : موضع المخافة .

(٨) المعاقل : جمع معقل وهو الحرز . النظيم : المنظوم .

وجرداً يقَرّبن دون العيالِ خلالَ البيوتِ يَلكْنَ الشَّكيما[1]

تُعَوّدُ في الحرب أنْ لا بَراحَ إذا كُلِّمَتْ لا تَشكّى الكُلُوما[2]

(١) الجرد : الخيل القصيرة الشعر . يقربن دون العيال : يؤثرن ويفضلن بالإكرام . يلكن : يمضغن . الشكيم : لسان اللجام .

(٢) الكلوم : الجروح ؛ يقول : إذا جرحت صبرت ولم تبرح .

الفصل الثالث

الهجاء والتوبيخ

قبل أن نبدأ في تحليل ما قاله الجاهليون في ذلك من شعر الحرب ، نحب أن نلاحظ ملاحظتين :

الأولى : أن ما سيبحث في هذا الفصل هو ما يخاطب به الشاعر قوماً معينين من أعدائه ، لا كل ما تحدث به الشعراء عن أعدائهم ، وإلا لشمل ما ذكر عن الإيقاع بالأعداء في باب الفخر . فما مر هناك كان الشعر الذي لم يقصد به الشاعر قوماً بالذات أي لم يوجه لهم الشعر بصيغة الخطاب، أو ذكر بصيغة عامة : أما الذي ذكر هنا فهو الشعر الذي استعمل فيه الشاعر صيغة الخطاب إلى قوم معينين ذكر أسماءهم في شعره .

الثانية : نقصد « بالهجاء » هنا تلك الصفات التي ذم بها الشاعر أعداءه من غير أقاربه . ونريد « بالتوبيخ » تلك التي لم يستحسنها من خصومه الذين هم من عشيرته .

ومن المجموعة التي أحصيناها وعددها ٥٠٨٠ بيتاً وجدنا أن هناك ٥٥٩ بيتاً في الهجاء والتوبيخ ؛ منها ٣٠٤ في الهجاء ، ٢٥٥ في التوبيخ .

وقد تحدث الشعراء في ذلك عن المثالب الحربية التي تصور الأعداء

والخصوم بصورة غير مستحسنة ، ومن دراسة ما قاله الشعراء الجاهليون نجد أن كلا من الهجاء والتوبيخ كان يدور حول النقط الأساسية الآتية :

١ — تجردهم من البطولة :

وهذا يشمل الصفات التي تتنافى مع صفات البطل الحقيقي ، وتصور العدو بصورة من لا شهامة عنده ولا مروءة . وهنا نجد الشعراء يذمون الأعـــداء بأن كلّا منهم أحمق ، كثير الجهل ، شتّام الكرام، لا رأي له ، تابع للناس ، غير كريم ، معــاود للشرح والقبح ، متعود للقهر والذل ، يفخر بالباطل ، ليس أهلا لأن يقتل في ثأر ، غادر يكفر النعمة ، فلا يجازي من أحسن إليه ، لا حمية عنده ، لا يحمي جاره ، بل يغــدر به ، ولا يفي لمن استعان به أو اعتمد عليه ، ولا يدافع عن الحمى ، ولا يحافظ على الشرف والكرامة ، كل همه الراحة والمتعة الجسمية والملذات الوضيعة التي تكسبه المهانة والاحتقار ، وتقعد به عن المجد والاحترام .

ويوبخ الأقارب بما يدمغهم بالسفه ، ومجانبة الطريق الصحيح ، كأن يُرموا بأنهم قعــــدوا عن نصرة قومهم أو أحجموا عن الاشتراك معهم في الحرب أو أثاروا حرباً على نفر من العشيرة ، أو تعدّوا عليهم ظلماً وعدواناً، أو دَعوا قوماً أجانب لقتال قومهم ، أو تحاملوا على ذوي قرابتهـــم ، أو خالفوا أمر الرئيس ، أو رأي القبيلة الجماعي .

وكثيراً ما نجد الشاعر هنا يُعرّض بالذين لم يشتركوا مع قومهم في القتال بأنهم ليسوا أهل حرب ، ويرميهم بحب الحياة ، والخوف من الحرب حرصاً على آجالهم ، ويؤكد لهم أن ذلك لن يمنع عنهم الأجل المحتوم ، وقد يتهكم بهم ، فيذكر قوماً آخرين ، مشيداً ببطولتهم وشجاعتهم ، ويتمنى أن لو كان له مثلهم .

٢ – الايقاع بهم :

وذلك يشمل ما حدث للأعداء من خسارة في الأموال والأرواح أو نيل الشرف والكرامة ، ووصف ذلك بما يزيد النفس ألماً وغماً ، نكاية وسخرية بهم . فمن ذلك مثلاً أن يذكر أن الأعداء قد حل بهم ما حل بالأمم السابقة كعاد وثمود ، فهلكوا وصاروا كأن لم يكونوا ، وأن للقتلى كانوا يمجُّون من دم الجوف النجيع ، وسقطوا على الرمال دون أن توسد خدودهم ، وتركوا وحدهم ، حيث لا قريب معهم ، ولا صديق يحنو عليهم أو يأسو جراحهم ، أو يقبرهم فيواري سوءاتهم ، بل ظلوا جزراً للسباع والطيور الجارحة . وقد يزيد الشاعر في ألم الهجاء بأن يرمي أعداء بأنهم قتلوا لا لدم أو لثأر ولكن للؤمهم وهوانهم وخسة أصلهم .

وذموا بأخذ الأسرى والسبايا قسراً ؛ وسوقهم خزايا ، وحملهم على صعود الهضاب ، وهبوط الوديان في شدة القيظ ، مكبلين بالقيود والأغلال ، واتخاذ السبايا للخدمة ، وامتهانهن .

وهَجَوْا كذلك بتجريد الأعداء من أموالهم وأسلحتهم ومعداتهم وأخذها أسلاباً وغنائم .

٣ – الضعف والجبن :

ويدخل في ذلك ما ذم به الشعراء أعداءهم وخصومهم بما يصفهم بعدم الشجاعة ، وخور العزيمة : كأن يرموا بأنهم غير أقوياء يحجمون عن القتال ، ولا يستطيعون مواجهة الأبطال ، يقبعون في بيوتهم ويتحصنون بآجامهم ونسائهم ، أذلاء ، قتلهم سهل ، كالغنم التي يذبحها الشاربون ورؤوسهم هيئة القطع كأنها حنظل ، لا يأبه بهم الناس ، وهم يخافون غيرهم ، لا يرعون إلا في ديارهم لقلة حيواناتهم وضعفهم عن حمايتها ، يخشون المشي في الفضاء ، ويهاجمهم العدو في ديارهم ، وهم فوضى لا نظام عندهم ، ضعاف مع كثرة عددهم ، وعند الشدة يرتبكون ، فيضلون سبيل الرشاد ، يثنون من الحرب ويشعرون

بثقلها ، ويتجنبون الدخول فيها ، لا غناء عندهم في الحرب ولا كفاية ، ولا خبرة لهم بها .

٤ — الفرار :

ويدخل في ذلك ما يذم به الشاعر أعداءه بعـــدم الصبر ، والهرب من الميدان ، ورمي الأسلحة ، وترك القتلى مصرعين والجرحى يئنون . ولزيادة الألم في الهجاء بالفرار ترى الشاعر يسخر من عـــدوه بأنه لولا فراره للاقى أسوأ العواقب ، ثم يحثه على الشكر والاعتراف بالجميـــل لفرسه الشديدة السريعة ، ويحذره من كفران صنيعها .

٥ — الخزي والعار :

وذلك يشمل ما يَصِم الأعداء بالذلة والحقارة ، كأن يرمي الشاعر أعداءه بالهزيمة ، وسيادة غيرهم عليهم ، وتفريقهم في الأرض وخطم أنوفهم ، واسوداد وجوههم وخفض رءوسهم ، وصيرورتهم عبيداً ، وانتشار أخبارهم السيئة ، وسرد أيامهم التي انهزموا فيها .

وهذا جدول يبين عدد الأبيات التي قيلت في كل نقيصة للهجاء والتوبيخ :

	النقيصـــة	عدد الأبيات		المجموع
		الهجاء	التوبيخ	
١	التجرد من البطولة	٨٥	١٥٦	٢٤١
٢	الإيقاع بهم	٩٩	٢٩	١٢٨
٣	الضعف والجبن	٤٣	٢٤	٦٧
٤	الفـــرار	٥٦	١٥	٧١
٥	الخزي والعار	٢١	٣١	٥٢
	المجموع الـكلي	٣٠٤	٢٥٥	٥٥٩

أما عدد المرات التي كررت فيها كل نقيصة من هذه النقائص في الهجاء والتوبيخ فيوضحها الجدول التالي :

	النقيصة	عدد المرات		المجموع
		الهجاء	التوبيخ	
١	التجرد من البطولة	٥١	٣١	٨٢
٢	الإيقاع بهم	٤٤	١٣	٥٧
٣	الضعف والجبن	٣٦	١١	٤٧
٤	الفرار	٣٠	٦	٣٦
٥	الخزي والعار	١٨	٩	٢٧
	المجموع الكلي	١٧٩	٧٠	٢٤٩

دوافع الهجاء والتوبيخ :

كان الشاعر يذم أعداءه وخصومه بسبب التنافس ، أو العداوة ، أو حدوث حرب بينه وبينهم . فكان يرميهم بالهجاء والتوبيخ ، شماتة فيهم ، وتسجيلاً لما حدث لهم من الخزي والعار . وقد يذم معهم قوماً خيبوا ظنه ولم يحققوا أمله فيهم ويمكن أن يقال إن الشاعر كان يُدفَع للهجاء بأحد الأسباب المباشرة الآتية :

(أ) الرغبة في إضعاف الروح المعنوية للعدو :

كانت العداوة بين القبائل ، والخصومة والتنافس بينهم على الشهرة والسيادة والمجد تثير الإحن والأحقاد ، وتلهب المشاعر والإحساسات ، وهنا كان الشاعر يستغل موهبته الشعرية في إضعاف الروح المعنوية للأعداء ، وبث التخاذل والخور في نفوسهم ، فيثيرها حرب أعصاب ضدهم ، سلاحها اللسان

والكلام ، وقد يكون أثرها أشد وأقوى من الحديد والنار .

من ذلك مثلا مـــا كان من عبيد بن الأبرص في العداوة التي كانت بين بني أسد وكندة. ومما وجّهه في أثناء ذلك إلى منافسه امريء القيس بن حجر الذي قتلته أسد قوله [1] :

وأنتَ امرؤ ألْهاكَ دُفٌّ وقَيْنَةٌ ... فتُصبح مخموراً وتُمسِي كذلكا
عنِ الوترْ حتى أدركَ الوترَ أهلُه ... وأنت تبكّى إثرَه مُتَهالِكا [2]
فلا أنتَ بالأوتارِ أدْركْتَ أَهلَها ... ولم تكُ إذ لم تَنتَصر مُتماسِكا [3]
وركْضُكَ لولاهُ لقيتَ الذي لَقُوا ... فذاكَ الذي أنجاكَ مما هُنالِكا
ظَلِلْتَ تُغنّي إن أصبْتَ وَليدَةً ... كأنَّ مَعَدّاً أصْبَحَتْ في حِبالِكا

(ب) رد الكيد في نحور المعتدين :

الاعتداء جُرم شنيع ، والظلم شر بغيض ، وكلاهما تأباه النفوس الكريمة ، ومحاربته أمر تحتمه الأنفة والعزة والإباء ، والإيقاع بالمعتدين والظالمين ، شرف كبير ، ونصر عظيم ، يشيع البهجة في النفوس ، ويبعث الفرح في كل مكان ، فيثير العواطف ، ويحرك ألسنة الشعراء المنتصرين ، مفتخرين بمـــا نالوه من فوز ، أو ذامين الأعداء لحمقهم ، مسرورين بما لحقهم جزاء الظلم والعدوان .

فعندما انتصر بنو يربوع (من تميم) على الهجوم المشترك الذي شنته عليهم قبلتا عامر بن صعصعة وحسان بن كبشة اليمني (من كندة) في يوم ذي نجب ، قـــال أوس بن غلفاء الهجَيْمي يهجو يزيد بن الصعق أحد قواد الأعداء المنهزمين وكان قد ضُرِب على رأسه في ذلك اليوم [4] :

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ، ٥٣ ، الأبيات ١٤-١٨ .
(٢) الوتر مثل الذحل ، وهو الحق يكون للرجل من دم أو غيره .
(٣) يقول : إنك لم تكن متماسكاً إذ لم تنتصر .
(٤) المفضليات ، ص ٧٥٧ .

وَجدْنا مَنْ يقودُ يزيدُ منهم ضعافَ الأمرِ غيرَ ذوي نِظام
فَأْجرِ يزيدُ مذموماً أوْ انزِعْ على عَلْب بأنفِكَ كالخِطام [1]
كأنكَ عَيْرُ سالِئَـــةِ ضَروُطٍ كثيرُ الجهلِ شتامُ الكرام [2]
وإن الناسَ قـدْ عَلِموكَ شيْخاً تُهوِّكُ بالنَّواكةِ كلَّ عام [3]
وإنكَ مِن هجـــاءِ بني تميم كَمُزْدَادِ الغَرامِ إلى الغَرام [4]
هُمُ مَنُّوا عليكَ فــلم تُثِبْهُمْ فَتيلاً غـيرَ شتْمٍ أو خصامِ
وهمْ تركوكَ أسْلَحَ من حُبـارَى رأتْ صقراً وأشْرَدَ من نَعام [5]
وهم ضَرَبوكَ ذاتَ الرأس حتى بدتْ أمُّ الدماغِ منَ العِظام [6]
إذا يأْسونَها نَشَزت عليهم شَرَنْبَثَةُ الأَصابعِ أمُّ هَام [7]
فَمنَّ عليكَ أنَّ الجلدَ وَارَى غَثيثَتَها وإحرامُ الطعام [8]

---

(١) العلب : أن تؤخذ حديدة أو نحوها فيقشر بها الأنف حتى يبدو العظم . يقول : أجر على عدواتنا ، أو أكفف على صغر ، مغلوب الأنف .

(٢) السالئة : المرأة التي تسلأ السمن .

(٣) التهوك : التحير والتردد . أو السقوط في هوة الردى . النواكة : الحمق .

(٤) الغرام : الشر الدائم .

(٥) الحباري : طير بري ، يدعى دجاجة البر ، يسلح وقت الخوف .

(٦) ضربه ذات الرأس : أصاب أم رأسه . أم الدماغ : الجلدة التي تحيط بالدماغ وتجمعه .

(٧) يأسونها : يعالجونها . نشزت : ارتفعت . شرنبثة : غليظة . الهام : جمع هامة ، وهي الطـائر الذي يزعمون أنه يخرج من رأس القتيل . يقول كأنما تطلع عليهم من الشجة هامة عظيمة غليظة الأصابع يهول منظرها ، وجعلها أم هام تهويلاً لكبرها .

(٨) غثيثتها : ما فسد منها . إحرام الطعام : منعه من شرب المـــاء ، وكانوا يمنعون من به جرح وترجى حياته أن يشرب الماء لئلا تنتقض جراحه فيموت .

وهمْ أدَّوْا إليــك بني عِداءٍ ... بأفْوَقَ ناصِلٍ وبِشرٍّ ذَامِ [1]
وَحيَّيْ جعْفَرٍ والحيَّ كَعْبــاً ... وحيّ بني الوَحيد بلا سَوامِ [2]
فإنّا لم يكنْ ضَبَّاءُ فينــا ... ولا ثقفٌ ولا ابنُ أبي عِصامِ [3]
ولا فَضَحُ الفُضُوحِ ولا شُيَيْمٌ ... ولا سُلْماكُمُ صَمِّي صَمَامِ [4]

وفي يوم الرَّقَم أغارت عامر على غطفان فانتصر الغطفانيون ، وانهزمت عامر شر هزيمة ، فانتحر بعضهم خشية أن يمثل به ، وهرب آخرون لا يلوون على شيء . فقال سَلَمة بن الخرشب الأنماري يهجوهم ويتهكم بأفعالهم [5] :

إذا ما غَدَوْتمْ عامدين لأرضنا ... بني عامرٍ فاسْتَظْهِروا بالمرائرِ [6]
فإن بني ذُبيانَ حيث عَهِدتُمُ ... بجَزْعِ البَتيلِ بين بادٍ وحاضِرِ [7]
يَسُدُّون أبوابَ القِبــاب بضُمَّرٍ ... إلى عُنَنٍ مُسْتَوْثِقاتِ الأواصِرِ [8]

(١) الأفوق : سهم ذهَبَ فوقُه ، وهو موضع الوتر من السهم الناصل : الذي ذهبَ نصلُه. ذام : ذم .

(٢) السوام : الإبل الراعية .

(٣) ضباء : رجل من بني أسد كان جاراً لبني جعفر . فقتله بنو أبي بكر بن كلاب غدراً ، فلم يدرك بنو جعفر بثأره ولم يدوا ديته .

(٤) هذه أعلام رجال . صمي صمام : يقال للداهية « صمي صمام » أي زيدي .

(٥) المفضليات ص ٢٩ .

(٦) بنو عامر : هم بنو عامر بن صعصعة . المرائر : الحبال ، لأنها تمر أي تفتل . يقول إذا أردتم الغارة علينا فاحملوا معكم حبالاً تخنقون بها أنفسكم ، يشير إلى أن الحكم بن الطفيل ، خاف أن يؤسر لما هزم قومه ، فخنق نفسه بحبل .

(٧) الجزع : منحنى الوادي . البتيل : جبــل بنجد . أي متى شئتم فاقصدوا ، فإنا في الموضع الذي عهدتمونا فيه ، وكلنا هناك ، بادينا وحاضرنا .

(٨) عنن : جمــع عنة ، كغرفة ، وهي حظيرة من شجر تجعل فيها الخيل لتقيها البرد . الأواصر جمع آصرة ، وهي حبل صغير تشد به الدابة .

وأمسَوْا حِلالاً ما يُفرِّقُ بينَهم على كل ماءٍ بين فَيْدَ وسَاجِرِ [1]

واصْعَدَتِ الحُطَّابُ حتى تَقَارَبوا

على خُشُبِ الطَّرْفَاءِ فَوْقَ العَواقِرِ [2]

نجوتَ بنَصْلِ السَّيفِ لا غِمْدَ فوقَه

وسَرْجٍ على ظهرِ الرِّحالةِ قَاتِرِ [3]

فأَثْنِ عليها بالذي هي أَهْلُهُ

ولا تَكْفُرَنْها ، لا فلاحَ لكافرِ [4]

فلو أنها تجري على الأرضِ أُدرِكتْ ولكنها تَهْفُو بتمثالِ طائرِ [5]

خُدارِيَّةٍ فَتْخاءَ أَلْثَقَ ريشَها سحابةُ يومٍ ذي أَهاضيبَ ماطِرِ [6]

(حـ) خذلان الأعوان :

إن عدم الوفاء بالالتزامات ، ونقض العهود ، والقعود عن نصرة الحليف ،

---

(١) الحلال : جمع حلة بالكسر ، وهي مائة بيت أو مائتان . فيد وساجر : موضعان . أي أمسوا كثيراً ليس فيهم غريب .

(٢) أصعدت : أبعدت في الأرض . الحطاب : الذين يجمعون الحطب . والطرفاء : شجر . العواقر : سميت بها الرمال العظيمة لأنها لا تنبت شيئاً . يريد أنهم من عزهم وقوتهم أبعدوا حتى تجاوزوا بلادهم في طلب الحطب ، فبلغوا العواقر آمنين .

(٣) يخاطب عامر بن الطفيل . الرحـــالة : فرسه . السرج القاتر : الجيد الوقوع على ظهر الدابة لا يعقر ، ليس بصغير ولا كبير .

(٤) أثن على فرسك إذ نجتك . الكافر : الساتر للنعمة والإحسان .

(٥) تهفو : تسرع ، شبه فرس عامر بالطائر ، ليعظم شأنها ، فيكون ذلك أعذر لخيله إذ لم تلحقها .

(٦) خدارية : بدل من طائر ، والعقاب الخدارية : التي يضرب لونها إلى السواد والغبرة . والفتخاء : اللينة الجناح . الأهاضيب من المطر : دفعات منه . جعل هذه الفرس كالعقاب التي أصابها هذا المطر فهي تبادر إلى وكرها .

أفعـــال تستشيط غضب الحليم ، وتبعث الغيظ والألم ، وتطلق الألسنة ضد مرتكبيها بالذم والهجاء. من ذلك مثلاً ما حدث يوم الكُلاب الأول حين قعد بنو حنظلة عن نصرة شرحبيل ، وفروا عنه . فقال امرؤ القيس يهجوهم[1]:

أحنظل لو حاميتُمُ وكرمتمُ ... لأثنيتُ خيراً صادقاً ولأرضاني
ولكنْ أبى خِذلانُكم فافتضحتُمُ ... وَخبَّثتُمُ مِنْ سَعْيِكُمْ كلَّ إحسان
وقد كانَ أصفاكُمْ بأخلصِ وُدِّه ... على غيرِكُمْ فكنتُمُ شَرَّ خُلْصَان
وكم مَطَرَتْ كفَّاهُ مِنْ فَضْلِ نائل
لهُ فِيكُمُ فاشٍ ، وَكَمْ فَكَّ مِن عَانِ
أحنظلُ لا شُكْرٌ بصَالِحِ فِعْلِه ... ولا عِفَّةٌ إذْ نَصْرُكُمْ خاذِلٌ وانِ
فأُلفِيتُمُ عِنْدَ الجِوارِ أذِلَّةً ... وعيدانُكُمْ في الجَهْدِ أخوَرُ عِيدان
أحنظل هذا ذكْرُ ما قدْ فعلتُمُ ... وأجلو لكُم وجْهَ الحديثِ بتبيان
سأوقدُ حتى يعلمَ الناسُ غدْرَكم ... بمشهورةٍ فوقَ العلاءِ بنيران
وأُبْتُمْ بلا غُنْمٍ ولا بِسَلامَةٍ ... فيا شَرَّ أتباعٍ ، ويا شرَّ إخوان

(د) فخر أو هجاء سابق :

لقد كان فخر الشاعر الذي انتصرت قبيلته ، أو هجاؤه للأعداء المهزومين يثير شعراءهم ، ويلهب عواطفهم ، فيضطرون للرد عليه بهجاء أشد وآلم إن استطاعوا ، تجمع فيه سيئاتهم ومخازيهم ، وتسرد مآسيهم ، ويعدد ما نالهم من هزائم في أيام سابقة .

من ذلك ما كان من عـامر بن الطفيل حين انهزم قومه من قبيلة عامر في

---

(١) شرح النقائض ص ٤٣٦ .

يوم الرقم وافتخرت غطفـان بانتصارها ، وهجوا بني عامر ، فقال عامر بن الطفيل يرد عليهم [1] :

أَفَرِحتَ أن غَدَرَ الزمانُ بفارسٍ
قُلَحَ الكلابِ وكنتُ غيرَ مُغلَّب [2]

يا مُرَّ قد كلب الزمانُ عليكُم
ونكأتُ قَرْحَتَكمْ ولمَّا أُنكب [3]

وتركتُ جمعَهمُ بلاَبَةِ ضرغدٍ — جَزْرَ السِّباعِ وكلُّ نسرٍ أهْدَبِ [4]

ولقد أَبَلتُ الخيلَ في عَرَصاتكم — وَسْطَ الديار بكل خِرْقٍ مِحْرَبِ [5]

وشَفَيتُ نفسي من فزارةَ إنهم — أهلُ الفَعال وأهلُ عِزٍّ أَغْلَبِ [6]

ولقد فَخَرْتَ بباطلٍ عَدَّدْته — فإذا أتيتَ بيوتَ قومِك فاحْسُبِ [7]

فَلتُخبِرَنَّك فاقِدٌ عن شَجْوِها — حَذِلٌ مدامِعُها بدمعٍ سَيْكَبِ [8]

(١) ديوانه ص ١١١ .

(٢) القلح : بفتح القاف واللام : صفرة تعلو الأسنان ، يقال : رجل أقلح . وامرأة قلحاء ، وقوم قلح . ونصب « قلح الكلاب » على السب والشتم ، أو على النداء .

(٣) كلب : اشتد وأظهر تغيراً وعبوساً . نكأت قرحتكم : قشرت عنهـا القشرة التي تعلوها . لما أنكب : لم تلحقني نكبة .

(٤) اللابة : الحرة . ضرغد : موضع أو بلد . جزر السباع : لحم لها كما يجزر البعير . أهدب : طويل الأهداب .

(٥) أبلت الخيل في عرصاتكم : قدتها إليكم حتى داست دياركم وبالت فيها . الخِرق ، بكسر الخاء ، الذي يتخرق بالمعروف . والمحرب : صاحب حرب .

(٦) الأغلب : الغليظ الضخم .

(٧) يقول : أنت تفخر بما لا أصل له .

(٨) الحذل بفتح الحاء والذال : سقوط الشعر من جفن العين من البكاء . الشجو : الحزن .

ولقد لحقتَ بخيلنا فكرِهْتَها
وَصَدَدْتَ عن خَيْشُومِها المُستكلب [1]

فَبَني فَزَارَةَ قد عَلَوْنَ بكَلْكَلٍ
والحيَّ أشجعَ قد رَمَيْنَ بمَنكِبِ [2]

غادرْنَ منهم تِسْعَةً في مَعرَكٍ وثلاثة قَرَّنَّهُمْ في المِشْعَبِ [3]

أما اللوم أو التوبيخ للأقارب ، فكان الشاعر يُدفَع إليه عندما يحدث منهم شيء يتنافى مع قوانين القبيلة من الاتحـــاد والإخلاص بعضهم لبعض ، والتعاون ، والوقوف صفاً واحداً ضد العــدو ، والثبات للدفاع عن شرف القبيلة ، والالتفاف حول الرئيس ، والانقياد لرأي الجماعة ، واتباع ما ينصح به ذوو الرأي من المجربين المخلصين .

ومن ثم كان الشاعر يلوم ويوبخ بعض فروع العشيرة في مثل الظروف الآتية :

(أ) إذا انثلم اتحاد العشيرة ، كأن لا يشترك رأس أو فرع معين مــع مجموع العشيرة في حربهم الأعداء ؛ كما حدث حينما قامت حرب البسوس بين بكر وتغلب واعتزلها الحارث بن عباد ، فقال [4] سعد بن مالك البكري ، يعرض بالحارث ويعيره باعتزاله الحرب .

---

(١) خيشومها : أنفها ، وخيشوم كل شيء : ما تقدم منه ، يريد لحقت أوائل الخيل فوليت عنها وفررت .

(٢) الكلكل : الصدر ، وهو معظم القوم ، أي ألقوا عليهم أثقالهم .

(٣) غادرن : تركن وخلفن . في معرك : في موضع اعتراك يعني موضع القتال . يقصد : قتل هؤلاء التسعة هناك ، وأسر ثلاثة قرنوا في حبل . المشعب : الموت ، واسم الموت : شعوب، بلا ألف ولام ولا صرف ، كأنه قال : شدوا في حبل فاسلموا إلى الموت .

(٤) شعراء النصرانية ص ٢٦٤ .

يا بؤسَ للحربِ التي وَضعتْ أراهطَ فاستراحُوا

والحربُ لا يبقى لِجَا حِمِها التخيُّلُ والمَراحُ

إلا الفتى الصَّبَّارُ في النَّجَداتِ والفرسُ الوَقاحُ

والنثرةُ الحصداءُ والبَيْضُ المكَلَّلُ والرِّماح

وتساقَط الأوشاطُ والذَّنبَاتِ إذ جُهِدَ الفضَاح

والكَرَّ بعدَ الفَرِّ إذ كُرِهَ التقدُّم والنِّطَاح

كشفَتْ لهمْ عَن ساقِها وبدا مِن الشر الصّراح

فالهمُّ بيضاتُ الخدُو رِ هناكَ لا النَّعَمُ المرَاح

بئسَ الخلائفُ بعدَنَا أولادُ يشكرَ واللّقَاح

مَن صدَّ عن نيرانِها فأَنا ابنُ قيسٍ لَا بَرَاح

صَبراً بني قَيسٍ لَهَا حتى تُرِيحوا أَو تُرَاحُوا

إن المُوائِلَ خَوْفَهَا يعتَافُه الأَجلُ المُتاحُ

هيهاتَ حَالَ الموتُ دُو نَ الفَوْتِ وانْتُضِيَ السِّلَاح

كَيْفَ الحياةُ إذا خَلَتْ مِنّا الظَّواهِرُ والبِطَاح

أَينَ الأَعِزَّةُ وَالأَسِنَّةُ عِنْدَ ذَلِكَ والسَّمَاح

(ب) عندما يشن بعض القوم هجوماً ، أو يشتركون مع آخرين في حرب ، ضد نفر من عشيرتهم ؛ كما حدث هذا واشتبك بنو سَهْمٍ وبنو صِرْمَة من بني مُرة بن عوف في حرب يوم « دارة موضوع » وكان رئيس

الأولين الحصين بن الحمام المري ، وقد نكص عنه من بني سهم بنو عدوان ، وبنو عبد عمرو ، فظفر الحصين ، وهزم الآخرين ، وقتـــل منهم فأكثر ، فكان مما قاله في ذلك [1] :

جَزَى اللهُ أَفناءَ العشيرةِ كلَّها بدارةِ مَوضوعٍ ،عُقوقاً ومأْثَما [2]

بني عمِّنـا الأَدْنَيْنَ منهم ورَهْطَنا فزارةَ إذ رامت بنا الحربُ مُعْظَما [3]

مَوالِي مَوالينا الوِلادَةُ منهمُ ومَولَى اليمين حَابساً متقسَّما [4]

ولما رأيتُ الودَّ ليس بنافعي وأنْ كانَ يوماً ذا كَواكبَ مُظلِما

صَبرْنا وكان الصبرُ فينا سجيةً بأسيافِنا يَقْطَعْنَ كَفّاً ومِعْصَمَا

يفلِّقْنَ هَاماً من رِجالٍ أعِزَّةٍ علينا ، وهمْ كانوا أعقَّ وأظلما

وجوهُ عَدُوٍّ والصدورُ حَديثةٌ بِوُدٍّ ، فأوْدَى كُلُّ وُدٍّ فأنْعَما [5]

فليت أَبا شبلٍ رَأى كرَّ خَيلِنـا وخيلِهِمُ بَيْنَ السِّتَارِ فَأَظْلَمَا [6]

وبعد أن وصف ما حدث في الموقعة ومـا أبداه فريقه من ألوان البطولة والشجاعة ، قال :

---

(١) المفضليات ، ص ١٠٠ .

(٢) أفناء العشيرة : القوم المختلطون من ههنـا ، وههنا لا يدري من أي قبيل هم . دارة موضوع : مكان كانت فيه الموقعة . عقوقاً ومأثماً : أي جزاء عقوقهم وإثمهم .

(٣) الأدنين : الأقربين .

(٤) قسم مواليه قسمين : موالي القرابة وهم بنو عمه ، وموالي اليمين وهم حلفاؤه . حابساً ومتقسماً : حالان من اليمين ، لأنهم يقسم لهم على النصرة ويحبس كل من الحليفين به .

(٥) أودى : ذهب . أنعم : بالغ ، أي بالغ الود في الذهاب .

(٦) أبو شبل : هو مُلَـيط بن كعب المري . الستار وأظلم : موضعان .

أَثَعْلَبَ لو كنتمْ مَواليَ مِثْلِها إذاً لمَنَعْنا حوضَكُمْ أن يُهدَّما [1]
ولولا رجالٌ مِن رِزَامِ بنِ مازنٍ وآلِ سُبَيْعٍ أو أسوءَكَ عَلْقَما [2]
لأقسمتُ لا تنفكُّ مني مُحارِبٌ على آلةٍ حَدْباءَ حتّى تَنَدَّما [3]
وحتى يَرَوْا قوماً تَضِبّ لِثاتُهم يَهزّون أرماحاً وجيشاً عَرَمْرما [4]
ولا غَرْوَ إلا الخُضْرُ خُضْرُ مُحارِبٍ
يُمَشُّون حَولي حاسِراً ومُلأَّما [5]
وجاءتْ جِحاشٌ قَضَّها بِقَضِيضِها وجَمعُ عُوَالٍ ما أدقَّ وألأَما [6]
وهاربةُ البَقْعاءِ أصبحَ جمعُها أمامَ جُموعِ الناسِ جمعاً مُقدَّما [7]
بمُعتَرَكٍ ضَنْكٍ بهِ قِصَدُ القنا صبرْنا له قد بَلَّ أفراسَنا دَما [8]
وقلتُ لهم: يا آلَ ذُبيانَ مالكمْ تفاقدتُمُ، لا تُقْدِمون مُقَدَّما [9]

---

(١) موالي: أولياء . الحوض هنا : العز أي لو كنتم موالينا في هذه الحرب لمنعناكم الأعداء.
(٢) علقما : ترخيم علقمة وهو علقمة بن عبيد .
(٣) محارب : هم بنو محارب بن حفصة ، وكانوا في خصومة . آله : حالة . حدباء : صعبة.
(٤) تضب لثاتهم : تسيل من حب الغنيمة وشهوة الحرب . عرمرم : كثير .
(٥) غرو : عجب . الحاسر : الذي لا مغفر على رأسه ، والذي لا درع عليه . والملأم : الذي عليه اللأمة ، وهي الدرع والمغفر أو أحدهما .
(٦) قضها بقضيضها : بالنصب على الحال ، أي صغيرها بكبيرها . وأصل القض : الحصى الصغار ، والقضيض جمعه . وقيل القض : الحصى الكبار ، والقضيض : الحصى الصغار. والمراد أنهم جاءوا أجمعون . عوال : هو ابن الحرث بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .
(٧) هاربة بن ذبيان . وسميت هاربة البقعاء لكثرة البلق في عساكرها ، ولا يركب الأبلق إلا مدل بشجاعته .
(٨) المعترك : موضع المعاركة في القتال . قصد القنا : قطعها المكسرة ، الواحدة قصدة بكسر القاف .
(٩) تفاقدتم : دعاء عليهم بالموت وأن يفقد بعضهم بعضاً ، وهي جملة معترضة .

أما تَعلمون اليومَ حِلفَ عُرَيْنةٍ
وحِلفاً بصحراءِ الشَّطُونِ ومُقْسَمَا [1]

وأَبلغ أُنَيْساً سيدَ الحي أنه يسوسُ اموراً غيرُها كان أحزَما [2]
فإنكَ لو فارقْتنا قبلَ هـذه إذاً لبَعثنا فوق قبرك مَأْتماً [3]
وأبلغْ تليداً إنْ عرضتَ ابْنَ مَالِكٍ وهل ينفَعَنَّ العلمُ إلا المعَلَّمَا [4]
فإن كنتَ عن أخلاق قوْمك راغبـاً
فعُذْ بضُبَيعٍ أو بعوفِ بنِ أصْرَمـا

أقيمي إليكِ عبدَ عَمْرو وشَايِعي على كل ماءٍ وَسْط ذبيانَ خُيِّما [5]
وعُوذي بأفنـاءِ العشيرة إنما يَعُوذُ الذليـلُ بالعزيز ليُعْصَما
جزى الله عنا عبدَ عمروٍ مَلامةً وعُدْوانَ سَهْمٍ ماأدَقَّ وألأما [6]
وحيَّ منافٍ قد رأينا مَكانَهم وَقُرَّانَ إذ أجرَى إلينا وألْجَما [7]

---

(١) عرينة : هم بنو عرينة بن نذير بن قسر ، وأشار بحلفهم إلى مـا كان من تنازعهم واضطرارهم إلى محالفة قبائل شتى . الشطون : موضع . المقسم : مكان القسم والموضع الذي حلف فيه .

(٢) أنيساً : يريد به أنس بن يزيد المري ، فصغر اسمه .

(٣) يقول : لو مت قبل هذه الفعلة لبكينا عليك ووجدنا فقدك ، فإن مت الآن لم نبـك عليك ولم نجد فقدك .

(٤) إن عرضت : جملة اعتراضية إلا المعلما : أي لا ينفع العلم إلا من تعلم وصلب .

(٥) عبد عمرو ، وعدوان : ابنا سهم بن مرة ، وهم الذين نكصوا عنـه. خيم ، بالبناء للمجهول : خيم حوله ، من قولهم : «خيم بالمكان» أقام كأنه نصب الخيـام ليقيم فيها . يقول لهؤلاء : إليكم عنا ، وشايعوا من ترون من ذبيان .

(٦) ما أدق وألأما : ما أدقهم وألأمهم . والدقة هنا : الخسة .

(٧) أجرى إلينا وألجم : أجرى الخيل وألجمها .

وآلَ لقيطٍ إنّني لن أسوءهم إذاً لكسوتُ العَمَّ بُرْداً مُسَهَّما [1]

وقالوا تَبَيَّنْ هل ترَى بين ضارجٍ
ونِهْيِ أكُفٍّ صارخاً غيرَ أعْجَما [2]

فألحقْنَ أقواماً لئاماً بأصلِهِمْ وشَيَّدنَ أحساباً وفاجأْنَ مَغْنَما [3]

وأنْجبْنَ مَن أبقَينَ منّا بخُطَّة من العُذْرِ لمْ يَدْنَس وإن كانَ مُؤْلَما [4]

(ج) عندما يتسبب بعض العشيرة في نزول الهزيمة بقومهم ، كأن يُوَلّوا عنهم في أثنـاء القتال ، ويتركوهم أمام قوة الأعداء [5] ؛ أو لا يستمعوا لرأي ناصح أمين منهم ، فتحل بهم الهزيمة نتيجة لمخالفتهم رأيه [6] .

(د) عندما تُكفـَر مآثر قوم من القبيلة وتجحد بطولتهم ، أو عندمـا تتنافس فروع العشيرة الواحدة في الشرف والشهرة والمجد . من ذلك مثلاً ما يقوله الحارث بن حلزة في معلقته : —

---

(١) العم . الجماعات ، أي كلهم جميعاً . البرد المسهم : أي هجوتهم هجاء مشهوراً كشهرة البرد المسهم وهو المخطط الذي يشبه وشيه بنقش السهام، أو هجاء يبقى أثره ويشتهرون به شهرة البرد المسهم ويتسامع الناس به .

(٢) ضارج : ماء لبني عبس . نهى أكف : موضع مطمئن من الأرض فيه ماء . غير أعجم: أي لا تسمع صارخاً الا من العرب وليس فيها أعجم .

(٣) ألحقن : يعني الخيل . هزمت قوماً . وصفهم بالخور للؤم أحسابهم ، ورفعن أحساب من صبر في الحروب . فاجأن مغنما : لقيته .

(٤) أي من أبقته هذه الحروب فقد أتى بعـذر لأنه أبـلى . لم يدنس : لم يفر ، فيكون ذلك عاراً عليه، وإن كان قد ألم من جراح أصابته. خطة: علة اعتل بها .

(٥) من ذلك ما قاله مالك بن نويرة يهجو بني سليط ويعيرهم بسبب فرارهم في يوم نعف قشاوة الذي انتصر فيه بنو شيبـان (من بكر) على بني يربوع (من تميم): النقائض ص ٢٢ . وأيام العرب ص ٢٠١ .

(٦) قصيدة النابغة رقم ١٣ في العقد الثمين .

وأتانا من الحوادث والأنباءِ خَطبٌ نُعنَى به ونُساءُ (١)

أنّ إخوانَنا الأراقِمَ يَغلُو نَ علينا في قِيلهم إحفاء (٢)

يَخلطون البريءَ منّا بذي الذّنبِ ولا ينفع الخليَّ الخلَاء (٣)

زَعَموا أن كل مَن ضَرَب العيْرَ مَوَالٍ لنا وأنّا الوَلاء (٤)

أجمعوا أمرَهم بليلٍ فَلَمّا أصبحُوا أصبحتْ لهم ضوضاء (٥)

من مُنادٍ ومن مُجيبٍ ومن تَصْهالِ خيلٍ خِلَالَ ذاكَ رُغَاء (٦)

أيها الناطق المرَقّش عنـــا عند عمروٍ وهل لذاك بَقاء (٧)

لا تَخَلْنـــا على غَرَاتِكَ إنّا قبلُ ما قد وَشَى بنا الأعداء (٨)

فَبَقِينا على الشَّناءة تَنْمِينـــا حُصونٌ وعِزّةٌ قَعْسَاء (٩)

---

(١) نعنى به : أي نحن ذو عناء بسببه . نساء : أي محزونون .

(٢) الأراقم : بطون من تغلب ، سموا بذلك لأن امرأة شبهت عيون آبائهم بعيون الأراقم، (والأراقم : نوع من الحيات) . الغلو : مجاوزة الحد . الإحفاء : تحامل واعتداء .

(٣) الخلي : البريء من الذنب . الخلاء : البراءة .

(٤) العير : قيل المقصود به كليب بن وائل ، وقيل المقصود بـه الوتد ، أي كل من ضرب وتد الخيمة ألزمونا ذنبه . الولاء أي أهل الولاء يعني العون والنصر له .

(٥) إجماع الأمر : عقد القلب وتوطين النفس عليه . ضوضـــاء : جلبة وصياح إذ بدأوا ينفذون ما بيتوه .

(٦) رغاء : أصوات الإبل . أي اختلطت هذه الأصوات كلها وكانت هناك ضوضاء .

(٧) المرقش: المزين القول بالباطل .

(٨) على غراتك : يقـــال. غرى بالشيء يغري غراً مقصور ، وغراة : تأنيث غرا ، وهي بمعنى الإغراء ، يقصد لا تظننا متذللين متخشعين لإغرائك الملك بنا ، فذلك لن يؤثر فينا ، كما لم يؤثر فينا إغراء غيرك من قبل.

(٩) الشناءة : البغض . تنمينا : ترفعنا . قعساء : ثابتة .

قَبلَ ما اليومِ بَيَّضتْ بعُيونِ النّاسِ فِيها تَعَيُّطٌ وإِبَاء [1]

***

أَيَّما خُطَّةٍ أَردتُم فأَدُّو ... ها إلينا تَمشي بها الأَمْلاءُ [2]

إِنْ نَبَشْتُمْ ما بينَ مِلحَةَ فالصَّا ... قِبِ فيهِ الأمواتُ والأَحياء [3]

أو نَقَشتمْ فالنقشُ يَجشِمُهُ النا ... سُ وفيه الإِسْقامُ والإِبْرَاء [4]

أو سَكَتُّم عنّا فكُنّا كمَن أَغمضَ عَيناً في جَفنِها الأَقذَاء [5]

أو مَنَعتُم ما تُسأَلون فمَنْ حُدِّ ... ثتُمُوه له علينَا العَلاء [6]

هل عَلمتم أَيَّامَ يُنتَهَبُ النا ... سُ غِواراً لكلِّ حيٍّ عُواء [7]

---

(١) الباء في « بعيون» زائدة . أي بيضت عيون الناس ، وهذا كناية عن الإعماء ، أي جعلتهم عميا . التعيط : الارتفاع والامتناع ، أي في عزتنا إباء : يعني تأبى الضيم .

(٢) الخطة : الأمر العظيم . الأملاء : جمع ملأ وهو الجماعة.

(٣) ملحة : موضع . الصاقب : جبل . نبشتم : أثرتم ما كان بيننا وبينكم من الحروب ، التي كانت بين هذين المكانين أو أهلها . الأموات : يقصد القتلى الذين لم يؤخذ بثأرهم. والأحياء: القتلى الذين أخذ بثأرهم . وجواب الشرط إما محذوف للعلم به ، وإن فعلتم هذا فلنا الفضل عليكم وإما أن يكون فيه الأموات والأحياء هو الجواب ، على تقدير حذف الفاء أي ففيه .

(٤) نقشتم: استقصيتم في ذكر ما جرى بيننا . يجشمه : يتكلفه على مشقة . وكنى بالإسقام عن الذنب ، وبالبرء عن براءة الساحة .

(٥) الأقذاء : جمع قذى ، والقذى جمع قذاة ، وهي ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو وسخ . ويقال: فلان يغضي عن القذى إذا سكت عن الذل والضيم وفساد القلب .

(٦) ما تسألون : أي من المهادنة والموادعة . له علينا العلاء : أي أفضل منا وأشرف .

(٧) الغوار : المغاورة . العواء : صوت الذئب ونحوه ، وهو هنا مستعار للضجيج والصياح من الألم .

إذ رَفعْنا الجِمالَ مِن سَعَفِ البَحْـ ... ـرَيْنِ سَيراً حتى نَهاهَا الحساء (1)

* * *

فاتركوا الطَّيْخَ والتَّعدي وإمَّا ... تَتعاشَوْا ففي التَّعاشي الداء (2)
واذكُرُوا حِلفَ ذي المجاز وما قُدِّ ... مَ فيه العُهودُ والكُفَلاء (3)
حَذَرَ الجَوْرِ والتعدِّي وهل يَنْقُضُ ما في المَهارق الأَهواء (4)
واعلموا أننا وإيَّاكُم فيما اشترطْنا يوم اختَلَفْنا سَوَاء (5)
عَنَناً باطــلاً وظُلماً كما تُعْـ ... ـتَرُ عَنْ حجْرَةِ الرَّبيضِ الظِّباء (6)
أَعلينا جُناحُ كندةَ أن يَغْنَــمَ غَازِيهِمُ ومنَّا الجَزَاء (7)

---

(١) السعف : أغصان النخل ، والواحدة سعفة . سيراً : أي فسارت سيراً . والحساء : رملة تحتها ماء إذا كشفت ظهر، الماء والحسي أيضاً : البئر القريبة الماء ، والجمع الأحساء يريد : طوينا ما بين هذين الموضعين سيراً وإغارة فلم يكفنا شيء من مرامنا حتى انتهينا إلى الحساء .

(٢) الطيخ : التكبر . التعاشي : التعامي . الداء هنا : الشر العظيم .

(٣) ذو المجاز : موضع جمع فيه عمرو بن هنـــد بكراً وتغلب ، وأصلح بينهما وأخذ منهما الوثائق والرهون .

(٤) المهارق : الصحف ، واحدها مهرق: فارسي معرب وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، وقيل المهرق : ثوب حرير أبيض يسقى بالصمغ ويصقل ثم يكتب فيه، وهو بالفارسية : مهر كرذ، وقيل مهره لأن الخرزة التي يصقل بها يقال لها بالفارسية كذلك.

(٥) يقول : واعلموا أننا وإياكم في تلك الشرائط التي أوثقناها يوم تعاقدنا مستوون .

(٦) العنن : الاعتراض ، والفعل : عن يعن . العتر : ذبح العتيرة ، وهي ذبيحة كانت تذبح للأصنام في رجب ، وكان الرجل ينذر إن بلغ الله غنمه مائة ذبح منها واحدة للأصنام ، ثم ربمـا ضنت نفسه بها ، فأخذ ظبياً وذبحه مكان الشاة الواجبة عليه . الحجرة:الناحية . يقول زعمتمونا ذنب غيرنا ظلماً كما يذبح الظبي بدل الغنم . والربيض : جماعة الغنم .

(٧) الجناح : الإثم . يقصد : أن كندة غزتهم فغنمت منهم ، ثم يقول : كيف يلزمنـــا جزاء ذلك .

أم علينا جَرَّى إيادٍ كما نِيـطَ بِجَوْز المُحَمَّل الأَعباء [1]
ليس مِنّا المُضَرَّبون ولا قَيـسٌ ولا جندَلٌ ولا الحَذَّاء [2]
أم جَنايا بَنِي عَتيقٍ فَمَنْ يَغْـدِرْ فإنا من حربهمْ بُرَآءُ [3]
وثمانون من تَميم بأيديـهمْ رماحٌ صُدورُهنَّ القَضَاء [4]
تركوهم مُلَحَّبِـين وآبوا بِنِهابٍ يَصَمُّ فيه الحُدَاء [5]
أم علينا جَرَّى حنيفةَ أمْ مَا جَمَّعَتْ من مُحارِبٍ غَبْراء [6]
أم علينا جَرَّى قضاعةَ أم ليـس علينا فيما جَنَوْا أَنْدَاء [7]
ثم جاءوا يَسْتَرجِعُون فلم تَرْجِع لهم شامةٌ ولا زَهْراء [8]

---

(١) الجراء والجرى ، بالمد والقصر : الجناية . النوط : التعليق . الجوز : الوسط ، والجمع أجواز . والعبء: الحمل الثقيل ، جمعه : أعباء . وإياد : اسم قبيلة . المحمل : البعير الذي يحمل الأثقال .

(٢) أي هؤلاء المضربون ليسوا منا ، يعيرهم بأنهم منهم،وهم قوم من تغلب ضربوا بالسيف.

(٣) يقول : أم علينا جنايا بني عتيق . ثم قال : إن نقضتم العهد فنحن برآء منكم .

(٤) أي غزاكم ثمانون من تميم بأيديهم رماح في أسنتها القتل . والقضاء هنا : القتل .

(٥) ملحبين : مقطعين بالسيوف . والتلحيب : التقطيع . والأوب والإياب : الرجوع . أي رجعوا إلى بلادهم مع غنائم يصم حداء حداتها آذان السامعين ، أشار بذلك إلى كثرتها . أو لكثرة الإبل والضجة لا يسمع الحداء .

(٦) الغبراء : الأرض أو السنة الغبراء . يقول : هل علينا أن تأخذونا بذنوب حنيفة وما أذنبت لصوص محارب .

(٧) يعير بني تغلب لما فعلت بهم قضاعة ، حينما غزت بني تغلب فقتلوا منهم وسبوا . الأنداء : جمع ندى . أم ليس علينا ... الخ .. أي بل ليس يندانا شيء مما جنوا ، يقصد لا تلحقنا ولا تلزمنا هذه الخيانة .

(٨) يسترجعون : يحاول استرجاع الغنائم . الشامة : الناقة أو الشاة السوداء،والزهراء : البيضاء .

لم يُخَلوا بني رِزَاحٍ ببَرْقـــا ءِ نِطَاعٍ لَهُمْ عليهمْ دُعاء [(١)]
ثم فاءوا منهم بقاصِمةِ الظَّهْـــر ولا يُبْرِدُ الغَليلَ الماءُ [(٢)]
ثم خيلٌ من بعد ذاكَ مع الغَـــلَّاقِ لا رَأْفةٌ ولا إِبْقاء [(٣)]
ما أصابوا من تَغْلَبيٍّ فطلُو لٌ ، علَيهِ إذَا توَلَّى العَفَاء [(٤)]

---

(١) لم يخلو : أي لم يتركوهم يحلون في هذا المكان ويقيمون فيه . وكانوا يدعون عليهم .

(٢) الفيء : الرجوع . بقاصمة الظهر : أي بداهية قصمت ظهورهم . وغليل الأجواف لا يشفيه شرب الماء لأنه حرارة الحقد ، لا حرارة العطش .

(٣) الغلاق : من بني حنظلة من تميم ، غزا تغلب فقتل منهم وسبى ، ولم يكن لأصحاب الغلاق رأفة بهم ، ولا إبقاء عليهم .

(٤) مطلول : لا يدرك بثأره . العفاء : الدروس ، أي ينسى فتصير بمنزلة الشيء الدارس ، ويقال إن العفاء هو التراب الذي يغطى الأثر ، والمعنى على هذا : أن دماءهم أهدرت حتى كأنها غطيت بالتراب . وقيل : إن هذا دعاء ، والمراد فعلى دمه العفاء .

الفصل الرابع

الاعتذار

ونقصد بذلك هنا ما قيل من الشعر لمحاولة ستر عيب أو نقيصة في الحرب، بإبداء بعض الأسباب ، أو بذكر بعض أشياء أخرى رغبة في تحويل الأنظار عن العيب الذي يحاول الشاعر إخفاءه .

وبدراسة شعر الحرب في العصر الجاهلي وجد أن ما قيل في هذا الباب ٨٤ بيتاً فقط ، وهـذه نسبة ضئيلة من مجموع شعر الحرب الذي يبلغ عدده ٥٠٨٠ بيتاً ومن تحليل الشعر الذي قيل في هذا الموضوع ، يتبين أن الاعتذار كان يدور حول أحد الأمور الآتية : —

(أ) الاعتذار عن هزيمة أو خسارة في حرب :

وهنا نجد الشاعر يحاول أن يورد بعض الأسباب التي أدت إلى وقوع ذلك، ويخلط هذا بما قد يخفف من وقع ما نزل به وبقومه ؛ كأن يذكر مثلاً أنه ليس أول من أصابه الدهر بنكباته ، وأن ما نالهم كان لسبب خارج عن طاقته لأن من قُتِل من قومه ، مثلاً ، كانوا فرادى ، وقد هوجموا بعدد كبير من الأعداء ؛ أو لأن الزمان غدر بهم ، فالمسألة مسألة حظ وقَدَر فقط ؛ أو أنهم هزموا لأن جموع الأعداء كانت تفوق عددهم بكثير ، ولو كانوا يماثلونهم في العدد لكبّدوا العدو أفدح الخسائر وأفنَوه عن آخره .

وكثيراً ما نجد الشاعر هنا في مثل هـذا الموقف يشيد بشجاعته وشجاعة قومه ومآثرهم الحربية ، فيتصدى لسرد انتصارات قومه في أيامهم السابقة ، وما نال أعداءهم فيهـا . كأنه يريد أن يؤكد أن أمجاد قومه الحربية ثابتة ومشهورة معروفة ، لا تؤثر فيها مثل هذه الحالة النادرة .

وإذا كان السبب فيما نزل بهم فرار بعض الأعوان عنهم في وقت الشدة ، فإن الشاعر في تلك الحالة كان يوجه اللوم الشديد إليهم ، ويوبخهم توبيخاً مراً.

وعلى العموم كان الشاعر لا يفوته أن يهدد الأعداء ، ويتوعدهم بخسارة أفدح وهزيمة أشد .

(ب) الاعتذار عن فرار أو تأخر في الهجوم :

والشاعر في هـذه الحال كان ينسب السبب في ذلك إلى شيء خارج عن استطاعته ؛ كأن يذكر أن فرسه نفرت في غير جهة الحرب ، ولم يستطع هو كبح جماحها ، أو أن فرسه لم تستطع أن تجري بسرعتها العادية المعروفـة لعذر قهري طارىء . وهنا كان الشاعر يحاول أن يعبر عن أسفه الشديد لعدم اشتراكه مع أبطـال قومه في هذا العمل الحربي المشرّف ، ويذكر أعماله الحربية وآثار بطولته بالتفصيل ، كأنه يريد أن يقول إن مثل هذا المجد المظيم لا ينبغي معه أن يُنسَب إلى صاحبه أثارةٌ من جبن أو خوف .

وفي بعض الأحيان نرى الشاعر يذكر الحقيقة والواقع ، فيصرح بأنه فر لأنه رأى أن العدو كان أقوى ، وقد تأكد أن مقاومته لن تكون إلا حمقاً وجهلاً ، ولن تكون نتيجتها إلا فقد حياته ، أو أسره وسوء معاملته ، أو وسمه بسمَة الخزي والعار بسبب الأسر وما قد يحدث له من متاعب وآلام . استمع مثلاً إلى وعـلة الجرْميّ يحكي قصة فراره في يوم الكُلاب الثاني ، ويذكر سبب ذلك ، إذ يقول [1] :

---

(١) المفضليات ص ٣٢٧ .

فدًى لكما رِجْلِيَّ أُمِّي وخالتي
غداةَ الكُلابِ إذ تُحَزُّ الدوابرُ (١)

نجوتُ نجاءً لم يرَ الناسُ مثلَه كأني عُقابٌ عند تيْمَنَ كاسرُ (٢)

ولما سمعتُ الخيلَ تدعو مُقاعِساً تطالعني من ثُغْرةِ النَّحْرِ جائرُ (٣)

فإن أستطعْ لا تَلْتَبِسُ بي مُقاعسٌ ولا يرَني مَبْدَاهم والمحاضرُ (٤)

ولا تكُ لي حدَّادَةٌ مُضَرِّيَّةٌ إذا ما غدَتْ قُوتَ العيالِ تُبادرُ (٥)

وقد نجد الشاعر أكثر تصريحاً بالحقيقة واعترافاً بالواقع ؛ فيذكر أنه فرّ لينجو بنفسه ، وأنه لن ينفعه بعد قتله حزنُ الناس عليه أو تذكرهم إياه بالشجاعة . وظاهر من ذلك أن مثل هذا رجل جبان ، ليس فيه شيء من البطولة . من ذلك ما رواه أبو تمام للفرار السلمي ، وفيه يقول (٦) : —

وكتيبةٍ لَبَّسْتُها بكتيبة حتى إذا التبسَتْ نفضتُ لها يَدِي

فتركتُهمْ تَقِصُ الرِّماحُ ظهورَهم مِنْ بَيْنِ مُنْعفِرٍ وآخرَ مُسْنَد

---

(١) الكلاب : هو يوم الكلاب الثاني وكان بين تميم واليمن . تحز : تقطع . الدوابر : الأصول ، أي يقتل القوم فتذهب أصولهم ولا يبقى لهم أثر . « وقطع الله دابره ، أي أصله » .

(٢) تيمن : موضع باليمن . الكاسر : الذي يضم جناحيه يريد الانحطاط إلى الصيد ، يكون للمذكر والمؤنث .

(٣) مقاعس : بني مقاعس ، وهم بنو الحارث من تميم. تطالعني : طلع مني وارتفع ، يعني فزعا . ثغرة النحر : النقرة في أعلى الصدر . الجائر : حر يؤذي الجوف عند الجوع .

(٤) التبس : اختلط . المراد لا يدركوني . مبداهم : الذين يسكنون البادية . والمحاضر : من نزل الحاضرة .

(٥) الحداد : البواب والسجان . تبادر : أي إذا غدت فإنما همها قوت عيالها ، فكيف يكون حالي إذا كان من أسرني هذه حاله من الضيق .

(٦) ديوان الحماسة ، ص ٥٦ جـ ١ .

مـا كان ينفعني مقـالُ نِسائهم   وقُتلتُ دون رجالها : لا تَبْعُد

ومعظم الشعراء لم يكن يسمح لنفسه أن يسمي ما حدث منه فراراً لأن الفرار في نظره خزي وعـــار ، وأنه يعتقد اعتقاداً راسخاً أن البطل هو الشجاع الذي يقابل الأعداء في أشد المواقف بقلب ثابت ، ورباطة جـأش ، بل كان يقول : إنه تنحى فقط عن القتـال ، حينما أثخنته الجراح ، وسال الدم على صدره ونحر فرسه ، وبعد أن تكاثر القوم عليه . وهنا كان الشاعر يفتخر بنفسه ، ويذكر ما فيه من صفات البطولة، وأنه فارس يحمي الحقيقة، ويجيد قيادة الخيل في أشد المواقف .

(جـ) الاعتذار عن عمل حربي فاشل :

كأن يعتذر عن ضربة لم تصب أو طعنة غير قاتلة . وهنا يحاول الشاعر أن يجد عذراً مقبولاً ؛ كأن يذكر مثلاً أن العدو كان يلبس دروعاً متينة ، كقول ورقاء بن زهير [1] :

فَشُلَّت يميني يوم أضربُ خالداً   وَيحصِنُهُ مِنّي الحَديدُ المُظَاهِر

ولكن ، على العموم ، يمكن أن يقال إن معظم الاعتذار في مثل هـذه الحال من قبيل الفكاهات والملح الأدبية . من ذلك مثلاً ما ينسب لطرفة بن العبد ، وكان قد استلب سيف عدوه ، وحاول أن يضربه به ، فلم يصب منه مقتلاً ، فقال [2] :

لقيتُ بأسفلِ ذي جاشمٍ   حَنَانَة كالجمَـــل الأورَقِ
فأهوَى بأبيضَ ذي غُلَّـــة   خَشيب يُريدُ بِه مَفرَقي

---

(١) حماسة البحتري : ص ٤٤ .

(٢) المرجع السابق .

فساورْتُه واستلَّلْتُ الخَشيب وأعجلْتُهُ ثُنْيَـــةَ ريِّقي
فلو كانَ سَيفي لغادرتُـه صَريعاً على الجَنْبِ والمِرْفَق
ولَكِنَّه سَيفُكُمْ فَـاتَّقى مَحارِمَكَمْ وَالْمَنَـايا تَقي

وما يقوله ابن زيابة ناسباً الخيانة إلى السيف [١]

طعنةً مـا طَعَنْتُ في غَلَسِ اللَّيْـــلِ زُهيراً وَقَدْ تَوافَى الخُصُومُ
خانَني السيفُ إذْ ضربتُ زُهيراً وَهوَ سَيْفٌ مضَلَّلٌ مَشْئومُ

ويلحق بذلك الاعتذار عن عدم لحاقه الهاربين بسبب ظلام الليل [٢] ، أو إسراع فرس الهارب سرعة خارقة للعادة .

وفيما يلي جدول يبين عدد مرات الاعتذار عن كلٍّ من الأمور السابقة ، وعدد الأبيات :

ما اعتذر عنه	الهزيمة والخسارة	الفرار والتأخر	العمل الفاشل	المجموع
عدد المرات	٨	٤	٣	١٥
عدد الأبيات	٤٠	٣٦	٨	٨٤

دوافع الاعتذار :

أولاً – حدوث الهزيمة :

كثيراً ما تكون الهزيمة دليل الضعف أو الجبن ، ومن ثم كانت سبباً في إضعاف مركز المهزومين ، والتقليل من مهابتهم واحترامهم ، مما تأباه نفسية

(١) المرجع السابق ، ص ٤٥ .
(٢) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ، ٧٦٠ .

البطـل الشجاع ، ولذلك كانت عاطفة الشاعر أحياناً تنفعل بالهزيمة فتلتهب مشاعره ، وتثور حميته ، فيهب للدفاع عن شرفه وشرف قومه إن ألمت بهم هزيمة ، مُرجِعاً ذلك إلى ظروف خارجة عن إرادتهم ، ومفتخراً بما كان لهم من أيام سالفة ، شيدت لهم صرحاً شامخاً من المجد لا تزعزعه كبوة عارضة . استمع مثلاً إلى ما يقوله عامر بن الطفيل في يوم فيف الريح الذي أصيبت فيه عينه [1] :

لقد عَلِمتْ عُلْيا هَوَازنَ أنني ... أنا الفارسُ الحامي حقيقةَ جعْفر [2]
وقد عَلِمَ المزنوقُ أني أكُرُّهُ ... عشية فيفِ الريح كرَّ المُشهَّر [3]
إذا ازورَّ مِنْ وقْع الرِّماح زَجرتُه
وقلتُ له : ارجِعْ مُقْبِلاً غيْرَ مُدْبِر [4]
وأنبأْتُه أن الفِرَارَ خَزَايَة ... على المرءِ ما لم يُبْلِ عُذْراً فيُعْذَر [5]
ألست ترى أرماحَهم فيَّ شرَّعاً ... وأنتَ حِصانٌ ماجدُ العِرْقِ فاصبِرِ
أردتُ لكيما يَعْلَمَ اللهُ أنني ... صبرتُ وأخْشَى مِثلَ يوم المُشقَّر
لَعَمْرِي وما عَمْرِي عليَّ بِهَيِّنٍ ... لقد شانَ حُرَّ الوجه طَعْنةُ مُسْهِر
فبئس الفتى إن كنتُ أعْوَرَ عاقِراً ... جَباناً فما عُذْري لَدَى كلِّ مَحضر

---

(١) ديوانه ص ١١٦ قصيدة رقم ١١ .

(٢) عليــا هوازن : هم سعد بن بكر بن هوازن الذين استرضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وجشم ونصر ابنا معاوية بن بكر بن هوازن ، وثقيف بن منبة بن هوازن . حقيقة جعفر: ما يحق عليهم أن يحموه من منع جار وإدراك ثأر .

(٣) المزنوق : فرسه . فيف الريح : مكان الموقعة . والمشهر : يقصد القدح المشهر . ويعني القدح الذي تكاثر به القداح ، ليس له غنم ولا عليه غرم كلما خرج رد حتى يخرج آخر القداح.

(٤) ازور : عدل ومال إلى جهة أخرى . أي إذا مال عن الطعن رددته إليه .

(٥) خزاية : عار وعيب .

وقـــد علموا أني أكرُّ عليهمُ عَشيةَ فَيفِ الرِّيح كرَّ المُدوَّرِ (١)
ومارِمْتُ حتّى بَلَّ صدري ونَحْرَه نَجيعٌ كَهُدّاب الدِّمَقْسِ المسَيَّرِ (٢)
أقول لنفسٍ لا يُجادُ بمثلهـــا أَقِلّي المِـرَاحَ إنني غير مُقْصِرِ
فلو كان جمعاً مثلَنَـــا لم يَبُزَّنَا ولكنْ أتتْنَا أُسْرةٌ ذاتُ مَفْخَرِ
أَتَوْنَا بِشَهْرانِ العَريضةِ كلِّها وأَكْلُبَ طرّاً في جياد السَّنَوَّرِ (٣)

ثانياً – الهجاء واللوم : إن توجيه الهجاء أو اللوم إلى شخص قلما يتركه هادئاً ، بل إنه غالباً – إن لم يكن دائماً – يثير حفيظته ، ويؤجج حميته ، ولا تهدأ ثائرته في تلك الحال إلا بالرد عليه بما يصون شرفه ، ويحفظ كرامته ، والشعراء ، وهم أرهف الناس إحساساً ، لا بـــد أن ثورتهم تكون أشد ، وشعورهم أعمق ، هذا بالإضافة إلى ما للموهبة من قوة تدفع صاحبها إلى محاولة التفوق على من يتطاول عليه أو ينافسه . من ذلك مثلاً مـــا كان من عامر بن الطفيل كذلك في رده على النابغة الذبياني الذي هجا بني عامر بيوم ظفرت فيه بنو ذبيان عليهم إذ يقول (٤) :

لَعَمْري لقد أَهدَى زيادٌ مَقالةً علينا فهل إن كان ذا مِرَّةٍ ضَررُ (٥)
تعيِّرنـا يومَ المَرُورَاةِ سَادِراً وعِندَكَ مِن أيامِنا قبلَها غِيَرُ (٦)

---

(١) المدور : الذي يطوف بالدوار وهو صنم ، أراد أعياداً كانوا يتخذونها عند أصنامهم . الكر : الرجوع إلى القتال .

(٦) رمت : برحت . النجيع : الدم الطري الأحمر . كهداب أي كهدب الثوب . الدمقس: القز . المسير : المخطط .

(٧) طرا : كلها . السنور : الدرع .

(١) ديوان عامر بن الطفيل : قصيدة رقم ٢٣ ص ١٣٨ .

(٢) زياد : هو النابغة الذبياني . المرة : الإحكام والقوة .

(٣) سادرا : راكباً رأسه جهلاً . المروراة : يوم ظفرت فيه بنو ذبيان ببني عامر .

فمَنْ مبلغٌ ذُبيانَ عنّا رِسَالةً مُغلْغلةً منّي وما تَنْفَعُ العِذَر [1]
وقد علمت عُلْيا هَوازنَ أننا بنو الحرب لا نَعْيا بِوِرْدٍ ولا صَدَر
نَشُد عِصَابَ الحربِ حتّى نُدِرَّها
إذا ما نفوسُ القومِ طالَعَتِ الثُّغَر [2]
ترَى رَائِدات الخيل حول بيوتنا أبابيلَ تَرْدِي بالعَشيِّ وَبالبُكُر [3]

ثالثاً ـ السلوك للعيب : حدوث العيب من شخص حساس يترك في نفسه ألماً عميقاً ، يشعره بمرارته ، ويقض مضجعه ، ولا يريحه من ذلك إلا اعتذار يبرىء ساحته ، أو يخفف من حدة الألم. والبطل الشاعر يشق عليه أن ينسب إليه عيب حربي ، يقلل من هيبته ، أو يحط من كرامته ، فليس عجيباً إن حدث شيء من ذلك أن يحاول توضيح عذره بما قد يحنظ عليه شرفه وعزته . من ذلك ما قاله قبيصة النصراني ، يعتذر عن إحجام اتفق منه ، وتأخر ظهر للناس من فعله ، فأخذ يورك بالذنب على حصانه مدعياً أن نفرته كانت السبب في نكوصه [4] :

ألم تر أن الوَرْدَ عرّد صدرَه وحادعن الدّعوى وضوءِ البوارق
وأخرجني مِن فتيةٍ لم أُرِدْ لهم فِرَاقاً وَهمْ في مَأزق مُتضايق

---

(١) المغلغلة : الرسالة يتغلغل بها حتى تصل صاحبها . العذر ، بكسر العين وفتح الذال : جمع عذرة بكسر العين وضمها ، أي الاعتذار .

(٢) نشد عصاب الحرب: مثل ، وأصل ذلك أن الناقة اذا امتنعت عن الحلب عصب فخذاها فتدر . الثغر : جمع ثغرة وهي نقرة النحر .

(٣) الرائدات التي ترود ، تجيء وتذهب . والرائد : هو الذي يذهب في طلب الكلأ يتقدم القوم فينظر مواقع الكلأ . أبابيل : جماعات واحدها إبيل وإيول بكسر الهمزة وتشديد الباء . تردى : من الرديان وهو ضرب من العدو .

(٤) شعراء النصرانية : ص ٩٤ .

وعضّ على فأس اللجام وعَزّني على أمره إذ رَدَّ أهلُ الحقائق
فقلتُ له لمّا بلوتُ بـــلاءه وأنى بمتع مِن خليلٍ مُفارق
أُحدّث من لاقيتُ يوماً بلاءه وهم يحسبون أنّني غيرُ صادِق

وما قاله الكلحبة اليربوعي معتذراً ، لأنه لما جاءه النذير كانت فرسه قد سقيت ملء الحوض ماء ، فلما ألجمها وركب ظلعت (١) :

فإن تنجُ منهـــا يا حَزِيم بن طـارقٍ
فقد تَرَكْتَ ما خلفَ ظهرِكَ بَلْقَعا (٢)
ونادَى مُنادي الحيّ أنْ قد أُتيتمُ وقد شَرِبتْ ماءَ المَزادَةِ أجمعا (٣)
وقلتُ لكأسٍ : أَلجميها فإنما نزلنا الكَثِيبَ من زَرُودَ لِنَفْزَعا (٤)
فأدْرَكَ إبقاءَ العَرادَةِ ظَلْعُهـــا وقد جعَلَتْني مِن حَزِيمَةَ إصبَعا (٥)

---

(١) المفضليات : ص ٢٠ .

(٢) حزيم . ترخيم حزيمة بفتح الحاء . البلقع : الأجرد الذي لا شيء فيه يقول : إن نجوت منها نقد ذهبت بمالك ، والعرب كثيراً ما تسند عملها إلى الخيل ، لأنهم عليها فعلوا وأدركوا .

(٣) المزادة : إناء كبير من جلد يتزود فيه الماء . يقول أتاهم الصريخ : وقد شربت فرسه ، فعاقها عن الجري وخيل العرب إذا علمت أنه يغار عليها وكانت عطاشاً فمنها ، ما يشرب بعض الشرب ولا يروى . وبعضها لا يشرب البتة .

(٤) كأس : اسم بنته . والعرب لا تثق بأحد في خيلها إلا بأولادها ونسائها . الكثيب : القطعة من الرمل مستطيلة محدودبة . زرود : موضع . الفزع هنا الإغاثة ، وهو من الأضداد ، ويقال للاستغاثة أيضاً .

(٥) المبقية من الخيـل : التي تبقي بعض جريها تدخره . الظلع : العرج والغمز في المشي . العرادة : فرسه .



الفصل الخامس

التهديد

وجد أن هناك من المجموعة التي اخترناها لشعر الحرب في العصر الجاهلي ٣٨٦ بيتاً في تهديد الأعداء . وقد تحدث الشعراء فيها عن النقط الآتية : —

١ — **وصف الحالة** : وهذه يقصد بها ما يصوّر به الشاعر الجناية التي ارتكبها الأعداء ، وجعلته يهددهم ويتوعدهم بالشر والعقاب . وتصويرهم هنا يدور ، على العموم ، حول وصف الحالة بأنها سيئة ، ومثيرة للشعور ، وأن ما فعله الأعداء ظلم وجور ، وشطط عن سواء السبيل ، وجناية لا يمكن السكوت أو التغافل عنها ، وأن تأثيرها في القوم شديد لدرجة أنهم أصبحوا لا ينامون ، ولا يفكرون إلا فيها من شدة وقعها ، وجسامة خطرها . ولن تهدأ ثورتهم إلا بمهاجمة الأعداء حفظاً لشرفهم وصوناً لكرامتهم .

٢ — **شن الحرب والايقاع بهم** : وهذه ، بطبيعة الحال ، الخطوة التالية لما وصفه الشاعر من سوء الحالة . وهنا كان الشعراء يبالغون في تصوير ما يزمعون القيام به من شن الحرب ، والإيقاع بالأعداء ، فكانوا يصفون الحرب بالقسوة والفظاعة والعنف بحيث تهلكهم جميعاً ، فلا تبقى ولا تذر ، وأنهم سيصبحون جزراً للسباع ، وطعاماً للوحوش الضواري ، أو أسرهم واستبعادهم ، وسبي نسائهم ، وإذلالهن ، ونهب أموالهم ، وتخريب منازلهم ، وطردهم من ديارهم إلى أماكن مجهولة جرداء .

٣ - **الأبطال** : ومن الطبيعي في هذا المقام أن يتحدثوا عمن يشن الحروب والغارات ، فتحدثوا عن الأبطال ، والجيوش والكتائب ، وهنا كان الشاعر يوجه اهتماماً خاصاً إلى وصف الأبطال بالحزم والقسوة والعنف ، والتصميم على طلب الوتر وأخذ الثأر ، وأنهم ظالمون ، جانبهم مرهوب . وينزلون الرعب في قلوب الأعداء .

٤ - **الخيل** : فهي من أولى معدات الحرب ، ووقت التهديد من أحرج المواقف ، وأشدها حاجة إلى الخيل ؛ فعلى صهواتها يتقابل الأبطال مع أعدائهم في حربهم المبيدة المُزَمْعَة ، وعلى مدى قوتها وخبرتها بالحرب تكون درجة القتال ونتيجته . وهنا كان الشعراء يبالغون في وصف الخيل بالجودة والعتق والقوة ، والسرعة ، وتعوّد الحرب ، والخبرة بأحوالها بحيث لا تؤثر فيها شدتها وأهوالها .

٥ - **الأسلحة** : وهذه ولا شك ، ضرورية في التهديد بالحرب . وكان الشعراء في هذا المجال يصفونها بالكثرة والجودة والكمال .

وفيما يلي إحصاء لعدد الأبيات التي تحدث فيها الشعراء عن كل نقطة من هذه النقط،وعدد المرات التي كررت فيها كل منها في مجال التهديد للأعداء :-

ما يهدد به	عدد الأبيات	عدد المرات
الحرب والإيقاع بالعدو	١٤٨	٦٧
الأبطال	١٠٠	٣٤
وصف الحالة	٧٥	١٦
الأسلحة	٣٣	١٦
الخيل	٣٠	١٦
المجموع الكلي	٣٨٦	١٤٩

دوافع التهديد : كان الشاعر يُدفَع لتهديد الأعداء عقب إساءة ارتكبوها ضده ، أو ضد قومه . وبدراسة مـــا لدينا من شعر نرى أن الإساءة كانت واحدة من الأنواع الآتية —

١ — **قتل أحد أفراد القبيلة** : عند ذلك كانت حمية الشاعر تثور ، وتتأجج مشاعره ، خصوصاً إذا كان المقتول من الرؤساء ، أو ذوي الرأي . فيتوعد الأعداء بالإيقاع بهم في حرب شديدة ، أخذاً بالثأر ، وهنا كان الشاعر يقطع على الأعداء الأمل في تسوية النزاع بالصلح أو بأي شيء آخر سوى القتال ؛ فهو السبيل الوحيدة لتهدئة النفوس ، واسترداد الكرامة ، وحفظ الشرف.

يروى أنه عندما قُتل كليب ، هاج أخوه المهلهل ، واستمر في رثائـــه والبكاء عليه وتهديد قاتليه قبيلة بكر . من ذلك قوله [1] :

أَصْبَحَ مـــا بَيْنَ بَني وَائِلٍ مُنْقَطِعَ الحَبْلِ بَعيدَ الصديق
غَداً نُساقي ، فاعلموا ، بيننا رِماحَنا مِنْ قَانِيءٍ كالرَّحيق
بِكلّ مِغْوارِ الضُّحَى فَاتِكٍ شَمَرْدَلٍ مِنْ فَوْقِ طِرْفٍ عَتيق
سَعالِيء يَحْمِلْنَ مِنْ تَغْلبٍ فِتيانَ صِدقٍ كَلُيُوثِ الطَّريق
ليس أَخوكُمْ تَارِكاً وِتْرَه وليسَ عَنْ تَطْلابِكُمْ بِالمُفِيق

وكان الحارث بن عباد تجنب حرب بكر وتغلب هذه ، حتى قتل التغلبيون ابنه بُجَيراً ، فثارت حميته ، وقال قصيدته التي منها [2] :

يا بُجَيْرَ الخَيرَاتِ لَا صُلْحَ حتّى نَمْلأَ البِيدَ مِنْ رُؤُوسِ الجِبالِ

---

(١) شعراء النصرانية ص ١٧١ .
(٢) المرجع السابق ص ١٧٢ .

وَتقرُّ العُيونُ بَعْدَ بُكَاهـا ... حِين تَسْقي الدِّمَاصُدُورَالعَوالي

أصبحَتْ وائلٌ تعجُّ مِنَ الحر ... بِ عَجِيجَ الجِمالِ بالأَثْقال

لم أكُنْ مِن جُنَاتِها عَلِم اللّـهُ وإني لِحَرِّها الْيَوْمَ صَالِ

قَد تَجَنَّبتُ وائلاً كي يُفيقُوا ... فـأَبَتْ تغلبٌ عليَّ اعْتِزَالي

وأشابُوا ذُؤابتي بِبُجَـيْرٍ ... قَتَلوهُ ظُلْماً بغَيْرِ قِتال

قَتلوهُ بِشِسْعِ نَعْلٍ كُلَيْبٍ ... إنَّ قتلَ الكَريم بالشِسعِ غَال

يا بني تَغْلِبٍ خُذُوا حِذْرَكُمْ إنَّـا شَرِبْنَا بِكَأْسِ مَوْتٍ زُلَالِ

يا بني تَغلبٍ قَتلتُمْ قَتِيـلاً ... ما سَمِعْنَا بمِثْلِهِ في الخَوَالي

قَرِّبا مَرْبِطَ النَّعـامةِ مني ... لَقِحَتْ حَرْبُ وائلٍ عن حِيَال

قَرِّبا مَرْبطَ النّعـامةِ مني ... لَيْسَ قَولي يُرادُ لكِنْ فعَالي

(ب) التعالي على المغلوبين :

عندما ينتصر القوم على العدو ، خصوصاً إذا كان هو المعتدي ، قد تأخذ الشاعرَ وقومَـه نشوة الفرح ولذةُ النصر ، فيتوعد العـدوَّ المنهزم بزيادة العقاب ، جزاء بغيه وعدوانه . من ذلك مثلاً ما حدث حينما انتصر بنو عامر على تميم وغيرهم يوم شِعْب جَبلَـة ، فقال عامر بن الطفيل (١) :

وجَمْعُ بَني تميمٍ قَدْ تَركْنا ... نُبينُ سَواعداً مِنهُمْ وهَامَا

وكانَ لهُمْ بهـا يومٌ طويلٌ ... كما أَجَجْتَ باللّهبِ الضِّراما

(١) ديوانه ص ٩٩ الأبيات ٢٥ — ٢٩ .

بِدارِهِمُ تَرَكْنَا يومَ نَحسٍ لَدَى أوطانِهِمْ تُسقَى السِّماما
فإلا يُرْهِقِ الحَدَثَانُ نَفْسي يؤدُّوا الخَرْجَ لي عاماً فعَاما
يؤدُّوهُ على رَغمٍ صَغَارا ويُعطُونا المَقَادَةَ والزِّمَامَا

ولكن المغلوبين إزاء هذا الذم والتهديد الموجه إليهم من جانب الغالبين ، ما كان لهم أن يسكتوا ، بل كانوا يثورون لشرفهم ، ولا يهدءون إلا بمجازاة المتعالين عليهم من جنس أعمالهم ، والرد عليهم كيل الصاع بالصاع ، وكان الشاعر منهم يقوم بدور عظيم في هذا المجال ، فكان يحاول أن يقلل من قيمة النصر الذي حازه الأعداء ، ويتوعدهم بالحرب الشديدة أخذاً بثأر من فُقِد من قومه ، وجزاء أوفى للأعداء. من ذلك ما كان من عامر بن الطفيل كذلك، عندما انهزم بنو عامر في يوم الرقم ، إذ يقول [1] :

وَلَتَسْأَلَنْ أسماءُ وَهْيَ حَفِيَّةٌ نُصحاءَها أَطُرِدْتُ أم لم أُطْرَدِ [2]
قالوا لها : إنا طَرَدْنا خيلَــه قَلِحَ الكلابِ وكنتُ غيرَ مُطَرَّدِ [3]
فلأَبْغِيَنَّكُمُ المَلا وعَوارِضاً ولأُورِدَنَّ الخيلَ لابَةَ ضَرْغَدِ [4]
والخيلُ تَرْدِي بالكُمَاةِ كــأنها
حِدَأٌ تتابع في الطريق الأَقْصَدِ [5]
فلأَثْأَرَنَّ بمــالكٍ وبمالكٍ وأخي المَرُوراةِ الذي لم يُوسَدِ [6]

---

(١) ديوانه : ١٤٤ قصيدة رقم ٢٩ .
(٢) حَفية : بارة مشفقة .
(٣) قلح الكلاب : منادَى أو منصوب على الذم . والقلح : صفرة تعلو الأسنان .
(٤) الملا : متسع من الأرض ، ويقال إنها أرض كلب . عوارض : جبل لبني أسد .
(٥) تردي : من الرديان وهو ضرب من المشي .
(٦) هؤلاء قوم قتلوا من قومه .

وقتيلَ مُرّةَ أثأرنَّ فــإنّه فَرْعٌ وإنْ أخاهُمُ لم يُقْصَدِ[1]

يا أُسْمَ أختَ بني فزارةَ إنني غازٍ وإن المرءَ غيرُ مُخَلّدِ

فِيئي إليكِ فلا هَوادةَ بيْنَنا بَعْدَ الفوارسِ إذ ثَوَوْا بالمَرْصَدِ[2]

إلا بكُلِّ أحمَّ نَهْدٍ سابحٍ وعُلالَةٍ من كل أسمرَ مِذْوَدِ[3]

وأنا ابنُ حربٍ لا أزالُ أشُبُّها سَعْراً، وأُوقِدُها إذا لم تُوقَدِ[4]

(ج) التهديد :

إن الوعيد بالشر يستفز الحليم ، ويثير غضب المتزن الرشيد ، فما بالك بالعدو ، والخصومة تأكل أحشاءه ! لقد كان التهديد بالحرب شديد الوقع على النفوس ، فكان يلهب حميتهم ، ويدفعهم دفعاً إلى تهديد أشد بحرب أقوى وأعنف :

وكان الشاعر يرد على من يتوعده بالقتال ، ويهدده بأفدح الأضرار .

يروى أنه عندما أشار زرعة بن عمرو على النابغة الذبياني أن يشير على قومه بترك حلف بني أسد وأبي النابغةُ الغَدرَ ، توعده زرعة ، فقال له النابغة[5] :

---

(١) قتيل مرة : هو حنظلة بن الطفيل أخوه . فرع : شريف ، لم يقصد : لم يقتل .

(٢) فيئي : ارجعي . ثووا : قتلوا في المعركة وتركوا هناك .

(٣) أحم : فرس يضرب إلى السواد . النهد : العظيم الطويل . سابح يجري جرياً كالماء . علالة كل شيء : شيء بعد شيء ، من جري أو طعن أو غيرهما . أسمر : رمح ، وإذا كان أسمر كان أجود له وأصلب لأنه نضيج . مذود : يذاد به أي يمنع .

(٤) أشبها : أشعلها . سعراً : ناراً . والعود الذي تحرك النار تسمى المسعر .

(٥) العقد الثمين : ديوان النابغة ، القصيدة رقم ١٠ .

نبِّئتُ زُرْعةَ ، والسفاهةُ كَاسْمِها يُهْدِي بها إليَّ غرائبَ الأشعار (١)
فحلفتُ يا زُرْعَ بنَ عمرو إنني مما يشقُّ على العَدوِّ ضِراري
أرأيتَ يومَ عكاظَ حينَ لَقِيتَني تحتَ العَجاج فما شققتَ غُبَاري
إنا اقتسمْنا خُطَّتَيْنا بيننا فحملتُ بَرَّةَ واحتملتَ فَجَارِ (٢)
فلتأتينْكَ قصائدٌ وليَدْفَعَنْ جيشٌ إليك قوَادمَ الأكْوار (٣)
رَهْطُ ابنِ كُوزٍ مُحْقِبِي أدْراعِهِم فيهمْ ورَهْطُ ربيعةَ بن حذارِ (٤)
ولِرَهْطِ حَرَّابٍ وقَدٍّ سَوْرَةٌ في المجْدِ لَيْسَ غُرابُها بِمُطارِ (٥)
وبَنو قُعَيْنٍ لا مَحَالَةَ إنَّهمْ آتوكَ غيرَ مُقَلَّمِي الأظفار (٦)
سَهِكِينَ مِن صَدَإ الحديدِ كأنَّهم تحت السَّنوَّرِ جِنَّةُ البَقَّارِ (٧)
وبنو سَوَاءَةَ زائروكَ بوَفدِهم جيشاً يقودُهُمُ أبو المِظْفَارِ

---

(١) والسفاهة كاسمها : أي اسم السفاهة قبيح وفعلها قبيح .

(٢) جعل النابغة خطته برة لأن زرعة دعاه إلى الغدر فلم يرضه ، فلزم الوفاء وكانت خطة زرعة فاجرة لذلك .

(٣) قوادم : جمع قادمة وهي مقدمة الرحل. الأكوار : جمع كور وهو رحل الناقة ، وجعل الدفع للإبل لأنهم كانوا يركبونها ويجنبون الخيل .

(٤) محقبي أدراعهم : جعلوها في الحقائب ، أي هي معدة لوقت الحاجة اليها .

(٥) حراب وقد : رجلان من أسد . ليس غرابها بمطار : إذا وصف المكان بالخصب وكثرة الخير قيل لا يطير غرابه ، أي وقع في مكان يشبعه فلا يحتاج للتحول عنه . وقيل غرابهم هنا : سوادهم .

(٦) غير مقلمي الأظفار : يقصد في سلاح تام وعدة كاملة .

(٧) السهكة : رائحة كريهة من لبس الحديد . السنور : السلاح التـــام . البقار : موضع كثير الجن . الجنة : واحدهم جني ، ودخلت الهاء لتأنيث الجماعة .

وبنو جَذِيمةَ حَيٌّ صِدْقٍ سَادَةٌ غَلَبوا على خَبْتٍ إلى تِعْشار [1]
مُتَكَنِّفي جَنبيْ عُكاظَ كِلَيهِما يَدْعو بها وِلدانُهُمْ عَرْعار [2]
قَومٌ إذا كَثُر الصياحُ رأيتَهمْ وُقُرّاً غداةَ الرَّوْعِ والإنفَار [3]

(ى) تدبير مكيدة ضد القوم :

أو القيام بعمل يوهم مساساً بالشرف ، أو انتقاصاً من الكرامة . فأي شيء من ذلك كان يثير الأبطال ، ويطلق ألسنتهم بالتهديد والوعيد .

---

(١) بنو جذيمة من كلب تعشار : من أرض كلب .

(٢) عرعار : لعبة لصبيان العرب كانوا يتدارعون بها ليجتمعوا للعب ، والمعنى : هم آمنون وصبيانهم يلعبون . وعرعار : حكاية لصوت الصبيان إذا لعبوا ، فقالوا : عرعار ، ومثل ذلك من لعبهم « خراج » بمعنى « اخرج » .

(٣) وقر : جمع وقور ، والمعنى إذا ارتفعت الأصوات في الحرب ، واستخف الناس الفزع ثبتوا ولم يبرحوا .

الفصل السادس

الرثاء

ونعني بذلك هنا مـا قاله الشعراء عن الأبطال أو العظماء الذين قتلوا في الموقعة أو فيما يتصل بالموقعة ، كأن يقتل أحدهم في طريقه بعد عودته من هجوم أو قتـال ، أو يكون قتله سبباً في إثارة الحرب . وقد قيل في هذا الموضوع ، من مجموعتنا المختارة ، ٢٦٦ بيتاً من الشعر .

وفي الرثاء كان الشعراء ، في العادة ، يذكرون ما كان الفقيد يمتاز به من صفات البطولة ، وما قام به من أعمال الشهامة والمروءة ، ثم يتبعون ذلك بالوعيد الشديد للأعداء الذين قتلوه ، أو تسببو في قتله .

وشعر الرثاء كان يقوله قريب القتيل أو صديقه ، ولكننا في بعض الأحيان نجد الفقيد يبكي نفسه قبل موته مباشرة ، وذلك إذا تحقق أن قتله لا بـد منه . وبدراسة شعر الرثاء هنا ، نجد أنه كان يدور حول النقط التالية : —

١ — الفجيعة وأثرها :

كان الشاعر يصف فجيعتهم في مصابهم بالهول ، ويصورها بأنها جنايـة عظمى ، ومصيبة وخيمة العاقبة ، وأن وقعها عنيف على الشاعر وغيره من أفراد القبيلة رجالاً ونساء ؛ فمن الشعراء مثلاً من يدعي أنه من هول المصاب

كان يخيل إليه أن الأرض قد مادت ، وأن السماء قد وقعت على من تحتها ، ومنهم من يتحدث عن أثر الفجيعة الشديدة بأن الخبر قد شج قلبه ، وجعل عينيه تنهمر بالدموع ولا تجفّ ، وأن الهم قد ملك عليه أمره ؛ حتى إنه لينبو جنبه عن الفراش ، ولا ترقأ عينيه ، ولا يسيغ شرابه ، وصدره يتأجج غيظاً وأصبح لا رجء عنده ، ولا أمل له في الحياة ، وغدت النساء حاسرات ، يخمشن الوجوه ، ويشققن الجيوب .

وهنا يعبر الشاعر كذلك عن شعوره العميق نحو الفقيد ، فيدعو له بعدم البعد ، ويتمنى لو يستطيع أن يفديه بكل ما عز من نفس ومال ، ويؤكد أنه لو أدركه حياً لدفع الشر ، وقتل الأعداء لينجيه ، أو يهلك هو دونه .

كما يعبر الشاعر هنا كذلك عن شعوره الملتهب المتأجج نحو الأعداء، فيدعو عليهم باللعن ، ويظهر مرارة الألم في نفسه بإعلانه أنه يعد العدة لمجازاة الأعداء على ما اقترفوه من جرم ، وأنه قد أخذ العهد على نفسه أن يترك الملذات ، والعناية بنفسه ، ويهجر النساء ، ويمتنع عن الشراب ، ويديم لبس الأسلحة ، حتى يثأر لشرفه بإبادة الأعداء ، فيُخفف ثائرته ، ويهدّيء روعه .

٢ – صفات الفقيد :

وهنا كان الشاعر يصور الفقيد بصورة الرجل الكامل صاحب الشجاعة والمروءة والشهامة ، مما مر ذكره في الحديث عن أخلاق البطل وصفاته ، فينسب له أنه كان يتحلى بالشرف والكرم ، يحمي الذمار ، ويجيب المستغيث ، غير طائش ولا معزال ، إلى غير ذلك من صفات البطولة التي سبق تحليلها في باب الوصف ، خصوصاً ما يتصل بموقفه في القتال ، من جرأة ، وإقدام ، وخبرة بالحروب ، ومجابهة الأبطال ، ومنازلة الصناديد ، والثبات في وقت الشدة ، والصمود في موضع الخطر . فكان حديثهم في ذلك على العموم ، بمثابة سجل لأعمال الفقيد ، وتخليد لمآثره وأمجاده .

٣ - محاولة التخفيف من ألم الفجيعة :

وكان بعض الشعراء يحاول في مرثيته أن يخفف من شدة الوقع على نفوس المصابين بما يسليهم بعض الشيء ، أو ينزل على قلوبهم الصبر ، كأن يذكرهم بأن الموت سبيل كل حي ، وأنه لن يخلد شيء في هذه الحياة ، وأنه لو كان هناك من يخلد لما هلك أكثر المخلوقات حذراً وحيطة [1] ؛ أو يذكر أن القتل زينة للفتيان ، وأنه مما يفخر به الأبطال ، وأنهم دائماً يقتلون لبطولتهم وشجاعتهم ، أو لأنهم أصحاب حرب : يغيرون ويغار عليهم ، فهم متعودون للقتل ، ثم يدعي أنهم لذلك ما أصبحوا يبكون على من قتل منهم . وفيما يلي جدول يبين عـــدد الأبيات التي قيلت في كل نقطة من هذه النقط ، وعدد المرات التي كررت فيها كل منها : —

نقط الرثاء	الفجيعة وأثرها	صفات الفقيد	محاولة التخفيف	المجموع
عدد المرات	٢٣	٤٧	٣	٧٣
عدد الأبيات	٩٣	١٥٦	١٧	٢٦٦

نماذج :

١ — من مراثي المهلهل في أخيه كليب حين قتل قوله [2] :

كُلَيبُ لا خَيرَ في الدنيا ومَن فِيها ... إن أنتَ خلَّيتَهـــا فيمن يُخَلِّيها

كليبُ أيُّ فَتى عِزٍّ ومَكْرُمَة ... تحتَ السَّفاسِفِ إذ يَعلُوكَ سَافيها

نَعَى النُّعاةُ كُلَيْباً لي فقلتُ لهمْ ... مادتْ بنا الأرضُ أم مادتْ رَواسِيها

(١) المفضليات ص ٤٨٧ الأبيات ١٠ — ١٤ .
(٢) شعراء النصرانية : ص ١٦٦ .

لَيتَ السَّماءَ عَلى مَنْ تَحْتَها وَقَعتْ وَحالَتِ الأرضُ فانْجابَتْ بِمَنْ فِيها

أضحتْ منازلُ بالسُّلَّانِ قَدْ دَرَستْ تَبكي كُليباً ولَمْ تَفْزعْ أقاصِيها

الحزْمُ والعَزْمُ كانَا من صَنيعَتهِ مَا كلُّ آلائِهِ يا قَومُ أُحصيها

النّاحِرُ الكوم ما ينفَكُّ يُطعِمُها والواهِبُ المائَةِ الحَمْرَا بِرَاعِيها

القائدُ الخَيلَ تَرْدي في أعِنَّتِها زَهْواً إذا الخَيلُ بُحَّتْ في تعادِيها

من خَيل تَغلبَ ما تلْقَى أسِنتها إلَّا وَقَدْ خَضَّبتْها مِنْ أعادِيها

قَدْ كانَ يُصبِحُها شَعْواءَ مُشْعِلَةً تَحْتَ العجَاجةِ مَعقُوداً نَواصِيها

تَكون أولَهَا مِنْ حِين كَرَّتِها وأنتَ بِالكَرِّ يَوْم الْكَرِّ حَامِيها

حتّى تُكَسِّرَ شَزْراً في نُحورِهِمُ زُرقَ الأسِنَّةِ إذْ تُرْوَى صَوَادِيها

٢ – كان عبد يغوث بن الحرث قائد قومه يوم الكلاب الثاني ، فأسر وأراد أن يفدي نفسه ، فأبت تميم إلا أن تقتله بالنعمان بن جساس ، ولما لم يجد بُدّاً من القتل طلب إليهم أن يطلقوا لسانه ليذم أصحابه ، وينوح على نفسه ، وأن يقتلوه قتلة كريمة ، فأجابوه إلى طلبه ، وسقوه الخمر ، وقطعوا له عرقاً يقال له الأكحل ، وتركوه ينزف حتى مات ، وحين جهز للقتل قال قصيدة تحدث فيها عن نفسه بأشياء كثيرة ، من بينها فخره بشجاعته وكرمه وبراعته في الطعن والقتال ، ومنها [١] :

ألا لا تَلُومَاني كَفَى اللَّومَ مَا بيا فَما لَكُمَا في اللَّومِ خيرٌ وَلا لِيا

---

(١) المفضليات : ص ٣١٥ .

أَلم تَعْلَمَا أَن المَلامــةَ نَفْعُها قَليلٌ، ومَا لَومي أخي مِن شِماليا[1]

فيَا راكِباً إمَّا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ نَدامايَ مِن نَجْرانَ أنْ لا تَلاقِيا

أَبا كَرِبٍ والأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِما وقَيْساً بأعْلَى حَضْرَمَوتَ اليَمانيا[2]

جَزَى اللهُ قَومي بالكُلابِ مَلامَةً صَرِيحَهُمُ والآخرِينَ المَواليا[3]

ولَو شِئتُ نَجَّتْني مِنَ الخَيلِ نَهْدَةٌ تَرَى خَلفَها الحُوَّ الجِيادَ تَواليا[4]

ولَكِنَّني أَحْمِي ذِمارَ أَبيكُمُ وكانَ الرِّماحُ يَخْتَطِفْنَ المُحاميا[5]

ومنها :

فإنْ تَقْتلوني تَقتُلوا بِيَ سَيِّداً وإنْ تُطلِقُوني تَحْرُبوني بمَاليا[6]

أحقًّا عِبادَ اللهِ أنْ لستُ سامِعاً نَشيدَ الرِّعاءِ المُعزِبينَ المَتاليا[7]

وتَضْحَكُ مِني شَيخةٌ عَبْشَمِيَّةٌ كأنْ لم تَرَى قَبْلي أسيراً يَمانيا[8]

وقدْ علِمتْ عِرْسي مُلَيْكَةُ أَنَّني أنا اللَّيثُ مَعْدُوًّا عَلَيْهِ وعَاديا

وقد كُنتُ نَحَّارَ الجَزُورِ ومُعْمِلَ الْــمَطِيِّ وأَمْضِي حيثُ لا حَيَّ مَاضِيا

---

(١) الشمال : واحد الشمائل .

(٢) أبو كرب : هو بشر بن علقمة بن الحارث . والأيهمان : همـا الأسود بن علقمة بن الحرث ، والعاقب ، وهو عبد المسيح بن الأبيض .

(٣) صريحهم : خالصهم ومحضهم في النسب . الموالي هنا : الحلفاء .

(٤) النهدة : المرتفعة الخلق . الأحوى من الخيل : ما ضرب لونه إلى الخضرة .

(٥) الذمار : ما يجب على الرجل حفظه وحمايته .

(٦) حربه يحربه من باب طلب : أخذ ماله وتركه بلا شيء .

(٧) الرعاء : جمع راع. المعزب : المتنحى بإبله . المتالي : الإبل التي نتج بعضها وبقي بعض.

(٨) عبشمية : نسبة إلى عبد شمس .

وأنحرُ للشَّرْبِ الكرامِ مَطِيَّتي وأَصْدَعُ بين القَيْنَتَيْنِ رِدَائيا [1]
وكُنتُ إذا ما الخيلُ شمَّصَها القَنا لَبيقاً بتَصريفِ القَناةِ بَنَانِيا [2]
وَعادِيَةٍ سَوْمَ الجَرادِ وَزَعْتُها بِكَفِّي وقدْ أَنْحَوْا إليَّ العَوَالِيا [3]
كأنِّي لم أَرْكَبْ جَواداً ولم أَقُلْ لِخَيْلِي كُرِّي نَفِّسِي عَنْ رِجَالِيا

٣ – وقال دريد بن الصمة في كثرة القتلى من قومه [4] :

تقولُ أَلا تَبْكِي أَخاكَ وَقَـدْ أَرَى
مكانَ البُكا لَكِنْ بُنِيتُ عَلى الصَّبْرِ [5]
فقلت أَعبدَ الله أَبكي أَم الذي لهُ الجَدَثُ الأَعلَى قتيلَ أَبي بَكْرِ [6]
وعبدَ يغوثَ تَحْجُلُ الطيرُ حَوْلَهُ وعَزَّ المُصابُ حَثْوُ قَبْرٍ عَلى قَبْرِ [7]
أَبى القتْـلُ إلَّا آلَ صِمَّةَ إنَّهمْ أَبَوْا غَيْرَهُ والقَدْرُ يَجْرِي إلى القَدْرِ [8]

---

(١) الشرب : جمع شارب : المطيـة هنا : البعير . أصدع : أشق . القينة : المغنية ، يريد أنه يعطي كلا منها شطر ردائه .

(٢) شمص : نفر . اللبيق : الحاذق الظريف .

(٣) العادية : الخيل المغيرة . سوم الجراد : انتشاره في طلب المرعى ، يريـد أن الخيل كالجراد في كثرتها . وزعتها : كففتها . أنحوا إلي : وجهوا إلي .

(٤) ديوان الحماسة : ج ١ ص ٣٤٠ .

(٥) مكان البكا : بيان لاستحقاق أخيه أن يبكي عليه ، أي هذا محل البكاء على أخي .

(٦) الجدث : القبر . الأعلى : الأشرف .

(٧) عبد يغوث : هو اسم أخيه ، وقتلته بنو مرة . حجل الطير : نزا في مشيه . المصاب المصيبة ، وحثو : بدل منـه . والمعنى : لقد تتابعت المصائب فهي كحثو قبر على قبر ، فماذا ينفع البكاء .

(٨) آل صمة : أولاده . وكان لدريد إخوة كلهم قد قتل . والقدر يجري ... الخ : معناه أنهم قدروا للقتل ، كذلك القتل قدر لهم .

فإما تَرَيْنَــا لا تَزَالُ دماؤُنا ... لَدَى واتِرٍ يَسْعَى بها آخِرَ الدهر[1]
فإنّا لِلَحْمِ السيفِ غيرُ نكيرَةٍ ... ونُلْحِمُهُ حيناً وَليسَ بذِي نُكْرِ[2]
يُغارُ علينــا واتِرين فيُشتَفَى ... بِنا إنْ أُصِبْنا أو نُغيرُ عَلى وِتْرِ[3]
قَسَمْنا بِذاكَ الدّهرَ شَطْرَيْنِ بينَنا ... فما يَنقَضِي إلّا ونَحنُ عَلَى شَطْرِ[4]

---

(١) الواتر : هو الذي قتل له قتيل ، وهو يسعى في ثأره .

(٢) يقصد : فإما ترى أنا لا تزال دماؤنا أبد الدهر عند واترين يسعون بها ، فإنا نخاطر بأرواحنا . فنقتل ونقتل ، وليس ذلك بمنكر فينا ومنا .

(٣) المعنى : أن أعداءنا إما أن يغيروا علينا طالبين ثأرهم عندنا فيصيبون منا ما يشتفون به ، وإما أن نغير عليهم لنأخذ بثأرنا ، يريد أن دأبنا ذلك .

(٤) يريد أننا قسمنا الدهر قسمين : نغير على الأعداء وننتصر ، أو يغيرون علينا ليأخذوا بثأرهم .

الفصل السابع

المدح

ونعني بهذا ما قاله الشعراء في الثناء على شخص أو قوم من غير عشيرتهم مشيدين بما فيهم من صفات حسنة خاصة بالحروب وما يتصل بها ، سواء أكان هذا في حرب حقيقية أم غير ذلك .

وفي مجموعتنا المختارة الدراسة وجد أن منها ٥٤٣ بيتاً قيلت في المدح ، ولكنها لشعراء قليلين . وبدراسة ما قيل في هذا الموضوع نجد أنه قد اشتمل على الحديث حول النقط الآتية : —

١ - البطولة والشهامة :

والمدح بذلك يشمل كل ما سبق تحليله في الحديث عن البطل ؛ وأهم ما في ذلك هو الثناء على الممدوح بما يصفه بالشجاعة ، والقوة ، والخبرة الحربية ، والمروءة : من الإقدام، وصدق العزيمة ، والدفاع عن الشرف ، والحكمة وبعد النظر في الأقوال والأفعال ، والحيطة والحذر ، والوفاء، والعفة ، والوقار والاتزان ، وشدة البأس ، وقوة الشكيمة ، وغير ذلك من الصفات التي تصور البطل الحقيقي . لكن مما يسترعي الانتباه أن شعراء المدح في حديثهم عن بطولة الممدوحين وشهامتهم ، أكثروا أو بالغوا في الثناء عليهم ببعض صفات معينة ، كما نجد مثلاً عند الحديث عن قوة الممدوحين وغناهم ،

إذ نرى الشعراء يبالغون في وصف الأسد الذي يشبه به الممدوح لدرجة أن القارىء قد يظن أن الشاعر يتحدث عن أسد حقيقي معين ؛ أو ينسبون إلى الممـــدوح الرغبة في الظلم ؛ أو الرغبة عن الغنائم والأنفة من مشاركة الآخرين فيها .

٢ - الجيوش والكتائب :

وهنا يثني الشاعر على ممدوحه بكثرة القوم حوله ، وانضوائهم جميعاً تحت رايته ، وإطاعتهم أمره ، وبضخامة الجيوش ، وروعـــة الكتائب ، وأنهم كلهم جند من السادة الكرام ، غير أشائب ، وإمداداتهم في الحروب كثيرة متوالية لا تنقطع . والحديث عن هذه النقطة على العموم ، يتضمن الصفات التي أشرنا إليها في الحديث عن « الكتيبة والجيش » في الفصل الخاص بالوصف .

٣ - الأسلحة والخيل :

وهنا كذلك نجد الشعراء مدحوا بما مر ذكره من وصف الأسلحة والخيل بالجودة والحسن . ولكنهم أكثروا من ذكر الصفات التي تظهر الممدوح بقوة الهجوم على الآخرين ، وشدته ، واستمراره حتى يكاد لا ينقطع . كأن ينسبوا إليه أن سيوفه لا عيب فيها سوى أن بها فلولاً من قراع الكتائب ، وأن خيله يعنى بها عناية خاصة في وقت الشدة والقحط ، وأنها كانت تقـاد سمينة قويـــة ، ثم تعود هزيلة ضعيفة تشكو الكثير من الآلام ، بسبب ما قامت بـه من المجهود المضني الطويل المتتابع في غارات الممدوح الشديدة التي يطيلها ويديمها ، وعدم إعطائها فرصة للراحة والاستجمام . وهنا نجد الشعراء يتحدثون عن صورة الخيل المتعبـــة المهزولة ، فيصورونها بحوافر قد برتها الصخور ، وعيون قد غارت ، وأجسام قد هزلت حتى أصبحت جلوداً على عظم ، وقد رمت أفلاءها في الطريق ، فأنهكها النزيف ، وأهلكهـــا ، أو كاد يقضي عليها .

٤ - الغارات :

لقد مدح الشعراء بشن الغارات الشديدة ، العظيمة الأثر ، وبشنهـا في أوقات الشدة كزمن القيظ لتعذر الماء والكلأ ، وبوَصْل الشتاء والربيع في الإغارة ، وإدامتها ، فما يخرج الممدوح من غارة إلا ويدخل في أخرى ، مما ترك في الخيل أثراً شديداً من الضعف والهزل ، ومما مدحوا به هنا ، انتشار الغارات في جهات واسعة ، حتى إنها لتوغل في الجهات النائية ، فتأخذ أموال المعزاب ومدحوا كذلك بأن غارات الممدوح دائماً ناجحة تدر عليه وعلى من معه غنائم كثيرة ، تسلب أموال الأغنياء ، وتوزعهـا على الفقراء فتورثهم الغنى بعد أن كانوا في فقر شديد .

٥ - المجد الحربي :

ونقصد بذلك ما يذكره الشاعر في مدحته من أيام الممدوح ، وما أوقعه بأعدائه : وهنا نجد الشاعر يعدّد الأيام التي انتصر فيها الممدوح ويدعي أنها كانت طويلة على الأعداء ، قصيرة عليه وعلى أصحابه . ثم يثني على الممدوح بسرد مـا أوقعه بالأعداء : من قتلهم وإهلاكهم ، وأسرهم وسبي نسائهم ، وسلب أموالهم ، وإخضاعهم تحت سيطرته ، وإذعانهم له . وتخريب ديارهم ، وإباحة منازلهم ، إلى غير ذلك مما مر ذكره في موضوع «ماحدث للأعداء» .

وقد نجد بعض الشعراء ينسب إلى ممدوحه أنه أصاب كل الناس بحروبه وغاراته ، حتى أصبح الجميع يرهبونه ، ولا يأمنون غزوه .

وهذه هي الإحصائية التي تبين عدد المرات التي كرر فيها المدح بكل واحدة من هذه النقط الخمس ، وعدد الأبيات التي قالها الشعراء في كل منها :

ما مدحوا به	البطولة والشهامة	المجد الحربي	الاسلحة والخيل	الجيوش والكتائب	الغارات	المجموع
عدد المرات	٨٢	٤٢	٢٨	٢٥	٨	١٨٥
عدد الأبيات	٢٨٨	١١٦	٧٦	٤٣	٢٠	٥٤٣

دوافع المدح :

كان الشعراء مدفوعين بأحد غرضين : الطمع في نعمة ، أو الشكر على يد أسداها الممدوح . ومن دراسة ما قيل في المدح من شعراء الحرب في العصر الجاهلي نجد أن الأسباب المباشرة للمدح كانت الأمور الآتية ، أو ما يماثلها : —

١ — حب العطاء :

وكان الممدوح في ذلك ملكاً ، أو رئيساً ، أملاً في هدية ثمينة أو حباء عظيم . كما كان شأن النابغة الذبياني مع النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، ومع ملوك غسان بعد أن غضب عليه النعمان ، وكما كان زهير بن أبي سلمى مع هرم بن سنان . .

ومدائح العصر الجاهلي الشعرية على العموم . كان معظمها يدور حول الناحية الحربية وما يتصل بها . فكان الشاعر يجهد نفسه في صورة هائلة لقوة الممدوح الحربية وعدته واستعداداته وحروبه وكان يبالغ ، بنوع خاص ، في شجاعة الممدوح نفسه ، وجرأته الشخصية . من ذلك ما مدح به النابغة عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني ، وفيه يقول [1] :

وثِقتْ له بالنَّصر إذْ قِيل قَدغَزَت   كتائبُ مِن غسَّانَ غيرُ أَشائب [2]
بَنُو عمه دُنْيـا وعمرو بن عامرٍ   أُولئك قومٌ بأْسهمْ غيرُ كَاذب
إذا مَا غَزَوا بالجيشِ حَلَّقَ فوقَهم   عَصائِبُ طَيرٍ تَهتَدي بِعَصائب

---

(١) العقد الثمين : ديوان النابغة . ص ٢ ، قصيدة ١ .

(٢) غير أشائب . غير أخلاط ، يريد أنه غزا بغسان لم يخالطها غيرها ، ولا احتاج أن يستعين بسواها .

يُصَاحِبْنَهُمْ حتّى يُغِرْنَ مُغَارَهم   من الضَّاريات بالدّماءِ الدَّوارِب [1]
تَراهُنَّ خَلْفَ القَوْمِ خُزْراً عُيونُها   جلوسَ الشيوخِ في ثِيَابِ المَرَانِب [2]
جَوانحَ قَدْ أيقنَّ أنَّ قبيلَه   إذا ما التقى الجيشانِ أولُ غالب [3]
لهنَّ عليهمْ عادةٌ قَدْ عرَفْنها   إذا عُرِّضَ الخطّيُّ فوقَ الكَوَاثِب [4]
على عارفاتٍ للطِّعانِ عوابسٍ   بِهِنَّ كُلومٌ بَيْنَ دَامٍ وجَالِب [5]
إذا اسْتُنْزِلوا عَنْهنَّ لِلطَّعْنِ أرْقلوا   إلى الموتِ إرقالَ الجِمالِ المصَاعب
فَهُم يتَساقَوْنَ المنيَّةَ بينَهم   بأيديهِمُ بيضٌ رِقاقُ المَضَارب
يَطيرُ فُضاضاً بينَها كلُّ قَوْنَس   ويَتْبَعُها منهُمْ فَراشُ الحواجِب [6]
ولا عَيْبَ فيهمْ غيرَ أنَّ سيوفَهمْ   بهنَّ فُلولٌ مِن قِراعِ الكَتائِب [7]

---

(١) المصانعة : حسن الصحبة . الضاريات : المفترسات المشغوفة باللحم والدم . الدوارب : المتعودات .

(٢) الأخزر : الذي ينظر بمؤخر عينيه . ثياب المرانب : ثياب تضرب الى السواد ، شبه ألوان النسور بها ويقال كساء مرنباني : أي من جلد الأرنب .

(٣) جوانح : مائلات للوقوع .

(٤) الكاثبة : أمام القربوس ؛ يقول : إذا عرضت الرماح على الكواثب علمت الطير أن الرزق يساق إليها .

(٥) الجالب : اسم فاعل من جلب الجرح إذا برىء أو علته الجلبة . وهي القشرة تعلو الجرح عند البرء .

(٦) الفضاض : ما انفض وتفرق . القونس : مقدم البيضة . الفراش : عظام رقاق على الخياشيم من داخل .

(٧) القراع : المجالدة . وهذا البيت توكيد المدح بما يشبه الذم .

تُورِّثْنَ مِن أزْمانِ يومِ حَليمَةٍ إلى اليوم قد جُرِّبْن كلَّ التَّجارِب

تَقُدُّ السَّلوقيَّ المُضاعَفَ نَسجُهُ وتُوقِدُ بالصُّفَّاحِ نارَ الحُباحِب[1]

بِضَربٍ يُزيلُ الهـامَ عَن سَكَناتِه

وَطعنٍ كإيزاغ المَخَاضِ الضَّوارِبِ[2]

(ب) الرغبة في اطلاق أسير :

وكان الشاعر هنا ، يتحدث ، في العادة ، عن قوة الممدوح الحربية عامة، وإن كان يريد في ذهنه ، تلك الحرب التي شنها على أعدائه، وأخذ فيها هؤلاء الأسرى الذين يتملق الشاعر بشعره من أجل إطلاق سراحهم . ثم يعقب على ذلك بعرض مطلبه صراحة، راجياً أن يحقق الممدوح أمله. يروى أنه لما حارب الحارث بن جبلة بن أبي شمر الغساني بني تميم، وانتصر عليهم ، أخذ أسراهم، وفيهم شأس أخو علقمة الفحل ، فرحل إليه علقمة يطلبه منه ، فقال قصيدة يمدح فيها الحارث ، ومنها [3] :

وانتَ امرؤٌ أفضتْ إليكَ أمانَتي وقبلَكَ رَبَّتْني، فَضِعْتُ، رُبُوبُ[4]

فأدَّتْ بنو كعبِ بْنِ عَوْفٍ رَبيبَها وغُودِرَ في بَعْضِ الجُنُودِ رَبيبُ[5]

---

(١) السلوقي : الدرع ، منسوب إلى سلوق وهي مدينـة بالروم . المضاعف : الذي نسج حلقتين حلقتين . وقد مر شرح ذلك البيت .

(٢) الهام : الرؤوس . الإيزاغ : دفع الناقة ببولها . المخاض : النوق الحوامل . الضوارب : التي تضرب برجليها .

(٣) المفضليات ص ٧٧٩ . والعقد الثمين : ديوان علقمة قصيدة رقم ٢ .

(٤) أفضت إليك أمانتي : صارت نصيحتي لـك ، أي توجهت نحوك وانتهيت إليك . ربوب : جمع رب وهو السيد والمالك . وربتني : ملكتني .

(٥) أدت : سلمت وخلصت . الربيب : المملوك . غودر : ترك . ربيب : أسير ، يقصد أخاه شأساً .

فَوَاللهِ لولا فارسُ الجَوْنِ مِنْهُمُ   لآبُوا خَزَايا ، والإيابُ حَبيبُ (١)

تُقَدِّمُهُ حتّى تَغِيبَ حُجُولُهُ   وأنتَ لِبيْضِ الدّارِعِينَ ضَرُوبُ (٢)

مُظاهِرُ سِرْبَالَيْ حديدٍ عَلَيْهِما   عَقيلا سُيُوفٍ مِخْذَمٌ وَرَسُوبُ (٣)

فجالَدْتَهمْ حتّى اتَّقَوْكَ بِكَبْشِهِمْ   وقدحَانَ مِن شَمْسِ النَّهارِ غُرُوبُ (٤)

تَخَشْخَشُ أبــدانُ الحديدِ عليهِمُ

كما خَشْخَشَتْ يُبْسَ الْحَصَادِ جَنُوبُ (٥)

وقـــاتلَ من غَسانَ أهـــلُ حِفاظِها

وهِنْبٌ وقَاسٌ جَالَدَتْ وشَبِيبُ (٦)

كأن رجال الأوس تحتَ لَبانِه   وما جَمَعَتْ جَلٌّ معاً وَعَتِيبُ (٧)

---

(١) الجون : فرس الممدوح ، والجون معناه الأسود ، وقد يكون الأبيض ، أي لولاك كنت معهم لرجعوا مغلوبين . خزايا : جمع خزيان من الخزاية وهي كل ما يستحيا منه .

(٢) تقدمه : أي في الحرب . تغيب حجوله : أي حتى يواري الدم قوائمه . الدارعين : أصحاب الدروع . والحجول : ما في يديه ورجليه من البياض ، وهي موضع الخلاخيل .

(٣) السربال هنا : الدرع . أي لبس درعين واحدة على الأخرى . عقيلا سيوف : كريمان منها ، وكان الحارث يتقلد بسيفين . المخذم : الذي يبين الضريبة أي يقطعهـــا . والرسوب : الغائص في الضريبة .

(٤) اتقوك بكبشهم : جعلوك بينه وبينهم . والكبش هنا : الرئيس .

(٥) تخشخش : تصوت . الأبدان : الدروع . الجنوب : ريح .

(٦) هنب وقاس وشبيب وغسان : قبائل يمنية .

(٧) عتيب : حي من جذام سبتهم بنو شيبان . تحت لبانه : أي لبان فرسه ، لأنه الرئيس فكلهم يحفون به . وقيل : جل وعتيب من غسان ، ويقال : جل من قضاعة ، وعتيب من جذام ، وهم حلفاء بني شيبان .

رَغا فوقهم سَقْبُ السَّماءِ فَداحِضٌ ... بِشكَّتِهِ لم يُسْتَلَب وَسَلِيب (١)
كأنهمُ صَابَتْ عَليهِمْ سَحَـــابَةٌ ... صَواعقُها لِطيرِهِنَّ دَبِيب (٢)
فلم تَنجُ إلا شَطْبَةٌ بِلِجامِهـــا ... وإلاّ طِمِرٌّ كالقَنَـــاةِ نَجِيبُ (٣)
وإلاّ كَمِيٌّ ذو حِفاظٍ كَـــأَنّه ... بِما ابتَلَّ من حَدِّ الظُبَاتِ خَضِيب (٤)
وأنتَ الذي آثارُهُ في عَدُوِّهِ ... مِنَ البُؤْسِ والنُّعْمَى لَهن نُدُوب (٥)
وَفي كلِّ حيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ ... فحُقَّ لشأسٍ مِن نَداكَ ذَنوبُ (٦)
وما مِثْلُهُ في النَّاسِ إلاّ أَسِيرُهُ ... مُساوٍ وَلا دَانٍ لِذاكَ قَرِيب (٧)
فلا تَحرِمَنّي نائلاً عن جَنَابَةٍ ... فإني امرؤٌ وَسْطَ القِبَابِ غَرِيب (٨)

---

(١) السقب : ولد الناقة . يقصد سقب ناقة صالح عليه السلام ، أي نزل بهم ما نزل بثمود من الهلاك حين عقروا الناقة ، ومعناه زل فسقط . بشكته : أي عليه سلاحه . أي منهم من سلب ومنهم من لم يسلب . والداحض : الذي يفحص الأرض بيديه ورجليه وهو يجود بنفسه .

(٢) صابت : مطرت . يقول : كان ما أصابهم ونزل بهم من القتل الذريع والاستئصال سحابة جاءت بصواعق ، فقتلت ما أصابت من الطير ، وبقي ما أفلت منها يدب لا يقدر على الطيران . والدبيب : مشي ضعيف .

(٣) الشطبة : الطويلة . الطمر : الخفيف ، ويقال هو الشديد الوثب . لم تنج : لم تفلت بلجامها . ملجمة كالقناة : أي في ضمره وصلابته .

(٤) الكمي : الشجاع . الظبات : جمع ظبة ، وهي أطراف الأسنة . مخضوب : يقصد أن يمينه احمرت من الدم فكأنه مخضوب .

(٥) الندوب : آثار الجروح .

(٦) خبطت بنعمة : أي أنعمت وتفضلت . شأس : أخو علقمة . الذنوب ، بفتح الذال : الدلو ، يقصد الحظ والنصيب .

(٧) أي لا يذل أسيره ولا يهينه ، ولكن يشرفه ويعزه .

(٨) عن جنابة : عن هنا بمعنى بعد ، والجنابة : الغربة ، أي لا تحرمني بعد غربة وبُعْد عن دياري .

(ﺣ) الاعتراف بالجميل : وذلك حينما يسدي الممدوح إلى الشاعر أو قبيلته معروفاً ، كأن يطلق أسراهم ، أو يحمي اللاجئين منهم ؛ فيقر له الشاعر بالفضل ، ويشكره على حسن صنيعه ، ويثني عليه جزاء ما قدم من جميل .

يروى أنه لما أغار النعمان بن وائل بن الجُلاَح الكلبي على بني ذبيان ، أخذ منهم ، وسبى سبياً من غطفان ، وأخذ عقرب بنت النابغة الذبياني ، فسألها : من أنت ؟ فقالت : أنا بنت النابغة . فقال لها : والله ما أحد أكرم علينا من أبيك وما أنفع لنا عند الملك ، ثم جهزها وخلاّها . ثم قال والله ما أرى النابغة يرضى بهذا منا . فأطلق له سبي غطفان وأسراهم . فقال النابغة في مدحه [1] :

لَعَمْرِي لَنِعْمَ الحيُّ صَبَّحَ سِرْبَنا ... وأبياتَنا يوماً بِذاتِ المَرَاوِدِ [2]
يقودُهمُ النعمانُ مِنْهُ بمُحْصَفٍ ... وكيدٍ يَغُمُّ الخارجيَّ مُناجِدُ
وشِيمةِ لا وَانٍ ولا واهِنِ القُوَى ... وجَدٍّ إذا خابَ المُفيدُونَ صاعِدِ
فآبَ بأبكارٍ وعُونٍ عقائلٍ ... أوانِسَ يَحميها امرؤٌ غيرُ زاهِدِ
يُخطِّطْنَ بالعِيدانِ في كُلِّ مَقْعَدٍ ... ويَخْبَأْنَ رُمَّانَ الثُّدِيِّ النَّواهِدِ
ويَضرِبْنَ بالأيدي وَراءَ بَرَاغِزٍ ... حِسانِ الوُجوهِ كالظِّباءِ العَواقِدِ
غَرائِرَ لم يَلْقَيْنَ بأساءَ قبلها ... لدى ابنِ الجُلاحِ ما يَثِقْنَ بِوَافِدِ
أصابَ بني غَيظٍ فأضحَوا عِبادَهُ ... وجَلَّلَها نُعمَى على غيرِ واحِدِ
فلا بُدَّ من عَوجاءَ تَهوِي بِراكِبٍ
إلى ابنِ الجُلاحِ سَيرُها اللَّيلَ قاصِدِ

---

(١) العقد الثمين : ديوان النابغة ، قصيدة رقم ٦ .
(٢) ذات المراود : موضع بعقيق المدينة .

تَخُبُّ إلى النُّعمانِ حَتَّى تَنَالَه فِدًى لكَ مِنْ رَبٍّ طَرِيفي وتالِدي
فسَكَّنْتَ نَفْسِي بَعْـدَ ما طَارَ رُوحُها
وأَلْبَسْتَنِي نُعْمَى ولَسْتُ بِشَاهِـدِ
وكنتُ امرءاً لا أمدَحُ الدَّهْرَ سُوقَةً فلَسْتُ على خيرٍ أَتاكَ بِحَاسِدِ
سَبقْتَ الرِّجـالَ الباهِشِينَ إلَى العُلَا
كَسَبْقِ الجوادِ اصْطَادَ قبْلَ الطَّوارِدِ [1]
علوتَ مَعَداً نَائِـلاً وَنِكَايَةً فأنتَ لِغيثِ الحَمْدِ أَوَّلُ رَايِدِ

(د) توطيد الصلة: أحياناً نجد الشاعر يمدح بعض حلفاء قومه، رغبة في دوام الصلة بينهم وتوطيد الصداقـة، وتوثيق عرى التحالف، خصوصاً إذا كان هؤلاء الحلفاء أقوياء كما كان من النابغة الذبياني في بني أسد حلفاء قومه بني ذبيان إذ يقول [2] :

فَهُمْ دِرْعِي الّتي اسْتَلأَمْتُ فِيهَا إلى يَومِ النِّسَارِ، وهُمْ مِجَنّي
وهُمْ وَرَدُوا الجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يومِ عُكَاظَ، إنّي
شَهِدتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادقاتٍ أَتيتُهُمُ بِوُدِّ الصَّـدْرِ مِنِّي
وهُمْ سَارُوا لحُجْرٍ في خَمِيسٍ وكَانُوا يومَ ذلكَ عِندَ ظَنّي
وهُمْ زَحفُوا لغَسَّـانٍ بِزَحْفٍ
رَحِيبِ السِّرْبِ أرعَـنَ مُرجَحِنّ

---

(١) الباهشين إلى العلا : المرتاحين له الخافقين إليه .

(٢) العقد الثمين : ديوان النابغة . القصيدة رقم ٢٧ .

بِكُلِّ مُجَرَّبٍ كالليثِ يَسْمُو عَلَى أوصَالِ ذَيَّالٍ رِفَنِّ
وضُمْرٍ كالقِداحِ مُسَوَّمات عَلَيْهَا مَعْشَر أشباهُ جِنِّ
غَداةَ تَعاوَرَتْهُ ثمَّ بِيض دُفِعْنَ إليه في الرَّهَجِ المُكِنِّ

(ﻫ) تخليد عمل جليل : وذلك كأن يقوم الممدوح بالصلح بين المتحاربين ، أو يبذل مجهوداً في سبيل الوصول إلى السلم . كما حدث من الحارث بن عوف ، وهرم بن سنان حين قاما بالصلح بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء ، وتحملا ديات القتلى في تلك الحرب ، رغبة في إصلاح ذات البين ، فمدحهما زهير بن أبي سلمى ، وكان مما قاله في ذلك [1] :

فأقسمتُ بالبيتِ الذي طَافَ حَوْلَه
رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيشٍ وَجُرْهُم [2]
يَميناً لنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حالٍ مِنْ سَحِيلٍ ومُبْرَمِ [3]
تَدارَكْتُما عَبْساً وذُبْيانَ بَعْدَما تَفَانَوْا ودَقُّوا بينَهم عِطْرَ مَنْشِمِ [4]
وقد قُلْتُمَا إنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ واسِعاً بمالٍ ومَعْرُوفٍ مِنَ القولِ نَسْلَمِ [5]

---

(١) المعلقة .

(٢) البيت : هو الكعبة . جرهم : قبيلة قديمة تزوج فيها إسماعيل عليه السلام .

(٣) السحيل : المفتول على قوة . والمبرم : المفتول من قوتين أو أكثر . استعار السحيل للضعيف ، والمبرم للقوي . يقصد أنكما وجدتما كاملين مستوفيين لخلال المشرف على كل حال ضعيفة أو قوية . وأراد بالسيدين : هرم بن سنان والحارث بن عوف .

(٤) منشم : قيل إنه اسم امرأة عطارة ، اشترى قوم منها جفنة من العطر ، وتحالفوا ، وجعلوا آية الحلف غمسهم الأيدي في ذلك العطر ، ثم قاتلوا العدو الذي تحالفوا على قتاله فقتلوا عن آخرهم فتطير العرب بعطر منشم .

(٥) نسلم : أي من تفاني العشائر .

فَأُصبحتُما مِنْهَا على خيرِ مَوْطِنٍ   بَعيدَيْنِ فيها مِن عُقُوقٍ ومَأْثَمِ (١)
عَظِيمَيْنِ في عُلْيا مَعَدٍّ هُدِيتُما
ومَن يَستَبِحِ كنزاً من المجدِ يَعظُمِ (٢)
تُعفَّى الكُلُومُ بالمِئِينَ فأصبحَتْ   يُنَجِّمُها مَنْ ليسَ فِيها بمُجرِمِ (٣)
يُنَجِّمها قومٌ لِقومٍ غَرَامَةً   ولَم يُهَرِيقُوا بينَهُمْ مِلءَ مِحْجَمِ (٤)
فأصبحَ يَجرِي فِيهِمُ من تِلادِكُمْ   مَغَانِمُ شَتّى مِنْ إفَالٍ مُزَنَّمِ (٥)

* * *

(١) العقوق : العصيان . والمأثم : الإثم يقصد عقوق الأقارب والإثم بقطيعة الرحم .

(٢) الاستباحة : وجود الشيء مباحاً ، وجعل الشيء مباحاً . والاستباحة : الاستئصال . يعظم : أي أمره وشأنه بين الكرام . يعني : من يجد كنزاً مباحاً فيأخذه لنفسه يعظم شأنه .

(٣) الكلوم . جمع كَلْم وهو الجرح . التعفية : التمحية . من عفا يعفو إذا انمحى ودرس. ينجمها : يعطيها نجوماً أي على دفعات .

(٤) المحجم : آلة الحجام .

(٥) التلاد والتليد : المال القديم . الإفال : جمع أفيل وهو الصغير السن من الإبل . المزنم : المعلم بعلامة .

الفصل الثامن

الإثارة

ونقصد بهذا ما قيل من الشعر لإلهاب حمية القوم ، وتصوير الحال بأنها تتطلب شن الحرب لأنها هي الوسيلة الوحيدة التي بها تهدأ الخواطر، وتسكن النفوس . ومما لدينا من المجموعة الشعرية التي يبلغ عددها ٥٠٨٠ بيتاً ، وجدنا أن مجموع ما يخص هذا الموضوع ١٥٥ بيتاً . وذلك عدد قليل بالنسبة إلى ما قيل في الموضوعات الأخرى .

وربما كانت هذه القلة راجعة إلى أن العربي ، على العموم ، ما كان في حاجة إلى من يثيره نحو الحرب بشعر أو غيره ، لأنه كان ، بطبيعته يتأجج حماسة إذا مس شرفه ، أو أحس أن خطراً يتهدده . ولهذا نجد الشعر هنا كثيراً ما يأخذ صيغة الإخبار في صورة الحكمة التي هي من قبيل النضج، بدل صورة الحث التي تكون عادة في صيغة الأمر . ومن ثم وُجد من الإثارة ، ما كانت مباشرة وهي التي توجه إلى القوم رأساً في صيغة إثارة صريحة ؛ وما كانت غير مباشرة وهي التي تلقى في صيغة كلها تلميح وتعريض ، كتلك التي تقال في ثياب الحكمة ، أو في صورة التهكم والسخرية ، أو في الإشادة بحمية قوم آخرين وبطولتهم .

وكانت الإثارة تحدث عادة عندما يحس الشاعر أن شرف القبيلة قد مس، أو أن كرامتها يتهددها خطر . ولذلك نجد الشعراء في هذا الموضوع أكثروا

من ترديد كلمات الشرف والكرامة والإباء والعزة والذل والخزي ، والعار . وبدراسة ما قيل هنا نجد أن الشعراء كانوا يثيرون القوم أحياناً في مثل المناسبات الآتية :

١ – محاولة ظلمهم أو السيطرة عليهم :

وذلك كأن يطمع فيهم ملك أو عظيم ، ويحاول أن يسيطر عليهم ، أو يطالبهم بما ينتقص من حقوقهم أو يتنافى مع استقلالهم وكرامتهم ؛ فهنا تثور حمية الشاعر، ويهب لإلهاب حماسة القوم ويحثهم على عدم الخضوع والرضا بالظلم ، ويطالبهم بإثارة حرب شعواء ضد المعتدي ، ومعارضته بكل ما لديهم من قوة . فالموت خير من حياة الذل والعار . وهنا قد يضرب الشاعر الأمثال بقوم سجل التاريخ شهامتهم وإباءهم بمقاومتهم مثل هذا العدوان ، دفاعاً عن شرفهم وكرامتهم .

٢ – خشية أخذ الدية :

وتلك حالات نادرة جداً لأن العربي ما كان ليترك ثأره في نظير شيء من المال يفنى إن عاجلا وإن آجلا ، ويقبل ما يصمه بالخزي والهوان أبد الدهر خصوصاً أنهم كانوا يعتقدون أن روح القتيل تظل ثائرة في صورة هامة ، ولا تهدأ إلا بالثأر لدمه ، وهم أنفسهم – كما سبقت الإشارة إلى ذلك – كانوا يمتنعون عن متع الحياة ولذاتها حتى يقتصوا للقتيل .

ولكن إذا ظُن أنّ هناك ميلا من بعض الأفراد إلى قبول الدية فإن ذلك كان يلهب مشاعر القوم ، وبخاصة الشعراء فيقولون من الشعر ما يثيرون به الحمية ، بل إن شعرهم في تلك الحالة كان يتعدى حدود الإثارة وينقلب ذماً وتوبيخاً وقد يكون سباً وشتماً لمن تحدثه نفسه بالإقدام على مثل هذا السلوك المشين الذي يجلب الخجل والعار للعشيرة بأسرها .

٣ – عندما تكون الحرب لا مفر منها :

وذلك حينما يحتدم النزاع بين الفريقين ، ولا يكون هناك أمل في تسوية الخلاف سلمياً ، وهنا يطالب الشاعر قومه بإثارة حرب شعواء ، وأن يظهروا فيها بمظهر الأبطال الأقوياء ويؤكد لهم أن الحرب في هذه الحال سبيل العزة والمجد من بقي بعدها كان له فخر الحياة ، ومن مات كان له حسن الثناء ، وكتب في سجل الخالدين :

لم يَبْقَ يا وَيْحَكُمْ إلَّا تَلاقِيها وَمِسْعَرُ الحَرْبِ لَاقِيهَا وَآتِيها
فمَنْ بَقِي مِنْكُمُ في هَـذِهِ فَلَهُ فَخْرُ الحياةِ وإنْ طَالَتْ لَيَالِيها
وَمَنْ يَمُتْ ماتَ مَعْـذُوراً وَكَانَ لَهُ
حُسْنُ الثَّناءِ مُقيماً إذْ ثَوَى فِيها [١]

وكان مما يزيد إثارتهم تنبيهم إلى أنهم إن لم يقتلوا العدو فسوف يقتلهم :

القَوْمُ آتوكُمْ بأَرْعَنَ جَحْفَلٍ حَنِقِينَ إلَّا تَفْرِسُوهُمْ تُفْرَسُوا [٢]

٤ – وقت القتال :

وقد يثير الشاعر نفسه أو قومه بشيء من الشعر في أثناء الحرب ، رغبة في ازدياد النشاط وبذل أكبر مجهود في القتال . وأكثر ما يكون هـذا من الرجز ، كما كان في يوم ذي قار حين قالت امرأة من بني عجل تحرض الناس :

إنْ تَهزِموا نُعَانق وَنَفْرِشِ النَّمارِق
أوْ تُهزَموا نُفَارق فِرَاقَ غَيْرِ وَامِق

---

(١) البراق : شعراء النصرانية ، ٣٤٤ .
(٢) المتلمس : شعراء النصرانية ، ص ٣٤٤ .

وفي نفس اليوم قال حنظلة بن ثعلبة :

يا قَوْمِ طِيبُوا بِالْقِتَالِ نَفْسَا أَجدَرُ يومٍ أَنْ تَفُلوا الفُرْسَا

وفي يوم الرقم قال عبس بن حذار يرتجز ، موجهاً الحديث لفرسه [1] :

أَقْدِمْ قُدَيدُ لا تكُنْ خنوسا لأَطعَنَنَّ طعْنَـــةً قَلُوسا

ذاتَ رَشَاشٍ تَزَعُ الْخِميسا مَنْ لا يُقَاتِلْ لا يَكُنْ رَئِيسا

نمـــاذج :

١ ـ قال المتلمس في إحدى قصائده [2] :

إنَّ الْهَوَانَ حِمَارُ الْأَهْلِ يَعْرِفُه والْحُرُّ يُنْكِرُهُ وَالرَّسْلَةُ الأُجُدُ

كُونوا كَبَكْرٍ كَمَا قَدْ كَانَ أَوَّلُكُمْ وَلَا تَكُونُوا كَعَبْدِ الْقَيْسِ إِذْ قَعَدُوا

يُعطُونَ مَا سُئِلُوا والخَطُّ مَنْزِلُهُمْ

كَمَا أَكَبَّ عَلَى ذِي بَطْنِــهِ الفَهِدِ [3]

وَلَنْ يُقِيمَ عَلَى خَسْفٍ يُسَامُ بِهِ إِلَّا الأَذَلَّانِ : عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتِد

هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَمَا يَرْثِي لَهُ أَحَـــد

٢ ـ وقال بشامة بن عمرو [4] :

وخُبِّرتُ قومي ــ ولَم أَلْقَهُمْ ــ أَجدُّوا عَلَى ذِي شُوَيسٍ حُلُولا [5]

---

(١) المفضليات ، ص ٣١ .

(٢) شعراء النصرانية ، ٣٤٣ .

(٣) الفهد : النائم الغافل عما يجب تعهده .

(٤) المفضليات : ص ٨٨ .

(٥) أجدوا : أحدثوا أمراً جديداً فارتحلوا إلى أرض غير أرضهم . ذو شويس : مكان . حلولاً : مقيمين .

فَإِمَّـــا هَلَكْتُ ولم آتِهِمْ   فأبلغْ أَماثِلَ سَهْمٍ رَسُولا [1]

بِأَنْ قَوْمُكُمْ خُـيِّروا خَصْلَتَــينِ كِلْتَاهُما جَعَلُوها عُدُولا [2]

خِزْيُ الحياةِ وحَربُ الصَّدِيقِ   وَكُلٌّ أَرَاهُ طَعاماً وَبِيلَا [3]

فَإِنْ لمْ يَكُنْ غيرُ إحداهُمــا   فَسيرُوا إلَى المَوْتِ سَيْراً جَمِيلا

وَلَا تَقْعُدُوا وَبِكُمْ مُنَّــةٌ   كَفَى بِالحوادِثِ لِلْمرءِ غُولا [4]

وَحُشُّوا الحُرُوبَ إِذَا أُوقِدتْ   رماحاً طِوالا وخَيلاً فُحولا [5]

وَمِنْ نسجِ دَاوُدَ مَوْضُونــةً   تَرَى للقَوَاضِب فِيها صَليلا [6]

فإنكُمُ وَعَطَــاءَ الرِّهَـانِ

إذا جَرَّتِ الحربُ جُــلاًّ جَلِيلا [7]

---

(١) سهم : قومه . أماثلهم : خيارهم .

(٢) عدولاً : جوراً ، عدلوا فيها عن الحق .

(٣) خزي الحياة : ما يلحقهم من العار إذا خذلوا حلفاءهم . الطعام الوبيل : غير المستمرأ .

(٤) المنة : القوة ، الغول : ما غال الشيء فذهب به . يقول لم تعطون الضيم ، والموت لا بد أن يغتالكم ؟

(٥) حش النار : أوقدها .

(٦) نسج داود : يريد الدروع الموضونة التي نسجت مضاعفة حلقتين حلقتين . القواضب : السيوف القاطعة . الصليل : الصوت على الشيء اليابس . عبر عن السماع بالرؤية توكيداً للمعنى إذ الرؤية أوثق من السماع .

(٧) الجل : العظيم كالجليل . يقول : أعطيتم رهناً منكم وقد اشتد الأمر .

كثُوب ابن بَيْضٍ وقاهُمْ بِهِ فَسَدَّ عَلى السالِكينَ السَّبِيلا[1]

٣ – روي في حماسة أبي تمام[2] أن عبد الله بن معـــد يكرب مرّ براع للمجزم بن سلمة من بني مازن بن زبيد فاستسقاه لبناً ، فأبى ، واعتل عليه ، فقتله عبد الله ، فثارت بنو مـــازن بعبد الله فقتلوه ، وجاءوا إلى عمرو بن معديكرب ، فقالوا : إن أخاك قتله رجل منا سفيه ، ونحن يدك وعضدك . فنسألك الرحم إلا أخذت الديـة ما أحببت ، وهمّ عمرو بذلـك ، فغضبت أخته كبشة وقالت :

أرسَلَ عَبْدُ اللهِ إذْ حانَ يَوْمُهُ إلَى قَوْمِهِ لا تَعْقِلُوا لَهُمُ دَمِي[3]

وَلَا تَأْخــذُوا منهُمْ إفالاً وأَبْكُراً وأُتْرَكَ في بَيْتٍ بِصَعْــدَةَ مُظلِم[4]

ودَعْ عَنْكَ عَمْراً إنَّ عَمْراً مُسَالِم وَهَلْ بَطْنُ عَمرٍو غَيْرُ شِبْرٍ لِمَطْعَم[5]

---

(١) ابن بيض : رجل نحر بعيره على ثنية فسدّها ، فلم يقدر أحد على جوازها ، فضرب به المثل . فقيل : سد ابن بيض السبيل ، يعني الطريق . وقد أراد أن يقول كبعير ابن بيض فلم يستقم له ، فقال : كثوب .

(٢) ج ١ ص ٧١ .

(٣) عقلت فلاناً : أعطيت دينه . وجعلت الأبيات على لسان أخيها ليكون أبلغ في الحض على الأخذ بالثأر .

(٤) الإفال : جمع أَفيل ، وهو من أولاد الإبل ما بلغ سبعة أشهر. وإنما ذكر الإفال والأبكر تحقيراً لشأن الدية . صعدة : مخلاف باليمن . بيت مظلم : كانوا يعتقدون أن القتيل إذا هدر دمه ولم يثأر يبقى قبره مظلماً .

(٥) دع عنك عمراً : أي خالفه . وهل بطن عمرو ... الخ : تقصد التزهيد في أكل الدية .

فإن أنتمُ لم تثأرُوا واتَّديْتمُ ... فمَشّوْا بآذانِ النَّعامِ المُصَلَّمِ (١)

ولا تَرِدُوا إلّا فُضولَ نِسائكُمْ ... إذا ارتَمَلَتْ أعقابُهُنَّ من الدَّمِ (٢)

* * *

---

(١) المصلم : المجدع الأذنين ، وقيل الأصم . والمعنى : إن لم تقتلوا قاتلي وقبلتم ديتي فامشوا أذلاء بآذان كلها صم لا تسمع ما يقال فيكم من العار ، والنعام ليس لها آذان . وإنما تعرف ما تحتاج اليه بالشم .

(٢) يقال : ترمل وارتمل إذا تلطخ بالدم . وجعلت النساء متلطخات بدم الحيض تفظيعاً للأمر . وكان من عادتهم اذا وردوا المياه تتأخر النساء حتى تصدر الرجال فكن يغسلن أنفسهن ويتطهرن آمنات مما يزعجهن ، فمن تأخر عن الماء حتى تصدر النساء فهو الغاية في الذل . يريد : أنتم لا شرف لكم بعد أخذ الدية .

الفصل التاسع

الإنذار

ونقصد بذلك ما يقـــوله الشاعر من شعر يرسله إلى قومه ، إما بنفسه ، وإما بطريق رسول يوصله إليهم ، حينما يعلم أن أعداءهم قد عقدوا العزم على الإغارة عليهم .

وهذا الباب كذلك ، نصيبه قليل من شعر الحرب، إذ يبلغ عدد الأبيات التي قيلت فيه ٩٢ بيتاً من المجموعة المختارة التي عددها ٥٠٨٠ بيتـاً . ويظهر أن السبب في هذه القلة راجع إلى أن الغارات كانت تجهز في الخفاء ، وتحاط أخبارها بكل تحفظ وتكتم ، خشية أن يعلم بها القـوم المقصودون بالغارة . ولهذا نجد أن تسرب أخبار الغارات كان يحدث في حالات نادرة ، وفي تلك الأحوال كان الذي يقوم بتوصيلها شخص قريب للقـوم المقصودين بالهجوم ، وهو في الوقت ذاته شديد الصلة جداً بالقوم المزمعين الغارة، ويحظى بثقتهم ، ويعتقدون أنه مخلص لهم تمام الإخلاص .

وكان الشاعر في هذه المناسبة يتحدث عادة في النقط الآتية ، أو بعضها:

١ – إعداد العدو لهم :

فيذكر أن العدو يتأهب للهجوم عليهم ، فهو يعد العدة : يجمع الأبطال؛

ويهيىء الاسلحة ، وكلهم حنق وغيظ ضدهم ولا همّ لهم إلا مهاجمتهم والإيقاع بهم أشد وقيعة ، ويؤكد لهم أن الأعداء لديهم رغبة ملحّة في أسر الرجال وسبي النساء ، والسلب والنهب .

ب – شعوره نحو قومه :

ثم يصف شعوره العميق نحـو قومه ، وخوفه الشديد من أن يصيبهم مكروه ، ويتحدث عن حالته النفسية بأن ذلك يقض مضجعه ، ويسبب له الهم والقلق ، مما لا يجعله يشعر بهدوء ، وأنه يتمنى من صميم قلبه أن يفشل هذا الهجوم ، وينقلب ضد الأعداء ، فيرد كيدهم في نحورهم ، وتحيق بهم الهزيمة المنكرة بفوز قومه وانتصارهم .

جـ – نصيحته لهم :

ومن شدة إخلاصه لقومه ، يشير عليهم بما يراه نافعاً لهم في مثل هـذه الحال ، كأن ينصحهم باتحاد الكلمة ضد المعتدين ، وضم الصفوف ، ولمّ الشمل وتنبيههم إلى أنه لا ينبغي أن يلهيهم شيء من المال ، أو غيره عن الاستعداد بكل الوسائل لهزيمة الأعداء المعتدين . ويكرر وصف ما يمـلأ جوانحه من شغف واهتمام لسماع أخبار النصر الذي يفوز بـه قومه ، لكي يشفي غليله ، فيهدأ روعه وتطمئن نفسه .

د – وصف الرحلة :

وإذا قام الشاعر نفسه بإنذار قومه – وفي العادة يكون بعيـداً عنهم – فإنه يصف الرحلة التي قام بها ، وغالباً ما تكون رحـلة شاقة عنيفة يتجشم فيها الشاعر أشد الصعوبات ، لأن همه الوحيد في ذلك هو الوصول إلى قومه في أقرب وقت بأية وسيلة ، فكان يواصل السفر ليلاً ونهاراً في النـور وفي الظلام ، ولا يعطي نفسه ، ولا راحلته لحظة من الراحـة خشية أن يسبقه الأعداء ، ولذلك كان الإنسان منهم في تلك الحالة ، ربما سار في جهات نائية مجهولة . فكان الشاعر يصف لنا ما لاقاه في مثل هذه الرحلة من عناء ومشقة

ويتحدث عن سرعة ناقته ، وقوتها ، وصبرها على تحمل المتاعب والآلام ، حتى وصل إلى قومه .

وبعد أن يلتقي الفريقان ، وينتصر قوم الشاعر بسبب تنبههم إلى الخطر ، كان الشعر في تلك الحالة يتضمن – بالإضافة إلى ما سبق – النقط التالية :

هـ – مقابلة الأعداء :

فيذكر كيف خرج قومه بأبطال أقوياء أشداء ، لمفاجأة المغيرين المعتدين ، وكيف أوقعوا بهم ، وباءَ المغيرون بالفشل والهزيمة وأفدح الخسائر .

و – سروره بانتصار قومه :

فيعبر عن شعوره العميق بالفرح والابتهاج لما ناله قومه من النصر ، وهزيمة المعتدين شر هزيمة ، ويتغنى بما آلت إليه نفسه من هدوء البال ، وقرة العين.

ز – الرد على من يلومه :

وما كان المغيرون المنهزمون ليسكتوا على ما وقع بهم بسبب ما فعله من كان موضعَ ثقتهم ، فكانوا يشعرون نحوه، ولا شك، بكراهية وحقد لا حد لها ، ويطلقون العنان لألسنتهم تلومه ، وتسبه، وتهدده ، ولكنه كان يقابل ذلك بمنتهى التهكم والسخرية ، ويؤكد لهم إخلاصه لقومه . وولاءه التام لهم، وأن قومه أبقى له ، وشرفهم شرفه ، ونصرهم نصره . وأنه لن يقبل من الأعداء أن يتوقعوا منه أن يخون قومه ، ويترك عدوهم يغزوهم وكأنه لا يعلم شيئاً ، ويؤكد لهم كذلك إيمانه بأن الأعداء لن يشكروا له موقفه السلبي نحو قومه ، بل سيتخذون من ذلك مجالاً لذمه ، وفخرهم عليه . ثم يعلن في صراحة تامة أنه لن يعير وعيد الأعداء أي اهتمام ما دام قد أرضى ضميره ، وأراح نفسه .

بعض ما قيل في الانذار :

١ – كان عميرة بن طارق اليربوعي متزوجاً من بني شيبان ، وذات يوم

علم بعزمهم على غزو قومه ، فهرب إليهم وأخبرهم ، فكان السبب في هزيمة المعتدين . وكان مما قاله في ذلك (١) :

فَدَعْ ذَا ، ولكنْ غيرُه قدْ أَهمَّني أمـيرٌ أرادَ أنْ أُلامَ وَأُشْتَما
فلا تَأْمُرَنِّي يا ابنَ أَسْمَاءَ بالَّتي تُجِرُّ الْفَتى ذَا الطَّعْمِ أنْ يَتَكَلَّما (٢)
بأن تغتَرُوا قَوْمي وَأَجْلِسَ فِيكُمُ وأجعَلَ عِلْمي ظَنَّ غَيْبٍ مُرَجَّما
ولَمّا رأيتُ القَوْمَ جَدَّ نَفِيرُهُمْ دَعوتُ نَجِيِّي مُحْرِزاً وَالمثلَّما (٣)
وأعرَضَ عَنّي قَعْنَبٌ وَكَأَنَّمـا يَرَى أَهْلَ أَوْدٍ مِنْ صُدَاءَ وَسَلْهَما (٤)
فكلفتُ ما عِندي من الْهَمِّ نَاقَتِي مَخَافَةَ يَوْمٍ أنْ أُلامَ وَأَنْدَمَا
فَمَرَّتْ بِجَنْبِ الزَّوْرِ ثُمَّةَ أَصبَحَتْ وقدْ جاوَزَتْ بالأُقْحُوانَاتِ مَخْرَما
كأنَّ يَدَيْهَا إذْ أَجدَّ نَجاؤُهَـا يَدَا مُغْوِلٍ خَرْقَاءَ تُسْعِدُ مَأْتَما
تُرَائي الَّذِينَ حَوْلَهَـا وَهْيَ لُبُّهَـا
رَخِيٌّ ، وَلَا تَبْكِي لِشَجْوٍ فَتِئْلَما (٥)
وَمَرَّتْ عَلى وَحْشِيِّهَا وَتَذَكَّرَتْ نَصِيّاً وَمَاءً مِنْ عُيَيَّةَ أَسْحَما (٦)

---

(١) النقائض : ص ٥٠ .

(٢) الإجرار : أن يشق لسان الفصيل إذا أرادوا فطامه فلا يرضع . ذو الطعم : ذو الحزم والعقل .

(٣) هذان رجلان من البراجم ، وكان محرز والمثلم في بني عجل . فلما أراد أبجر أن يغزو شاورهما يستعين برأيهما .

(٤) قعنب : رجل من البراجم ، وكان ممن شاورهم فلم يشر عليه بخير . أهل أود : يربوع . صداء . في بلحرث بن كعب ، وهم إخوتهم وسلهم من خثعم . وسلهم في مذحج أيضاً .

(٥) تئلم : أراد تألم ، من الألم ، وهي لغة .

(٦) عيية وعباعب : ماءان لبني قيس بن ثعلبة ببطن فلج . النصي : نبت رطب ،

فَقامتْ عَلَيْهِ وَاسْتَقَرَّ قُرُورُها مِنَ الأَيْنِ وَالنَّكْراءِ في آلِ أَزْنَما [1]
سَأُجْشِمُهَا مِنْ رَهْبَةٍ أَنْ يَعزَّهم عَدُوٌّ مِنَ المَوْمَاةِ وَالأَمْرِ مُعْظَما
حَلَفْتُ - فَلَمْ تَأْثَمْ يَمِيني - لَأَثْأَرَنْ عَدِيّاً و نُعْمَانَ و قَيْلاً وأَيْهَما [2]
وغِلْمَتَنَا السَّاعِينَ حَوْلَ مُلَيْحَةٍ وَحَوْمَلَ في الرَّمْضَاءِ يوماً مُجَرَّما
وسُرَّتْ يَمِيني إذْ رَأَيتُ ابْنَ فَلْحَسٍ
يُجَرُّ كَمَا جَرُّوا اهَدِيَّ ابْنَ أَصْرَمَا [3]
فَأَفْلَتَ بِسطامٌ جَرِيضاً بِنَفْسِهِ وغادَرْنَ في كَرْشَاءَ لَدْناً مُقَوَّما [4]
أَثَمَّ أَخَذْتَ بَعْدَ ذَاكَ تَلُومُني
فَسائِلْ ذوي الأَحْلَامِ مَنْ كَانَ أَظْلَما

وفي قصيدة أخرى يقول [5] :

فَما ذُقْتُ طَعْمَ النَّومِ حَتَّى رَأَيْتني أُعارِضُهُمْ وِرْدَ الخِمَاسِ النَّوَاهِلِ [6]
بفِتيانِ صدقٍ فَوْقَ جُرْدٍ كَأَنهـا طَوالِبُ عِقْبانٍ عَليهـا الرَّحَائل

ومنهـا :

فَـإِنِّيَ لو أَمْهلْتُكُمْ فَغَزَوْتُمُ فَجِئتُمْ بِسَبْيٍ كَالظِّباءِ وَجَامِلِ

---

(١) القرور : القرار .
(٢) هؤلاء من بني يربوع قتلهم بنو شيبان يوم مليحة.
(٣) الهدي هنا : الجار .
(٤) جريضاً : يجرض بريقه : أي يغص به ، وذلك إذا كان في آخر رمق .
(٥) النقائض : ص ٥١ .
(٦) الخماس : الإبل التي ترد في كل خمس ، وهو أخبث الأوراد . والخمس : أن تغب ثلاثة أيام وترد في اليوم الرابع ، وتصدر في اليوم الخامس . النواهل هنا : العطاش .

وَهبْتُ بِأَلَّا تَشْكُروا لِي وَتَفْخَرُوا   عَلَيَّ إِذَا نَازَلْتُكُمْ بِالْمَنَـــازِلِ
فَأَهْوِنْ عَلَيَّ بِالْوَعيـــدِ وَأَهْلِهِ   إِذا حَلَّ بيتي بَيْنَ شِرْكٍ وَعَاقِلِ

٢ – وكان لقيط بن يعمر الإيادي في ديوان كسرى ، فعلم أنــه مجمع على غزو إياد . فكتب إليهم شعراً ينذرهم به ، فوقع الكتاب بيـــد كسرى ، فقطع لسان لقيط ، وغزا إياداً ، فما كتبه لقيط في ذلك قوله (١) :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمزجِي مَطِيَّتَهُ   إِلى الجَزِيرَةِ مُرْتاداً وَمُنتَجِعا (٢)
أَبلغْ إِياداً وَخَلِّـــلْ في سَرَاتِهِمُ   أَني أَرَى الرَّأيَ، إِنْ لَمْ أُعْصَ، قَدْ نَصَعَا (٣)
يا لَهفَ نَفْسِيَ إِنْ كانتْ أُمورُكُمُ   شَتَّى وَأُحكِمَ أَمْرُ النَّاسِ فَاجْتَمَعا
إِني أَراكُمْ وَأَرْضاً تُعْجَبُون بِهـــا   مِثلَ السَّفِينَةِ تَغْشَى الوَعْثَ وَالطَّبَعَا (٤)
أَلاَ تخافُونَ قَوْمـــاً لَا أَبَالَكُمُ   أَمْسَوْا إِلَيْكُمْ كَأَمْثالِ الدَّبا سِرَعا (٥)

---

(١) مختارات ابن الشجري ، قصيدة رقم ١ .
(٢) الارتياد والنجعة : طلب الكلأ .
(٣) التخليل : التخصيص ، من خلل المطر إذا خص ولم يكن عاماً . والسراة : جمع سري وهو الشريف .
(٤) تعجبون بها : تسرون وتزهون . الوعث : الأرض المسترخية الرطبـــة . والطبع : الوسخ ، ومراده هنا الغشاء والكدر .
(٥) الدبا : أصغر مـــا يكون من الجراد ، والنمـــل . السرع ، بفتح السين وكسرها : ضد البطء .

أبناءُ قومٍ تآوَوْكُمْ على حَنَقٍ لا يَشْعُرونَ أضَرَّ اللهُ أمْ نَفَعا
أحرارُ فَارِسَ أبناءُ الملوكِ لَهُمْ مِنَ الجموعِ جموعٌ تَزْدهي القَلَعا[1]
فَهُمْ سِراعٌ إليكُمْ : بَيْنَ مُلْتَقِطٍ
شَوْكاً ، وآخَرَ ، يَجْني الصَّابَ والسَّلَعا[2]
لو أنَّ جَمْعَهُمُ راموا بِهَدَّتِهِ
شُمَّ الشماريخِ مِن ثَهْلانَ لانْصَدَعا[3]
في كلِّ يومٍ يَسُنُّونَ الحِرابَ لَكُمْ لا يَهْجَعُونَ إذا ما غافِلٌ هَجَعا
خُزْرٌ عيونُهُمُ كَأنَّ لَحْظَهُمُ حريقُ غابٍ تَرَى مِنْهُ السَّنا قِطَعا[4]
لا الحَرْثُ يَشْغَلُهُمْ ، بَلْ لا يَرَوْنَ لَهُمْ
مِنْ دُونِ بَيْضَتِكُمْ رِيّاً وَلا شِبَعا[5]
وأنتُمُ تَحْرُثُونَ الأرْضَ عَنْ سَفَهٍ في كلِّ مُعْتَمَلٍ تَبْغُونَ مُزْدَرَعا
وتُلْقِحُونَ حِيالَ الشَّوْلِ آوِنَةً وَتُنْتِجُونَ بِدارِ القُلْعَةِ الرُّبَعا[6]

---

(١) ازدهيت فلاناً : تهاونت به . القلع : السحاب العظيم .
(٢) الصاب والسلع : شجران مران ، كني بهما عن السلاح .
(٣) الهدة : الصوت الشديد ، تسمعه من سقوط ركن أو حائط ، أو ناحية جبل ، وهي الجلبة ، يريد كثرة عددهم . الشماريخ : جمع شمراخ بكسر الشين ، وهي رؤوس الجبال . ثهلان : جبل يضرب به المثل في العلو . انصدع : انشق .
(٤) الخزر : كسر العين بصرها . الغاب : جمع غابة وهي الأجمة ذات الشجر المتكاثف .
(٥) البيضة هنا : كناية عن عقر الدار ومحلة القوم .
(٦) الحيال : جمع حائل وهي غير الحامل . والشول : جمع شائل ، وهي الناقة التي ترفع ذنبها للفحل تطلب اللقاح . القلعة : مكان غير مستوطن . والقوم على قلعة : أي على رحلة . الربع : الفصيل ينتج في الربيع ، وهو أول النتاج ،

وتَلْبَسُونَ ثيابَ الأمِنْ ضاحيةً لا تفزعون وهذا الليثُ قدْ جمعا
وقدْ أظلَّكمُ مِنْ شطرِ ثغرِكُمُ هولٌ لَهُ ظُلَم تغشاكُمْ قِطَعا
مالي أراكُمْ نياماً في بُلَهْنِيَةٍ
وقد ترونَ شِهابَ الحرْبِ قدْ سَطَعا[1]
فاشفُوا غَلِيلي برأيٍ منكُمُ حَصِدٍ يُصبحْ فؤادِي لَهُ رَيَّانَ قدْ نقعا[2]
ولا تكونوا كمَنْ قدْ باتَ مُكْتَنِعاً
إذا يقالُ له افرُجْ غُمّةً كَنَعا[3]
يَسعَى ويَحْسبُ أن المالَ مُخْلِدُهُ إذَا اسْتَفَادَ طَرِيفاً زادَهُ طمعا
فاقْنُوا جيادَكُمُ واحْمُوا ذِمارَكُمُ
واسْتَشْعِروا الصَّبْرَ لا تَسْتَشْعِروا الجَزَعا[4]
ولا يَدَعْ بَعْضُكُمْ بَعضاً لنائبَةٍ كما تَرَكْتُمْ بأعلَى بيشَةَ النَّخَعَا[5]
صُونوا جيادَكُمُ واجْلُوا سيوفَكُمُ
وجَدِّدوا لِلْقِسِيِّ النَّبلَ والشَّرَعا[6]

---

(١) البلهنية : العيش اللين .

(٢) حصد : محكم . نقع الماء الغليل : شفاه .

(٣) المكتنع : القريب منك دنواً . كنع : جبن وهرب .

(٤) اقنوا جيادكم : اتخذوها لأنفسكم قنية للنسل لا للبيع . الذمار : ما يجب عليك حفظه والدفاع عنه .

(٥) بيشة : اسم قرية غناء في واد كثير الأهل باليمن . النخع : قبيلة من الأزد وقيل من اليمن .

(٦) الشرع بفتح الشين وكسرها الوتر الرقيق .

أذْكُوا العُيونَ وَراءَ السَّرْحِ وَاحْتَرِسُوا

حَتى تُرَى الْخيلُ مِنْ تَعْدائِها رُجعا [1]

واشرُوا تِلادكُمُ في حِرْزِ أنْفسُكُمْ

وحِرزِ أَهْلِكُمُ لا تَهْلكُوا هَلَعا [2]

فَإن غُلبتُمْ عَلَى ضَنٍّ بدارِكُمُ فقد لَقيتُمْ بأمْرِ الْحَازِمِ الفَزَعا

لا تُلْهِكُمْ إبـــلٌ، ليسَتْ لَكُمْ إبلٌ!

إن العَدُوَّ بعَظْمٍ منْكُمُ قَرَعا [3]

لا تُثمِروا المــالَ للأعداء إنهمُ

إن يَظْهَروا يَحْتَووكُمْ والتِّلادَ مَعَا [4]

هَيْهاتَ لَا مالَ مِنْ زَرْعٍ وَلَا إبـــلِ

يُرجَى لغابِرِكُمْ إنْ أنْفكُمْ جُدِعَا [5]

واللهِ ما انفَكَّتِ الأموالُ مُذْ أبَدٍ لأهْلِهَـــا إنْ أُصِيبُوا مَرَّةً تَبعَا

يا قَومِ إنَّ لكمْ مِنْ إرْثِ أوَّلِكُمْ مَجْداً قَدِ اشْفَقْتُ أنْ يَفْنَى وَيَنْقَطِعا

---

(١) أذكوا العيون: أرسلوا الطلائع لكشف العدو. السرح: شجر كبار عظام طوال. التعداء: العدو. رجعا: من الرجع وهو ترجيع الدابة يديها في السير.

(٢) شرى: ضد باع. الحرز: المكان. يقصد صونوا دياركم في قلوبكم، ودافعوا عنهـا وضنوا بها على الأعداء. الهلع: الجزع.

(٣) قرع العظم: كناية عن الإصابة في الصميم.

(٤) يحتووكم: يستولوا عليكم.

(٥) الغابر: من الأضداد ومعناه هنا الآتي. الجدع: القطع. وجـدع الأنف كناية عن الإذلال.

ماذا يَردُّ عليكم عِزّ أوّلكُم إن ضاع آخره أو ذلّ واتضعا
يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غُيُراً على نسائكم كسرى وما جمعا [1]
يا قوم بيضتكم لا تفجعنّ بها إني أخافُ عليها الأزلم الجذعا [2]
هو الجلاء الذي يجتثُّ أصلكم فمن رأى مثل ذا رأياً ومن سمعا
قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم
ثم افزعوا ، قد ينال الأمن من فزعا [3]
وقلّدوا أمركم ، لله دركم
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا [4]
لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عضّ مكروه به خشعا [5]
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه همٌّ يكاد سناه يقصم الضلعا [6]
مسهّد النوم تعنيه أموركم يروم منها إلى الأعداء مطّلعا [7]
ما انفكّ يحلب هذا الدهر أشطره يكون متّبعاً طوراً ومتّبعا [8]

---

(١) الغير : جمع غيور .
(٢) الأزلم الجذع : الدهر لأنه جديد أبداً . ويريد منه هنا كسرى .
(٣) الأمشاط : جمع مشط وهي سلاميات ظهر القدم ، والسلاميات : عظام الأصابع واحدتها سلامى .
(٤) الدر : اللبن ، ولله دره : دعاء بكثرة الخير . فلان يضطلع بكذا : تقوى أضلاعه على حمله .
(٥) المترف : من الترفة : وهي النعمة . وأترفته النعمة : أطغته . خشع : خضع وذل .
(٦) الريث : الإبطاء ، والمقصود أنه لا ينام إلا بمقدار ما يدعى فيجيب . قصم الشيء : كسره . الضلع بوزن عنب : واحد الضلوع .
(٧) السهاد : الأرق . المطلع بالتشديد : الموضع الذي تشرف منه على الشيء .
(٨) حلب فلان الدهر أشطره : مرت عليه ضروب من خيره وشره ؛ وأصل ذلك من أخلاف الناقة ، لها خلفان آخران ، فكل خلفين شطر .

حتى استمرَّتْ على شَزْرٍ مَرِيرَتُـــهُ
مُسْتحكِمِ الرَّأْيِ لا قَحْماً وَلَا ضَرَعا [1]

وليسَ يَشغَلُهُ مَـــالٌ يُثَمِّرُهُ
عنكُمْ وَلا وَلَدٌ يَبْغِي لَهُ الرِّفَعا [2]

كمَالِكِ بنِ قَنَانٍ أوْ كَصَاحِبِهِ
عَمْرِو القَنَا يَوْمَ لَاقَى الحَارِثَيْنِ مَعا

إذْ عَابَهُ عَائِبٌ يوماً فقالَ لَهُ
دَمِّثْ لجَنْبِكَ قَبلَ اللَّيْلِ مُضْطَجَعَا [3]

فَشاوَرُوهُ فَأَلْفَوْهُ أَخَـــا عَلَلٍ
في الحربِ لا عاجِزاً نِكْساً وَلَا وَرَعا [4]

لقد بذَلْتُ لَكُم نُصْحِي بِلَا دَخَلٍ
فَاستيقِظُوا، إنَّ خَيْرَ العِلْمِ مَا نَفَعَا [5]

هَذَا كِتَابِي إلَيكُمْ والنَّذِيرُ لَكُمْ
لِمَنْ رَأَى رَأْيَهُ مِنْكُمْ وَمَنْ سَمِعَا

---

(١) الشزر: فتل الحبل مما يلي اليسار، وذلك أشد لفتله. المريرة: من إمرار الحبل أي شدة فتله، والمراد استحكم أمره، وقويت شكيمته. القحم: الشيخ الهرم. الضرع: الرجل الضعيف.

(٢) الرفع: جمع رفعة، وهي ضد الضعة.

(٣) دمث الشيء: مرسه حتى يلين. هذا الشطر مثل يضرب لأخــذ الأهبة والاستعداد للأمر قبل وقوعه.

(٤) العلل: الشرب بعد الشرب، وهو هنا مجاز، ومعناه أنه لا يسأم الحرب. النكس: الضعيف. والورع: الجامع للنقائض من جبن، وصغر نفس، وضعف في الرأي والعقل والبدن.

(٥) الدخل هنا: الغش.

الفصل العاشر

النصح والتحذير

ونعني بهذا الشعرَ الذي وُجِّه إلى قوم تربطهم بقـــوم الشاعر صلة ، من قرابة ، أو عهد ، أو تحالف ، أو معرفـة ، عندما تظهر منهم نية الإساءة إلى قوم الشاعر ، أو تكون الإساءة على وشك الوقوع ، فينبههم الشاعر إلى مغبة ذلك . وينصحهم إلى الصواب، خشية حدوث ما لا تحمد عقباه. وقـد بلغ مجموع ما قيل في هذا الموضوع ٢٩٠ بيتاً من مجمـــوع ما اخترناه من شعر الحرب في العصر الجاهلي .

ويلاحظ أن الشعراء هنا . كانوا يتبعون نصحهم بتحذير ، قد يكون عنيفاً في بعض الأحيـــان ، يكاد يصل إلى الوعيد والتهديد . كأن الشاعر منهم كان يقصد أن ينبه المسيئين إلى أنهم إن لم يرجعوا إلى الطريق السوي ، فسوف يلجئهم قومه إلى ذلك بالقوة والعنف ، وعلى العموم كان الشاعر في مجال النصح والتحذير يتحدث في قصيدته عن النقط الآتية ، أو بعضها :

١ – السيئة :

وذلك مثل :

(أ) إثارة الخلاف بين الأقارب ، بعضهم وبعض ، أو العمل على إذكاء

العداوة أو الحقد والبغضاء بينهم ، أو محاولة فريق منهم ظلم فريق آخر . أو معاملتهم معاملة تتنافى مع العدل والإنصاف ، ولا ترعى ما لصلة القرابة من حقوق وواجبات .

(ب) تدبير المخاطبين هجوماً على قوم الشاعر طمعاً في أموالهم ، ظانين فيهم الضعف أو النقص الحربي ، أو عدم وقوف أحد من حلفائهم بجانبهم .

(حـ) محاولة الهجوم على الجار أو الاعتداء على أحد الموالي .

(ى) نقض العهد وعدم الوفاء بما كان بينهم وبين قوم الشاعر من ميثاق .

٢ – الدعوة إلى الحق والانصاف :

وهنا كان الشاعر يدعو القوم إلى استعمال العقل والحكمة ، والتدبر في عواقب الأمور ، واحترام الحقوق ، ومراعاة الواجبات .

فمثلا في حالة النزاع بين الأقارب ، يوجه الشاعر نظرهم إلى مراعاة حرمة القرابة وصلة الرحم ، ويحثهم على المحافظة على جمع الكلمة ، ولم الشمل ، وعدم إحداث الفرقة بين الأهل والأقارب ، فهم من نسب واحد ، وأصل واحد لا يعلو أحدهم على الآخر ، فلا ينبغي أن يتعالى فريق على فريق ، أو يهلك بعضهم بعضاً ، بتكسير رماحهم في صدورهم أنفسهم .

وفي حالة الاستعداد للهجوم ، ينصح الشاعر الخصم بأن يتريث ، ويتمهل ، ولا يتعجل ، وإلا فسيرى كذب ما بلغه عن ضعفهم ، ويؤكد له أن القوم على خلاف ما يظن ، فخير له أن يكون عاقلا ، وأن يعلم أنهم جميعاً سواء في الحاجة إلى السلم .

وعند محاولة الاعتداء على من تربطهم بقوم الشاعر صلة كالجار أو المولى يوجه الشاعر نظر المعتدين إلى زجر أنفسهم عن الجور والطغيان ، واتباع الحق ، والعدل ، لأن هؤلاء يتبعون القبيلة ، ولهم ما لأفرادها من حقوق وواجبات .

أما إذا نقضوا الميثاق ، فإن الشاعر يبين لهم قبح هذا العمل ، ويحثهم على المحافظة على العهود والمواثيق ، ويحذرهم سوء مغبة الخروج عليها ، أو نقضها ويؤكد لهم أنهم جميعاً متساوون في الحاجة إلى ذلك ، فخير لهم أن يثوبوا إلى رشدهم ، ويراعوا ما فيه خيرهم وصلاحهم .

٣ — التحذير :

ودفعاً لما عسى أن يتوهمه الخصم من ضعف الشاعر وقومه . فإن الشعراء كانوا يتبعون نصحهم بتحذير للقوم ينبهونهم فيه إلى سوء العاقبة إن لم يرجعوا بأنفسهم إلى الصواب . فكان الشاعر في هذا المجال ، يبين لهم مدى استعداد قومه الحربي ، من أبطال شجعان ، وخيل جياد ، وأسلحة مرهفة ، ومعدات كاملة ثم يسرد أمجاد قومه ومآثرهم الحربية ، فيذكر ما كان لهم من أيام انتصروا فيها . وأنزلوا بالمعتدين شر هزيمة ، مما يبرهن أنهم ما كانوا ، ولن يكونوا ، في يوم من الأيام ، طعمة لآكل ، أو غنيمة لناهب .

وقد يلفت الشاعر نظر الخصم إلى العواقب الوخيمة التي حاقت بالمعتدين من أمثالهم في حوادث تاريخية مشهورة . كما قال عبدالله بن عنمة [1] :

وَلا تَكُونَنْ كَمُجْرِي دَاحِسٍ لَكُمُ
فِي غَطَفَانَ غَدَاةَ الشِّعْبِ عُرْقُوب

وهنا يذكّر الشاعر بأن البصير العاقل هو من يعتبر بحوادث التاريخ ، ويتخذ منها نوراً يهديه في تفكيره وسلوكه ، فالتاريخ يعيد نفسه ، وإن اختلفت الأمكنة والعصور .

وقد يذكر الشاعر شيئاً من مخازي الخصم ، وما لحقهم من هزائم في الحروب وكثيراً ما يختم الشاعر قصيدته بأنه قد أبرأ ذمته ، إذ أنه وضّح

(١) المفضليات : ص ٧٤٩ بيت ٥ .

الطريق ، ووجّه خصمه وجهة الحق والرشاد ، فعاقبة عمله ستكون تبعتها عليه وحده ، وقد أعذر من أنذر . قال عامر بن الطفيل :

لقدْ كَانَ فِيما خَلا عِبْرَةٌ وَبالْعِلْم يعْتبِرُ الْمُبْصِرُ
يُــلامُ المفَرِّطُ في أمرِه إذا اصرَّح الأَمْرُ للمُعذِرِ [1]

نماذج شعرية :

١ - قال زهير بن أبي سلمى لبني سليم ، وقد بلغه أنهم يريدون الإغارة على غطفان [2] :

رأيْتُ بَني آلِ امْرِيءِ القَيسِ أصْفَقُوا
عَلَيْنا ، وقالوا إنَّنَــا نَحْنُ أكْثَر
سُلَيم بْن مَنْصُورٍ وَأفْنَاءَ عامِرٍ وَسَعد بْن بكرٍ والنَّصُورُ وأعصُرُ
خُذوا حَظَّكُمْ يا آلَ عِكْرِمَ واذكُرُوا
أواصِرَنَا والرَّحْمُ بالغَيْب تُذْكَر
وَإنَّا وَإياكُمْ إلى ما نَسُومُكُمْ لِمَثلانِ ، أوْ أنتُمْ إلَى الصُّلْحِ أفقَر
إذا مَا سَمِعنَا صَارخاً مَعَجَتْ بِنَا إلى صَوتِهِ وُرْقُ المرَاكِلِ ضُمَّر
وإنْ شُلَّ رَيْعَانُ الجميع مَخافَةً نَقولُ جِهاراً: وَيْلكُمْ لا تُنَفِّرُوا
عَلَى رِسْلكُمْ إنَّا سَنَعْدِي وَراءَكُمْ فَتَمنَعكُمْ أرْمَاحُنَا ، أو سَنُعْذَر

---

(١) ديوانه : ص ١٢٤ البيتان ١١ - ١٢ ؛ والمفرط : المضيع ، يقال : فرط في أمره : ضيعه ، إذا جاوز المقدار .

(٢) العقد الثمين : ديوان زهير ؛ قصيدة رقم ٦ .

٢ - وقال بشر بن أبي خازم ينصح بني سعد ومواليهم أن يعتصموا بالصلح [١] :

أَلَا أَبْلِغْ بَنِي سَعْدٍ رَسُولاً ... ومولاهمْ فقد حُلِبتْ صُرَام [٢]
نَسُومُكُمُ الرَّشَادَ ونحن قوم ... لِتارِكِ وُدِّنا في الحربِ ذَام [٣]
فإذْ صِفِرَتْ عِيَابُ الوُدِّ منكمْ ... ولم يكُ بيننا فيها ذِمام [٤]
فإن الجِزْعَ جِزْعَ عُرَيْتِنَاتٍ ... وبُرْقَةَ عَيْهَمٍ منكُمْ حَرام [٥]
سَنَمْنَعُها وإن كانت بلاداً ... بها تَرْبُو الخَوَاصِرُ والسَّنَام [٦]
بها قَرَّتْ لَبونُ الناسِ عيناً ... وحَلَّ بها عَزَالِيَهَا الغَمامُ [٧]
وغَيثٍ أَحْجَمَ الرُّوادُ عنـــه ... به نَفَـــلٌ وحَوْذانٌ تُؤَامُ [٨]
تَغَالَى نَبْتُـــهُ وَاعْتَمَّ حتى ... كأن مَنَابِتَ العَلَجَانِ شَامُ [٩]

---

(١) المفضليات : ٦٥٣ .

(٢) الصرام : آخر اللبن ، إذا احتاج إليه الرجل وجهد، حلبه ؛ جعله مثلاً للحرب وجعل اللفظ علماً عليها .

(٣) نسومكم : نريد منكم . الذام : العيب .

(٤) صفرت : خلت . العياب : جمع عيبة ، وهي ما يجعل فيه الثياب . وأراد بعياب الود القلوب . الذمام : ما يحافظ عليه الإنسان ويعنى به .

(٥) الجزع ، بكسر الجيم : جانب الوادي. عريتنات : واد. البرقة : الرملة يخلطها حصى. عيهم : مكان . يقصد إذا لم يكن بيننا وبينكم ود فسنمنعكم الرعي في هذه المواضع .

(٦) تربو : تعظم وتنتفخ ، أي الإبل وأنها تسمن بها .

(٧) اللبون : ذات اللبن . العزالي : جمـــع عزلاء ، وهو فم المزادة الأسفل حيث تربط . يقال للسحابة إذا انهمرت بالمطر « حلت عزاليها » . الغمام : جمع غمامة .

(٨) أحجم الرواد عنه : ابتعدوا لمنع أهله وحمايتهم إياه . النفـــل والحوذان : نوعان من النبت . تؤام : ينبت ثنتين ثنتين لكثرة الغيث .

(٩) تغالى : طال وكثر . اعتم : التف . العلجان : نبت . شام : ظاهر كثير ؛ جمع شامة؛ فهو من سواده وكثرته كأنه شام .

أَبَحْنَاهُ بحيٍّ ذي حِلَال إذا مَا رِيعَ سَرْبُهُمُ أقامُوا [1]
وما يَنْدُوهُمُ النّادي ولكنْ بكل مَحَلّةٍ مِنهمْ فِئَـــامِ [2]
وما تَسْعَى رِجالُهُمُ ، ولكن فُضولُ الخَيلِ مُلْجَمَةٌ صِيامِ [3]

٣ — وقال الأعشى ، ينصح يزيد بن مُسْهِر الشيباني [4] :

أَبلغْ يَزِيدَ بني شَيبانَ مَأْلُكَةً
أبا ثُبيتٍ ، أَمَا تَنفَكُّ تَأْتكِلُ [5]

أَلستَ مُنتَهِياً عن نَحْتِ أَثْلَتِنَا وَلَستَ ضَائِرَهَا مَا أَطَّتِ الإِبِلُ [6]
تُغْرِي بِنا رَهْطَ مَسعُودٍ وإِخوَتَهُ عِندَ اللقاءِ فَتُرْدِي ثُمَّ تَعتَزِلُ [7]

لأَعرِفَنَّكَ إِنْ جَـــدَّ النَّفِيرُ بِنا
وشُبَّتِ الحَربُ بالطوّافِ وَاحتَمَلُوا [8]

كَناطِحٍ صَخْرَةً يَوماً لِيَفْلِقَهَا فلم يَضِرْهَا ، وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ

---

(١) أبحناه : جعلناه مباحاً . الحلال : الجماعات من البيوت ، واحدتها حلة . ريع : أفزع. سربهم : إبلهم . أي إذا فزعت إبلهم أقاموا لعزهم .

(٢) ما يندوهم النادي : ما يسعهم المجلس لكثرتهم . الفئام : الجماعات .

(٣) ما تسعى رجالهم : أي لا يمشون على أرجلهم ، ولكن لهم فضول خيـــل يركبونها . الصائم من الخيل : القائم الساكت الذي لا يطعم شيئاً .

(٤) ديوانه ، قصيدته رقم ٦ من البيت ٤٥ .

(٥) مألكة : رسالة . الائتكال : السعي بالشر والفساد .

(٦) الأثلة : شجرة ، يقصد أصله ومجده . أطت الإبل : أنّت تعباً وحنيناً .

(٧) اللقاء هنا : القتال . أرداه : أوقعه في الردى والهلاك .

(٨) الطواف : الذين يطوفون ، من قولهم : طوف النـــاس والجراد : أي ملأوا الأرض كالطوفان . احتملوا : صبروا على الشدة .

تُلْزِمُ أَرماحَ ذِي الجَدَّيْنِ سَوْرَتَنــا
عِنْدَ اللقــاءِ فَتُرْدِيهِمْ وَتَعْتَزِل [1]

لا تَقْعُدَنَّ وَقَدْ أَكَّلْتَها حَطَباً تَعُوذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْماً وَتَبْتَهِل

قَدْ كَانَ في أهل كَهْفٍ إنْ هُمُوا قَعَدُوا
والجــاشِريَّةِ مَنْ يَسْعَى وَيَنْتَضِل [2]

سَائِلْ بني أَسدٍ عَنّا فَقَــدْ عَلِمُوا
أَنْ سَوْفَ يَأْتِيكَ مِنْ أَنبائِنا شَكَل [3]

واسْأَل قُشَيراً وَعَبدَاللهِ كُلَّهُمُ وَاسأَلْ رَبِيعَةَ عَنّا كيفَ نَفْتَعِل

إِنّا نُقاتِلُهُمْ حَتّى نُقتِّلَهُمْ عِندَ اللِّقاءِ،وَهُمْ جارُوا وَهُمْ جهِلوا

كَــلا زَعَمْتُمْ بِأَنّا لا نُقاتِلُكُمْ إنا لِأَمثالِكُمْ يا قَوْمَنا قُتُل

حَتّى يَظَلَّ عَميدُ القومِ مُتَّكِئاً يَدْفَع بالرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةٌ عُجُل [4]

أَصابَهُ هُندُواني فَأَقْصَــدَهُ أو ذابِلٌ من رِمَاحِ الخَطِّ مُعْتَدِل [5]

---

(١) السورة : حدة الغضب . ذو الجدين : قيس بن مسعود ، من أشراف العرب .

(٢) كهف : من بني سعد بن مــالك . الجاشرية : امرأة من إياد . يقصد أحلافهم من بني سعد وإياد . ينتضل : ماهر في النضال .

(٣) شكل : أزواج : خبر بعد خبر .

(٤) عميد القوم : سيدهم . الراح : جمع راحــة ، وهي بطن اليد . عجل : جمع عجول (بفتح العين) وهي المرأة الثكلى .

(٥) هندواني : سيف منسوب الى الهند . أقصده : أصابه فلم يخطئه .

قَــدْ نَخضِبُ العَيرَ مِن مَكْنون فائِله
وقَد يَشيطُ عَلى أَرْماحِنَـــا البَطَل [1]

هَـــلْ تنتَهُونَ ؟ ولاَ يَنْهَى ذَوي شَطَط
كالطَّعْنِ يَذْهبُ فيه الزيتُ والفُتُل [2]

إني لعَمرُ الذي خَطَّتْ مَناسِمُهـــا
تَخْدي وَسِيقَ إليـــهِ الباقِرُ الغُيُلُ [3]

لئن قتلْتُمْ عَميداً لَمْ يَكُنْ صَدَداً لَنقتُلَنْ مِثلَهُ مِنْكُمْ فنَمْتَثِلُ [4]
لئن مُنيتَ بنا عَنْ غِبِّ مَعرَكَة لَمْ تُلْفِنا مِنْ دِمَاء القَوم نَنْتَفل [5]
نَحنُ الفوارسُ يَوْمَ العَيْنِ ضَاحيةً جَنْبَيْ فُطَيْمَةَ لا مِيلٌ ولاَ عُزُلُ [6]
قالوا الرّكُوب ! فقلْنا: تِلْكَ عَادَتُنا أو تنزِلونَ فإنّا مَعْشَرٌ نُزُلُ

---

(١) العير : حمار الوحش . الفائل : عرق يجري من الجوف الى الفخذ ، ومكنون الفائل : هو الدم . يشيط : يهلك .

(٢) الشطط : الغلو ومجاوزة الحد . يذهب فيه الزيت والفتل ؛ لأن الطعنة غائرة .

(٣) خطت : شقت التراب . المناسم : جمع منسم وهو طرف الخف . تخدي : تسرع في السير مع اضطراب . الباقر : جمع بقرة . الغيـــل : جمع غيول (بفتح الغين) وهو الكثير من الإبل والبقر ونحوها . يقسم بالبيت الحرام الذي تهوي اليه الإبل من كل صوب ، وبما يساق اليه من قرابين البقر الكثير .

(٤) صدداً : مماثلا ، أو قريباً منه . نمتثل : نختار الأمثل والأحسن .

(٥) مُني به : ابتلي به . غب : عقب . ننتفل : ننتفي ، أي لا نجد دماء قومك ونتركها هرباً من القتال .

(٦) فطيمة : من بني سعد بن قيس ، كانت عند رجل من بني سيار ، وله امرأة غيرها من قومه ، فتغايرتا ، فعمدت السيارية فحلقت ذوائب فطيمة ، فهاج الحيان واقتتلوا ، وانتصر بنو سعد قوم الأعشى . ضاحية : علانية في وضح النهار .

الفصل الحادي عشر

متنوّعات

بجانب الأغراض التي مر الحديث عنها في الفصول السابقة ، نجد في مجموعتنا الشعرية المختارة بعض مقطوعات شعرية تعبر عن أغراض أخرى غير الأغراض المتقدمة . ولكن ما قيل في كلٍّ قليلٌ لا يستحق أن يكون له فصل خاص ، فجمعناها كلها في هذا الفصل . وأهم ما استلفت نظرنا من هذه الأغراض ما يأتي : —

١ — الوصية الحربية :

كثيراً ما كان الرجل يوصي أبناءه ، قبل مماته ، بوصايا عامة ، تعبّر عن آرائه في الحياة ، نتيجة لخبرته الطويلة ، وينصحهم باتباعها لاعتقاده أنهم بذلك ينالون الخير والمجد ، ويصبحون موضع الثناء والإجلال .

وكانت الوصايا ، عادة ، لا تخلو من بعض التوجيهات الحربية ، كأن ينصح الشخص أولاده بملاقاة الأبطال بقوة وشجاعة وثبات ، ومهاجمتهم بعزيمة وشدة ، والصبر على شدائد الحرب وويلاتها . من ذلك مثلاً ما يقوله ذو الأصبع المدواني في إحدى وصاياه [١] :

---

(١) شعراء النصرانية ؛ ص ٦٣٣ .

وَإِذَا القُرُومُ تَخَـــاطَرَتْ ... يَوْماً وَأَرْعَدَتِ الخَصِيلا [1]
فاهْصُر كَهَصْرِ اللَّيثِ خَضَّـ ... ـبَ مِنْ فَرِيسَتِه التَّلِيلا [2]
وانزِل إلَى الهَيجَـــا إذَا ... أَبْطَالُهـــا كَرِهُوا النزولا

٢ – صنع الجميل وشكره :

وقـــد كان صنع الجميل في الحروب من الصفات المحبوبة لدى العرب في الجاهلية، يحمده جميع الناس، ويثنون على صاحبه لفعله الخير ، كما كان الإنسان يُلام إذا لم يصنع الجميل مع القدرة عليه . لذلك كان البطل الشهم يسارع إلى القيام به ، حباً في ذلك ، أو خشية العتاب واللوم . من ذلك مثلاً ما يروى لمعقل بن عامر الأسدي في يوم شعب جبلة ، وكان قد مرّ على ابن حسحاس ابن وهب ، وقـــد استلحم ، فاحتمله إلى رحله وداواه ، حتى برىء ، ثم كساه وأوصله إلى أهله ، فقال [3] :

يَدَيْتُ عَلى ابنِ حَسْحَاسِ بْنِ وَهْبٍ
بأسفلِ ذي الجِذَاةِ ، يَـــدَ الكَرِيمِ [4]
قَصَرْتُ لهُ مِنَ الحَمَّاءِ لمَّـا ... شَهِدْتُ، وغابَ عنْدارِ الحَمِيمِ [5]

---

(١) القروم : جمع قرم ، وهو الفحل والسيد . يقصد الأبطـــال . الخضيل : لحم الفخذين والعضدين والذراعين .

(٢) الهصر : الجذب والإمالة والكسر . التليل : العنق ، جمعه أَتلئة (بفتح الهمزة وكسر التاء وتشديد اللام) . وتُلُل (بضم التاء واللام) ؛ وتلائل .

(٣) ديوان الحماسة ج ١ ، ص ٥٨ – ٥٩ .

(٤) يديت وأيديت ، بمعنى واحد : أي أنعمت . واليد : النعمة . ذو الجذاة : موضع .

(٥) قصرت له : حبست لأجـــله . الحماء : اسم فرسه ، أي حبست عليه فرسي فأردفته خلفي . ومفعول « شهدت » محذوف لأمن اللبس أي لمـــا شهدته ، أو شهدت حاله . غاب عن دار الحميم : لم يجد من يحميه في ذلك الوقت .

أُنبئهُ بـــأنَّ الجرحَ يُشْوِي ... وأنكَ فوقَ عِجْلزةٍ جَمُوم (١)
ولو أنّي أشاءُ لَكُنْتُ منْـــهُ ... مَكانَ الفَرْقَدَيْنِ مِنَ النُّجُوم
ذَكَرْتُ تَعِلَّةَ الفِتْيانِ يَوْماً ... وإلْحاقَ المَلامـــةِ بالمُليم (٢)

وكان صنع الجميل ، في العادة ، مما يُحفَظ لصاحبه ، ويستحق عليـــه الشكر والثناء من ذلك ما حدث يوم الوتدات ، وقد كان لبني نهشل على بني هلال وناس من بني عامر . وكان ممن شهد هذا اليوم طفيل الغنوي ، فاستجار عصمةَ بن سنان بن خالد بن منقر ، فأجاره ، فنجا طفيل الغنوي يومئذ ، فقال :

عُصَيمَةُ أَجْزِيهِ ، بِما قَدَّمَتْ لَهُ ... يَدَاهُ وإلاَّ أَجْزِهِ السَّعْيَ أكْفُرِ
تَدارَكَنِي ، وَقَدْ بَرِمْتُ بِحِيلَتِي ... بِحَبْلِ امْرِيءٍ إنْ يُورِدِ الجَارُ يُصدر
أفدّي بِأُمِّيَ الحِصَانِ وَقَدْ بَدَتْ ... مِنَ الوَتِدَاتِ لِي حِبَالُ مُعَيِّر (٣)

وفي يوم ذي طلوح أُسر عبدالله بن عتمة الضبي ، فافتكه متمم بن نويرة ، فقال عبدالله يتشكر لمتمم (٤) :

جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ عَنِّي مُتَمِّماً ... بِخَيرِ الجَزاءِ مَا أَعَفَّ وأَمْجَدَا

---

(١) يشوي : من أشواه اذا أخطأه ، ولم يصب المقتـــل . العجلزة : الصلبة . الجموم : الذي لا ينقطع جريه .

(٢) تعلة الفتيان : حديثهم الذي يتعللون به ، فيقولون : أحسن فـــلان ، وأساء فلان . الملم : الذي يفعل ما يلام عليه . والمعنى : علمت أن فعلي سيذكر ، ويقال فيه الشعر ، فيتغنى به ، ويعلل بعض الناس به بعضاً ، فاخترت الثناء الحسن . وتجنبت الذي ألام عليه من أن أسلم ابن الحسحاس للمهالك .

(٣) ديوان طفيل الغنوي ص ٦٩ ، قصيدة ١٩ ، بيت ١ – ٣ .

(٤) النقائض ، ص ٥٨ .

كأنِّي غَدَاةَ الصَّمْدِ حِينَ دَعَوْتَهُ ... تَفَرَّعْتُ حِصْناً لَا يُرَامُ مُمَرَّدا
أجيرَتْ بِهِ دِمَاؤُنَا فَوَفَى بِهَا ... وَشَارَكَ فِي إِطْلَاقِنَا وَتَفَرَّدا
أبا نَهْشَلٍ فإنَّنِي غَيْرُ كَافِرٍ ... ولا جَاعِلٍ مِنْ دونِكَ المالَ مُوصَدا

٣ - طلب طلاق الأسير :

وهذا غير ما تقدم الحديث عنه في باب المدح ، فالمقصود بذلك هنا الشعر المجرد من المدح ولم يمدح فيه الشاعرُ آسرَ القوم ، وإنما هو شعر من عظيم لآخر يرجوه فيه إطلاق سراح ما عنده من الأسرى من قوم معينين ، تلبية لرغبته ، ويعده بأنه لن ينسى هذه المكرمة .

روى صاحب شعراء النصرانية أن يزيد بن عبد المدان أرسل إلى قيس بن عاصم المنقري ، يطلب منه فك سراح أسير من هوزان ، فقال له [١] :

ياقيْسُ أرْسِلْ أَسِيراً مِنْ بَني جُشَمٍ ... إنِّي بِكُلِّ الَّذِي تَأْتِي بِهِ جَازِي
لَا تَأْمنِ الدَّهرَ أَنْ تُشْجَى بِغُصَّتِهِ ... فاخْتَرْ لِنَفْسِك إِحْمَادِي وإِعْزَازِي

٤ - قتال الأقارب :

من المجموعة الشعرية التي بين أيدينا نجد أمثلة كثيرة تحكي وقوع منازعات كثيرة بين الأقارب ، ومنها يتبين أنه كثيراً ما كان فروع القبيلة الواحدة يحارب بعضهم بعضاً . وقد استطاع الشعراء أن يصوروا لنا مشاعرهم المختلفة وأحاسيسهم المضطربة المتضاربة في مثل تلك الحال ؛ فتحدثوا عن وقوع المنازعات ، وحدوث القتال بينهم ، وشعورهم حينئذ ، ووجهة نظرهم في مسئولية هذه الحرب ، وأثر مثل هذا القتال في نفوسهم :

---

(١) شعراء النصرانية ، ص ٨٦ .

ومن هذه الأمثلة نرى أنه عندما كان يحدث نزاع بين أفراد عشيرة واحدة، كان شعورهم، يضطرب وتأخذهم الحيرة، فلا يدرون ماذا يفعلون. فإذا قتل أحدهم مثلاً أحد أفراد عشيرته، أيقتله أهل القتيل الأقربون فتخسر العشيرة حينئذ الاثنين، فتهن القبيلة ويضعف شأنها؟ أم يصبر المفجوعون، فيسكتون عن خطير؟

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا أُمَيْمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
فَلَئِنْ عَفَوْتُ لَأَعْفُوَنْ جَلَلًا وَلَئِنْ سَطَوْتُ لَأُوهِنَنْ عَظْمِي [1]

وهنا نجد المفجوع، في بعض الأحيان، قد يتذرع بالصبر، ويحاول أن يسلي نفسه ببعض أشعاره؛ استمع إلى أعرابي قتل أخوه ابناً له، فقال [2]:

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعْزِيَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدِ
كِلَاهُمَا خَلَفٌ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ، وَذَا وَلَدِي

ولكن الصبر، أحيانـــاً، كان لا يفيد، فقد يحمل المتعدي على زيادة التطاول، وقـــد يثير الجرمُ الألم في نفوس المعتدى عليهم، فتغلب عليهم حميتهم الجاهلية، ويعدّون مـــا أصابهم من الظلم والضيم، إهانة وتحقيراً؛ وحينئذ كانوا يدخلون في قتال مع أقاربهم. وفي تلك الحالة، كانت حرمة القرابة تثير في نفوسهم الشعور بأنهم يقدمون على عمل غير مرضي، فيه قسوة سيئة، وعنف شديد، بالرغم مما حدث بينهم:

نَفْلِي بِحَدِّ الصَّفِيحِ هَامَهُمُ وَفَلْيُنَا هَامَهُمْ بِنَا عُنُفُ [3]

---

(١) الحرث بن وعلة: ديوان الحماسة ج ١ ص ٥٤.

(٢) ديوان الحماسة ج ١ ص ٦٦.

(٣) فلاه بالسيف: علاه به. عنف: أي قتلهم عنف منا لأنهم قومنا وبنو عمنا.

إنّا ولو قدّموا الّتي علموا أكبادنا من ورائهم تجِفُ
لمّا بدت غدوةً جباهُهُمُ حنّتْ إلينا الأرحامُ والصُّحُفُ [1]

ولهذا نجدهم يتملصون من مسئولية الجناية هنا وينحون باللائمة على الجانب الآخر الذي اضطرهم لقتالهم جزاء ظلمهم وعدوانهم ، رغم ما كان منهم في بادىء الأمر من الصبر ومراعاة الود ، واحترام القرابة ، ويؤكدون أنهم لم يقدموا على القتال إلا بعد ما تبين أن هؤلاء لم يُقدّروا هذا كله ، بل زادوا في تماديهم وطغيانهم ، وبدا الشر واضحاً في عيونهم ، من ذلك ما يقوله الفند الزمّاني (من بكر) في حرب البسوس التي كانت بين بكر وتغلب [2] :

صَفَحْنا عَنْ بَنِي ذُهْلٍ وقلْنَا القَومُ إخْوانُ
عَسَى الأيامُ أن يُرْجِعْنَ قوماً كَالّذي كانوا
فلَما صَرّح الشّرُّ فأمسَى وَهْوَ عُرْيان [3]
ولم يَبْقَ سِوَى العُدوَا نِ دِنّاهُمْ كَمَا دَانُوا [4]
مَشَيْنَا مِشْيَةَ اللّيثِ غَدَا واللّيثُ غَضْبَان
بضربٍ فيهِ تَوْهِينٌ وتَخْضِيعٌ وإقْرَانُ [5]
وَطَعْنٍ كَفَمِ الزّقِّ غَذَا والزقُّ مَلآن [6]

---

(١) حنت : بكت . الصحف : العهود . وهذه الأبيات الثلاثة لقيس بن الخطيم . ديوانه ص ١٨ .

(٢) ديوان الحماسة : جـ ١ . ص ٦ .

(٣) صرح : انكشف . عريان : يقصد أن الشر وضح وظهر .

(٤) العدوان : الظلم الصريح . دناهم : جازيناهم بفعلهم القبيح كما ابتدءونا به .

(٥) توهين : تضعيف . تخضيع : إذلال . إقران : تتابع .

(٦) غذا : سال ، شبه الطعنة إذا سال منها الدم بفم الزق إذا سال منه الخمر .

وبعضُ الحِلْمِ عِنْدَ الجَهْـــلِ للذِّلَّةِ إذعانٌ
وفي الشرِّ نجاةٌ حِـــينَ لا يُنْجِيكَ إحسَانُ

ومع هذا فإنهم كانوا يظهرون الأسف الشديد لقتل أقاربهم ؛ لاعتقادهم أنهم وإن كانوا قـــد أخذوا بحقهم ، فهم في الحقيقة خربوا بيوتهم بأيديهم ، وقتلوا أنفسهم بأنفسهم .

شَفَيتُ النفسَ من حَمَلِ بْنِ بَدرٍ وسَيفي مِن حُذَيفَةَ قَدْ شَفاني
فَإن أَكُ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَليلي فَلم أَقطَع بِهِمْ إلاَّ بَناني [1]

وكانوا يشعرون أنهم بذلك يسببون لأنفسهم خسارة لا تعوض ، فليس هناك خلف لقومهم :

قَالَ لَنَا النَّاسُ : مَعشَرٌ ظَفِرُوا قُلْنَا : فَأَنَّى بِقَوْمِنَا خَلَفُ [2]

ولذلك نرى بعض الشعراء كثيراً ما كانت القرابة تؤثر فيهم : وتضطرهم للثناء على أعدائهم المنهزمين من قومهم ، فيصفونهم بالشجاعة والقوة والبطولة؛ ويعترفون بأنهم يعرفون مكانة خصمهم ، ويقدرونه حق قدره ، ويعتقدون أنه يستحق أن يذرف عليه الدمع سخيناً ، وما دفعهم إلى قتله إلا ظلمـــه وتماديه في البغي إزاء حلمهم . استمع إلى ما يقوله قيس بن زهـير في حمل بن بدر بعد قتله (وكان السباق بينهما سبباً في حرب داحس والغبرا) [3] :ــ

تَعلَّمْ انَّ خَيْرَ النَّـاسِ مَيْتٌ عَـلَى جَفْرِ الهَبَاءَةِ مَـــا يَرِيمُ
وَلَولا ظُلْمهُ مَـا زِلْتُ أَبْكي عَليهِ الدَّهرَ مَا طَلَعَ النُّجومُ

---

(١) قيس بن زهير : ديوان الحماسة جـ ١ ص ٦٤ .
(٢) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١٨ بيت رقم ٢٦ .
(٣) شعراء النصرانية : ص ٩٢ .

ولكنَّ الفتى حَمَلَ بْنَ بَدْرٍ   بَغَــى وَالْبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخِيمْ

وما يقوله شُبيل الفزاري ، وكان قد حاربه بنو أخيه فقتلهم [١] :

أيا لَهفي عَلَى مَن كُنتُ أدْعوُ   فيكْفيني وَسَاعِدُه الشَّدِيـد [٢]
وما مِنْ ذِلَّةٍ غُلبُوا وَلكن   كَذَاكَ الأُسْدُ تَفْرُسُها الأُسُود [٣]
فَلولَا أنَّهُمْ سَبَقَتْ إليهِــمْ   سَوابقُ نَبْلِنَا وَهُمْ بعيــد
لَحَاسُونا حِياضَ الموتِ حتى   تطايرَ من جَوانبِنَا شَرِيـدُ [٤]

وعلى كل حال كان وقوع مثل هذه الحوادث بين الأهل بعضهم وبعض ، يقض مضاجع القوم ؛ وكان يثير وجدان الشعراء ، ويلهب عواطفهم ، فبكوا الذين ذهبوا من قومهم ضحية هـذا الطيش والجهل ، ودعوا على الذين أثاروا الفتنة بـين قومهم ، ولعنوا الحرب التي شبت بينهم فأفنتهم ، وتركت فيهم آثاراً سيئة ، إذ قلوا بعد الكثرة ، وضعفوا بعد القوة ، وذلوا بعد العزة . انظر إلى ما يقوله عنترة العبسي عندما قتل مالك بن زياد العبسي في حرب داحس والغبراء [٥] :

فللهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مثلَ مالكٍ   عَقيرةَ قومٍ إنْ جَرَى فَرَسَان
فليتَهما لَـم يَجْرِيا نِصْفَ غَلْوةٍ   وَلَيْتَهُمَا لَــم يُرْسلا لرهان

---

(١) ديوان الحماسة جـ ١ ص ٣٨٠ .
(٢) يكفيني : يدفع عني بقوة وشدة وبأس .
(٣) ذلة : ضعف وهوان . يقصد ما قتلناهم لضعفهم ولكنهم كالأسود التي تفترسها الأسود .
(٤) المحاساة : المسافاة . شريد : متفرق . والمعنى : أنه لولا سهامنا سبقت إليهم فمنعتهم من التقدم إلينا لسقونا من حياض من الموت كما سقيناهم حتى يتطاير المتفرق من أعضائنا .
(٥) شعراء النصرانية : ص ٨١٣ .

وليتَهُما ماتا جميعاً ببلْدَةٍ وأخطاهُما قيسٌ فلا يُريان

وما يقوله جابر بن حني يبكي ما آل إليه قومه من الضعف والمهانة حتى قبلوا الديات ، ودفعوا المكوس والخراج ، بعد أن كانوا أعزة مهابين، وذلك بسبب اختلافهم واشتجار الرماح بينهم [1] :

لِتغلبَ أبكي إذْ أثارتْ رِماحُها غوائلَ شرٍّ بينَها مُتَثَلِّمِ [2]
وكانوا هُمُ البانينَ قبل اختلافِهمْ ومن لا يَشدُّ بُنيانَه يتهدَّمِ
بحيٍّ كَكَوْثَلِّ السَّفينةِ أمرُهُمْ إلى سَلَفٍ عادٍ إذا احتَلَّ مُرْزِمِ [3]
إذا نزلوا الثَّغْرَ المخوفَ تواضعَتْ مخارِمُه، واحتلَّهُ ذو المُقَدَّمِ [4]
أنفتُ لهم مِنْ عَقْلِ قيسٍ ومَرْثَدٍ إذا وردوا ماءً ورُمْحِ بنِ هَرْثَمِ [5]
ويومًا لَدَى الحشَّارِ مَنْ يَلْوِ حقَّه يُبَرْبَزْ ، ويُنْزَعْ ثوبُهُ ويُلَطَّمِ [6]
وفي كلِّ أسواقِ العراقِ إتاوةٌ وفي كلِّ ما باعَ امرؤٌ مَكْسُ درهمِ [7]

---

(١) المفضليات : ٤٢٤ .

(٢) الغوائل : ما يغول الحلوم أي يذهب بها .

(٣) كوثل السفينة : سكانها (بضم السين وتشديد الكاف) يريد أنهم يقيمون أمر الناس، كما يقيم السكان السفينة . السلف : القوم يتقدمون ينفضون الأرض ، يقول : أمرهم بسند الى هذا السلف . احتل : نزل لم يقلعه شيء لأنه لا يخالف . مرذم : له رزمة ، وهي الصوت والجلبة . وذلك لكثرته وطول إقامته .

(٤) المخارم : جمع مخرم ، وهو الطريق في الغلظ وأنف الجبل . ذو المقدم : يريد المتقدم .

(٥) ومح بن هرثم : رجل ، أنف لقومه أن يأخذوا دية قيس ومرثد ورمح ، ولا يأخذوا بثأرهم فينظر الناس الى دياتهم من الإبل إذا وردت فتعيرهم بها .

(٦) الحشار : الحاشر ، وهو الجابي ، يحشر المال ، أي يجمعه . يلوي : يمطل . يبربز : يدفع .

(٧) الإتاوة : الخراج ، المكس : دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق .

ولم يكن هذا التألم الشديد أو هذا البكاء الحار المر يصدر من جانب المنهزمين فقط، بل كان يشترك فيه القوم جميعهم بما فيهم المنتصرون، فتأثر هؤلاء بذلك كان عميقاً، وحزنهم كان شديداً كذلك، إذ كانوا يحسون انهم في مثل هذا القتال يقطعون رقاب انفسهم، وما انتصروا إلا على أشلاء ذويهم، وما كسبوا إلا ضعف العشيرة، وذهاب شوكتها. وإذا أردت مثالاً لذلك فارجع إلى قصيدة قيس بن زهير العبسي التي أولها (١) :

لحا الله قوماً أرّشوا الحربَ بيننا سَقَوْنا بها مُرّاً مِنَ الشّرابِ آجِنا

لترى مدى تأثره بحرب داحس والغبراء، وكيف كان شعوره نحوها، ومع أنه كان قد انتصر على خصمه، ففيها يبدو تألمه الشديد، وحزنه العميق بسبب ما جرته عليهم هذه الحرب من البلايا والآلام.

ولا شك أن ذلك يدل على ما كان للقرابة والرحم من صلة شديدة، وقوة متمكنة في القلوب.

٥ – تهدئة المتخاصمين :

وفي هذا العصر الجاهلي نجد مِن شعرائه مَن كان يحاول إصلاح ذات البين قبل وقوع الحرب، وفي أثنائها، ورغبة في تجنب الحرب أو إنهائها والاتفاق على الصلح.

ففي بعض الأحيان، إذا استحكم النزاع بين فريقين، وصمما على القتال، نجد من القوم مَن كان يبذل جهده لتوجيه المتخاصمين وجهة الخير، ويضرع إليهم أن يستعملوا العقل والحكمة، خصوصاً إذا كان المتخاصمون من عشيرة واحدة. وقد يوجه نظرهم إلى الآثار الوخيمة التي لحقت بالقبائل الأخرى، أو الأمم السابقة نتيجة غيهم وتماديهم في الضلال بمحاربة بعضهم بعضاً.

روي في ديوان الحماسة لأبي تمام أن فريقين من بني أسد تنازعا على بئر

(١) شعراء النصرانية : ص ٩٣٠ .

ادعاها كل منهما فقال بعض بني أسد [1] :

كِلا أَخَوَيْنا إنْ يُرَعْ يَدْعُ قَوْمَــه
ذَوِي جامِـــلٍ دِثْرٍ وجَمْعٍ عَرَمْرَمِ [2]

كِلا أَخَوَيْنا ذو رِجالٍ كأَنَّهُمْ أُسُودُ الشَّرَى مِن كلِّ أَغْلَبَ ضَيْغَمِ [3]
فما الرُّشْدُ في أنْ تَشْتَرُوا بنَعِيمِكُمْ بَئِيساً ولا أن تَشْرَبُوا الماءَ بالدمِ [4]

وجاء في كتاب الأغاني [5] أنه لما نشب النزاع بين بني سليم بسبب مـا وقع بين خفاف بن عمير والعباس بن مرداس ، قال مالك بن عوف النضري :

سُلَيمَ بْنَ منصورٍ دَعُوا الحربَ إنما هِيَ الهُلْكُ لِلأَقْصَيْنَ أوْ لِلأَقارب
ألم تعلَموا مَا كانَ في حَرْبِ وائلٍ وحربِ مرادٍ أوْ لؤيِّ بْنِ غالِب
تفرَّقَتِ الأَحياءُ مِنهُمْ لَجاجةً وهمْ بينَ مغلوبٍ ذَليلٍ وَغالب

وفي أثناء وجود حالة حرب بين فئتين كان الشاعر يوجه نظرهم إلى مـا سببت لهم الحرب من متاعب، وما قاسوه هم أنفسهم فيها من شدائد وآلام، ثم يحثهم على تركها وإنهائها ، والاتفاق على الصلح ، حرصاً على مصالحهم ، وحفظاً لأرواحهم ، ومنعـاً لازدياد الخسائر ، ونشراً للأمن والطمأنينة ، وعوداً إلى الأخوة والصفاء . كما كان في حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان،

---

(١) ديوان الحماسة : ص ٨٧ .

(٢) يرع : من الروع وهو الخوف والفزع . الجامل : الإبل . الدثر : الكثير . العرمرم : الجيش العظيم . يقول : كلا إخوينا إذا فزع دعا قومه لنصرته .

(٣) الشرى : مأسدة . الأغلب : العظيم العنق ، الضيغم : فيعل من الضغم وهو العض .

(٤) تشتروا : تستبدلوا . البئيس : ضد النعيم. يقول : ليس من الرشاد أن تستبدلوا البؤس بالنعيم فتكثر القتلى بينكم ، فتشربوا الماء ممزوجاً بالدم .

(٥) الجزء ١٦ ص ١٣٦ .

حين حاول بعض الناس أن يصلحوا بين الفريقين ، وكان مما قاله زهير بن أبي سلمى في ذلك :

وما الحربُ إلا ما علمتمْ وذُقتُمُ … وما هُوَ عنها بالحديثِ المُرَجَّمِ
متى تَبعثُوها تَبعثوها ذَميمةً … وتَضْرَ إذا ضَرَّيتُمُوهَا فَتَضْرَمِ
فتعرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحى بِثِفالِها … وتَلْقحْ كِشافاً ثم تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ
فتُنْتِجْ لكُمْ غِلْمانَ أشأمُ كُلُّهمْ … كأحمرِ عادٍ ثم تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ
فَتُغْلِلْ لكمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْلِها … قُرًى بالعِراقِ مِنْ قَفِيزٍ ودِرْهَمِ

فإذا ما استجاب الجانبان للنداء ، اجتمعا للتفاهم وتسوية الخلاف ، وإذا ما وفقوا للصلح ، عاد الوئام والإخلاص. وأصبحوا إخوة مؤتلفين متحابين . انظر إلى حال بكر وتغلب بعد أن انتهيا إلى الصلح ، فقد ساد بينهما الحب والصفاء حتى تغنى بذلك الشعراء ، ومما قاله أمية بن أبي الصلت في هذا الشأن [1] :

أَلَا قُلْ لِلْقَبائِلِ إنَّ بَكْراً … وتَغلِبَ بَعْدَ حَرْبِهِمُ سِنينَا
أَطاعُوا اللهَ في صِلَةٍ وَعَطْفٍ … وَأَضْحَوْا إخوةً مُتَجاوِرِينَا

---

(١) ديوانه : نشر بيروت سنة ١٩٣٤ ، ص ٦٥ .

البَابُ الثَّانِي

النَّقدُ الأَدَبِيُّ



تمهيد

لقد تحدث الشعراء الجاهليون في موضوعات شتى كالحرب والطبيعة ، والأخلاق ، والغزل ، واللهو . ولكن يبدو أن الحرب قد حظيت بنصيب كبير من مجموع أشعارهم . ولعل هذه الكثرة الظاهرة في شعر الحرب لا تبدو غريبة إذا تذكرنا ما سبق أن بيناه من أن حياة العرب في الجاهلية ، وبيئتهم ، وظروف معيشتهم كانت تساعد على حدوث النزاع ، وقيام الحرب ، وتوقع الخطر في كل لحظة ؛ وأن بقاء القبيلة ، وأمنها ، وكرامتها ، وهيبتها كانت تتوقف على ما كان لها من قوة حربية ، وخبرة بالحرب ، ومجد خلدته لنفسها بالانتصارات في حروبها . فلا عجب أن كان للناحية الحربية أثر كبير في نفوس العرب ، وبخاصة الشعراء ، مما جعلهم يتخذون منها موضوعاً هاماً للشعر ، وتغلغلت هي في جميع الأغراض الشعرية ، فجاء فيها شعر كثير ، حتى استطعنا — مما بقي من التراث الشعري للجاهليين — أن نجمع ٥٠٨٠ بيتا قيلت في الحرب وما يتصل بها لعدد كبير من الشعراء يزيد عن ١٥٠ شاعراً .

ومن هذا العدد الكبير من الشعراء ، وما قيل عن تاريخهم ، يغلب على الظن — بعد ما رأيناه في تحليل أشعارهم — أن كثيراً منهم كانوا متعاصرين . ومن أسمائهم نجد أن كل قبيلة كان لها شاعرها ، أو شعراؤها الكثيرون ، ومما ورد في أشعارهم من الأمكنة الكثيرة المختلفة ، نستطيع أن نقول إن هؤلاء الشعراء كانوا مبعثرين هنا وهناك في أنحاء شبه الجزيرة العربية ، ويعيشون

عيشة مختلفة : منهم من يقيم في المدينة ، ومنهم من يسكن الصحراء ، ومنهم من ينزل على شاطىء البحر .

وقد رأينـــا في تحليل شعر الحرب أن الناحية الحربية قد استغلت في أغراض شعريـــة كثيرة هي : الفخر ، والهجاء ، والاعتذار ، والوعيد ، والرثاء ، والمدح ، والإثارة ، والإنذار ، والنصح والتحذير ، وغير ذلك . وفيمايلي إحصائية تبين عدد الشعراء الذين قالوا في كل غرض من هذه الأغراض ، وعدد أبيات كل غرض ، ونسبتها المئوية من المجموع الكلي الذي هو ٥٠٨٠ بيتاً من الشعر :

رقم مسلسل	الغرض	عدد الشعراء	عدد الأبيات	النسبة المئوية
١	الفخر	١٢٠	٢٣٤٠	٤٦
٢	الهجاء والتوبيخ	٦٠	٥٥٩	١١
٣	المدح	١٦	٥٤٣	١٠,٧
٤	الوعيد	٤٨	٣٨٦	٧,٦
٥	النصح والتحذير	٢٥	٢٩٠	٥,٧
٦	الرثاء	٢٢	٢٦٦	٥,٢
٧	الإثارة	١٨	١٥٥	٣,١
٨	الإنذار	٣	٩٢	١,٨
٩	الاعتذار	١٢	٨٤	١,٧
١٠	متنوعات	٢٤	٣٦٥	٧,٢
	المجموع	—	٥٠٨٠	١٠٠

ومن هذه الإحصائية نرى بوضوح أن نصف الأبيات المختارة تقريباً في الفخر، في حين أن الإنذار والاعتذار ليس لكل منهما إلا جزء قليل منها. وباستثناء المتنوعات نجد أن كلاً من الهجاء والمدح يشغل جزءاً متوسطاً، أما النصح والرثاء فنصيب كل منهما قليل نوعاً ما، ويليهما في القلة ما قيل في الإثارة.

أما عن عدد الشعراء الذين قالوا في كل ناحية من هذه النواحي فأكبر عدد كان من نصيب الفخر كذلك. ولم يوجد في هذه المجموعة إلا ثلاثة شعراء فقط قالوا في الإنذار (١)، ولعل السبب في ذلك، كما مرت الإشارة إليه، هو ما كان يبذله المغيرون من جهد كبير في المحافظة على السرية التامة للغارة، وعدم تسرب شيء من أنبائها إلى القوم المقصودين بالهجوم.

وإذا نظرنا إلى عدد الشعراء الذين قالوا في كل غرض نجد أنه يطّرد مع عدد الأبيات التي قيلت في كل منها قلةً وكثرةً، اللهم إلا في الإنذار والمدح. وقد أشرنا إلى ما قد يكون سبباً لذلك في الإنذار. أما المدح فالحقيقة أنه ربما كان أقل الأغراض عدداً في أبيات الشعر، وفي الشعراء. إذ يكاد يكون شعر المدح كله من نصيب ثلاثة من الشعراء هم زهير والنابغة والأعشى. فقد وجد أن هناك ٣٨٧ بيتاً قالها هؤلاء الثلاثة من مجموع ما قيل في المدح وهو ٥٤٣ بيتاً، وما بقي وهو ١٥٦ بيتاً قاله ١٣ شاعراً. والتاريخ يثبت أن هؤلاء الثلاثة كانوا يعيشون على العطايا والمنح ممن كانوا يمدحون. وهكذا إذا حذفنا من حسابنا هؤلاء الثلاثة وما قالوه من شعر، ينخفض شعر المدح إلى أقل من المتوسط بكثير في عدد الأبيات وعدد الشعراء. وقد يكون السبب في قلة نصيب المدح في هاتين الناحيتين ما كان يتصف به العربي من أنفة وكبرياء جعلاه يترفع عن الثناء على أي شخص سواه، ثناءً يحمل في طياته اعترافاً منه بعلو شأن الممدوح، أو أفضليته وأسبقيته عليه في أية ناحية من النواحي، ولئن كان صنع الجميل يتطلب الاعتراف به، والشكر

---

(١) هم لقيط الإيادي وله ٤٨ بيتاً، وعميرة بن طارق وله ٣٨ بيتاً، وعلقمة وله ٦ أبيات.

عليه فما كان العربي يعتقد أنه يستوجب الثناء في مبالغة أو تملق مما يتسم به شعر المدح على العموم .

والنقد الأدبي ، في العادة ، يحلل النص الأدبي إلى عناصر أربعة ، هي : الفكرة ، والعاطفة ، والخيال ، والأسلوب . ومن ثم سنبحث هـذه المجموعة الشعرية من هذه النواحي .

* * *

الفصل الاول

الافكار

رأينا في الباب السابق أن الشعراء الجاهليين استغلوا الناحية الحربية في أغراض شتى ، وقد حللنا أفكارهم عنها في كل غرض من هذه الأغراض . والآن سوف نحاول أن نثبت بعض ملاحظات عامة على افكار الشعراء في كل غرض ، على ضوء ما سبق من إحصاء وتحليل .

اولاً – الوصف :

١ – يتبين من المجموعة الشعرية التي اخترناها أن الشعراء ، على العموم ، لم يكن الواحد منهم يخصص قطعة شعرية لوصف الحرب أو ما يتصل بها ، أي ما كان ينشىء قصيدة رغبة في تصوير الناحية الحربية فقط ، اللهم إلا في القليل النادر ، وفي أبيات معدودات . وإنما الأبيات التي حللناها على أنها وصف لظواهر الحرب المختلفة ، جاءت مبعثرة : ومنبثة في وسط الأغراض الأخرى ، كالفخر ، والهجاء ، والإنذار ، والمدح والرثاء ... الخ . فالوصف موجود ضمن بقية الأغراض ، ولذلك لم ندخله في جدول الإحصائية السابقة التي تبين نصيب كل غرض من الشعر والشعراء .

٣ – رأينا أن الشعراء قد صوروا لنا من ظواهر الحرب وما يتصل بها : الحرب ، والغارات ، والبطل ، والحصان ، والإبل ، والأسلحة والمعدات الحربية ، والجيش والكتيبة ، والموقعة ، وما حدث للأعداء من خسارة في الأرواح والأموال والشرف والمكانة . وقد مر تحليل ما قالوه عن كل من هذه الأشياء .

والجدول المقابل يوضح عدد المرات التي تكرر فيها الحديث عن كل موضوع ، وعدد الأبيات التي قالها الشعراء في وصفه . مرتبة بحسب عدد الأبيات ترتيباً تنازلياً[١] .

رقم مسلسل	الموضوع	عدد المرات	عدد الأبيات
١	ما حدث للأعداء	٢١٠	٨٢٥
٢	البطل	٢٣٦	٦٢٢
٣	الحصان	٢٤٠	٥١٠
٤	الأسلحة والمعدات الحربية	١٥٠	٣٥٥
٥	الجيش والكتيبة	١٥٩	٢٥٩
٦	الغارة	٤١	٢١٧
٧	الموقعة	٨	٢١٤
٨	الحرب	٨٣	١٣٤
٩	الإبل	٥٥	٧٩

ومن هذه الاحصائية يتبين أن أكثر ما وصف كان « ما حدث للأعداء » . لكن إذا اعتبر الحديث عن البطل والجيش حديثاً عن عن موضوع واحد ؛ لأن الجيش يتكون من مجموع الأبطال ، كان هذا الموضوع صاحب النصيب الأعظم في شعر الحرب الوصفي .

ويمكن أن نستنتج من ذلك : أن العرب وجهوا أكبر عنايتهم في شعر الحرب إلى تصوير أنفسهم كأبطال صناديد ، يكوّنون الجيوش الضخمة التي توقع بالأعداء أعنف الضربات وتكبدهم أفدح الخسائر في الأرواح والأموال .

---

(١) لكن نحب أن يلاحظ أن هذه الأعداد المذكورة في الجدول متداخلة ، فمثلا حينما يصورون الغارة يجوز أن يصوروا فيها الأبطال الذين قاموا بها ، والخيل ، والأسلحة ، وغير ذلك فعدد الأبيات يشير إلى ما قيل في كل واحدة من هذه النقط كأنها قيلت فيها بمفردها : ولذلك يجوز أن تعد بعض الأبيات في موضوع وهي بنفسها معدودة في موضوع آخر .

ولعل هذا يوحي بأن العربي كان يجب أن يظهر بمظهر الواثق من نفسه ثقة عظيمة ثقة قائمة على أمجادهم الخالدة في أيامهم السابقة، وقوتهم الحاضرة وبأسهم الشديد في المستقبل.

وإذا لاحظنا ما قيل في الحرب والغارة مع عدد مرات الحديث عن كليهما نجد أن الحديث عن الحرب، يكاد يكون نصف ما تحدث به الشعراء عن الغارة؛ وأن الحرب تكرر الحديث عنها ضعف الحديث عن الغارة. وربما كان هذا لأن الغارة، في العادة، عمل يتطلب - بجانب القوة الحربية - ذكاء حاداً ودهاء وخططاً حربية خاصة، وكان يقوم بها أشخاص قليلون، من بينهم في معظم الأحيان هؤلاء الشعراء الذين يتحدثون عنها؛ فواصفوها كانوا من الأبطال الذين قاموا بها، ومن ثم كان مجال الحديث عنها واسعاً. وعلى كل حال، ليست الغارة إلا جزءاً من الحرب، ولا تتميز إلا بما تحاط به من سرية تامة، وتكتم شديد، إلى أن يقع الهجوم

٣ - يبدو من التحليل أن الوصف، على العموم، يعطينا صورة واضحة للمظر الخارجي لكل ما وصفه الشعراء، حتى إن الموصوفات في جميع أحوالها تقريباً تكاد تتجسم أمامنا من خلال الشعر، خاصة الحسية منها في دقة وإتقان فمثلاً نجد البطل مصوراً في شكله الجسمي وهيئته، وفي المجالس والمجتمعات، وفي أوقات الشدة والأزمات، وفي حال استعداده للحرب، وفي الميدان، وبعد القتال؛ وهناك الجيوش، تُعد وتُجمع، ومنظرها وهي تزحف ثم تتلاقى؛ والأسلحة وهي مختزنة معبأة، أو مُعَدّة مهيأة، ومنظرها في الميدان، وحركاتها وهي تروح وتجيء، أو تعلو وتهوي، في تداخل واختلاط، وكأن العين تتبعها صعوداً وهبوطاً، أو يمنة ويسرة، أصواتها تملأ المكان، وصدى جرسها يرن في الآذان.

ومع أن كل ما حاول الشعراء وصفه جاء تصويره على العموم دقيقاً متقناً، فإن الخيل قد فاقت في التصوير كل ما عداها، ويبدو واضحاً في الشعر، أنها حظيت من الشعراء بعناية فائقة واهتمام كبير، فقد صوروها تصويراً

دقيقاً : في حركاتها وسكناتها، وتتبعوا أجسامها جزئية جزئية، ولم يقتصروا على أعضائها الظاهرة ، صغيرها وكبيرها ، بل تحدثوا كذلك عن بعض أجزاء باطنية لا تراها العين كالنسا والشظا . وقد مر تفصيل ذلك كله في تحليل الشعر . وربما كان سبب هذه الحظوة للخيل ، أن العرب كانوا ولا يزالون — يهيمون بالخيل ، ويعتزون بها اعتزازاً كبيراً حتى أنها كانت تعامل معاملة خاصة تنم عن حب العربي لها وتعلقه الشديد بها ، لدرجة أنه كان لا يفارقها، فكانت تحت سمعه وبصره وحسه ، ولا عجب ، حينئذ ، أن هيأ لهم ذلك فرصة طيبة لتتبعها في حركاتها وسكناتها ، وتفحصها جزئية جزئية ، فجاء تصويرهم لها بالغ الدقة والإتقان .

ويظهر من الشعر كذلك أن انفعال العربي بالخيل كان عظيماً ، وأنها كانت مصدر وحي وإلهام لا ينفد ، فكثيراً ما نجد الشاعر يطيل الحديث في تصوير فرسه ، ثم يتبعه بصورة أخرى للحصان ، مع أنه ليس هناك فرق بين الأنثى والذكر في هذا التصوير ، اللهم إلا في الألفاظ والعبارات . ولئن قيل في تعليل ذلك أن الشاعر كان يقصد أن يبين أن لديه خيلاً كثيرة من ذكور وإناث ، أو نحو ذلك ، فإن هذا ، بجانب ذلك كله ، يدلنا على شدة تعلق العربي بالخيل وكثرة تأمله فيها ، وقوة تأثر عواطفه وإحساساته بها ، حتى دفعه ذلك إلى محاولة التنويع في التصوير .

٤ — السائد في الوصف هوالتصوير الحسي الذي يراد منه إدراك الموصوف بإحدى الحواس ؛ كتصوير الحرب بالنار ، أو الناقة الضروس ، أو اللاقح ، أو المكشرة عن أنيابها ، أو الرحى ، أو المرض المعدي، أو الطعام الوبيل ، المر ؛ وتصوير المغيرين بأسراب الجراد ، والأبطال بالأسد والنمر ، والخيل بالذئاب : ومن المعروف أن الأشياء الحسية أقوى ظهوراً ، وأسرع إدراكاً ، وأقرب منالاً ، ولا تحتاج في إدراكها إلى تعب عقلي ، أو كدّ ذهني ، وهذه أنسب الأمور للعقليات التي لم تمرن على التعمق في التفكير ، أو إجهاد العقل في البحث والتأمل .

٥ – الناحية المادية ظاهرة في الوصف ظهوراً واضحاً . فأوصافهم كلها تدور حول ما تؤدي إليه من كسب مادي ، أو نفع عملي حقيقي ؛ فمثلا ما وصفت به الحرب والغارة يعني أن كلا منها كان وسيلة لتدمير العدو ، والحصول على الثروة ؛ فالحرب أو الغارة تهلك الأعداء وتطحنهم ، فيخلو الجو للمنتصرين ، فتتسع لهم رقعة السيادة والخير ، وهي تسوق الأنعام ، وتجيء بغنائم وأسلاب تغني الفقير ، وتزيد ثروة الغني ، وسبايا جميلات الأجسام ، رشيقات القوام ؛ ووصف البطل أو الخيل كان يدور حول تصوير القوة وشدة البأس في الحرب ، وما ينتجه ذلك من غُنم مادي ؛ وتتجلى المادية في الحديث عن الإبل ، وبخاصة عندما تأخذ أسلاباً وغنائم ، فتصويرها كله حول الكثرة ، والضخامة ، ووفرة اللبن .

لكن بجانب هذه المادية النفعية الواضحة في الوصف هنا ، نجد شيئاً من النواحي المعنوية كحديثهم عن النصر بأنه شرف عظيم :

لو أنّ كلَّ مَعَدٍّ كانَ شارَكَنا ... في يوم ذي قارٍ ما أخطاهُمُ الشَّرَفُ

واعتقادهم أن الهزيمة عار وخزي ، والدفاع عن النفس والشرف مجد ، والأخذ بالثأر شفاء وراحة ، وحماية الجار واللاجيء ، وتأمين الخائف دون انتظار مقابل شهامة وبطولة ، والموت في سبيل الحرية والسيادة عزة وكرامة .

٦ – يفهم من حديثهم عن الجيش والأسلحة أن : الجيوش لم يكن لها نظام معين تسير عليه ، وإنما هم أفراد القبيلة ، وخدمهم ، أو معهم حلفاؤهم ، ويسيرون في غير ترتيب محدد بالضبط . وفي غير تقسيمات معينة ؛ ولم يكن هناك تمليات عسكرية ثابتة تُلقَّن وتعلم للنشء ، وإنما هي خبرات يحصل عليها القوم بالتجربة والمران . مع بعض إرشادات ونصائح من الكبار ، أو الشيوخ ؛ ولم تكن الأسلحة والمعدات الحربية تصنع في بلاد العرب ، اللهم إلا القوس والسهم ، فيبدو واضحاً أن أشجارهما كانت تنبت في شبه الجزيرة ،

وكانت صناعتها موجودة في ذلك الوقت ، حتى اشتهر بعض القوم بهذا ، كما اشتهر آخرون بتثقيف الرماح ، وصقل السيوف والأسنة .

ثانياً : الفخر :

١ - إذا نظرنا في جدول الموضوعات الشعرية نجد أن ما قيل في الفخر قد بلغ ٢٣٤٠ بيتاً بنسبة ٤٦ ٪ من مجموع ما اخترناه ، أي ما يقرب من نصف المجموعة التي بين أيدينا من شعر قيل في الحرب . وهذا يدل على أن العربي في ذلك العصر كان يميل بطبعه إلى الفخر .

والفخر ، عادة ، يكون بادعاء أشياء للنفس ليست في متناول جميع القوم كأن يدعي الشاعر أن قومه أشجع الناس ، وأقواهم عدداً وعدة ، وأمنعهم ذماراً ، تخشى الجبابرةُ أصغرَهم ، ويَرهَب الأبطال لقاءهم . ومن هذا يتبين أن العربي كان يحب أن يظهر نفسه بمظهر التفوق التام على الآخرين . وأن يشاع عنه أنه أعلى شأناً من غيره في كل شيء . ويظهر من شعر الحرب أن الميل إلى الإعجاب الشديد بالنفس كان متسلطاً على العرب في الجاهلية لدرجة عظيمة ، حتى إن الشاعر في بعض الأحيان كان يفخر بتفوق فرعه على بقية فروع قبيلته الآخرين ، فيدّعي أنه نال من الأمجاد والبطولة والفوز ما لم يستطع الآخرون أن يصلوا إليه . وأظهر مثل لذلك ، قول عمرو بن كلثوم :

وكُنّا الأيمَنينَ إذا التَقَيْنا وكانَ الأيسَرينَ بنُو أبينا
فَصَالوا صَوْلَة فيمَن يَليهِمْ وصلْنـا صَوْلَةً فِيمنْ يَلينا
فـآبُوا بالنِّهـــابِ وَبالسَّبايا وَأُبنـــا بِالمُلوكِ مُصفَّدينا

فقومه هم الأيمنون ، في حين أن بقية عشيرته من غير فرعه كانوا أهل الشمال وبينما رجع هؤلاء من الحرب بالنهاب والسبايا ، عاد قومه وقد أسروا ملوك الأعداء ورؤساءهم ، وقد صفدوهم بالقيود والأغلال .

٢ – من هذه المجموعة الكبيرة التي قيلت في الفخر نرى أن ما قيل في الناحية القبلية يكاد يكون ثلاثة أضعاف ما قيل في الناحية الشخصية . وهذا معناه أن الناحية القبلية ، والعصبية القومية ، والروح الجماعية كانت سائدة في ذلك الحين . حتى استولت على نفوس الشعراء وسيطرت إلى حد كبير على مشاعرهم ، فنالها معظم شعرهم .

ولكن هذا يدلنا من ناحية أخرى على أن الشاعر – في وسط هذا الشعور الجماعي المتسلط، وهذا النظام السائد – ما كان لينسى نفسه : كفرد قائم بذاته ، وكشاعر له إحساسه الخاص وشعوره الخاص ، فكان يتحدث عن نفسه ، ويفتخر بشخصيته ، وبطولته ، وقوته ، في حرية تامة ، وكيفما شاء .

ويمكن أن يتخذ ذلك دليلاً على أن الشعراء ، أو كثيراً منهم ، كانوا يشتركون في القتال ، فيكابدون مشاق الحرب ، ويذوقون ما فيها وما يعقبها من شدائد وآلام ، وأن هؤلاء الشعراء أحسوا ميلاً إلى التغني بمآثرهم الحربية ، رغبة في المزيد من المتعة بلذة الفرح ونشوة النصر . وتخليداً لما قاموا به من أعمال البطولة والشهامة ، فجاء شعرهم في ذلك ، فخراً شخصياً .

٣ – ومن الرسم البياني السابق للصفات التي افتخر بها الجاهليون في الناحية الحربية نري أن الشعراء قد أكثروا من تكرار الفخر بالبطولة والإيقاع بالعدو والشجاعة والقوة .

وهذا معناه أن كل قبيلة كانت تحب أن ينتشر عنها بين الناس، أنها ذات بأس شديد ، ولها خبرة واسعة بالقتال ، وهي على أتم استعداد لمواجهة الخطر ، ولا شك أنهم يرمون بذلك إلى إضعاف الروح المعنوية للأعداء ، وتحذير كل من قد تحدثه نفسه بالاقتراب منهم ، أو التفكير في الهجوم عليهم . وهذا يؤيد أن القوم كانوا في ذلك العصر يعيشون عيشة ، محفوفة بالأخطار ، لا اطمئنان فيها ولا استقرار .

٤ – وأقل الصفات دوارناً في الفخر كان الصبر، وحب القتل، والرئاسة. وذلك يوحي أن عامة الشعراء – فيما يتصل بهذه الصفات الثلاثة – كانوا صادقين فلم يدّع جميعهم ذلك ، ولم ينسب كل واحد من الشعراء لنفسه أو لقومه أنهم كانوا يثبتون في أماكنهم وقت الخطر ، وأنهم مشتاقون للقتل ، وأنهم رؤساء . فمن افتخر بذلك ، لا بد أنهم كانوا قلة من بين الشعراء ، مما يحملنا نعتقد صدق هؤلاء فيما يَدّعون ، وأمانة الأكثرية في عدم إدعائهم لأنفسهم ما لم يحدث . فعدم الإكثار من الفخر بالرئاسة دليل الصدق ، لأنه ليس معقولا أن يكون القوم كلهم رؤساء، فالرؤساء قلة بين الناس ، ومعظم ما ورد فيه تكرار الفخر بالصبر وحب القتل كان في الحديث عن مواقف يتحتم فيها الثبات والتضحية بالنفس حتى ينال الإنسان مآربه ، كالقتال أخذاً بالثأر ، أو دفاعاً عن الشرف ، أو النفس . وربما كان عدم الإكثار من الفخر بهاتين الصفتين دليلاً على استعمالهم الحكمة والعقل ساعة الخطر ، فالوقوف أمام موت محقق ، حمق ، وجهل ، خصوصاً إذا كان في الإمكان إهلاك العدو بعدم مواجهته في وقت معين ، وتركه مؤقتاً إلى أن تحين الفرصة المناسبة ، وذلك بعد الاستعداد التام ، واتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة للقضاء عليه .

ثالثاً : الهجاء والتوبيخ

١ – من إحصائية هذا الموضوع نجد أن عدد المرات التي وُجّه فيها الذم للأجانب أكثر من مرات التوبيخ للأقارب. وهذا معناه أن ما كان يحدث من خلاف أو نزاع بين فروع العشيرة الواحدة أقل مما كان يحدث بين الجماعات الذين لا توجد صلة بين بعضهم وبعض . ولعل هذا راجع إلى أن العصبية القبلية كانت ذات تأثير كبير في نفوسهم لدرجة التغاضي عن كثير مما كان كفيلاً بقيام الحروب لولا مراعاة القرابة وصلة الرحم .

ولكننا مع ذلك نرى أن الأبيات التي قيلت في توبيخ الأقارب ولو أنها تقل عما قيل في ذم الأباعد ، فإن هذه القلة لا تتناسب مع قلة مرات التوبيخ عن مرات الهجاء ، بحيث لو قسم عدد أبيات كل منهما على عدد مراته لوجد

أن الشاعر ، في المتوسط ، كان يقول في مرة التوبيخ لأقاربه أكثر مما يقول في مرة الهجاء لأعدائه ممن لا يمتون له بصلة ، وربما كان هذا لأن الشاعر كانت تنفعل نفسه ، وتثور عاطفته ، ويتأثر بسبب أقاربه أكثر من غيرهم ؛ إذ يتوقع منهم تعاوناً تاماً ، وإخلاصاً حقيقياً ، وحباً صادقاً ؛ لا نزاعاً ، وخصاماً ، وقتالاً ؛ فجعله ذلك يطيل في تعنيفهم ، وتوبيخهم ، لعل ذلك يردهم إلى صوابهم ، ويخفف عنه ألمه ومضضه وأحزانه .

٢ – أكثر الصفات التي رُمي بها الأجانب كانت الخسائر التي لحقتهم في حروبهم ، وتجردهم من البطولة ، وضعفهم ، وهكذا عكس الصفات التي رأينا الشعراء أكثروا من ترديدها في الفخر . أما الأقارب فقد رموا في هذا المقام بتجردهم من البطولة والمروءة التي تتنافى مع واجبات القرابة وآدابها من التعاون والاتحاد والتآلف .

٣ – يلاحظ أن الهجاء ، وإن كان مثيراً أو مهيجاً ، كان على العموم عفيفاً فلم يكن بصفة عامة مقذعاً ، ولم ينزل إلى الحضيض والسفاهة ، والسب الجارح أو الشتم القبيح . وتوبيخ الأقارب ، في جملته ، أخف من هجاء الأجانب ، وذلك طبعاً ، واضح السبب ؛ وبعضه كان يقال بأسلوب التلميح أو التعريض ، لا التصريح كتلك الأبيات التي تنسب إلى سعد بن مالك في حرب البسوس [1] ، وأكثره كان مجرد لوم خفيف ، وفيه دعاء عليهم أن يجازيهم الله بفعلتهم ، وما ارتكبوا ضد قومهم وعشيرتهم [2] .

وأعنف ما وجد من شعر في هذا الموضوع كان لحسان بن ثابت في هجاء بني الأوس [3] ، مع أنا لا نجد نظيراً لقوله في شعر منافسه قيس بن الخطيم حين يهجو الخزرج – ولعل ذلك راجع إلى طبيعة حسان الشخصية ، فقد اعترف هو نفسه بأن له لساناً « لو وضع على حجر لفلقه ، أو زرع لحرقه » .

---

(١) شعراء النصرانية : ص ٢٦٤ .
(٢) الحصين بن الحمام : المفضليات ، ص ١٠٠ .
(٣) ديوان حسان : ص ٢٨٤ – ٢٨٥ .

بنو مازن قتلته بحذيقة ، فقال عنترة العبسي في ذلك[1] :

هَدِيُّكُمُ خَيراً أباً مِنْ أبيكُمُ أَعَفُّ، وَأَوفى بالجِوارِ، وأَحْمَدُ
وأطعنُ في الهَيْجَا إذا الخيْلُ صَدَّهَا غداةَ الصَّبَاحِ السَّمْهَرِيّ المقصَّد

٤ – كثيراً ما يجمع الشاعر في قصيدته رثاء لأكثر من شخص واحد، فيعدد أسماء الذين قتلوا من قومه. وإن لم يكونوا قد قتلوا كلهم في معركة واحدة[2]. وهذا يوحي بأن ذكرى الأبطال الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل الشرف والكرامة ما كانت لتغيب عنهم ، بل كانت دائماً ماثلة أمامهم ، وحاضرة في مخيلتهم ، ويتحينون الفرص الملائمة للحديث عنها والإشادة بها .

٥ – مما يلفت النظر أن المراثي لم يرد فيها ، على العموم ، شيء عن خيل الفقيد وأسلحته اللهم إلا نادراً ، وإن ذكرت ففي اقتضاب واختصار . ويبدو أن المقام ما كان يستدعي ذلك ، فالمهم في الرثاء تعداد مناقب الفقيد، وما كان يتحلى به من صفات البطولة والشهامة ، وما سجله من أمجاد ومآثر خالدات ، ثم وصف مشاعر القوم نحو فقده ، وما ينوون عمله بسبب ذلك .

سابعاً : المدح :

١ – أغلب الشعر هنا من نتاج النابغة الذبياني ، وزهير بن أبي سلمى ، والأعشى وهم الشعراء الذين شاع عنهم التكسب بالشعر في الجاهلية . والمختار من شعرهم هنا هو ما تحدثوا فيه عن الناحية الحربية لممدوحيهم ، وهو بعض مدائحهم الطويلة التي قالها كل منهم فيمن يمدحه . أما الأقلية الباقية من شعر المدح فمن إنتاج قلة من الشعراء ، قال كل منهم شيئاً في مناسبة معينة خاصة ، على خلاف الحال عند هؤلاء الثلاثة . وإذا استثنينا من شعر المدح ما قاله

---

(١) العقد الثمين : ديوان عنترة ، ص ٣٧ ، قصيدة رقم ٩ .
(٢) راجع في ذلك مثلاً : قصيدة طفيل الغنوي ، ص ١٧ ، قصيدة رقم ٢ . وقصيدة دريد بن الصمة : الحماسة ح ١ ص ٣٠ ؛ .

هؤلاء الشعراء الثلاثة ، كانت نسبة المدح في شعر الحرب قليلة في عدد الشعراء وعدد الأبيات الشعرية ، وقد سبقت الإشارة إلى ما يحتمل أن يكون السبب في هذا .

٢ – كان الحديث عن صفات البطولة والمروءة والإيقاع بالأعداء صاحب النصيب الأوفى في شعر المدح . وذلك هو بعينه ما وجدناه في كل من الفخر والرثاء ، وضد ما في الهجاء . وذلك أيضاً يرينا كيف كان العرب في ذلك العصر يقدرون هذه الصفات ، ومدى أهميتها لهم في حياتهم ومعيشتهم .

٣ – هناك فرق واضح بين مدح الشعراء الذين لم يخصصوا أنفسهم لمدح شخص معين ، ومدح هؤلاء الشعراء الثلاثة الذين اشتهروا بالمدح والتكسب بالشعر . فمع أن جميعهم يشتركون في المدح بالشجاعة والقوة والحزم والحكمة في الحرب والصبر على الشدائد ، وغير ذلك من صفات الشهامة والبطولة فإن من عدا هؤلاء الثلاثة كانوا يسيرون سيراً طبيعياً في المدح من الاعتراف بالفضل والثناء عليه ، أما أولئك الشعراء الثلاثة فإنهم كانوا يبالغون مبالغة ظاهرة في مدائحهم . كأن يتحدثوا عن الممدوح بأنه كالأسد ، ثم يخلعون على هـذا الأسد من الأوصاف ما شاء لهم الخيال ، وأحياناً كان الواحد منهم يسترسل في وصف هذا الأسد حتى إن السامع قد يظن أن الشاعر يتحدث عن أسد حقيقي خاص ، أو أن الممدوح يلبس درعين ، ويحمل سيفين ، وغاراته لا تنقطع ، ما ينتهي من واحدة إلا ويدخل في أخرى ، وهو يشنها في أوقات الشدة ، ويصل الشتاء بالربيع في الغارات ، وينهك خيله حتى إنها لترمي أفلاءها في الطريق ، ونصره في حروبه مؤكد حتى إن الطير لتتبعهم واثقة من الرزق الواسع المضمون بقتل الأعداء .

ولعل هـذه المبالغات لا تكون عجيبة ، فللمال أثره الذي لا ينكر في دفع الإنسان إلى محاولة إظهار البراعة في التفكير ، والاتساع في الخيال .

٤ – في المدح الذي يقال طمعاً في هدية ، أو تحقيق رغبة نجد التملق

ظاهراً واضحاً ، كقصيدة علقمة التي مدح بها الحرث بن جبلة الغساني طمعاً في إطلاق سراح أخيه ، وقصيدة النابغة الذبياني التي مدح بها النعمان بن وائل بن الجلاح لإطلاق سراح عقرب بنت النابغة ، وقصائده التي يمدح بها النعمان ابن المنذر ، وعمرو بن الحارث الغساني .

٥ – كان للفضائل الخلقية حيز كبير في شعر المدح ، فمدحوا بعدم الاعتداء على الأقارب واللاجئين ، والزهد في الغنائم ، وتوزيعها على الفقراء ، والسعي في الصلح بين المتخاصمين ، وبذل الأموال رغبة في أن يسود السلام ، وإجابة المستغيث ، وتأمين الخائف ، والوفاء بالعهد ، وعدم التنكيل بالعدو ، وعدم إهانة الأسير ، وإطلاق سراحه بدون فدية لا خوفاً من عقاب ، ولا طمعاً في ثواب .

* * *

والآن ، يحق لنا أن نقارن بين الفخر والمدح والرثاء في شعر الحرب ، إذ أن كلاً من هذه الثلاثة إشادة بالمحامد من صفات الأبطال وأعمالهم . فاذا نظرنا الى ما قيل في كل منها نرى ما يأتي :

١ – تشترك الأغراض الثلاثة في تمجيد الشجاعة ، والحزم والاتزان ، والإباء ، والدفاع عن الحمى والشرف ، وتأمين الخائف ، وإجابة المستغيث ، والوفاء بالعهد ، والخبرة بالحرب والقتال .

٢ – وبما أن الفخر والمدح يكونان لأشخاص أحياء ، بعكس الرثاء ، فهو لميت ، فقد أكثر الشعراء في الأولين من الإكثار من ترديد الصفات التي توحي بالقوة وتبعث الرهبة والخوف في قلوب الأعداء ، كتمام الاستعـــداد ، وكمال القوة الحربية ، وواسع الخبرة الحربية ، وجودة الخيل والأسلحة التي يملكها المفتخرون والممدوحون ، والإكثار من الغارات . أما في الرثاء فقــد اهتموا بالصفات التي تصور القتيل بأنه كان بطلاً عظيماً : ملاذاً لقومـــه ، وملجأ

للمضطرين ، ولا نظير له بحيث لا يوفي به قتيل . ولعل ذلك كان لاستثارة شعور القوم للأخذ بثأره عن طريق غير مباشرة .

٣ – كل المعاني التي قيلت في الفخر قيلت كذلك في المدح ؛ إلا أن المداحين المحترفين زادوا عليها ، ووسعوا فيها : فشن الغارات وقيادتها زيد عليه بأن جعلت الغارات كل عام ، وتشن في زمن الشدة ، فيطول زمنها ، فيوصل الشتاء بالربيع ، ويمتد خطرها فتوغل في الجهات النائية حتى تستولي على إبل المعزاب ، وغنائمها كثيرة ، يعم خيرها حتى تجعل الفقراء المعدمين من ذوي الثراء العريض ، والخيل في الغارات لا تبذل مجهوداً كبيراً فحسب ، بل تنهك قواها ، فتغزو سماناً ، ثم تعود خوص العيون ، هزيلة ، تلقي أفلاءها في الطريق ؛ والبطل الممدوح ليس شجاعاً فقط ، أو كالليث العادي ، بل ليث صفته كذا وكذا وكذا ، وجيوش الممدوحين ليست قوية فقط ، بل نصرها محقق مؤكد ، وأسلحتهم ليست حادة فحسب ، بل ذات تاريخ مجيد تغوص في اللحم وتقطع العظام ، وتكسر الجماجم ، وتتعدى الأجسام الى الصخور فتفتتها ، وتطير منها الشرر . فالمبالغة لدى محترفي المدح ظاهرة واضحة .

٤ – المدح والفخر طبيعيان في شعر القوم الذين لم يتخصصوا في المدح ، فشعر هؤلاء في هاتين الناحيتين عادي ، بل إننا نلمس أن شعرهم في المدح قد يقل في المستوى عن شعرهم في الفخر ، فإذا رجعنا مثلاً إلى قصيدة عامر بن الطفيل التي يمدح فيها خذام بن زيد الذي أجار عامراً من الموت ، وقارناها ببعض قصائده في الفخر ظهر لنا الفرق في المستوى واضحاً . وكذلك قصيدة طفيل الغنوي التي يمدح فيها بني الحرث بن كعب مستواها أقل من مستوى شعره في الفخر .

أما الذين تخصصوا في المدح فالحال عندهم مختلفة ؛ يرتفع مستوى مدحهم عن مستوى فخرهم . فهم في المدح يولدون الأفكار ، ويبالغون ويتأنقون في طريقة العرض . وباعهم في الفخر ، على العموم، قصير ، وليس فيه لهم إلا

أبيات قليلة ، في حين أننا نجد دواوينهم تكاد تغص بشعر المدح . على أن ما ورد لهم من شعر في الفخر ، يقل في مستواه عن مستوى الفخر لدى غيرهم من الشعراء . وهذا يدلنا على أن الخبرة وكثرة المران في ناحية معينة لهما أثر كبير في تقوية الموهبة في هذه الناحية . هـذا ، ولا يغيب عن خاطرنا أثر المنح والمكافآت في شحذ العقل وإعمال التفكير ، وتنشيط الخيال .

ولكن أليس الوازع القبلي يفوق المادي أو يعادله على الأقل ؟ إنا نشك في صحة هذا المقياس لدى قوم مثل هؤلاء الشعراء الذين اختلطوا بغير قومهم من الرؤساء والعظماء وانقطعوا لهم ، فاجتذبتهم مخالطة هؤلاء ، وأغرتهم المادة ، وانسلخوا من البادية ، فقلّت لديهم العاطفة القبلية التي يقويها اعتماد الفرد على القبيلة ، وارتكانه على دفاعها عنه ، وحمايتها له .

فهؤلاء المداحون ارتموا في أحضان بعض العظماء الذين كفلوا لهم متعـــة الحياة ، ونعمة الراحة في سعة ورغد دون مشقة أو كدّ ، فلا عجب حينئذ أن ينقطـع الشاعر من هؤلاء لولي نعمته ، ويخصه بشعره ، حتى إن الواحد منهم كان يفقد رشده ، وتظلم الدنيا في عينه ، ويفقد كل أمل في الحياة إذا غضب عليه الممدوح. ولا عجب كذلك إن تفتن أولئك المداحون في مدحهم، وقصر باعهم في الفخر ببطولة قومهم .

٥ – لم تحظ آثار السلف ، والأيام السابقة للآباء والأجداد في شعر المدح، من الاهـتمام مثل ما أعطيت في الفخر ، بل تكاد تكون معدومة الذكر في المدح ، وقد يكون السبب في ذلك رغبة المادحين في إظهار الممدوح عظيماً في نفسه بنفسه هو وحده .

ثامناً : الاثارة :

١ – عدد الأبيات هنا قليل ، وأوردنا في تحليل الشعر بعض احتمالات قد تكون السبب في هذا .

٢ – من هذا الموضوع ، نرى أن الآراء في كل عشيرة ، كانت تختلف ،

وأن وجهات النظر أحياناً كانت تتضارب كما هو شأن كل مجتمع . فكان الشعراء يحاولون دشعرهم ترجيح أحد الآراء ، أو تقوية اتفاق تم بين العشيرة ، رغبة في مضاعفة الهمم ، وبذل أكبر قسط من النشاط والجهد .

٣ - كانت المقطوعات الشعريـة في هذا الموضوع ، على العموم ، قصيرة ، خصوصاً تلك التي تنشد ساعة القتال .

٤ - كان للنساء عمل ظاهر الأثر في الإنشاد ساعة القتال ، أو قبيـل البدء فيه .

٥ - قد لعب المكر والدهاء هنا دوراً خطيراً ، ويتجلى ذلك في إهانة القوم المقصودين بالإثارة أحياناً باستعمال أسلوب التورية ، والإشادة بشجاعة قوم آخرين وبطولتهم .

تاسعاً : الانذار :

١ - أشرنا فيما سبق إلى قـلة عدد الأبيات في هذا الموضوع . وأوردنا هناك ما قد يكون توجيهاً لذلك .

٢ - الشعر في هذا الموضوع يدلنا على شدة إخلاص الشخص لقومه ، مهما كانت صلته بالمعادين لهم ، ومهما كان حبهم له ، وثقتهم فيه ؛ فكان يـكلف نفسه عناء التعب ، ومشاق السفر ، ويتحمل الآلام والمصاعب ، حتى يصل إلى قومه لينذرهم ، ويخبرهم بما يبيته ضدهم قوم اعتقدوا فيـه الإخلاص التام لهم ، ووثقوا به .

وفي الشعر نرى فلسفة الشعراء بمـا يؤكد الإخلاص الشديد للعشيرة ، والتفاني في المحافظة عليهم وعلى شرفهم ، مهما كلف الواحد منهم ذلك ، ولو أودى بحياته .

٣ - ويدلنا هذا الشعر كذلك على أنه كان هناك بعض القوم ، من قصر النظر والبلاهة بمكان لدرجة أن كانوا يتوقعون من الشخص أن يتواطأ معهم على

قومه ، فيدبرون الشر على مرأى منه ومسمع ، ويتركون أخبـــار عداوتهم لقومه والاستعداد للهجوم عليهم تصل إليه ، ثم لا يحيطونه بسائر الضمانات التي تكفل لهم عدم اتخاذه أية وسيلة لتبليغ قومه .

٤ - قد بالغ الشعراء أحياناً في وصف قوة القوم الذين ينوون الهجوم . وربما كان ذلك لكي يتخذ قـــوم الشاعر من أنواع الاستعداد والخطط والاحتياطات ما يكفل لهم النصر ، ورد كيد الأعداء في نحورهم بإهلاكهم والقضاء عليهم .

عاشراً : **النصح والتحذير :**

١ - رأينا في تحليل الشعر أن ما قيل في هذا الموضوع قليل ، وهو يدل على أن المنازعات كانت تحدث بين الأهل ، والأقارب والأصدقاء والحلفاء ، ولكن هذه القلة ربما تشير إلى أن مثل هذه المنازعات كانت قليلة الوقوع ، وإن كان يحتمل أن قلة الأبيات في هذا الموضوع ربما توحي بأنه لم يكن من عادة الناس في ذلك الوقت أن ينصحوا بالرجوع عن القتال عن طريق استعمال الحكمة والمنطق ، وأنهم كثيراً ما كانوا يندفعون إلى الدخول في الحرب دون روية أو تدبر .

٢ - وعلى كل حال فهذه الأشعار التي قيلت في هذا الموضوع دليل على أن القوم في بعض الأحيان كانوا يستعملون العقل والحكمة قبل الاندفاع في الشر ، فيبصّرون المعتدين بحقيقة الأمر ، وينصحونهم باتبـــاع الرشد ، ويعطونهم فرصة للتفكير ومراجعة أنفسهم ، حتى لا تقع مسؤولية العاقبة إلا عليهم وحدهم .

يُلاَمُ المفرِّطُ في أمرِهِ   إذا صرَّحَ الأمْرُ للمُعْذرِ

٣ - والشعر في هذا الموضوع ، وإن كان يدل على حدوث منازعات بين الأقارب والأصحاب، فإنه يدل كذلك على مدى احترام القوم حينئذ لصلات

القربى والرحم ، والصداقة ، وأنهم كانوا يحبون أن يحاسبوا أنفسهم قبل الشروع في عمل لا يتناسب مع ما تقتضيه القربى والأخوة .

٤ – قد ذكرنا فيما سبق أن النصح كان يصحب عادة بالتحذير ، وقد قلنا أن الشعراء ربما كانوا يفعلون ذلك لئلا يظن القوم المنصحون أن الناصحين ضعفاء ، أو خائفون . ولكن ألم يكن هذا التحذير مثيراً للنفس ، شديد الوقع ، بحيث يستثير الشعور أكثر مما يهدىء الخاطر ؟ ربما كان ذلك جائزاً إذا كان التحذير شديد اللهجة ، ولكن إذا كان معتدلاً ، يتجلى فيه الاتزان ، والرغبة الحقيقية في تجنب الشر ، فلا شك أنه يكون جديراً بالقبول والتقدير.

وإذا نظرنا إلى ما قيل من شعر في هذا الموضوع ، نجد أن بعضه كان شديد اللهجة ، وبعضه كان يقال في طريقة مقبولة لا تثير الشعور . وذلك تبعاً لحالة القوم المنصوحين ، وما قاموا به من أعمال ، فكان الكلام على حسب مقتضى الحال . ولكل مقام مقال .

حادي عشر : في المتنوعات :

١ – من الوصايا العربية في ذلك الوقت . نستطيع أن نستنتج أن التربية الحربية كانت من أهم الأشياء التي يوصي بها الرجل ابنه . ولكننا لم نعثر في الشعر على ما يدل على أنه كانت هناك دروس ، أو تمارين عملية تعطى في ذلك . بل كل ما يشير إليه الشعر هنا هو الحث على التمسك بالمروءة والبطولة والشجاعة وملاقاة الشدائد في الحروب وغيرها بعزيمة وجلد وثبات . ويبدو واضحاً أن الشخص كان يكتسب المعرفة الحربية بالاشتراك الفعلي في القتال ، وكلمة « مجرِّب » أو « مجرَّب » يقصد بها الخبرة العملية الفعلية لا التدريب والتمرين . وكانت طرقهم في الحرب والقتال بدائية ، ولم يكن بينها أشياء هامة ، أو تعليمات ضرورية كثيرة تحتاج إلى شرح وتفكير وتدريب .

٢ - ومما قيل في صنع الجميل يتبين أنهم كانوا يقدّرون المعروف ،

ويكبرون فاعله ، وأن الملامة كانت من نصيب من لا يفعل الجميل مع القدرة عليه .

٣ - ونفهم من توسّط العظماء لدى أمثالهم في أمر لهم او لغيرهم ، أن هؤلاء كانوا يحبون أن تكون الصلات بينهم قوية وعلى أساس من الحب والوفاء، ويرحبون بالقيام بمعروف أو جميل يحمده له صاحبه ؛ ويكون له ذخراً عنده ينفعه وقت الشدة .

٤ - أما قتال الأقارب ، فيرينا ما قيل فيه من شعر أن الحميـة الجاهلية كانت قوية وخطيرة لدرجة أن العربي في ذلك الوقت ، لم يكن لديه : أحياناً من القدرة على ضبط النفس ما يمنعه من الدخول في حرب مـع بعض أفراد قبيلته ، حينما يثور وينفعل .

ولكن ، مع ذلك ، يبدو انه عندما تهدأ ثائرة العربي بعـد القتال ، كان يعاوده الصواب ؛ فيفكر فـيما حدث ، فيعتريه حزن شديد ، وشعور كله أسف عميق ، بسبب ما حدث لقومه ، الذين هم عضده ، ولا خلف له منهم .

على أننا رأينا في موضوع « النصح والتحذير » أن القوم حينئذ كان فيهم من يتريث قبل الإقدام على أية خطوة شريرة ، فيفكر ، ثم ينصح ويرشد . ومن كثير من الأمثلة يتضح أن القوم ما كانوا يقدمون على مثل هذا القتال إلا بعد أن يظهر التمادي في الغي والظلم ، وتصبح الحرب ضرورية لوقـف الجور والطغيان .

وعلى كل ، فهذا يرينا أن الروح العصبية كانت قويـة ، والمحافظة على وشائج القربى كانت متينة ، ولئن ظهرت الحميـة الجاهلية وطفت في بعض الأحيان ، فأسدلت على عيـون القوم غشاوة أعمتهم عن احـترام القربى ، ومراعاة ما للعصبية الدموية من حقوق وواجبات فإن هذه الحمية كانت سرعان

ما تخبو نارها ، وتحور رماداً ، فتنجلي الأمور على حقيقتها ، ويعود الرشد ويصلح التفكير .

٥ — وفيما قيل من شعر في تهدئة المتحاربين ، أو الصلح بين المتنازعين . نرى أن الروح الطيبة التي تحب السلم، وتدعو إلى الأمن والخير كانت موجودة بين ذلك المجتمع الذي عرف بالحمية الشديدة ، والثورة العنيفة لأتفه الأسباب، فكان هناك العقل والحكمة والتفكير السليم بين أفراد عصر وصم بالجهل والظلمة والفساد .

* * *

الفصل الثاني

العاطفة

العاطفة إحدى عناصر الأدب ، وهي القوة الخفية التي تحرك الأديب ، فتفيض بسببها نفسه ، ثم يترجم أفكاره وأحاسيسه إلى أصوات ذات مقاطع وحروف في نتاجه الأدبي .

والعاطفة ، وإن كانت قوة خفية ، فلا بد لها من أسباب تحركها وتثيرها ، ومما لا شك فيه أن العاطفة في شعر الحرب تثيرها الحروب ، وما يتصل بها من ظواهر مختلفة ، اللهم إلا في مجموعة المدح من هذا الشعر ، فإن المثير لها مباشرة لدى الشعراء المداحين هو الرغبة في الحصول على الجوائز والهبات ، لكن لا بد مع هذا أن يخلق الشاعر لنفسه في تلك الحال جواً من الصراع والقتال يتخيله ، ثم يحاول أن يحمل نفسه تنفعل به ، كي يثير عواطفه ، ويحرك وجداناته ، فيجيء شعره قوياً مؤثراً ، فيه خصائص الأدب الصحيح .

وقد رأينا في تحليل الشعر أن الحرب أمدت الشعراء بميدان فسيح ، مملوء بالأغراض ، فجاء شعر الحرب في موضوعات شتى . ولا شك أن العواطف في شعر الحرب وإن كان المثير العام لها هو الحرب أو ما يتصل بها ، فقد كانت هناك حوافز مباشرة تثير العاطفة بحسب الغرض الذي يتحدث فيه الشاعر ، وتختلف

هذه الحوافز باختلاف الأغراض ؛ فالعاطفة التي تهيج الشاعر فتجعله ينشد فخراً . غير تلك التي تجعله ينشد هجاء ، أو ينشد رثاء ، وإن كان المثير العام في هذه الأغراض واحداً وهو الحرب .

لذلك ينبغي أن نتحدث عن العواطف المختلفة في كل موضوع على حدة ، ثم نتبع ذلك بملاحظات على العاطفة في هذه المجموعة الشعرية على العموم . وحيث إن الوصف مندرج ومبعثر في الأغراض الأخرى ، فلن نفرده بحديث خاص كما حدث في الكلام عن الأفكار .

وقبل كل شيء يجب أن نعرف أن العاطفة تختلف باختلاف الشعراء ، وتختلف في الشاعر الواحد باختلاف الأغراض التي يتحدث فيها ، وتختلف عنده كذلك في الحديث عن غرض واحد باختلاف الأحوال والظروف التي تحيط به في وقت نشاطه الأدبي . فثورة العاطفة تتوقف درجتها على مدى تأثر نفسية الأديب بالسبب الذي يثير العاطفة ، فقد تكون استجابته لهذا المثير في وقت ما أقوى منها في وقت آخر . ومن ثم تختلف درجة العاطفة قوة وضعفاً تبعاً لاختلاف الشعراء ، واختلاف الأحوال لدى الشاعر الواحد ، لهذا سيكون حديثنا عن العواطف هنا مقصوراً على السمات العامة للعاطفة في هذا النوع من الشعر ، وسنحاول أن نضرب بعض الأمثلة بدراسة العاطفة في بعض النصوص الشعرية توضح الحقائق السابقة .

* * *

فإذا نظرنا في المجموعة الشعرية التي اخترناها لنعرف العواطف المختلفة ومثيراتها في الأغراض السابقة نجد أنه يمكن إجمال ذلك فيما يلي :

في الفخر تسيطر عاطفة العجب والفرح والتعالي ؛ ويثير هذه العاطفة نشوة النصر ؛ أو الثورة بسبب ما قد يوهم طعناً في الشرف كالمعاملة غير الشريفة ، أو المقابلة بما لا يليق من الاحترام والإجلال ؛ أو اللوم في غير موضعه ؛ أو كفران البلاء ؛ أو عدم الاعتراف بالجميل والشكر عليه ؛ أو استنكار الهيئة

والمظهر ؛ أو الرغبة في التعي بالبطولة القبلية أو الشخصية ؛ إظهاراً للشرف أو تخليداً للمجد أو استرضاء للمحبوبة وكسباً لعطفها ورضاها .

وفي الهجاء والتوبيخ عاطفة الكراهية والأسف والغيرة والحقد والتعالي ؛ ويثيرها : حمق المعتدي ، وابتهاج الشاعر بما نال العدو من الهزيمة ، وخذلان القوم ، والقعود عن نصرة الأهل أو الأصدقاء ، وفخر متقدم ، وهجاء سابق ، وانثلام اتحاد العشيرة ، وكفران المجهود ، والتسابق في المجد ، والتنافس في الشرف .

وفي الاعتذار عاطفة حب التعالي والترفع عن المخازي ، ويثيرها : الرغبة في الدفاع عن الشرف ، والتبرئة من ظن سيىء ، والرد على متعال متطاول ، أو مفتخر .

وفي الوعيد تسود عاطفة الغضب ؛ وحب السيطرة والرفعة ، ويثيرها : قتل قريب ، أو هزيمة وفخر العدو بسببها ، أو نصر طمعاً في نصر أعظم ، أو تدبير مكيدة ، أو ثورة على متوعد ، أو منتقص للشرف والكرامة .

وفي الرثاء تظهر عاطفة الحزن واللوعة ، ويثيرها : عظم وقع المصيبة ، والوفاء للفقيد ، والألم الشديد لفقده ، ومحاولة التخفيف من وقع الكارثة ، وتعزية المصابين .

وفي المدح تسيطر عاطفة الرغبة والطمع ؛ ويثيرها : الشوق والتلهف إلى صنع معروف أو جميل ، أو الميل إلى تمكين الصلة ، وتوطيد الصداقة ، ونيل جائزة أو هدية ، أو الاعتراف بجميل والثناء للقيام بعمل جليل .

وفي الإثارة عاطفة الغضب وحب السيطرة والرفعة ، وكان يثيرها محاولة السيطرة أو مس الشرف ، وخشية أخذ الدية ، والشعور بالظلم ، والتأكد من وقوع الحرب ، واستحثاث القوم للقتال .

وفي الإنذار تظهر عاطفة الحب والإخلاص وحب السيطرة ، ويثيرها حب القبيلة ، والإخلاص للعشيرة ، وتمني النصر والمجد لهم .

وفي النصح والتحذير عاطفة الغضب مع الحدب والإشفاق وحب السيطرة؛ وكان يثيرها : التحامل على القوم ، ومحاولة الاعتداء ، والطغيان ، والرغبة في تجنب الحرب ، والميل إلى تسوية الأمور بطرق سلمية ، والتألم من سلوك الآخرين ، والحرص على دوام المودة والصفاء .

وتتجلى في الوصية عاطفة الحب والرغبة في التعالي وحب الظهور ، وفي نزاع الأقارب الغضب والحزن مع الحب والإخلاص ، وفي تهدئة المتحاربين حب الخير والسلم .

***

والعاطفة في شعر الحرب في العصر الجاهلي عاطفة جماعية قبلية ، على العموم ، فهي تتصل بنواحي القبيلة في شتى نواحيها ، وتعبر عن مشاعرها ، إحساسه ، ويتنفس أنفاسه ، وتفيض نفسه بمشاعره وعواطفه . وشعر الحرب وتتجه بآمالها وميولها إلى جهة توحد غاياتها ، وتربط أواصرها ، وتجعل منها وحدة متماسكة ، وتصف إحساساتها في شتى المناسبات .

وإن كنا نجد الشاعر في بعض الأحيان يتحدث عن عاطفة خاصة به في الفخر ، أو الهجاء ، أو الاعتذار أو المدح لمن صنع به جميلاً ، فإن ذلك لم يكن كثيراً ، على أن معظم ما قيل في هذا الشأن كان على لسان الرؤساء ، أو القادة ، أو العظماء ، والواحد من هؤلاء إذا تكلم بلسانه فكأنه يتكلم بلسان جميع أفراد القبيلة ، فهو وليهم ، يتولى شئونهم ، ويرعى أمورهم ، وله الحق في أن يتحدث بلسانهم . ثم إن هذه الأمثلة الشخصية تعطينا دليلاً قوياً على أن الشاعر لم يكن يعيش تحت حكم قبلي دكتاتوري ، وإنما كان حراً ، يقول ما يشاء ، ويعبر عن عواطفه في أية صورة من الصور ، شخصية أم قبلية ؛ كما أنها تدل على أن الشعراء في معظم أشعارهم كانوا يعبرون عن مشاعر قبائلهم ، ويترجمون عواطفهم ، لا بحكم قانون ملزم ، يطيعونه قهراً عنهم ، ولكن كان ذلك عن طواعية ورضا وإيمان ، وبمقتضى طبيعتهم وسجيتهم ، إذ كانوا يرون أن ميولهم قبلية ، وروحهم عصبية بمحض إرادتهم ، فلئن تحدثوا عن

مشاعر جماعاتهم ، فقد كان ذلك تحقيقاً لرغبات متمكنة في نفوسهم وإرضاء لنزعات ثابتة في أرواحهم .

***

وفي شعر الحرب نجد العاطفة صادقة ، أي منبعثة عن سبب صحيح ، غير زائف ولا مصطنع . فهذه المثيرات التي سردناها آنفاً كان لها تأثير قوي في نفوس الشعراء ، فأثارت وجداناتهم وألهبت مشاعرهم ، فنبعت هذه العواطف من حنايا صدورهم ، ومن حبات قلوبهم ، وسبب ذلك نظام حياتهم ومعيشتهم الذي جعل في كل قطرة من دم الشخص إخلاصاً شديداً لأهله ، وحباً قوياً لقبيلته ، وعهداً وثيقاً لرفع شأنها ، وإعلاء كلمتها . ومن ثم كان انتصارها يشعر به قلبه ، فيثير عواطفه ، فينطلق لسان الشاعر فخراً بها وتمجيداً لها ؛ وهزيمتها غم يظلم عينيه ، وحزن يثير مشاعره ، فينسج أبياتاً تخفف آلامه باحثاً عن سبب يتمسح فيه ، أو هاجياً ، أو متوعداً ؛ وفقدُ عزيز مصاب جلل يبعث الحزن الشديد والألم العميق ، فتفيض عبرات الشاعر حسرة ولوعة ، في شعر كله بكاء حار ، ووعيد بإبادة المعتدين ، فإذا ما أخذ بالثأر سرَت النشوة في نفسه مسرى الدم في شرايين جسمه ، فأحس الراحة والطمأنينة ، وغنى غناء الفرح الطروب ؛ والخطر الذي يتهدد قبيلته خطر شخصي ضده ، يؤجج مشاعره ، ويلهب إحساساته ، فيصوغ من شعره ما يفيض حماسة وحمية وغيرة . وهكذا نجد العاطفة ، في جميع الأغراض ، صادقة صحيحة ، تنبيء عن أنها نابعة من شعور حقيقي ، وإحساس عميق ، صادرة من سويداء القلوب ، وأعماق النفوس .

كما أن العاطفة ، على العموم ، تتجلى قوية ، فهي تثير مشاعر القارىء والسامع ، وتجعل كلا منهما يتجاوب معها وينساق في تيارها ، فتهتز أوتار قلبه ، وتنبض شرايين جسمه ، وتخفق طيات صدره ، ويعتريه إحساس عجيب ، يحجب عينيه عن مظاهر حياته العادية الرتيبة ويفتحها على مظاهر أخرى عجيبة فينقله من عالم الحس المادي إلى عالم الوحي الروحي ، فإذا هو

يسبح مع الشعراء في أجواء المتعة والجمال ، ويصير كأنه هو الشاعر ؛ يحس احساسه ويتنفس انفاسه وتفيض نفسه بمشاعره وعواطفه وشعر الحرب في العصر الجاهلي مملوء بالأمثلة القوية الرائعة التي تؤيد هذا كله .

فمَن منّا يقرأ مثلاً قصيدة مزرد فيما أعده للحرب ، ثم لا يحس أن الإعجاب بالفرس قد ملك عليه نفسه ، ولا يصير كأنه يقلّب بصره ، ويتبعها في حركاتها وسكناتها ، وينتقل في جسمها من عضو إلى عضو ، ولا يوافق صاحبها على الاعتقاد بأن الوجود ليس فيه نظيرها ، فيأخذ على نفسه عهداً بألا يفرط فيها ولا يفارقها مدى الحياة ؟.

أو يقرأ قصيدة أوس بن حجر في أسلحته الحربية ، ثم لا يحس زهوه . وبهجته بالرمح والسيف ، ولا يشعر بما تكبده من عناء ومشقة في سبيل الوصول إلى شجرة القوس ، فلا يرى ما كان بينه وبينها من صعاب وأهوال : جبال ، وهضاب ، وصخور ، فيها شقوق وصدوع ، ولا يتتبعه وهو يصعد القمم العالية ، ويتسلق الصخور الملساء كأنما طليت بدهن ، وينتقل بين الشقوق الواسعة ، والصدوع الهاوية ، ثم لا يحس في أثناء ذلك أن روحه تضيق ، وضربات قلبه تزداد ، وأنفاسه تتضاعف ، وريقه يقل ، ولا يرى إلا نفسه كأنها تقوم بهذه الرحلة الشاقة المضنية ، وهو في منتهى الحرص والوجل خشية أن تزل قدمه فيسقط في تلك المهاوي السحيقة وتتقطع أوصاله ؟

أو يسمع ما يقوله قيس بن الخطيم في طعنته التي ثأر بها لوالده ولا يحس بهولها وشناعتها ، إذ كانت نافذة واسعة ، يرى الناظر منها ما خلفها ، ثم لا يشعر كأنه هو الموتور وقد أرضته هذه الطعنة ، وشفته مما كان يعاني من ألم ، فسرت النشوة في جسمه ، ثم لا يملك نفسه من أن يندفع معه قائلاً :

مَتَى يأتِ هذا الموتُ لا تَبقَ حاجةٌ   لنفسي إلَّا قدْ قَضيتُ قَضاءَها
وكانت شجاً في الحلقِ مالم أَبُؤْ بِها   فأبتُ بنفسٍ قد أَصبتُ دَواءَها؟

وأين ذلك الشخص الذي يقرأ عمرو بن كلثوم في معلقته مفتخراً بالناحية الحربية وما يتصل بهـا ، ثم لا يحس أن نفسه قد غمرها التعالي والعجب والخيلاء ؟ أو يقرأ معظم ما قاله من شعر في الحرب كل من عبيد بن الأبرص وعامر بن الطفيل ولا يشعر بالبطولة والشهامة ؟ أو قصـائد عنترة ولا يرى الفروسية والشجاعة ؟ أو قصيدة أوس بن غلفاء التي يهجو فيها يزيد بن الصعق وأصحابه المنهزمين ، وقصيدة سلمة بن الخرشب في هجاء بني عامر ثم لا يحس قوة في الإهانة والتحقير ؟ أو معلقة الحارث بن حلزة ولا يحس فيها قوة الثقة بالنفس ، وشناعة التعريض بالخصوم ؟ أو رثاء مهلهل لكليب ثم لا يحس ناراً تأكل صدره ، وحقداً يغلي في قلبه ، وقوة تدفعه لالتهام الأعداء؟ أو قصيدة الحارث بن عباد حينما قتل التغلبيون بجيرا ، ولا يحس بخطب الفجيعة وهول المصاب ، ثم لا يراه وهو يهيىء نفسه للدخول في نيران الحرب المشتعلة حين يصرخ :

قَرِّبا مَربِطَ النَّعـامة مِنّي لَقِحَت حَربُ وائلٍ عَن حِيالِ

ولا يتبعه ببصره ، وهو يمتطي صهوة جواده ، ويعدو بهـا مصمماً على تنفيذ وعيده حين يعلن :

قَرِّبا مَربِطَ النَّعـامة مِني لَيْس قَولي يُرادُ لكن فِعَالي[1]؟

ومن ذا الذي يقرأ مدح زهير لصاحبيه اللذين أصلحا بين عبس وذبيان ، وتحملا ديات القتلى من أموالهما الخاصة ، ولا يشارك زهيراً في الإعجاب بما قامـا به ، وما ضحيا به في سبيل الصلح والسلم ، ثم لا يوافقه على أنهما خير الناس ، ويمنع نفسه من أن يهتف معه :

فأقسمتُ بالبيتِ الذي طَافَ حَولَه رجالٌ بَنَوْه من قُريشٍ وجُرهُمِ

---

(١) شعراء النصرانية ، ص ٢٧٢ .

يميناً لنعمَ السيّدانِ وُجِدتُما		على كلِّ حالٍ مِن سَحيلٍ ومُبْرَمِ
تداركتُما عَبساً وذُبيانَ بعدمَا		تفانوا ودقُّوا بينهُمْ عِطرَ مَنْشِمِ
وقدقلتُما إن نُدرِكِ السِّلْمَ واسعاً		بمالٍ ومعروفٍ مِنَ القولِ نَسْلَمِ
فأصبحتُما مِنها على خيرِ مَوْطنٍ		بَعيدَينِ فيها مِنْ عُقُوقٍ ومَأْثَمِ
عَظيمَيْنِ في عُلْيا مَعَدٍّ هُدِيتُما		ومَن يَستَبِحْ كَنزاً مِن المجدِ يَعظُمِ ؟

أو قصيدة لقيط الإيادي التي ينذر فيها قومه ، ولا يرى كلماته تتدفق حباً وإخلاصاً ، وتفيض بالحنان والإشفاق ؟

أين هؤلاء الأشخاص الذين يكونون على هذه الأحوال ، مع تلك الأمثلة وغيرها من شعر الحرب التي تتجلى فيها قوة العاطفة ، وعمق الإحساس ؟ أغلب الظن أنه لا وجود لهؤلاء إلا من كان يتعامى عن الحق ، أو من كان النور القوي يكاد يخطف بصره فيعرض عنه ثم يدّعي أنه لا يرى شيئاً ، أو مَن يحاول أن يشل ما في طبيعته من قوة ذواقة للمتعة ، حساسة للجمال . فقوة العاطفة في هذه الأمثلة ونظائرها الكثيرة من شعر الحرب في العصر الجاهلي ظاهرة بينة ، لا يملك الإنسان نفسه إزاءها ، بل تجرفه في تيارها ، وتحمله إلى آفاق رائعة من عالم الشعر الحلو الجميل . ولا شك أن هذا دليل على عمق إحساس الشعراء وقوة شعورهم .

ومن هذه المجموعة الشعرية يتضح أن عواطف الشعراء – كما سبقت الإشارة إلى ذلك – تختلف في القوة باختلاف الشعراء تبعاً لأخلاق الشاعر ، وما أثر عنه من سلوك وعادات ، وتبعاً لما أحاط به من ظروف ومناسبات .

وإذا أردنا مثالاً لذلك فليكن مقارنة بين أشعار الحروب لكل من امريء القيس الذي قُتِل أبوه حجر ، والمهلهل الذي قُتِل أخوه كليب .

لقد قتلت حجراً أبا امريء القيس قبيلةُ أسد قومُ عبيد الأبرص ، وذلك لأن حجراً حاول أن يفرض سيادته على أسد . وأما كليب فقد قتله بكر أبناء عمومته لطغيانه وغطرسته في سلوكه نحوهم . فأمرؤ القيس والمهلهل يكادان يتفقان في الظروف، بل إن الأول تكاد ظروفه تكون أشد وأقسى لأن قتل الأخ ليس في الهول والجرم كقتل الأب ، ولأن اعتداء الأجانب وهم بنوا أسد على أبي امريء القيس أشد وأعنف وأقسى على المرء من اعتداء الأقارب على بعض أقاربهم كما في حال كليب أخي المهلهل فلننظر الآن كيف كانت عواطف كل من شاعرينا هذين ، ومدى قوة كل منهما العاطفية .

فعندما قُتل والد امريء القيس نرى ابنه الشاعر يتحدث عن ذلك فيقول [1] :

أَتَاني وَأَصْحَابي عَلى رَأسِ صَيْلَعٍ　　حَديثٌ أطارَ النَّوْمَ عَنِّي فأَنْعَمَا
فقلتُ لعجليٍّ بَعيدٍ مآبُهُ　　أَبنْ لي وبيِّن لي الحديثَ المُجَمْجَما
فقالَ: أبيتَ اللعنَ،عَمروٌ وكاهِلٌ　　أباحا حِمَى حُجْرٍ فأصبحَ مُسْلَمَا

ففي هذه الأبيات يذكر أن الخبر قد أطار النوم عنه ، فحسب ، ومن ثنايا البيت الثاني نستطيع أن نلمح الارتباك النفسي الذي اعتراه ، حيث وقع فيما لا حول له فيه ولا قوة له على استقباله،حتى دعا على العجليّ الذي أبلغه الخبر بألا يرجع ولا يعود ، وهو مع ذلك في البيت الثالث لا ينسى الغرور والحمق في هذه اللحظة فيدعو لنفسه –على لسان مخبره– بقوله : «أبيت اللعن» : ثم يتوعد قاتلي أبيه في كلمات مقتضبة ، منها :

تالله لَا يذهبُ شَيْخي بَاطلا [2]

(١) العقد الثمين ، ص ١٥٦ ، القصيدة رقم ٥٦ . وديوانه (دار المعارف) ص ٣٤٣ .
(٢) المرجع السابق : ص ١٤٣ ، القصيدة ٤٤ . وديوانه (دار المعارف) : ص ١٣٤ .

وهو هنا يصف في أبيات قصيرة وجيزة ما أعده من الخيل والرماح والأقوام التي ستساعده حتى لا يذهب أبوه باطلاً . وفي موضع آخر يهدد ، فيقول :

فَإنْ تَدْفِنُوا الداءَ لَا نَخْفِه ... وإن تَبْعثُوا الحربَ لا نَقْعُدِ
وإن تَقْتُلُونا نُقَتِّلْكُمُ ... وإنْ تَقْصِدُوا لِدَمٍ نَقْصِدِ (١)

فالضعف النفساني ظاهر في هـذين البيتين ، حيث يعلق قتلهم على قتالهم إياه ، ومحاربتهم على بعثهم الحرب ضده !

فالعاطفة الشعرية هنا غير قوية كما ينبغي أن تكون في مثل هذه الحالة ، تنقصها الحمية الثائرة ، والثورة الهائجة ، والشعور الملتهب المأثور عن عادة البدو الجاهليين . وذلك على ما يظهر راجع إلى خلق امرىء القيس نفسه ؛ فكل أشعاره لا تنبىء عن أنه كان صاحب سلاح وقتال ؛ بل صاحب خلاعة وفجور ولهو ، لا بطولة ورجولة وجد ، حتى لقد اعترف هو بنفسه على نفسه ، إذ قال إن عجبه ولهوه وخلاعته كانت هي التي أضرته وأسقطته وسط المجتمع ، وذلك في بيته :

لَعَمرُكَ ما إنْ ضَرَّني وَسْطَ حِمْيَرٍ ... وأَقْوَالِها غَيْرُ المَخِيلَةِ والسُّكْرُ (٢)

وهو في أشد أيام محنته وشقائه كان لا ينسى لهوه وخلاعته ، ففي قصيدة له يصف فيها مـا أحاط به من الشدة والبلايا بسبب موت أبيه ، وتجشمه الصعاب لمحاولة الأخذ بثأره يقول :

---

(١) المرجع السابق : ص ١٣٣ ، القصيدة رقم ١٤ . وديوانه (دار المعارف) : ص ١٨٦ . يقال : خَفَيْتُ الشيء ، أي : أظهرته .

(٢) المرجع السابق : قصيدة ١٧ ، البيت ١٢ ، ص ١٢٥ .

وَلَمْ يُنْسِنِي مَا قَدْ لَقِيتُ ظَعائنا وخَمْلاً لَهَا كَالقَرِّ يوماً مُخَدَّرا(١)

ولشدة اشتهاره بالخلاعة وعدم ميله للحروب وأهوالها ، هجاه منافسه عبيد بن الأبرص شاعر بني أسد قاتلي أبيه في كثير من أشعاره بهذا ، ومما قاله في ذلك (٢) :

وَأنتَ امروٌ ألهَاكَ دُفٌّ وَقَينةٌ فتُصْبِحُ مَخْمُوراً وتُمسي كَذَلكَا
عَنِ الوِترِ حتّى أدركَ الوترَ أهلُه وأنتَ تُبكّي إثْرَهُ مُتهالِكَا
فَلاأنتَ بالأوتارِ أدركتَ أَهلَها ولم تَكُ إذْ لم تَنْتَصِر مُتَماسِكا
وركضُك لولاه لَقِيتَ الذي لَقُوا فَذاكَ الذي أنجاكَ مِمَّا هُنالكا
ظَلَلْتَ تُغنّي إن أصبتَ وَلِيدَةً كأن مَعَدّاً أصبحت في حِبالِكَا

وفي أبيات أخرى لعبيد يتهكم به ، فيقول (٣) :

سَقَينا امرأَ القيس بنَ حُجرِ بنِ حارثٍ
كُؤوسَ الشجَا حَتّى تَعَوّدَ بالقَهر
وَألهَاهُ شُربٌ ناعِمٌ وقُراقِرٌ وأعيَاه ثأرٌ كان يَطلُبُ في حُجْر
وَذاكَ لَعَمْري كانَ أسْهَلَ مَشْرَعاً عليهِ من البيضِ الصَّوارِمِ والسُّمْر

ولعل من الأسباب في ضعف العاطفة عند امرىء القيس هنا ، بجانب ميوله الخاصة التي ليست حربية ، أن الظروف الخارجية التي أحاطت به في

(١) المرجع السابق : قصيدة ص ١٢٩ . وديوانه (دار المعارف) : ص ٦٢ .
(٢) ديوان عبيد بن الأبرص : ص ٥٣ ، الأبيات ١٤ - ١٨ .
(٣) ديوان عبيد بن الأبرص : ص ٨٣ .

هذه المناسبة لم تكن من شأنها أن تساعده في هذه الناحية : فوالده قتله قوم كان يريد أن يسيطر عليهم، ويفرض عليهم سيادته، وهو غريب عن قبيلتهم ، هذا إلى أنه كان يَمَنِّى الأصل ، وقاتلوه من عرب الشمال البدو ، فلم يجد شاعرنا أعواناً يشدون أزره ، ويقوونه ، مما أضطره إلى أن يلجأ إلى طرق أبواب متعددة علّه يوفق لصديق مخلص ، أو عون صادق ، ولكنه يحكى أنه كان كلما وجد صاحباً تبين أنه يعوزه الصدق والإخلاص في معونته ، حتى إنه بكى ذلك في بعض أبياته ، فقال [١] :

إذا قلتُ هذا صَاحبٌ قد رَضِيتُه وقرَّتْ بِهِ العَينان بُدِّلتُ آخَرَا
كَذلكَ جَدِّي مَا أُصاحِبُ صَاحِباً مِن النَّاسِ إلا خَانَني وَتَغَيَّرا

ومثل هذا ولا شك ، له أثر سيىء في نفس صاحبنا ، فجعله في النهاية يزهد في الدنيا وما فيها ، ويقنع بما هو فيه ويقعد عن أية محاولة ، ويركن إلى الفلسفة التي تنتهي به إلى أن الحياة لا تساوي كل ما يتخيله المرء فيها ، فما لها عاقبة إلا الموت والهلاك ، وأنه سيكون من نصيب التراب ، أو الضباع والطيور تأكل لحمه ، وذلك حيث يقول [٢] :

فَقَدْ طوَّفتُ بالآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بالإِيابِ
أَبعدَ الحرثِ الملكِ ابن عَمرو وبعد الخيرِ حُجرٍ ذي القِباب
أُرجِّي مِن صُرُوفِ الدَّهرِ لِيناً ولم تَغفُلْ عَن الصُّمِّ الهِضَاب
وأعلم أنني عَمَّا قليلٍ سأنشَبُ في شَبَا ظُفْرٍ وناب
كَما لاَقى أبي حجرٌ وجَدِّي ولا أنسى قتيلاً بالكُلاب

---

(١) العقد الثمين : ص ١٢٩ ،

(٢) العقد الثمين : ص ١٢٠ . القصيدة رقم ٥ .

أما شاعرنا الآخر ، وهو المهلهل ، فقد كان الشعور عنده على أشد ما يكون ؛ فنعي أخيه أهاج نفسه ، وأظلم الدنيا في عينيه ، فانهالت دموعه ، واستولى عليه الهم والغم ،وطال عليه الليل كأن ليس له نهار ، وتطاير الشرر بين جنبيه ، ودار مغشياً عليه ، كما يدور المخمور المخبول :

أرَى طولَ الحَياةِ وَقد تولّى   كما قَـــد يُسلَب الشيءُ المُعَار
كأني إذْ نَعَى النَّاعِي كُلَيباً   تَطايَرَ بَينَ جَنْبيَّ الشَّرَار
فَدُرتُ وقد عَشَا بَصَرِي عَلَيهِ   كَما دارتْ بِشَارِبها العقَار

فذهب عنه الهـدوء والاستقرار ، وأخذ على نفسه العهد الأكيد بتحريم لذات الحياة ، فهجر الغانيات ، وامتنع عن شرب الخمر ، وآلى على نفسه أن يديم لبس الدرع والسيف حتى يبيد بكراً ولا يبقى لها أثراً :

خُذ العهدَ الأكيدَ عليَّ عمرِي   بِتَركي كلَّ مَا حَوتِ الدِّيار
وهَجْري الغَانياتِ وَشُربَ كأسٍ   ولُبسي جُبَّـــةً لا تُستَعار
ولستُ بخالِعٍ دِرْعي وَسَيفي   إلَى أن يَخلَعَ الليلَ النهار
وإلا أن تَبيدَ سَراةُ بكرٍ   فلا يَبقَى لَها أبداً أثَار

وفي قصيدة أخرى يذكر أن الدنيا بعد أخيه ، لا خير فيها ، وأنه عندما بلغه الخبر مادت به الأرض ، وتمنى أن لو تقع السماء على من تحتهـا . وتغور الأرض بمن فيها :

كُليبُ لَا خيرَ في الدُّنيَا ومَنْ فِيها   إن أنتَ خلَّيتَها فيمَن يُخَلِّيها
كليبُ أيُّ فتَى عِزٍّ وَمَكرُمَةٍ   تحتَ السَّفاسِفِ إذْ يَعلُوكَ سَافِيها

نَعى النعَاةُ كُليبـــاً لي فقلتُ لَهمْ
مَادَتْ بِنا الأرضُ أم مادَتْ رَوَاسِيهَا
ليتَ السماءَ عَلى مَن تحتها وَقَعَتْ
وَحالَتِ الأرضُ، فَانجابتْ بِمَنْ فِيها

إلى غير ذلك من قصائده في رثاء أخيه وتوعد الخصوم، مما يفيض حرارة وقوة وينبيء عن عمق إحساس الشاعر، وعنف ثورتـه بسبب قتل أخيه، وقد بلغ من شأنه أنـــه لم يرض، في موقفه هذا، بهجر الغانيات، وتحريم الشراب فقط، بل ترك المزاح حتى مع حليلته، وذلك لانصراف همه إلى محاربة الأعداء استمع إليه يقول:

إنّ في الصّدرِ مِن كُلَيبٍ شُجُونا   هَاجِساتٍ نَكَأْنَ مِنه الجِرَاحا
أنكرتْني حَليلَتي إذ رَأتني   كَاسِفَ اللّونِ لا أطِيقُ المِزَاحا[1]

وشغل نفسه بطلب الثأر لأخيه، وإثارة الحرب ضد أعدائه حتى ترك كل شيء واستنكر أن يصدر منه شعر في بكاء الأطلال أو ذكر الحبيبة مع ما كان فيه من الهم والألم:

أزْجرُ العينَ أنْ تبكّي الطُّلولا   إنَّ في الصَّدْرِ مِن كُلَيبٍ قَتِيلا
إن في الصَّدْرِ حَاجةً لنْ تَقضَّى   مَا دَعا في الغُصُونِ دَاعٍ هَدِيلا
كيفَ يَبكِي الطُّلولَ مَنْ هُوَ رَهْنٌ   بطِعَانِ الأنامِ جِيلاً فَجِيلا[2]

فالمهلهل كان يمتلىء حماسة وحمية، بعكس صاحبنا امرىء القيس الذي كان

---

(١) شعراء النصرانية: ص ١٧٦.

(٢) المرجع السابق: ص ١٧٨.

منهمكاً في الخلاعة واللهو منذ صغره ، تاركاً أحوال الحياة وما فيها من اضطراب ، وأهوال الحروب وما فيها من مآس وويلات ، لغيره ممن كانوا أهلاً لذلك . إلى أن قتل أبوه ، فكان ذلك مفاجأة له وكان بحكم العادة والعرف ، حينئذ ، مضطراً لاستخلاص دمه الموتور ، فرأى نفسه في مأزق حرج ، وموقف غريب لم تألفه نفسه من قبل ، والحادث ، وإن كان جللا ، فإنه لم يثر شاعرية امرىء القيس إثارة قوية ، لأنه لم يكن مما تألفه نفسه ، ولم يكن لامرىء القيس في الشعر فيه خبرة أو مجال معتاد ، فجاء شعره فيه هادئاً بارداً .

أما المهلهل ، وإن كان يحكى عنه أنه كان زير نساء،فبحسب مايتراءى له من شعر في الحرب ، يبدو أنه لم يكن منهمكاً في غيه وفجوره كامرىء القيس فلقد كان بجوار أخيه كليب سيد قبيلته ، شخصاً مهاباً بين العرب كلهم ، على ما تحكي لنا الروايات ، ولم تكن أحوال الحرب جديدة ، أو غريبة ، على المهلهل ، كما كانت على امرىء القيس ، هذا إلى أن الظروف كانت تختلف مع المهلهل ، عنها مع امريء القيس ؛ فكما قدمنا كان والد امريء القيس قد قتل بيد قوم يطلبون المحافظة على الحرية والسيادة ، ويحاربون الاستعباد والخضوع لأجنبي عنهم ، فلم يكن عجباً ألا يلقى امرؤ القيس معاونة أو مشاركة وجدانية من كثير من القبائل ، حتى من تطوع لمعاونته كان إلى وقت قصير ، وذلك لنقص الشعور الداخلي الذي يدفعهم إلى الإخلاص والصدق في المعونة . ولا شك أن هذا كله خليق بأن يؤثر في عاطفة امريء القيس الشاعرية في هذا النوع من الشعر ، فلم يصل إلى درجة شاعريته القوية التي نجدها في الأوج في الغزل والنسيب وبكاء الأطلال ، ووصف الخيل ومناظر الطبيعة وغير ذلك من الأشياء التي شغف بها منذ الصغر ، فملكت عليه نفسه وحسه ، فقويت شاعريته فيها ، وظهرت في عاطفته القوية في هذه النواحي ، لا في ناحية الحرب الغريبة عنه وعن مألوفه . أما ظروف المهلهل فالقبيلة كلها كانت تشاركه نفس الشعور ؛ ثورة لشرفها المهان لقتل

رئيسها ، وحمية وحماسة ملتهبة للأخذ بثأر عظيمها ، ولا شك أن ذلك جدير أن يكون له أثر عظيم في نفس المهلهل ، مما يلهب عاطفته الشعرية في هذه الناحية ، ويجعلها تظهر في شعره قوية مثيرة . ومن المعروف أن شدة انفعال القارىء أو السامع بالنص الأدبي ، دليل على قوة العاطفة فيه ، ولكي تكون عاطفة الأديب المؤلّف قوية يجب أن يكون انفعاله بالمثير شديداً ، وذلك لا يتحقق إلا إذا كان هذا المؤثر المثير قد ملك عليه حسه وروحه[1].

* * *

(١) أنظر : Lascelle Abercrombie; Principles of Literary Criticism. P. 46 .

الفصل الثالث

الخيال

الخيال هو القوة النفسية التي تقوم بتصوير الفكرة الأدبية تصويراً أدبياً مؤثراً ؛ فبها يستطيع الأديب أن يضع في مخيلته صورة عقلية مثيرة لما يريد أن يعرضه على قرائه وسامعيه . والأديب عادة – كالمهندس – يضع تصميماً عقلياً لكل ما يبغي القيام به من مشروعات ، ويكون ذلك في بادىء الأمر بعمل إطار يرسم فيه الخطوط العريضة التي تعطي شكلاً عامــاً ، ثم يقوم بعمل الجزئيات الدقيقة التي تؤدي في النهاية إلى صورة حقيقية كاملة لمشروعه ، وبعد ذلك يخرجه إلى عالم الوجود المادي . فالقوة التي تقوم بهذا كله هي الخيال .

وهي بطبيعة الحال قوة كامنة في النفس غير مرئية ، وإنما تظهر آثارها في الأدب في شكل القطعة الأدبية العام ، وكيفية ترتيب أجزائها ، وطريقة عرضها . وتتجلى المهارة هنا فيما يستعمله الأديب من وسائل تجعل المقصود العام أكثر ظهوراً ووضوحاً ، أو تزيده جمالاً ومتعة ، وذلك عادة يكون باستخدام الصور الشعرية ؛ أو فيما تخلقه وتبدعه نفسه عندما تسبح في أجواء الخيال الفسيحة الأرجاء ، وهــذا يظهر فيما ينتجه الأديب من قصص ، وروايات ، وأساطير ، ومن هذه الناحية ينتج شعر الملاحم .

أما أثر الخيال في الشكل العام للقطع الأدبية التي معنا، فسوف يكون في الحديث عن الأسلوب ما يكفي في هذه الناحية . وأمـــا الصور الشعرية فسنتحدث عنها بالتفصيل على ضوء ما رأيناه في التحليل . ثم نعقب على ذلك بملاحظات عامة على الخيال . وبعدهـــا نقول كلمة موجزة عن شعر الحرب والملاحم .

الصور الشعرية :

« الصور الكلامية التي يستخدمها الشعراء إن أجيد استخدامها كانت أداة مفيدة في أيديهم ، فبفضلها تشخص المعاني المجردة ، وتصب في صورة مرئية محسوسة ، وبذلك تكسب قوة ونصوعاً » [1] . وإذا كان للصور الكلامية أشكال مختلفة في الأدب [2] فنحن نقصد « بالصور الشعرية » في بحثنا هـذا ما أستخدمه الشعراء من تشبيه واستعارة فـيما اخترناه لهم من أشعار تتصل بالحرب في العصر الجاهـلي . ومن المعروف أن التشبيه والاستعارة « من أهم الطرق التي يستخدمها الشعراء في أداء المعاني : وللاستعارة قيمـــة خاصة في الشعر بحيث يكاد يستحيل أن يكون الشعر شعراً بدونها»[3] . وقدخصصناهما بالبحث والدراسة لأن لهما أثراً عظيمـاً في توضيح الفكرة ، وعرضها عرضاً جميلاً مما يجعلها أعظم تأثيراً في النفوس ، وأشد إثارة للعواطف والإحساسات وليس هناك من فرق بين التشبيه والاستعارة إلا « أن الأول يحتفظ بالمشبه والمشبه به بذاتيهما ، وكل ما يفعله أن يربط الصلة بينهما ؛ وأما الاستعـــارة فتدمج الواحد في الآخر وتجعلهما شيئاً واحداً » . «فالتشبيه أقرب إلى تصوير الواقع ، أما الاستعارة فأمعن في الخيال » [4] .

وإذا نظرنا في المجموعة المختارة لشعر الحرب في العصر الجاهلي والتي يبلغ

---

(١) أنظر : H. B. Charlton : The Art of Literary Study والترجمـــة للأستاذ زكي نجيب محمود ، ص ٧٩ .

(٢) راجع : Poetic Images by Day Lewis .

(٣) فنون الأدب(ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود) .

(٤) المرجع السابق .

عددها ٥٠٨٠ بيتاً ، نجد أن هناك من بينها ٨٦٦ بيتاً فيها ٨٣٨ صورة شعرية ، منها ٥١٩ صورة فيها أداه التشبيه مذكورة أو مفهومة ، أما الصور الباقية وقدرها ٣١٩ فليست كذلك .

والجدول المقابل يبين عدد الصور الشعرية التي وردت في كل موضوع من موضوعات الوصف التي سبق تحليلها ، مرتبة حسب ترتيبها هناك .

ومنه نرى أن أكبر مجموعة من الصور الشعرية كانت من نصيب الخيل ، لكن إذا اعتبرنا الجيش والبطل موضوعاً واحداً ، كانت مجموعتها أكبر المجموعات ، ثم يلي بعد ذلك صور العدد الحربية ، وما حدث للأعداء ومن الواضح أن أقل مجموعة من الصور كانت من نصيب الإبل .

الموضوع	عدد الصور
الحرب	٩٩
الغارة	١١
البطل	١١٨
الخيل	١٩٣
الإبل	٨
الاسلحة والمعدات الحربية	١٤٢
الكتيبة والجيش	١١٣
الموقعة	٤٦
ما حدث للأعداء	١٠٨
المجموع	٨٣٨

وعدد الأبيات الشعرية التي جاءت فيها هذه الصور ٨٦٦ بيتاً . ومعنى هذا أن هناك بعض الصور جاءت كل منها في أكثر من بيت واحد . وهاك تفصيلها :

١٤ صورة كل منها في بيتين . وأرقامها : ١٧ – ٧٨ – ١٣٨ – ١٨٧ – ٢٠٢ – ٣٤١ – ٥١٠ – ٦٢٠ – ٦٩٥ – ٧١١ – ٧٦٠ – ٧٧١ – ٧٧٤ – ٧٩٧ .

٣ صور كل منها في ثلاثة أبيات وأرقامها : ١١٠ – ٢٠٣ – ٣٤٦ .

٢ صورتان كل منهما في أربعة أبيات ، وهما : ٢٠٤ – ٨٠٣ [١] .

١ صورة واحدة في ستة أبيات ، هي : ٢٠٥ .

١ صورة واحدة في عشرة أبيات ، هي ٢٠٦ .

كما أن هناك أبياتاً مفردة يحتوي كل منها على أكثر من صورة واحدة .

وبذلك يتبين أن معظم الصور الشعرية كان يأتي كل منها في بيت واحد ، وهذا معناه ان الشاعر كان من شأنه أن يحمل الصورة كاملة تامة في البيت الواحد ، وإن كان بعضهم قد نجح في أن يجمع في بيت واحد أكثر من صورة واحدة .

وإذا بحثنا صلة هذه الصورة الشعرية بالحواس نجد أنها على النحو الآتي: –

٧٥٢ صورة بصرية ، ٣٩ صورة ذوقية ، ٢٤ صورة سمعية ، ٢٣ صورة لمسية . ولم يوجد فيها ما يتصل بحاسة الشم .

ومعنى هذا أن الشعراء كانوا يتجهون في تصويرهم إلى الأشياء الحسية التي يمكن رؤيتها بالعين أكثر مما يتجهون إلى ما يدرك بغيرها من الحواس .

مصادر الصور الشعرية :

بدراسة المصادر التي أخذت منها هذه الصور الشعرية ، وجد أنه يمكن تقسيمها خمسة أقسام رئيسية ، هي : –

١ – الإنسان :

بيئته ، طعامه ، شرابه ، ملابسه ، أنواع الزينة ، ألعابه ، أدواته المنزلية . ومن الصور الشعرية التي يبلغ مجموعها ٨٣٨ وجد أن هناك ٢٢٩ صورة تندرج تحت هذا القسم .

---

(١) أما الرقمان ٨٠ ، ٨١ وإن كان كل منهما أربعة أبيات إلا أن كلاً منهما فيه أكثر من صورة .

٢ – الحيوان :

والطيور ، والحشرات ، ومن هذا القسم أخذت ٢٨٩ صورة .

٣ – السماء والارض :

وما فيها من ظواهر الطبيعة : الشمس ، القمر ، النجوم ، النور ، الظلام ، الجبال ، الصخور ، الرمال ، البحر ، الماء ، المطر ، السحاب ، الرعد ، البرق ، النبات ، الأشجار ، الخشب ، النار ، الريح ... الخ . ومن هذا المصـــدر جاءت ٢٥٦ صورة .

٤ – المعدات الحربية :

وقد أخذوا منها ٣٥ صورة .

٥ – متنوعات :

كالجن ، الغول ، المرض ، الدواء ، الشفاء . الخ ، وعدد الصور المأخوذة من هذا القسم ٢٩ صورة .

لكن إذا أردنا تفصيلاً لهذه المصادر نجد أن مجموعها ١٧٣ مصدراً ، منها ما استغل مرة واحدة ، ومنها ما استغل أكثر من مرة . والجدول المرفق يوضح عـــدد المصادر ، وعدد المرات التي استخدم فيهـا كل مصدر ، مرتبة حسب مرات استخدامها .

والذي يسترعي النظر أن هناك سبعين مصدراً من مصادر الصور الشعرية قد استخدم كل منها مرة واحدة ليعطي صورة واحدة لشيء واحد . وظاهر أن الإبل كمصدر للصور الشعرية قـــد استخدمت ٤٦ مرة ، والنـــار ٥٥ مرة ، والأسد ٦٣ مرة .

وهنا يجب أن نشير إلى أن المصدر الذي استغل أكثر من مرة يجوز أن يكون قد أخذت منه صور متعددة إما في موضوع واحد ، وإما في اكثر

عدد المصادر		مرات استخدامها	عدد الصور
٧٠		١	٧٠
٢٨		٢	٥٦
١٠		٣	٣٠
١٣		٤	٥٢
٢	: القوس والشهاب	٥	١٠
٨		٦	٤٨
٥	: الصقر والكلب والليل واللاقح والعوان	٧	٣٥
٩		٨	٧٢
٨		٩	٧٢
٤	: القطا والقاب والنخل والشطن	١٠	٤٠
٣	: الضيف والرمح والجراد	١١	٣٣
٢	: الرحى والمطر	١٢	٢٤
١	: الحمر	١٣	١٣
١	: الذئب	١٤	١٤
٣	: السابح والبرق والجبل	١٥	٤٥
٢	: الغدير والبرد	١٨	٣٦
١	: السحاب	٢٤	٢٤
١	: الإبل	٤٦	٤٦
١	: النار	٥٥	٥٥
١	: الأسد	٦٣	٦٣
١٧٣	المجموع		٨٣٨

من موضوع ، فمثلا النار قد أخذت منها صور متعددة في موضوعات : الحرب ، والغارة ، والبطل ، والخيل ، والأسلحة ، والجيش ، والموقعة . وبعض هذه المصادر قد أخذت منه صور كثيرة متشابهة لشيء واحد ، جاءت على لسان شعراء متعددين مختلفين ، أو شاعر واحد [1] .

ومن ناحية أخرى نجد الشاعر الواحد في بعض الأحيان يستخدم أكثر من مصدر واحد ليعطي صوراً مختلفة لشيء واحد ؛ من ذلك مثلا : أبوقيس ابن الأسلت يصور الحرب بالمذاق المر (١) وبالغول (٤٧) ؛ وطفيل الغنوي يشبه التراب الذي تثيره سنابك الخيل بالدخان (٢٤٨) وبالقطن المندوف (٣٠٢) ؛ وساعدة بن جؤية يمثل سقوط العدو بعد قتله بالجرف المنهار (٧٤٠) والإبل المذبوحة (٧٧٥) .

أما عن تكرار الصور الشعرية ، فقد نجد الشاعر أحياناً يستعمل الصورة في مكان ، ويستعملها هي نفسها في مكان آخر بألفاظها . كما في (٦، ٧) . (٢٤٣-٢٤٤) ، (٦٣٨-٦٣٩) ؛ أو يحوّر في الألفاظ تحويراً طفيفاً ، كما في (٥٦١-٥٦٢) ، (٦٩٣-٦٩٤) . وهذه الملاحظة ظاهرة كذلك في صور شعرية كثيرة استعملها أكثر من شاعر واحد ، مثل (١٤٩-١٥٠) ، (٢١٢-٢١٣) ، (٣٦٠-٣٦١) ، (٦٣٧-٦٣٨) ومثل (٤٦-٤٧-٤٨-٤٩) ، (٥١-٥٢) ، (١١٨-١١٩) ، (١٩٢-١٩٣) ، (٢٨٥-٢٨٦) .

وجدير بالانتباه والملاحظة أن بعض الصور كان الشاعر أحياناً يعيد استخدامها ، مع إضافة بعض الملامح أو الظواهر إليها ، فمع أن المصدر الذي أخذت منه واحد فإن هذه الإضافة تجعل كل صورة كأنها تختلف عن كل واحدة من أخواتها التي تشترك معها في نفس المصدر . فمثلا نجد الأعشى مرة يشبه الحرب بالرحى الدكوك (١٠) ومرة يشبهها بالرحى العضاضة

---

(١) أنظر ملحق الصور الشعرية : الأرقام : ١٠ - ١١ ، ٢٥ - ٢٦ ، ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ ، ١٨٣ - ١٨٤ ، ٣٣٤ - ٣٣٥ ، ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ ، ٧٨٢ - ٧٨٣ .

(١١) ، ويمدح زهير فيشبه ممدوحه مرة بليث في خدره ، ورد ، مهاب ، يصيد الرجال (٢٠٠) ، ومرة يشبهه بليث ورد ، يصيـــد الرجال حديد الناب ، له أشبال صغار ، لا تنقطع عنها المعونة والذخيرة (٢٠٣) ؛ والأعشى في الصورتين (٢٠٤) ، (٢٠٦) اللتين يصوّر فيها ممدوحه بالأسد ، يبالغ في الصورة الثانية ، فيكثر من أوصاف الأسد لدرجة تجعلنا نتوهم أنه قدانصرف عن المدح إلى تصوير أسد مخيف ، والاختلاف ظاهر كذلك بين صورتي الأعشى هاتين ، وصورتيه (١٩٩) ، (٢٠١). ومن هذه الملاحظة نستطيع أن نستنتج أن الشاعر إذا استخدم مصدراً واحداً لعدة صور ، كان يحاول بقدر مايستطيع أن يحدث تغييراً ، أو تحويراً في كل صورة بحيث تبدو كأنها مختلفة عن صورة مماثلة سبقت له .

ويلاحظ كذلك أن كثيراً من الشعراء المختلفين الذين يتفقون في استخدام مصدر واحد لصورهم الشعرية ، قد حاولوا أن تختلف صورهم بعضها عن بعض لكي تتميز صورة كل منهم عن صور الآخرين . وتتضح لنا هـــذه الملاحظة بدراسة الصور المتعددة التي استعملها شعراء مختلفون ، وقد أخذت من مصدر واحد لتصور شيئاً واحداً ، وذلـــك مثل صور الحرب المستمدة من الرحى (١٠ — ١٧) : فهي في (١٠) رحى دكوك ، وفي (١١) رحى تعض ، وفي (١٢) رحى حرب مشيبة للفتى ، وفي (١٣) رحى تدور بالفرسان ، وفي (١٤) رحى تدور بالمنايا ، وفي (١٥) رحى تدور بذات اللظى ، وفي (١٦) رحى تدور فتطحن الأعداء طحناً ، وفي (١٧) رحى تطحن الأعداء وثفالها يُغطي مساحة واسعة من الأرض ، ولهوتها قبيلة بأسرها .

وصور الحرب المأخوذة عن النار (١٨ — ٣٦) ، فهي مثلاً في (٢٤) نار تستعر ، وفي (٢٥) نار تستعر فتلتهب لهباً شنيعاً ، وفي (٢٦) تشب وتستعر إذا لم توقد ، وفي (٢٧) نيران تستعر مرة بعد أخرى ، وفي (٢٨) نار تشبّها الأكفُ المساعر ، وفي (٢٩) نار يضرمها رائد الحرب ، وفي (٣٠) نار شب وقودها بضرام وفي (٣١) نار جحمة الضرم وفي (٣٢) نار توقد بعد إبرادها ،

وفي (٣٣) نار منتشرة ساطعة، وفي (٣٤) نار منتشرة ساطعة تتوهج... الخ.

وصورت الحرب باللاقح (٥٣ – ٥٥) ، وباللاقح عن حيال (٥٦-٥٧) ، وبالعوان (٦٠ – ٦١) ، وبالعوان اللاقح (٦٢-٦٣) ، وبالعوان التي أبدت نواجذها (٦٧) .

وكذلك صور البطل المأخوذة من الأسد (١٥٥– ٢٠٦) ؛ وصور الخيل التي أخذها الشعراء من الرمح (٢١٢ – ٢١٩) ، والمأخوذة من السابح (٢٠٧ – ٣٢٠) والمأخوذة من الذئب (٣٨٥ – ٣٩٨) ، وصور الرمح التي مصدرها الشطن (٣٣٩ – ٣٤٧)، وصور السيف المستقاة من البرق (٤٩٨ – ٥٠٤) وصور الدرع التي أخذت من الغدير (٥٢٩ – ٥٤٣)، وصور الجيش التي من الليل (٥٥٨ – ٥٦٤) ، وغير ذلك من الصور التي جاء بها شعراء مختلفون لتصور شيئاً واحداً وقد أخذت من مصدر واحد ، مما يدل دلالة واضحة على أن الشاعر منهم كان يحاول أن يتجنب إعادة صورة بعينها قد استخدمها شاعر غيره .

ولكن يجب ألا يغيب عن البال أن الصورة إذا دخلها تغيير أو تحوير فإن ذلك يستلزم حتما أن يحدث نظيره في المصوّر [١] ، وهذا ما كان يحدث فعلاً ، فإن الشاعر ، وإن كان يستغل في تصوير الحرب مثلا مصدراً قد اشترك معه غيره من الشعراء في استغلاله ، فإنه كان يحاول أن يستغله في تصوير ظاهرة أو حالة من ظواهر الحرب أو أحوالها غير تلك التي صورها شاعر آخر . كما رأينا فيما سبق الحديث عنه من تصوير الحرب بالرحى والنار .

وعلى كل حال ، إذا تذكرنا أن هناك سبعين مصدراً من مصادر الصور الشعرية لم يُستخدم كل منها في التصوير إلا مرة واحدة فإن ذلك يرينا بوضوح كيف أن الشعراء كانوا يبذلون كل ما في جهودهم لإبداع صور شعرية جديدة ، كلٌ يريد أن يأتي بصور لم يسبقه إليها غيره .

* * *

---

(١) راجع: Literary Taste; by Arnolb Bennett وترجمة الدكتور علي الجندي.

ومن دراسة هذه الصور الشعرية نجد أن الغرض منها كان أحـــد الأمور الآتية :

١ – تصوير المعنويات :

بأشياء تدرك بإحدى الحواس؛كالحرب مثلاً صورت بالطعام المر،والوبيل، والكلأ المستوخم (١ – ٣) ، والرحى (١٠ – ١٧) والنار (١٨ ٣٦) ؛ والغـــارة بالصبوح (٨٢ – ٨٥) . وكتشبيه ما نال الأعـــداء بالشرب (٧١٥ – ٧٢٠) ، وما لحقهم من الخزي الظاهر بخواطم الأنوف (٧١٤).

٢ – وصف المنظر العام :

كتصوير كثرة الفوارس والعتاد بالسواد المظلم (١١٢) ، ونحافــة البطل مع صلابته بأشلاء اللجام (١٢٥) ، والقوم عندما يلبسون معــدات الحرب بالقروم (١٤٨) ، واكتناز الخيل بالحجر (٢٣٨) ، وعَرَقها الذي يعم جسمها بنضح المزادة (٢٥٨) ، وكتشبيه القوم المغيرين بجراد الريح (٨٦)، والخيل المنتشرة المسرعة بجداول الزرع المرسلة المسبطرة (٢٥٧) ، ومنظر إبل الغنائم بمور الجهــــام (٤١٠) ، والرمح بالشطن (٤٣٩ – ٤٤٢) ، ومنظر الرماح الكثيرة بالأجم (٤٥١) ، ولمعان السنان بالشهاب (٤٥٨)، وسكون القوم من شدة الخوف بسكون الحمار (٧٠٨) .

٣ – وصف الحركة :

كتصوير المحارب باللاعب (١١٤ – ١١٦) ، وهجومه في عنف وشدة بانقضاض الصقر (١١٨ – ١١٩) ومعاودته الكر بالراجم (١٢٠) وبإعادة القدح المشهور (١٢١) ، وإسراعه إلى لقاء العدو بسرعة الجمـــال المصاعب (١٤٩ – ١٥٠) ، وكتصوير سرعة الخيل بسرعة الطائر (٢٢٩) ، وسرعة العقاب (٣٤٣ – ٣٤٧) وتشبيه حركة اهتزاز الرمح بجري الثعلب (٤٥٣) وحركة الثعبان الباحث عن مأوى (٤٥٤) ، وسرعة الفارين في خوف بجري النعام (٧٩٨ – ٨٠٣) .

ملاحظات عامة عن الخيال :

١ – الخيال هنا من نوع الخيال الحضوري ، وهو الذي « يستعيد الصور الذهنية التي ترتسم على صفحات العقول ، وتختزن في الذاكرة من غير تبديل أو تغيير[١] » ، فنرى مثلاً الحرب تستعيد صورة الرحى التي تطحن الحب ، لأنها تهلك الناس وتفتتهم فكأنها تطحنهم ، وصورة السوق التي يتبادل الناس فيها السلع ، وذلك لتبادل المتحاربين الطعنات والضربات ، وصورة الإنسان المشمر ، والحيوان المكشر عن أنيابه ، والناقة الضروس . ونرى البطل في قوته ورهبته يجعلهم يستحضرون في ذواكرهم صورة الأسد ، وفي ثباته ورزانته يمثل لهم صورة الجبل ، وهو في شدة هجومه يوحي إليهم بمنظر الصقر المنقض . وهكذا في جميع الصور .

أما الخيال الابتكاري ، وهو الذي يحوّر ، أو يُغيّر ، ويُبدّل في الصور التي في الذاكرة بحيث يبرزها كأنها شيء جديد ، فذلك غير موجود هنا . ولا يمكننا أن نقول إن استخدام صور الجن والغول والسعالي خيال ابتكاري لأن الشاعر لم يزد عن أن يذكر اسمها فقط ، دون أن يبين فيها جزئياتها أو أحوالها بحيث تظهر لكل منها صورة دقيقة واضحة .

٢ – خيال الشعراء هنا في غاية السهولة والبساطة ، وليس فيه شيء من التعقيد والتداخل ، وهو في نطاق تجارب الناس وحياتهم ، ولا يوجد فيه ما يظهر أنه متأثر بالحضارة والمدنية ، أو المعارف الراقية ، أو الفلسفة العميقة مما يحتاج إلى بذل مجهود كبير في إدراكه وتصوره .

٣ – والخيال هنا خيال تصويري غرضه إما التوضيح وإما التحسين ، فهو يصور الحقائق تصويراً يهدف إلى رسمها وإجادة إبرازها ، أو تحسينها وتجميلها ، فمثلاً الحرب تصور بصورة مختلفة تؤدي كلها إلى إظهار فكرة التخريب والتدمير والإهلاك والإيلام ، وحافر الفرس يصور بكوب الوليد في الصغر والدوران ، والدرع تصور بصفحة الغدير حين تهب الريح عليه ،

(١) راجع كتاب الأصول الفنية للأدب ، للأستاذ عبد الحميد حسن .

وهذه صورة موضحة ، ويشبه ظهر الحصان بالذهب في اللون وصفائه وبريقه وثُديّ السبايا بالرمان ، ووجوههن بشمس الضحى ، وهذه صور يقصد بها إظهار الحسن والجمال .

٤ ــ قد استطاع كثير من الشعراء أن ينجحوا في عرض صور دقيقة لما يريدون تصويره،فجاء تصويراً محكماً متقنا وأصبحت صورهم هذه أكثر تأثيراً وأعظم حيوية ، كتصوير المحارب بالسيف في الميدان بصورة اللاعب بالمخراق في ساحة الألعاب ، وتشبيه صهيل الخيل بمزامير الشاربين تجاوبها الجلاجل ، وتصوير اللواء بصورة الطائر المتقلب ، وتشبيه شدة اللمعان الذي في سنان الرمح بتوهج مصباح الرهبان في ليلة الفصح ، وتصوير أثر السيف واهتزاز الأشعة عند سقوطها عليه لشدة بريقه ولمعانه، بحركة النمل الصاعد إلى الرُّبا، والذر الهابط خوف البرد ، وتشبيه الربيئة في جلوسه مختبئاً يرقب حركات الأعداء ويتسمع حركاتهم،بالصقر الذي يكمن في مكان مرتفع وقد أحدّ بصره وأرهف سمعه،وغير ذلك من الصور.ولا شك أن هذا دليل على قوة الملاحظة وحضور البديهة، وحسن استغلال الصور المختزنة في الخيال في أحسن مواضعها وخير مناسباتها .

٥ الصور الشعرية مستقاة من البيئة التي كان يعيش فيها الجاهليون ، ولذلك نستطيع أن نكوّن منها عامة صورة لكثير من نواحي الحياةوظواهر البيئة في العصر الجاهلي :

ففيها ترى البدوي يرعى الماشية ويذود عنها الذئاب من الوحش والبشر ، وتراه يغترف الماء من البئر و ويجمع الحطب ، ويهيىء طعامه ، ويعدّ خيامه وخباءه ولباسه وأثاث بيته ، ويكرم ضيفه ، ويحمي جاره ، ويثور لشرفه وكرامته وحريته ، وتراه وهو غضبان يلتهب غيظاً . وتكاد العداوة تأكل صدره ، وعندما يدخل الحرب تتجلى بطولته وشجاعته . وفيها الكثير عن المرأة فتاة وربة بيت ، وأمّاً ، ومحاربة ، متزينة ، وحزينة ، حُرّة وأمَة . كما نجد في الصور الشعرية شيئاً عن ملاعبهم ، وبعض ألعابهم كالخذروف

والمخراق ، وحفلات العرس، وإسراع الغواني إليها، وآلات الموسيقى والطرب، وكؤوس الشراب والخمر . والأدوات المنزليـــة من الرحى والمصباح ، والدلو والمزادة والقعب والقربة . والقارورة ، والعصا ، والحبل، والسير ، والحصير، والمبرد، والسندان، وأنواع الحلى والزينة من الذهب والفضة والسوار والسبيكة والقرط والمداك والدهان والأصباغ .

وفي الصورة الشعرية نرى من الحيوان: الأسد، والنمر ، والذئب، والثعلب، والفيل ، والكلب ، والبقر ، والتيس ، والثور والخيل ، والإبل ، والغنم ، والحمار ، والظبي والمها ، والنعام ، والوعل ، والحمام ، والجراد ، والقطا ، والحدأة ، والصقر، والعقاب ، النسر ، والنحل ، والنمل، والذر ، والثعبان، والسمك .

ومن النبات : الخشب والأشجار والغاب والأجم والنخل والجذع والسلاءة والنوى والقطن والهشيم والقتاد والبقل والبهمي والحنظل والكراث والرمان والشريان والشوحط والسراء والنبع والكلأ والعشب والحصاد .

ومن الصحراء : الجبال والهضاب والقمم والتلال والوديان والوهاد والرمال والأحجار والصخور والعيون والآبار والقلت والغدير والطحلب .

ومن ظواهر الطبيعة : الشمس والقمر والنجوم والكواكب والنور والظلام والليل والنهار والسحاب والرعـــد والبرق والمطر والبرد والسيل والسراب والريح والهواء .

وفيهـــا غير ذلك كثير كالماء والنار والدخان ،والأسلحـــة والمعدات الحربية والحصون في المدن والقنوات والأصنام والأقداح والزراعـة والنسيج والزيوت والجن والسعالي والغول .

كل هذا يدل على أن الشعراء الجاهليين في جملتهم قد استطاعوا أن يعرفوا الكثير عما في بيئتهم من ظواهر مختلفة ، ثم استغلوا معارفهم هذه وملاحظاتهم في الناحية الفنية الأدبية ، فأفادوا الأدب من ناحية، ومن ناحية أخرى أفادوا

الأجيال التالية لهم في معرفة الكثير عن ظواهر الحياة في عصرهم .

٦ – ومن الصور الشعرية يمكن أن نستنتج أنهم عرفوا بعض خصائص الحيوانات كالخيل والإبل والذئب والأسد والثعبان والنمل والقطا والجراد .

ومنها يتبين أنه كانت هناك زراعة في هجر (٥٨٢) ، وحقول القمح أو الشعير (٥٤٤ -٥٤٥) ، وحصاد السنابل بالمناجل (٦٩٦)؛ وحدادة : تثقيف الرماح ، وصقل السيوف ، وصناعة الحصر (٤٨٧) ، ونسج الثياب (٦٨٩) .

وتدلنا الصور الشعرية كذلك على وجود المسيحية بينهم ، وعبادة الأوثان كذلك . وعلى أنهم عرفوا شيئاً عن الطبيعيات كأثر ريح الجنوب في السحاب وصلة المطر بالكواكب والنجوم كالثريا (٥٩٨) ونشاص المرزم السجم (٦١١)؛ وأنهم كانوا يعرفون شيئاً من أخبار بعض القبائل القديمة كعاد وثمود (٧٧٥-٧٧٨) .

شعر الحرب والملاحم :

شعر الملاحم Epic poetry من أثر الخيال في الأدب ، والملحمة عبارة عن قصيدة طويلة جداً تبلغ آلاف الأبيات ، في موضوع واحد يتجلى فيها عمق الخيال وتحتوي في الغالب على كثير من الإشارات إلى الآلهة وسلوكها وصفاتها ، ومعظم الملحمة يدور حول الحرب . ولكن يبدو أن الحرب ليست كل شيء تتطلبه الملحمة ، بل لا بد من ظروف وعوامل تساعد الشعراء على القيام بمثل هذا العمل الأدبي ، فمع أن الحروب كانت كثيرة بين العرب في العصر الجاهلي وقد قال فيها الشعراء الجاهليون الكثير من روائع الشعر ، فلم نعثر في أشعارهم هذه على شيء يمكن أن يقال عنه إنه من شعر الملاحم . وقد يكون ذلك راجعاً إلى الأسباب التي نلخصها فيما يلي : –

١ – لم يتهيأ للشعراء الجاهليين من ظروف البيئة والمعيشة ما يساعدهم على أن يوجد فيهم الخيال الذي يمكنهم به أن يقولوا شعر الملاحم. فقد كان شعراء

الجاهلية كبقية الجاهليين ، من سكان البادية ، عاشوا فيها وخيم عليهم الفقر ، واعتمدوا على حيواناتهم التي شغلتهم كثيراً في البحث عن الكلأ والماء لها. وكانوا يعيشون في بيئة غير متغيرة ، ولا متقلبة ، بل هي هي ، شأنها اليوم شأنها بالأمس ، بجبالها ، ورمالها ، وسمائها وشمسها ، وحيواناتها ، وإنسها. والاختلاط الاجتماعي كان محدوداً . حتى في المدن والقرى. والمعيشة بدائية، والحياة سهلة بسيطة ، ليس فيهسا تعقيد واضطرابات . فلم تتوافر الأسباب القوية التي تبعث على الإغراق في الخيال العميق وأهمها هدوء البال، والاستقرار والطمأنينة في الحياة الشخصية الفردية ، والتفرغ كلية لبحث مشاكل الحيساة الخارجية المعقدة ، وما إلى ذلك ، مما يتيح للشاعر فرصاً تساعده على أن يسبح مع خياله في أجواء فسيحة مترامية الأطراف، ويحلّق في عوالم أخرى بعيسدة عن العالم الذي يعيش فيه غيره من الأشخاص العاديين .

ومع أن الظروف التي تحدث عنها هومر في الأوديسا كانت مشابهة للظروف التي كانت محيطة بالعرب في العصر الجاهلي فإن هومر نفسه قد عاش في ظروف مخالفة لظروف الشعراء الجاهليين ؛ ذلك أن هومر تحدث في الأوديسا عن حوادث وقعت قبله بحوالي ألف [1] سنة . وفي عهده كانت اليونان قد خطت خطوات واسعة في التقدم والمدنية ، وكان في وسع هومر أن يتفرغ للخيال العميق ، فاستطاع أن ينتج في شعر الملاحم . بخلاف الشعراء الجاهليين إذ لم يكن لديهم من سعة العيش والظروف مايساعدهم على التعمق في الخيال ، وهذا ظاهر من الصور الشعرية التي درسناها . فقد رأينا أنها كانت بدائية ، غسير معقدة ولا متنوعة ؛ سهلة بسيطة كحياتهم .

٢ – للآلهة دخل كبير في الملاحم ، فهي تلعب الدور الأساسي في الملحمة ففيها يتحدث الشاعر عن آلهة متعددة ، وينسب إليها أعمالاً مختلفة ، ويخلع عليها كثيراً من الصفات وأنواع السلوك الإنساني ، حتى كأنسه يعيش بينهم

(١) أنظر . Encyclopaedia Britannica , Article «Homer» .

ويعرفهم معرفة تامة . وما كان الشعراء الجاهليون ليصلوا إلى مثل هذا النوع من الخيال . وإذا كان الجاهليون قد عبدوا أصناماً متعددة واعتبروها آلهة لهم ، فما كانوا يتحدثون عن صفاتها وأعمالها وتضارب آرائها ، وتعارض مصالحها على النحو الذي نراه في شعر الملاحم ، بل إن الجاهليين مع عبادتهم لهذه الأوثان . كانوا يعتقدون في الله وأنه مدبر هذا الكون وما كانت هذه الآلهة في نظرهم إلا لتقربهم إلى الله زلفى .

٣ – وهناك عامل أدبي فني لا شك في أنه كان له دخل كبير في عدم مجيء شعر الملاحم للشعراء الجاهليين ؛ ذلك هو تقديسهم المظيم للقوانين الشعرية الخاصة بالوزن والقافية . فقد كانوا يتمسكون تمسكاً تاماً بوحدة الوزن والقافية في القصيدة الواحدة من أولها إلى آخرها ، مهما كان طول القصيدة . وحيث أن الملحمة عادة ، تكون قصيدة طويلة . فيها آلاف الأبيات ، فمن الواضح أن هناك صعوبة ، ما أعظمها ؛ في المحافظة على وزن واحد فيها ، وفي استحالة الحصول على آلاف من الكلمات تختلف لفظاً ، وتتحد قافية .

الفصل الرابع

الأسلوب

الأسلوب هو القالب الذي يصب فيه الأديب أفكاره ، فهو الصورة التي يظهر فيها النص الأدبي في النهاية ، وغنيّ عن البيان أن نذكر أن الذي يهمنا الآن هو دراسة الصورة أو الطريقة التي استخدمها الشعراء في عرض أفكارهم وإظهار عواطفهم ومشاعرهم نحو الحرب وما يتصل بها في العصر الجاهلي ومن ثم ستكون مهمتنا هنا أن نبين ماذا كان يتبعه الشعراء في ذلك منذ البدء حتى النهاية ، على ضوء المجموعة الشعرية التي اخترناها .

فإذا نظرنا في هذه المجموعة نجد أن الناحية الحربية ، وإن كانت ذات شأن خطير لدى العرب ، وبخاصة الشعراء ، في الجاهلية ، فإنها لم تنفرد في الشعر بقصيدة خاصة إلا نادراً وفي مقطوعات قليلة بسيطة . فقد كانت القصيدة الجاهلية تشتمل على عدة أغراض كالغزل ، ووصف الرحلة ، والشرب ، والصيد ، والحرب وما يتصل بها . فكانت الناحية الحربية تمثل جزءاً من الأجزاء المتعددة التي تتألف منها القصيدة .

وفيما عدا شعر الرثاء كان الشعراء ، عادة ، يفتتحون قصائدهم بالغزل ثم يتحدث الواحد منهم بعد ذلك عن الموضوعات التي يريد الحديث عنها ، واحداً واحداً إلى أن ينتهي مما يريد . وكثيراً ما كانت الناحية الحربية من بين الموضوعات المختلفة التي يتحدث عنها الشاعر في قصيدته الواحدة ، لكن لم يكن

لها مكان معين بالذات بين هذه الموضوعات . والشاعر في حديثه عن هذه الموضوعات المتعددة في القصيدة الواحدة ، كان أحيانا ، ينتقل من موضوع إلى آخر فجأة بدون تمهيد ، وأحياناً كان يحسن الانتقال، مثال ذلك ، في الحرب مثلا ، أن يتحدث الشاعر عن قبيلة غير قبيلته ، ثم يقارن بينها وبين قومه ، فيجره ذلك إلى ذكر أيامها وأمجادها الحربية [1] . لكن بالملاحظة وجد أن هناك بعض كلمات أو تعبيرات معينة كثر استعمالها بدءاً للدخول في الحديث عن الناحية الحربية ، هي :

١ — صيغة من مادة « السؤال » ؛ وذلك مثل : « فإن تسأل » ؛ أو « اسأل » ؛ أو « اسألوا [2] » ، « أيها السائل عنا [3] » ، وأكثر ما كان الشعراء يستعملون صيغة توجه إلى الحبيبة أو الزوجة، مثل: «فإن تسأليني[4]» أو « هلا سألت[5]» ، أو «اسألي» ، فكأن الشاعر كان يتخذ ذلك كاستعلام عن أمجاد قومه ، ثم يشرع في الحديث عنهم من الناحية الحربية .

٢ — صيغة من « التبليغ » أو « الإبلاغ » مثل : « بلغ [6] » أو « ألا أبلغ[7] » ، أو « ألا أبلغا[8] » ، أو « مَن مبلغ[9] » أو « ألا من مبلغ[10]»أو«ألم يبلغك ». وكانت تقال في صورة أمر أو رجاء لتبليغ رسالة .

---

(١) انظر قصيدة الأخنس بن شهاب . المفضليات ، قصيدة رقم ٤١ .

(٢) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٢٧٦ . ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، وطرفة بن العبد : العقد الثمين ، ص ٧٠ ، قصيدة رقم ١٤ .

(٣) عبيد بن الأبرص : ديوانه ، ص ٧٢ ، بيت ٩ .

(٤) عبدالمسيح بن عسلة : المفضليات ص ٦٠٦ .

(٥) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٠١ بيت ١ . وعنترة في المعلقة .

(٦) المفضليات ، ص ٤٣٥ .

(٧) زهير بن أبي سلمى : ديوانه : (طبعة دار الكتب) ، ص ١٨٤ .

(٨) عميرة بن طارق : النقائض (طبعة مصر) جـ ١ ص ٥١ .

(٩) المفضليات : ص ٣٢ .

(١٠) شعراء النصرانية ، ص ٤١٥ .

وقد يكون الغرض منها الاعتراف بنعمة، أو الشكر على جميل[1] ، أو إثارة القوم للحرب [2] ، أو التوبيخ أو الإنذار ، أو النصح والتحذير .

٣ - « أعددت [3] للأعداء ، أو للحرب» ؛ أو « عندي [4] » . وهذا كان يستعمل ، في العادة ، عندما كان الشاعر يريد أن يتحدث عن عدده الحربية .

٤ - « أتى » في صيغة الماضي ، مثل « ألا هل أتى[5]» ، وذلك عند ما يشرع الشاعر في الحديث عن أخبارهم الحربية .

٥ - « قد » ، مثل : « قد أقود [6] » ، أو « قد أشهد [7] » ، وذلك حينما كان الشاعر يقصد أن يعدد شجاعته ومآثره الشخصية .

٦ - « واو رُبّ » ، بمعنى « كثير » مثل : « وغارة [8] » . وأحياناً كانت تستعمل كلمة « رُبّ [9] » نفسها .

٧ - « كم » بمعنى « كثير » ؛ مثل : « كم غارة [10] » .

---

(١) شعراء النصرانية ، ص ١٦٠ .

(٢) شعراء النصرانية ، ص ١٢٨ ، ص ٢٤٤ .

(٣) أبو قيس بن الأسلت : المفضليات ، ص ٥٦٧ ، وأوس بن حجر : شعراء النصرانية ، ص ٤٩٤ . وامرؤ القيس : العقد الثمين ، قصيدة ١٤ بيت ١١ ص ١٢٣ .

(٤) مزرد : المفضليات ص ١٦٤ .

(٥) شعراء النصرانية ، ص ٤٩١ .

(٦) علقمة : العقد الثمين ، ص ١١٣ ، بيت ٤٧ .

(٧) امرؤ القيس : شعراء النصرانية ص ٣٧ .

(٨) ثعلبة بن صعير : المفضليات ص ٢٦١ ، بيت ٢٠ .

(٩) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٣١ ، ١ .

(١٠) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ، ٧٥٨ .

و « كم » و « رب » و « واو رُبّ » كانت تستعمل حينما كان الشاعر يدعي أنه قام بأشياء كثيرة عديدة ، ولا يريد أن يذكر كلاً منها على حدة.

٨ – « فِدًى » ، وذلك عندما كان الشاعر يقصد أن يشيد ببطولة قوم أو إنسان ، مثل ، « فدى لقومي [١] » .

٩ – في الهجاء والتوبيخ ، كان الشاعر في معظم الأحيان يلعن من كان السبب فيما يقوله من هجاء ، أو توبيخ ، مثل . « لحا الله الفوارس من سليط [٢] » أو « ألا قبّح الله البراجم كلها [٣] » .

هذا من حيث البدء ، أما من حيث الختام ، فلم نلاحظ أنه كان هناك ختام معين ينهي به الشاعر الحديث عن الناحية الحربية في قصيدته . كذلك لم تكن هناك طريقة خاصة معينة يلتزمها الشاعر في عرض أفكاره في أثناء القصيدة . فكان الشاعر يرتب جزئيات موضوعه عن الحرب ، وأفكاره عنها ، كما يحب ، وكيفما شاء .

وبدراستنا للمجموعة الشعرية المختارة ، لاحظنا في الأسلوب على العموم ، ما يأتي :

١ – كثيراً ما تبدو الأبيات في غير نظام ، لا من جهة المنطق ، ولا من جهة الفكرة وطريقة عرضها ؛ ففي معظم الأحيان نرى الأفكار والأبيات غير مرتبة ترتيباً منطقياً معقولاً ، فنجد الجزئيات تتسلسل تسلسلاً كان يحسن غيره ، والأفكار عن كل منها يتداخل بعضها في بعض ، فترى الأبيات التي تتحدث عن نقطة معينة مبعثرة في أنحاء القصيدة ، هنا وهناك ، بين الأبيات التي تتحدث عن نقطة أو نقط أخرى ؛ وإليك بعض الأمثلة :

---

(١) محرز بن المكعبر : المفضليات ، ص ٥١٠ .

(٢) مالك بن نويرة : النقائض (مصر) جـ ١ ص ٢٢ .

(٣) امرؤ القيس : المفضليات ص ٤٣٧ .

في القصيدة الأولى لطفيل الغنوي في ديوانه[1] نجد وصفاً للغارة وماحدث للأعداء مختلطا بوصف الخيل ، ويظهر أن الأبيات ٣٩-٤٢ ، ٦٩ ، ٧٣ ٧٥ ليست في مواضعها الحقيقية . وفي القصيدة الثالثة نجده يخلط وصف الخيل والسهام بوصف الغارة وما حدث للأعداء ، ويغلب على الظن أن البيتين السادس عشر والسابع عشر [2] في غير موضعيهما .

وفي القصيدة السابعة لعنترة من ديوانه في العقد الثمين [3] نرى أن البيتين الخامس عشر والسادس عشر ينبغي أن يكونا في موضعي البيتين الثالث عشر والرابع عشر .

وفي معلقة عنترة كذلك نراه يخلط أبياته الحربية بأبياته في الغزل والشراب . والحارث بين حلزة في معلقته يمزج أبياته في مدح الملك بأبياته التي ينصح فيها ويحذّر ، والتي يهجو فيها ويوبخ ، وبأبياته التي فيها يفتخر .

وقد يكون ذلك راجعاً إلى الشاعر نفسه إذ كان يؤلف قصيدته ارتجالاً ، فيجوز أنه كان يقول بعض أبيات عن فكرة ما ، ثم تعرض له بعض أشياء عن فكرة أخرى فيقول فيها أبياتاً ، ثم تردُ إلى خاطره بعض أشياء عن الفكرة السابقة فيعود إليها ، دون أن يكلف نفسه مشقة الرجوع إلى ما قال من قبل ، ويرتب كلامه كله ، ويضع كلًّا في مكانه المناسب ، وإذا صح هذا الاحتمال ، كان معناه أن الشاعر ما كان يضع صورة نهائية لنصه الأدبي في مخيلته قبل أن يخرجه من عالم الإدراك المعنوي أو الخيال ، إلى عالم الحس الخارجي الذي يقرأ فيه هذا النص أو يسمع ، أي كان يخرج كل جزئية من هذه الصورة أولاً بأول دون انتظار لاستكمال الصورة في الباطن والخيال . وقد يقوى هذا الاحتمال أنا لا نجد هذه الظاهرة منتشرة في شعر الشعراء الذين اشتهروا بإطالة الوقت في صنع قصائدهم ، وإعادة النظر فيها مراراً وتكراراً ،

---

(١) ديوانه ، ص ٥ - ١٦ .

(٢) ديوانه ، ص ٢٢ .

(٣) العقد الثمين ، ص ٣٦ .

حتى سموا بعبيد الشعر ، لكثرة ما كانوا يبذلون من جهد ووقت في تهذيب قصائدهم وتجويدها ، وترتيب أبياتها وأفكارها .

وقد يكون سبب هذا الخلط راجعاً إلى الرواة ، فنحن نعرف أن الشعر الجاهلي كان يحفظ ويتناقل عن طريق المشافهة والرواية . والرواة كانوا يعتمدون على الذاكرة . والذاكرة عرضة للنسيان أو الخلط ، ولذلك ليس غريباً أن يخلط الراوي في أبيات القصيدة الواحدة خصوصاً إذا كانت طويلة أو أن ينسى بعض أبياتها خصوصاً إذا كان يحفظ في ذاكرته شيئاً كثيراً ، وقد يكون هذا تفسيراً لما نجده من اختلافات كثيرة بين الرواة في عدد أبيات القصيدة الواحدة .

ولا شك أنه مما ساعد على هذا الخلط والمزج قانون الشعر العربي القديم الذي يوجب التمسك بوحدة البيت لفظاً ومعنى أي يكون كل بيت مستقلاً في المعنى وفي كل شيء عن سابقه وعن لاحقه ، والخروج على هذا القانون خطأ يسمى « التضمين » يؤاخذ عليه الشاعر .

وعلى كل حال ليس هذا مجال الحديث بإفاضة عن شرح هذه الظاهرة وأسبابها لأنها ظاهرة عامة في الشعر الجاهلي كله ، لا شعر الحرب فقط فمكانها عند الكلام عن تاريخ الشعر الجاهلي العام . وإنما أحببنا أن نشير إلى بعض احتمالات لهذه الظاهرة بمناسبة الحديث عنها في المجموعة التي اخترناها .

٣ — كان بعض الشعراء يشيرون إلى أمثلة وحوادث تاريخية تؤيد المعنى الذي يتحدثون عنه في قصائدهم ، من ذلك ما كان من ابن عنقاء بعد أن تم الصلح بين عبس وذبيان إذ يقول :

بَاءتْ عَرَارِ بِكَحْلٍ والرِّفاقُ معاً فلا تَمَنَّوا أَمانِيَّ الأَضالِيلِ

وعرار وكحل ثور وبقرة كانا في بني إسرائيل ، فعُقِر كحل ، فعُثِرت

به عرار فوقعت الحرب بينهم حتى تفانوا [١] .

وما كان من العباس بن مرداس حين وجّه الحديث إلى كُلَيب بن عهمة، أخي بني سليم بن منصور ، حيث جحَدَ ولدَ مِرْداس شِركَ مرداس في القرية ، فقال العباس يحذّر كليباً أن يلقى مثل ما لقي كليب بن وائل :

أَكُليبُ ما لَكَ كل يوم ظالماً   والظلم أنكَدُ ، وجهُهُ ملعُونُ

افعلْ بقومِكَ ما أراد بوائــلٍ   يومَ الغَديرِ سَمِيُّك المطعونُ

وَإِخالُ أنك سَوف تَلْقَى مِثلَها   في صفْحَتيكَ سِنانُها المسْنُونُ

وما كان من النابغة الذبياني في ذكر قصة الحيــة وحليفها [٢] ؛ والمتلمس في ذكر قصة قصير وبَيْهس اللذين قام كل منهما بأشياء غريبة حتى ثأر لشرفه وكرامتــه [٣] ؛ والأعشى حين يشير إلى قصة السموءل بن عاديا حين ضحى بابنه ليذبح وفاء بعهده [٤] .

٣ – نجد الشاعر أحياناً يستطرد ، فيذكر في ثنايا موضوعه أشياء يطنب في وصفها ، أو الحديث عنها ، لأدنى مناسبة ، كما حدث من النابغة الذبياني عند ما كان يصف قومه ، إذ أخـــذ يتحدث عن نبل النساء وجمالهن [٥] ؛ وإذ أخذ يتحدث عن وصف النخل الذي سيتولّى قومه الدفاع عنه ؛ وكما حدث من الأعشى في وصف المجهود الذي يبذله من يصقل السيف[٦] ؛ ووصف الأسد الذي يشبه به الممدوح [٧] ؛ ووصف النساء وجمالهن في ثنايا الحديث عن الجيش [٨] .

٤ – بجانب ما استعمله الشعراء من التشبيه والاستعارة قد استعملوا كذلك

---

(١) النقائض ، ص ١٠٧ .   (٢) العقد الثمين ، ص ١٧ .
(٣) شعراء النصرانية ، ص ٣٣٥ .   (٤) ديوانه ، قصيدة رقم ٢٥ .
(٥) العقد الثمين ، ص ١٣ .   (٦) ديوانه ، قصيدة رقم ٢٧ .
(٧) ديوانه ، قصيدة رقم ٢٨ .
(٨) ديوانه ، قصيدة رقم ٦٢ . وفي معلقة عمرو بن كلثوم .

الجناس والطباق والترصيع . ولكن من الواضح الجلي أن الشعراء لم يكونوا يتكلفون ذلك ، أو يبذلون مجهوداً في استعمال هذه المحسنات .

٥ — هناك كلمات وتعبيرات تكرر استعمالها من شعراء متعددين ، أو من شاعر واحد في قصيدة واحدة، أو عدة قصائد، مثل : « سما إلى الحرب[١] » فقد استعمل هذا التعبير عبيد بن الأبرص [٢] ، وعامر بن الطفيل [٣] ، وزهير ابن أبي سلمى[٤] ، والأعشى[٥] . وقد استعمل عامر بن الطفيل الفعل «لاقى» ست مرات في القصيدة الثانية من ديوانه [٦]؛ وفي نفس القصيدة استعمل الفعل « تركنا » أربع مرات [٧] ؛ والأعشى قد استعمل القَسَم كثيراً ، وبخاصة في أبيات الوعيد [٨] .

---

(١) يجوز أن يكون هذا التعبير يشير إلى أن كثيراً من القبائل كانوا في قت الخطر يتخذون أماكنهم في أعلى الجبال ، ليتحصنوا بها ، وليكونوا في مكان يستطيعون فيه أن ينالوا من العدو المهاجم حين يصعد إليهم ، وإلى ذلك أشار زهير بن أبي سلمى في بعض أبياته إذ يقول (ديوانه ، طبعة دار الكتب : ص ١٨٤) :

إلى قلهى تكون الدار منا إلى أكناف دومة فالحجون
بأوديـــة أسافلهن روض وأعلاها إذا خفنا حصون

ومن ثم يكون الصعود إلى قتال القوم في هذه الأماكن العالية مخاطرة عظيمة ، لا يقوم بها إلا الشجاع العظيم، ويكون القيام بها من دواعي الفخر ، ومن هنا جاء تعبيرهم « بالسمو إلى الحرب» ويجوز أن يكون المقصود بهذا التعبير أن الحرب كانت عملاً خطيراً ، وفعلاً غير عادي ، ليس في متناول الجميع ، فلا يستطيعه إلا القوم الطموحون الذين يسمون إلى العلا ، ويتطلعون إلى الرفعة والمجد ، فلذلك وصف من يجرؤ على فعله بأنه « يسمو إليه » .

(٢) ديوانه ، ص ٢٤ ، بيت ٩ .
(٣) ديوانه ، ص ١٠٣ ، قصيدة ٤ ، بيت ١ .
(٤) العقد الثمين ، قصيدة ١٧ ، بيت ٣ ، ص ٥٩ .
(٥) ديوانه . ص ١١٨ ، بيت ٣٠ .
(٦) ديوانه ، ص ٩٣ — ١٠٠ ، الأبيات : ٧ - ٨ - ١٠ - ١٨ - ٢٠ - ٢٣ .
(٧) الأبيات : ٦ - ١١ - ٢٥ - ٢٧ .
(٨) انظر ديوانـــه ص ٤٨ ، البيت ٦٢ - ٦٣ ، ص ٥٨ بيت ٢٣ ، ص ١٢٣ البيتين ١٦ - ١٧ ، ص ٢٠٧ ، قصيدة ٣ ، بيت ٥٩ .

٩ – لقد كرر بعض الشعراء أنصاف أبيات أكثر من مرة في القصيدة الواحدة ، فمثلاً ورد أن المهلهل في إحدى قصائده ، كرر قوله : « على أن ليس عدلاً من كليب [١] » إحدى عشرة مرة ، وفي قصيدة أخرى كرر قوله : « ذهب الصلح أو تردوا لي كليباً [٢] » خمس مرات ؛ وفي قصيدة ثالثة كرر قوله: « قربا مربط المشهر مني[٣] » أربع عشرة مرة ، وفي قصيدة رابعة كرر قوله : « يا خليلي ناديا لي كليباً [٤] » ثلاث مرات . والحارث بن عباد كرر في إحدى قصائده قوله : « قربا مربط النعامة مني [٥] » أربع عشرة مرة ؛ وقيس بن زهير العبسي كرر في قصيدة له : « أخي والله خير من أخيكم [٦] » ثلاث مرات .

وفي بعض قصائد الوعيد ، ورد تكرار ألفـــاظ ، مثل « وَيَنْحَكُمْ وَيَنْحَكُمْ [٧] » و « أَوْلَى لَكَ فأولى [٨] » .

مثل هذا التكرار كان يستعمل على ما يظهر للتأكيد ، وكان يستحسنه كثير من النقاد العرب [٩] .

الوزن :

وجد أن الأوزان الشعرية التي ورد استعمالها في المجموعـــة الشعرية التي اخترناها أحد عشر وزناً ؛ هي : الطويل – الوافر – الكامل – البسيط – المتقارب – الخفيف – الرجز – المنسرح – السريع – الرمل – الهزج .

---

(١) شعراء النصرانية ، ص ١٦٩ – ١٧٠ .
(٢) شعراء النصرانية ، ص ١٦٧ – ١٦٨ .
(٣) شعراء النصرانية ، ص ١٧٤ – ١٧٥ .
(٤) شعراء النصرانية ، ص ١٧٦ – ١٧٧ .
(٥) شعراء النصرانية ، ص ٢٧٢ – ٢٧٣ .
(٦) شعراء النصرانية ، ص ٩٣١ .
(٧) شعراء النصرانية : ص ٢٠٩ .
(٨) المفضليات ، ص ٦٠٩ .
(٩) أنظر كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (طبعة ١٣١٩) ص ١٤٤ .

والجدول (ا) التالي يرينا عدد أبيات كل بحر من هذه المجموعة .

(ا) جدول الأغراض الشعرية وأوزانها

الأغراض / البحور	الفخر	الهجاء والتوبيخ	المدح	الوعيد	النصح والتحذير	الرثاء	الإثارة	الإنذار	الاعتذار	متنوعات	المجموع
الطويل	٨٩٨	٢٥٧	١٩٧	١٦٦	٢٠	٩٤	٤٢	٤٤	٤٥	١٥١	١٩١٤
الوافر	٤١١	١١٣	٦٦	٣٤	٧١	٣٣	٣٢		٧	٨٤	٨٥١
الكامل	٣١٣	٧٨	٤٧	١٦	١٣٦	٣١	١٠		١٦	٣٤	٦٨١
البسيط	٢٤٠	٣٧	٨٣	٨١	١٢	١٧	١٦	٤٨		٢٢	٥٥٦
المتقارب	١٥١	١٥	٩٧	٢٩	١٢	٥	١٠		١١	١٢	٣٤٢
الخفيف	١١٦	٣٤	٣٨	١٣	٦	٣٠			٢	١١	٢٥٠
الرجز	٥١	٨		٦		٢٠	٢٧		٣	٩	١٢٤
المنسرح	٣٧	١٠	٨		٢٢		١٨			٢٦	١٢١
السريع	٤٥	٢		٢١	١١	٣٦				٥	١٢٠
الرمل	٦٧	٥	٧	١						٣	٨٣
الهزج	١١			١٩						٨	٣٨
المجموع	٢٣٤٠	٥٠٩	٥٤٣	٣٨٦	٢٩٠	٢٦٦	١٥٥	٩٢	٨٤	٣٦٥	٥٠٨٠

ومن هذا الجدول يتبين أن أكثر هذه البحور استعمالاً كان الطويل ، ففيه ١٩١٤ بيتاً ، ثم يليه الوافر والكامل ، وأقلها استعمالاً الهزج ، فله ٣٨ بيتاً، وقد خص الرمل ٨٣ بيتاً .

ونرى في هذا الجدول أن الطويل، قد جاء في جميع الأعراض ، وقد فاز كذلك بأكثرية الأبيات في جميع الأغراض إلا في النصح والتحذير والإنذار . ولم يستعمل البسيط في الاعتذار ، كما أن كلا من الوافر أو الكامل لم يستعمل في الإنذار ، إذ أن هذا لم يجىء إلا من بحرَيْ الطويل والبسيط. ويلاحظ أن كل بحر قد استعمل في موضوع الفخر أكثر من غيره إلا الهزج ، فقد استعمل في الوعيد أكثر .

القافية :

فيما لدينا من أشعار نجد أن عشرين حرفاً من حروف الهجاء جاءت قوافي في المجموعة التي اخترناها ، والجدولان المرافقان (ب ، جـ) يبينان عدد كل قافية من هـذه القوافي في كل من الأغراض الشعرية والبحور . ومن هـذين الجدولين نجد ما يأتي :

١ – هناك حروف ثمانيـة من حروف الهجاء العربي لم تستعمل قوافي في هذه المجموعة ، وهي : ث – خ – ذ – ش – ص – ظ – غ – و .

٢ – أكثر الحروف استعمالاً هي : م – ر – ل ثم يليها : ب – د .

٣ – أقل الحروف استعمالاً هي : ز – ص – ج – هـ – ط – ثم يليها: ك – ت .

٤ – قد استعمل كل من : ل – م – في كل غرض .

٥ – واستعمل كل من : ب – ر – ن – في كل غرض ما عدا الإنذار ، في حين أن – ع – لم تستعمل في النصح .

٦ – واستعملت الحروف: ج – ط – هـ – في الفخر فقط،وحرف –ز– في المتنوعات ، وحرف – ص – في المدح فقط .

٧ – لقد كان للفخر من بين جميع الأغراض أكثرية استعمال هذه القوافي،

فقد استخدمت فيه كل القوافي ما عدا : ز ، ص .

٨ – كان نصيب الفخر في كل قافية من هذه القوافي أكثر من نصيب أي غرض فيها ما عدا – ي - فإنها استعملت في الرثاء أكثر .

٩ – كل أبيات الإنذار جاءت قافيتها من : ع ، ل – م .

١٠ – كانت – ل – هي القافية الوحيدة التي استعملت في كل البحور .

١١ – استعملت – م – قافية في كل البحور ما عدا الهزج .

١٢ استخدم كل من : ز – ص – هـ – في بحر واحد فقط .

التقاليد والوحدة في الأسلوب :

الأسلوب هنا بسيط وواضح ، فليس معقداً ولا غامضاً، يعبر عن أفكارهم وعواطفهم تعبيراً سهلاً سلساً ، لايحتاج إلى كد في الذهن، أو جهد في التصوير والخيال ، ويبين ما في نفوسهم ، ويكشف مشاعرهم وإحساساتهم في صراحة وصدق ، وفي قوة وجمال .

وكلماته مختارة منتقاة ، وكل منها قد وضع في مكانـه المناسب المطلوب ، على العموم ؛ فلا تبدو كلمة قلقة في موضعها ، أو لا ضرورة لها . وهـــذه الكلمات بالنسبة لنا تعتبر قديمة ، ولكن مجيئهـا في هذا الشعر دليل على أنها كانت مستعملة ومفهومة ، بل ولها تقدير عظيم لدى القـوم في ذلك الوقت . وإذا وجدنا الآن في بعضها شيئاً من الصعوبة، فذلك راجع إلى أنها غيرمألوفة لنا لعدم استعمالنا لها ، بدليل أننا نفهم من كلماتهم ما ظل شائع الاستعمال إلى وقتنا الحاضر . ولعل هذه الألفاظ صعبة لأنها كانت مما يستعمله البدو الذين يعيشون في الصحراء وعلى كل حال فبمجرد أن نعرف المعنى المقصود بهذه الكلمات ، فإن الفكرة تظهر في غاية الوضوح ؛ وفي منتهى البساطة والسهولة .

ويبدو أن بعض القبائل كانت لهم ألفاظ معينة خاصة ، وقد وضحت لنا هذه الظاهرة في شعر الهذليين الذي جمعه الأقدمون في ديوان خاص ، فقـد

ظهر لنا مما اخترناه أن لهم ألفاظاً كثيرة لم يرد استعمالها في بقية المجموعة التي اخترناها للدراسة .

وأسلوب الشعراء هنا ، في نسجه ، يسير على نظام واحد في اللغة والكلمات والتعبير ، ويتبع قانوناً عاماً في درجة عالية من الدقة والإتقان ، فقد نسج الشعراء جميعاً على منوال لغوي واحد ، واتبعوا تقاليد فنية متوارثة رسمت حتى صارت لها قوة القانون ، فالتزموها وحافظوا عليها ، بالرغم من البعد الشاسع الذي كان يفصل الواحد منهم عن الآخر . ولا شك أن هذا يشير إلى محاولات كثيرة ، ودراسات طويلة سابقة ، وتثقيف عظيم في فن التعبير ، وثروة لغوية واسعة ، ومقدرة فنية ممتازة .

وبجانب هذه الوحدة في النسج واتباع تقاليد فنية ، فإن هناك وحدة بين الشعراء في الموضوعات كذلك ، وفي طريقة عرضها ، والسير فيها . ولعل محافظتهم على هذه الوحدة والتقاليد الفنية راجعة أولاً : إلى قوة هذه التقاليد وما رأوا فيها من ملاءمة لذوقهم الفني وميولهم الأدبية ، فحافظوا عليها بدافع من أنفسهم حباً لها ، وإعجاباً بها ؛ وثانياً : إلى طريقة عرض الشعر ، والسرعة الفائقة التي كان الشعر ينتشر بها في جميع أنحاء شبه الجزيرة . فالقبائل المنفردة كانت تجتمع من وقت لآخر تنشد الشعر وتنقده ، وكانت هناك اجتماعات أكبر للعرب في الأسواق السنوية التي كانت مركزاً للإنشاد والنقد الأدبي والمباراة بين الأدباء ، وما كان يقال اليوم في السوق ، كانت كل الجزيرة تردده في اليوم التالي . ومن الطبيعي أن يتبع الشعراء النموذج والأسلوب والطريقة التي كانت هذه المجتمعات ترتضيها ، لكي يفهمها كل فرد ، ويكتسب إنتاجهم شهرة واسعة وصيتاً دائماً .

(ب) جـــدول القافية في الأغراض الشعرية

القافية	الفخر	الهجاء	المدح	الوعيد	النصح	الرثاء	الإثارة	الإنذار	الاعتذار	متنوعات	المجموع
ا	٦٧	٢٤	٦	—	١١	٢	—	—	—	٤	١١٤
ب	٤٠٦	٧٥	٥٢	١٦	٢٢	٢٣	٢	—	٥	٦٣	٦٦٤
ت	٤٤	٢	—	—	٣	—	٤	—	—	٥	٥٨
ج	١٠	—	—	—	—	—	—	—	—	—	١٠
ح	٥٥	١٥	١٠	٨	—		٢١	—	—	١٢	١٢١
د	١٨٨	٤٠	٧١	٦٧	٢٠	٢٦	١٣	—	—	٤٥	٤٧٠
ر	٣٠١	١٥٠	٨٦	٧٩	٤٨	٥٢	٢٤	—	٣٢	٦٣	٨٣٥
ز	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٣	٣
س	٢٠	—	—	١٣	١١	٩	٢٠	—	—	١٣	٨٦
ص	—	—	٣	—	—	—	—	—	—	—	٣
ط	٣٤	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٣٤
ع	٩٠	١٠	٢٤	٦	—	١	٣	٤٨	٦	١٢	٢٠٠
ف	٣٩	١٢	—	—	٢٢	٥	٢٠	—	٦	١٧	١٢١
ق	٥٢	—	١٥	٤٥	—	٣٦	٢	—	١٠	—	١٦٠
ك	٣١	١٣	٣	—	—	—	—	—	—	—	٤٧
ل	٤٠٩	٦٠	١٢٢	٥٦	٥٧	٣٥	١٥	٢٧	٥	٣٣	٨١٩
م	٣٦٣	١١٠	١١٣	٦٢	٨٣	٢٠	٢٠	١٧	١٧	٦٩	٨٧٤
ن	١٨٩	٣٩	٣٥	٢٦	١٣	٢٦	٢	—	٣	٢٠	٣٥٣
هـ	١٥	—	—	—	—	—	—	—	—	—	١٥
ي	٢٧	٩	٣	٨	—	٣١	٩	—	—	٦	٩٣
المجموع	٢٣٤٠	٥٥٩	٥٤٣	٣٨٦	٢٩٠	٢٦٦	١٥٥	٩٢	٨٤	٣٦٥	٥٠٨٠

(د) جدول القـــافية في البحور

القافية	الطويل	الوافر	الكامل	البسيط	المتقارب	الخفيف	الرجز	المنسرح	السريع	الرمل	الهزج	المجموع
ا	٤	٣٠	٩	—	-	٧١	—	—	—	—	—	١١٤
ب	٣٤٣	٩٤	٦٨	٦٤	١٣	٤١	٨	٢٠	١٣	—	—	٦٦٤
ت	٣٨	٣	—	٣	—	١٠	٤	—	—	—	—	٥٨
ج	—	—	٢	٨	—	—	—	—	—	—	—	١٠
ح	٢٤	٥٦	١٧	٨	—	٩	—	—	-	٧	—	١٢١
د	٢٢٨	٦٩	٨١	٥٥	٢٧	—	٥	—	٥	—	—	٤٧٠
ر	٢٧٥	١٨٤	١١٨	٩٥	١١٨	—	٨	٨	٧	٢٢	—	٨٣٥
ز	—	—	—	٣	—	—	—	—	—	—	—	٣
س	٥٠	—	١٨	٤	٥	—	٩	—	—	—	—	٨٦
ص	—	—	—	—	٣	—	—	—	—	—	—	٣
ط	٧	١٧	—	١٠	—	—	—	—	—	—	-	٣٤
ع	٥٣	١٠	٩	٧٩	—	—	٢٢	١٥	—	١٢	—	٢٠٠
ف	٢٧	—	٥	١٨	٥	—	٧	٥٩	—	—	—	١٢١
ق	٧٥	—	١٨	١٣	—	٢	٢	٤	٤٦	—	—	١٦٠
ك	٣٦	—	—	٣	—	—	—	—	—	٨	—	٤٧
ل	٣١٠	٥٧	١١٤	٥٧	٥٩	١٠٢	٣٥	٥	٣٨	١٣	٢٩	٨١٩
م	٣٥٠	١٤٦	١٥٦	٨٦	٧٠	١٥	٩	١٠	١١	٢١	—	٨٧٤
ن	٤٩	١٨٠	٥١	١٤	٤٢	—	٨	—	—	—	٩	٣٥٣
ه	—	—	١٥	—	—	—	—	-	—	—	—	١٥
ي	٤٥	٥	—	٣٦	—	—	٧	-	—	—	—	٩٣
المجموع	١٩١٤	٨٥١	٦٨١	٥٥٦	٣٤٢	٢٥٠	١٢٤	١٣١	١٢٠	٨٣	٣٨	٥٠٨٠

الفصل الخامس

ملاحظات عامة

١ – إن المجموعة الشعرية المختارة تدل على أنها لم تكن من أول ما قاله العرب من شعر ، لما فيها من نظم فنية تدل على تطور كبير ومحاولات كثيرة في أزمان طويلة سابقة ؛ كما أن ما فيها من الحديث عن موضوعات شتى ، وأفكار متقدمة ، لا تصدر عن الإنسان البدائي ، يدل على أن هذا الشعر يصور طوراً من أطوار الحرب غير مايتصوره الإنسان عن أول حرب وقعت بين بني الإنسان على ظهر الأرض . فمن المؤكد ، إذن ، أنه قد كان هناك حروب سبقت تلك التي تحدث عنها شعراؤنا في مجموعتنا هذه ، ويغلب على الظن ، أنه لا بد قد كان هناك شعراء تحدثوا عن الحرب وشئون القتال ، قبل الزمن الذي قيل فيه هذا الشعر الذي ندرسه فقالوا شعراً ما ، على نظام الشعر الذي معنا الآن ، أو على نظام غيره ، ولكن هذا الشعر لم يصلنا ، وربما يكون ذلك الشعر قد ضاع ضمن الجزء الأعظم الذي ضاع من تراث العرب الأدبي القديم . ومن ثم فليس هذا أول شعر قاله العرب في الحرب ، لا من الناحية الفنية الأدبية ، ولا من ناحية ما يصوره من أفكار وعواطف . ومن المستحيل أن نتعقب التطور الذي حدث في هاتين الناحيتين قبل الزمن الذي قيل فيه هذا الشعر الذي بين أيدينا .

٢ – ترينا هذه المجموعة الشعرية أن الحروب التي تحدث عنها الشعراء كانت حروباً داخلية ، وقعت في أرض الجزيرة العربية ، ، فلم يتحدثوا عن أية موقعة خارج حدودها . وتبين لنا كذلك أن هذه الحروب كانت تحدث بين الأفراد أو القبائل العربية ، وفي أمثلة قليلة كانت الحرب تحدث بين بعض القبائل العربية ، وبعض قوات أجنبية غير عربية . ولم نعثر في هذه المجموعة على شيء يشير إلى حدوث حرب بين العرب كلهم كأمة واحدة ، وغيرهم من الأمم الأخرى ، فلم يرد ذكر لحرب اتحدت فيها جميع القبائل العربية كأمة واحدة لتحارب ضد أمة أخرى ، حتى حينما حاربت تميم في يوم المشقر ، وقبائل بكر في يوم ذي قار ضد الفرس لم نسمع – فيما قيل حولهما من شعر– عن شيء يدل على وحدة عربية تامة حدثت بين العرب في ذلك الوقت ، بل إن شعر الشعراء فيهما يدل على قيام قوم معينين بالقتال دون بقية جميع القبائل العربية الأخرى ، وحينما أنذر لقيط الأيادي قومه ليتخذوا العدة ضد تدبير الفرس للهجوم عليهم ، لم يحاول أن يثير العرب كلهم ليقفوا كأمة عربية واحدة ضد أمة غير عربية . ومهما قيل ، أو يقال ، في ذلك ، فإن شعر الحرب لم يشر إلى أن الأمة العربية في الجاهلية بأسرها حاربت قوماً أجانب غير عرب ، حربَ أمةٍ ضدَّ أمة .

٣ – ويدلنا هذا الشعر على أن هذه الحروب الداخلية كانت على العموم ، من نوع المشاحنات والمشاغبات التي تحدث بين الأسرات أو الأفراد بعضهم وبعض ، يشنها القوم فجأة ، أو بعد أهبة واستعداد ؛ لا من نوع الحروب العظيمة الواسعة التي تضم أعداداً كثيرة من المحاربين ، وعُدداً ضخمة من العتاد ، وإنما هي اشتباكات مسلحة أو غير مسلحة ، بين أفراد أو قبائل ، قليلة أو كثيرة ، تحدث في يوم أو بعض يوم . وحرب هذه صفتها ، وتلك مدتها ، وجنودها كذلك ، ماذا يكون عدد رجالها ؟ لا بد قليل .

لكن مع ذلك ، ما جاء في الشعر من تصور وتصوير للشهامة والشجاعة والبطولة يدل دلالة قاطعة على أن العربي كان إذا اضطر إلى القتال ، اقتحم

الخطر كالصقر ، وحارب كالأسد ، وصمد صمود الجبل ، ولم يرد في شعر الحرب كله ، حتى الهجاء إشارة إلى حالة استسلام أو تسليم دون مقاومة ، مما يؤكد وجود أمثلة رائعة للبطولة الفذة ، وتقدير عظيم لأربابها .

على أن حديث الجاهليين عن اشتباكاتهم هذه ، وشعر أدبائهم فيها يدل على أن انفعال الإنسان بالشيء لا تتوقف درجته وقوته على ضخامة هذا الشيء في ذاته ، وعظم منزلته في نظر الآخرين ، بل على مبلغ أهميته للإنسان ، ومدى صلة هذا الشيء بحياة الإنسان وشرفه ومصالحه .

٤ – وهذا الشعر يرينا أن العربي كان يُحارِب أو يُغير ، بدافع البحث عن الرزق له ولماشيته ، أو الأخذ بالثأر والدفاع عن الحمى والشرف ، أو الطمع في الآخرين ، عن طريق القوة والظلم ، رغبة في الثروة أو السيادة أو الشهرة والصيت .

وكانوا في قتالهم ودفاعهم يستخدمون الأسلحة والمعدات الحربية التي سبق الحديث عنها ، غير أن شعراء المدن كقيس بن الخطيم ، وحسان بن ثابت ، ذكروا أن أهلها كانوا يبنون الحصون ليحتموا فيها وقت الشدة ، أما البدو فكانت حصونهم ظهور خيلهم وأسنة أسلحتهم ، وقمم الجبال ، وأعلى الهضاب.

٥ – وشعر الحرب يؤكد أن العربي كان لا يحب الحرب ، ولا يتمنى الاشتراك فيها ؛ فوصفهم لها بأنها جناية منكرة ، وجريمة شنعاء ، وأنها كلأ مستوخم ، وطعام وبيل مر ، كلها عقوق وإثم ، ومحن وبلايا وآلام ؛ وحديثهم عن الغارة ، وتمنّي الواحد منهم أن لو اتَّهَم عدوٌّه لقمةً سائغة دون أن يلقي مقاومة ، أو يخسر شيئاً ، ولعنُهم الحربَ ومَن تسبّب فيها ؛ وتأوُّه الأبطال منها ، والتملصُ من مسئوليتها ، والدعوةُ إلى السلم ، والصلح بين المتنازعين وإكبارُ من يسعى في ذلك وتقديره أعظم تقدير ؛ كل هذا يدل دلالة قاطعة على أن العربي كان يبغض الحرب ، ويكره القتال ، ولا يحب أن يشترك فيه ، وفوق هذا ، فالعربي الجاهلي إنسان ، والإنسان بحكم إنسانيته :

لا يتصور أن يكون في قلبه مثقال ذرة من حب لعمل هذا شأنــه ، أو ميل إلى أمر هذه آثاره ونتائجه ، اللهم إلا إذا كان مضطراً له ، وذلك حين لا ينجي من الشر سواه ، ولا يشفي من الداء غير هذا الدواء المر .

ولئن كثر الحديث في الشعر ، خصوصاً في الفخر والمـــدح ، بادعاء أنهم أبناء الحرب ، أو إخوتها ، فإن ذلك كان من قبيل ذر الرماد في العيون ، وإظهار أنفسهم لغيرهم بأنهم ذوو خبرة في الحرب ، مجربون ؛ لا أنهم ميالون للحرب ، أو محبون لها .

٦ — ومن المجموعة الشعرية التي درسناها نستطيع أن نلم بكثير من أحوال الحياة الاجتماعية في ذلك العصر .

ففي الشعر نرى أن القبيلة كانت وحدة مستقلة قائمة بذاتها ، وكانت الصلة الدموية في نظر العربي أعظم الصلات وأقواها ، لا في البادية فحسب ، بل في المدن كذلك . وكل مـــا كان يؤثر على القبيلة لم يكن يقابل من كل فرد من أفرادها إلا بالاهتمام الشخصي العظيم ، فالمحافظة على شرف القبيلة كان واجباً لا يجوز التغافل عنه ، ولا ينبغي أن ينظر معه إلى مكافأة أو شكر ؛ والفرد من ناحية أخرى كان يعتمد على قبيلته في الدفاع عنـــه حينما يتعرض لخطر شخصي ، فكان الواحد منهم يتوعد عدوه بهجوم القبيلة كلهـــا . وقد ظهر الإخلاص للقبيلة واضحاً في شعر الفخر ، والفرح بالنصر ، والإنذار ، والهجاء . حتى في أبيات الفخر الشخصي ، ما كان الشاعر لينسى أبطال القبيلة وعظماءها . ولئن كان هناك نزاع داخلي بين العشيرة الواحدة ، فقد كان ذلك يحدث قليلاً ، وكان يترك في القلوب أثراً عميقاً ، كله أسى ولوعة .

وفيه نرى أن القبيلة ، ما كانت تحترم غيرها إلا على أساس القوة والبطش فكل واحـــدة من القبائل الكثيرة المنتشرة في أرجاء شبه الجزيرة ، كانت تنظر إلى غيرها ممن لا صلة بينهم ، نظرة ليس فيها تقديس لحرماتهم وحماهم ، ولا رعاية لأمكنتهم ومنازلهم ، ولا احترام لممتلكاتهم وأمــوالهم ، إلا إذا كانوا ذوي قوة وبطش . فالقوة هي الـتي كانت صاحبة الشأن في كل شيء ،

وكان العرب إما أصدقاء مخلصين ، أو أعداء ألداء ، ففي الصداقة كان العربي يقوم بما تحتمه عليه من التزامات ، وفي العداوة ، كانت نياط قلبه تكاد تتقطع ، ولا يشفيه منها إلا إراقة الدماء وإهلاك الأعداء .

ومع أن القوم كانوا في زمن الجاهلية ، قد أشادوا بكثير من الفضائل والأخلاق النبيلة ، كالشهامة والمروءة ، وإغاثة الملهوف ، وإعانة الضعيف ، وحماية الخائف واللاجيء ، وتخفيف آلام المصابين جسمياً ونفسياً ، وإطلاق سراح الأسرى والسبايا دون فدية ، وحب السلم ، ودوام المودة والصفاء .

٧ – وفي مجموعتنا الشعرية المختارة أشياء كثيرة عن النساء ، ففيها نرى أن النساء كن يحظين من القبيلة بأوفى نصيب من الرعاية والدفاع ، وأية إساءة لهن كانت اعتداء على شرف القبيلة بأسرها ، وعاراً يوصمون به جميعاً لا يغسله إلا دم المعتدي ، فكانت حماية النساء مجالاً للفخر والمدح ، والتهاون في ذلك كان سبباً للذم والهجاء .

وفي الشعر الحربي نقرأ أن النساء في وقت الهجوم المفاجيء ، كان يحدث لهن فزع واضطراب ، فكن يخرجن في خوف وهلع ، ولم يكن يعطين لأنفسهن فرصة ليلبسن فيها الثياب المناسبة ، أو يغطين وجوههن ، بل يولين هاربات غير محجبات ، وحاسرات ، رافعات ثيابهن عن سيقانهن ، ليستطعن الجري في سرعة وسهولة ، خشية أن يسبيهن المعتدون ، فيلطخوا شرف القبيلة بعار لا ينسى .

أما في أثناء القتال ، فإن النساء كن يظللن في الديار ، أو يقفن خلف الرجال ، ويصورهن الشعر ،بأنهن في تلك الحالة كانت قلوبهن تخفق وتضطرب وكن يثرن الشجاعة في الرجال بترديد الأناشيد الحماسية ، ويهيئن الأسلحة ، ويعددن الزاد والطعام ، ويضمدن الجرحى . وليس هناك بيت من الشعر يشير إلى أن النساء قد أخذن دوراً حقيقاً فيالقتال مباشرة بأن حملن الأسلحة بجانب الرجال ، فإذا ما انتصر قومهن على أعدائهم كن يعانقنهم ،ويظهرن مرحهن وابتهاجهن ، ويخففن من آلامهم ومتاعبهم ، ويثنين عليهم ، ويظهرن

إعجابهن بما قاموا به من أعمال ، وما أظهروه من شهامة وشجاعة . لكن إذا فقد بعض الأبطال فإنهن كن يحزنّ ، ويذرفن الدمـع ، ويشققن الثياب ، ويهجرن الزينة ، ويلبسن الثياب السوداء .

وإذا حدث أن أخذن سبايا ، فإن كل أبيـات الشعر تؤكد أنهن كن يركبن ، ولا يمشين ، كما كان الرجال الأسرى يساقون . وأبيات الشعر الحربي ترينا كذلك أن السبايا في أثناء الأسر كن يظللن حزينـات ، باكيات على الدوام ، ويغشاهن الحزن والألم ، ويتطلعن في أسى ولوعـة إلى إنقاذهن أو فدائهن . حتى في شعر الهجاء لا نجد بيتاً واحداً يهجو فيه الشاعر أعداءه بأن واحدة من السبايا رغبت في البقاء مع آسريها تفضيلاً لهم على ذويهـا . وهذا يرينا إلى أي مدى كان النساء ينظرن في علو وكبرياء إلى شرف أقوامهن وكرامتهم .

وكثيراً ما نجـد الشعراء يعرضون آثار شجاعتهم وبطولتهم لحبيباتهم ؛ فكما أشرنا إلى ذلك سابقاً ، كان الشاعر يبدأ هـذا العرض بأن يطلب من حبيبته أن تعرف حقيقته وتسأل عن أمره وشأنه ، ثم تتوالى أبياته ، سرداً لأمجاده ومفاخره وتمجيداً لشهامته وبطولته . فلماذا كان الشاعر يفعل هذا ؟

كلنا نعرف أن الشاعر في ذلك الوقت كان يبدأ قصيدته بالغزل، والنسيب وهيامه بالحبيبة ، ثم ينتقل منه إلى الموضوع الذي ينوي الحديث فيه من مدح أو وصف أو حماسة أو غير ذلك، وتظهر مقدرة الشاعر في حسن الانتقال من الغزل إلى موضوعه الأصلي . فهل هذا الأسلوب الذي رأيناه في شعر الحرب استعمله الشعراء لكي يحسنوا الانتقال إلى حديث الشجاعة والبطولة ! قـد يكون ذلك توجيهاً مقبولاً ، لولا أننا نجد في بعض الأحيان أن ذلك يأتي في آخر القصيدة (١) ، اللهم إلا أن يقال إن ذلك كان بداية لحديث طويل عن الشجاعة ، سقط من القصيدة لسبب ما .

---

(١) راجع مثلاً القصيدة رقم ١٥ لعامر بن الطفيل ، في ديوانه ص ١٢٧ .

لكن يغلب على الظن أن الشاعر كان يتخذ هذا الأسلوب لحاجة في نفسه، كبطل من العشاق : فالملاحظ في مثل هذا النوع من الشعر ، أن الشاعر كان يتحدث عن هجر الحبيبة له ، وإعراضها عنه ، فكأنه أراد أن يبرهن لها على أنه لا يستحق منها هذا الصد، وذاك الإعراض . لأنه من الشجعان الأبطال، لا يستعصي عليه إنسان مهما كان قوياً ؛ قادر على أن يحمي ، ويدافع عن العرض والشرف ، ويقي شريكته كل مكروه ، فهو جدير أن ترضى عنه ، وتصله ، وتقبله حبيباً وفياً ، وشريكاً مخلصاً ، تقديراً لشجاعته وبطولته، وحرصاً على شرفها وسعادتها .

ويرجح هذا التوجيه أن الرغبة في سبي النساء والاستيلاء على الظعائن كانت سائدة ، وأن المرأة كانت تعتبر ضعيفة، تحتاج إلى رجل قوي وشجاع، يصمد للشدائد ، ويذود عنها الأعداء ، ولهذا لن يكون عجيباً أن تبحث في الرجل عن القوة والشجاعة والبطولة ، وإذا كان إكبار الشجاعة والبطولة أمراً يستحق الإعجاب والتقدير من كل شخص ، رجلاً كان أو امرأة ، فإن إعجاب المرأة به يجب أن يكون أشد، وتقديرها له أعظم ، لحاجتها الشديدة إلى من يعولها ، ويعنى بشأنها ويدافع عنها بقوة وجلد ، خصوصاً ، في عصر كانت فيه القوة وحدها هي صاحبة السيادة والسلطان .

فالأعمال المجيدة في الحرب كانت أكبر دليل على الشجاعة والبطولة ، وخير الوسائل وآكدها لكسب قلوب الحبيبات . وبهذا كان النساء ، من ناحية ، أقوى حافز لإظهار الشهامة والرجولة ، والقيام بأخطر الأعمال ، ومن ناحية أخرى كن أعظم مثير لعاطفة الأدباء وأروع الأشعار .

٨ – ومع أن المجموعة الشعرية المختارة – على العموم – في مستوى عال من الفن الشعري ، فإن بعض أبيات منها ، يظهر فيها ضعف ، أو عيب ، في الفكرة أو الأسلوب ، وفيما يلي أمثلة منها :

(أ) قال مزرد في وصف الحصان :

طُوالُ القَرا قَدْ كادَ يذهبُ كاهلاً ... جَوادُ المَدَى والعقبِ، والخَلقُ كاملُ

قال الأصمعي : يستحب من الفرس قصر ظهره وطول بطنه، ولذلك روى هذا البيت : قصير القرا ...

(ب) وقال أيضاً في نفس القصيدة عن الدرع :

موشَّحةٌ بيضاءُ دانٍ حَبيكُها   لَهَا حلَقٌ بعدَ الأناملِ فَاضلُ

وحكي عن الأصمعي أنه قال: لئن أجاد في صفة الدرع لقد عاب من يلبسها، وذلك لأن الفرسان لا يتبجحون بسبوغ الدرع .

(جـ) وقال امرؤ القيس :

وأَرْكَبُ في الرَّوْعِ خَيفانةً   كَسَا وَجْهَهَــا سَعفٌ مُنْتَشِر

فشبه ناصية الفرس بسعف النخل لطولها، وإذا غطى الشعرُ العينَ لم يكن الفرس كريماً [١] .

(ى) وقال علقمة في مدح الحرث بن جبلة [٢] :

فوالله لولَا فارسُ الجَوْنِ منهمُ   لآبُوا خَزَايا والإيابُ حَبِيبُ

فهذا وإن كان مدحاً للحرث إلا أن فيه طعناً وخزيا لجيوشه . ومن هذا بيتان لزهير بن أبي سلمى في مدح الحرث بن ورقاء :

لولا ابنُ وَرقاءَ ، وَالمجدُ التّليدُ له

كَـانوا قَليلاً ، فَما عَزُّوا وَلَا كَثُروا

---

(١) كتاب الصناعتين : ص ٧٠ .

(٢) المفضليات : ص ٧٧٩ .

المَجْدُ في غَيرِهِمْ لَولَا مَآثِرُهُ   وصبرُهُ نفسَهُ والحربُ تَستعِرُ[1]

ولعل زهيراً قال هذا لأن ابن ورقاء أبى أن يقتل يَساراً غلامَ زهير، حين أشار عليه بنو أسد بقتله، بل كساه ورده. وعلى كل حال، كان الأحسن أن يسكت عنهم في هذا المقام.

(هـ) وقال علقمة في نفس قصيدته: –

وَما مثلُهُ في الناس إلّا أسيرُهُ   مُساوٍ، ولا دَانٍ لِذَاكَ قَرِيبُ

فهو وإن كان يصف الممدوح بأنه لا يذل أسيره ولا يهينه، بل يشرفه ويعزه، فإنه يساوي الممدوح بأسيره، وهـذا لا يتناسب في مقام المدح، خصوصاً إذا كان لملك. ولذلك يروى هذا البيت برواية أخرى فيها: «إلا قبيله» بدل «إلا أسيره». وقد يكون ذلك مكراً من الشاعر ودهاء دفعه إليه أنفته وكبرياؤه حتى في هذا المقام.

و – وقال زهير في مدح هرم بن سنان[2]:

القائد الخيل منكوباً دوابرها   منها الشَّنُونُ ومنها الزَّاهِقُ الزَّهِمُ

ثم يستمر في أبياته يصف ضعف الخيل وهزالها وتعبها، فالشاعر هنا، وإن كان يريد أن يصف ممدوحه بالقوة وكثرة الغارات حتى إن خيله لتصبح هزيلة متعبة منهكة ... الخ، لكن ذلك لا يؤدي معنى قوة الممدوح حقاً، لأن الصورة يظهر أمامنا فيها أنه يقود خيلاً هزيلة بلغ منها الإعياء مبلغـاً عظيماً فكيف تكون حال غارة خيلها هكذا، وخير من هذا للشاعر أن يقول إنـه قادها قوية سمينة سريعة، ثم عاد بها ضعيفة هزيلة كما قال في قصيدة أخرى:

---

(١) العقد الثمين: ص ٨٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٨.

غزَتْ سِماناً: فآبت ضُمّراً خُدُجاً من بعد ما جنّبوها بُدَّناً عُقُقا[1]

ز – قصيدة النابغة الذبياني التي يمدح فيها النعمان بن الجلاح بسبب ما منّ به على النابغة من إطلاق سراح ابنته وأسرى بني ذبيان بعد أن أسرهم في غارتـه على ذبيان – هذه القصيدة – فيها غرابة وبُعد عما ينبغي أن يقوله البدوي ، فهي بلا شك جميلة في المدح ، ولكنها تمس شرف بني ذبيان قوم النابغة ، فهي تصفهم بأنهم أصبحوا عبيداً للممدوح ، وأنه يفوق كل ممدّ في الحرب والنكاية ، ثم إن النابغة يعرض نساء قومـه في صورة من لا أمل عندهن في أن يلحق بهن قومهن ليسعوا في تخليصهن . هذا إلى أنه يفتتح القصيدة بمدح من أغار على قومه ، مما يتنافى مع إباء البدوي وأنفته .

ح – والقصيدة الرابعة لعبيد بن الأبرص [2] ، يتجلى فيها الضعف الشعري خصوصاً في الأبيات من الرابع عشر إلى السادس عشر :

ففي البيت الرابع عشر يقول :

وَلقد قَتَلْتُهمُ ، وَكَمْ مِنْ سَيِّدٍ عَكَفَتْ عليهِ خُيولُنا وهُمَامِ

فكلمة « وهمام » قلقة في موضوعها – وظاهر أنه لم يأت بها إلا للقافية –

وفي البيت الخامس عشر يقول :

إنّا إذَا عضّ الثّقافُ قَناتَنا حَالتْ ، ورَامَتْ ثَمَّ خيرَ مَرَامِ

فجملة « ورامت ثم خير مرام » يتضح فيها فتور النفس والضعف الشعري في موضع يستحق القوة .

---

(١) المرجع السابق : ص ٨٤ . ضمراً : مهازيل . خدج : قـد ألقت أولادها لغير تمام . عقق : جمع عقوق وهي التي عظمت بطونها .

(٢) ديوانه : ص ١٩

وفي البيت السادس عشر :

نحمي حقيقتنا ونمنع جارنا ... ونلف بين أرامل الأيتام

فقوله : « ونلف بين أرامل الأيتام » . فيه أن كلمة « نلف » مكررة في البيت التالي ، ولذلك يقترح « لابل » مكانها « ونلم ». وظاهر أن الشاعر يفخر بأنه يجمع الأرامل ويقوم عليهن ، وكان يحسن أن يأتي بفكرة فيها أنهم « يخلطونهم بهم » . ثم إن التعبير فيه قصور ، لأن هؤلاء النساء لسن أرامل للأيتام . ولكن أرامل ذوات أيتام ، ومراده : الأرامل وأيتامهن ، ولكن الشاعر قصّر نفسَهُ فوضعها هكذا .

ط – وقال عبيد بن الأبرص [1] :

ويومَ الرِّبابِ قد قتلْنا هُمامَها ... وحُجْراً قتلْناه، وعمراً كذلكا
ونحنُ قتلْنا جندَلاً في جُموعِه ... ونحنُ قتلْنا شيخَه قبلَ ذلِكا
وأنتَ امرؤٌ ألهاكَ دُفٌّ وقينةٌ ... فتصبِحُ مخموراً وتُمسي كذلِكا

فكلمة « كذلكا » في البيتين الأول والثالث غير مستساغة ذوقاً ، هذا إلى أن تكرارها عيب ، وبخاصة مع تقارب التكرار ، وكلمة « ذلكا » في البيت الثاني نافرة قلقة، خصوصاً مع تكرار كلمة « كذلكا » قبلها وبعدها. على أننا إذا دققنا النظر نجد أن كلمة «ذلكا» كررت في هذه الأبيات الثلاثة على التوالي . وذلك مما يأباه الذوق الشعري السليم .

ي – وقال عامر بن الطفيل [2] :

أسرْنا حاجباً فثوَى أسيراً ... ولم نترُكْ لاسرتِهِ سوامَا

(١) ديوانه : ص ٥٢ الأبيات من ١٤ – ١٦ .
(٢) ديوانه ص ٩٨ .

كلمة « أسيراً » هنا لم تأت بمعنى جديد ، فهي تكرار لمعنى « أسرنا حاجباً » ولو ادعى أنها للتوكيد لما كان لها معنى كذلك لأنه لا ضرورة تستدعي التأكيد هنا . ولو قال مثلاً : « فثوى ذليلاً » لكان حسناً ولذلك روى هذا البيت « ... فثوى بقيد » وهي طبعاً أحسن من « أسيراً » ولكنها تبدو ضعيفة في موضع يستحق قوة لأن المقام مقام فخر للشاعر وقومه ، وذم لحاجب وقومه .

ك – وقال عامر بن الطفيل أيضاً [1] :

فَلَوْ كَانَ جَمْعاً مِثْلَنَا لَمْ يَبُزَّنَا   ولكنْ أَتَتْنَا أُسرةٌ ذَاتُ مَفْخَرِ

فجملة « لم يبزنا » ضعيفة في موضعها ، لأن الموضوع هنا يحتاج إلى قوة ، فكان يحسن أن يقول مثلاً: « لأبَدْنَاهُمْ » . مما يناسب مقام الدفاع عن القوم ، والفخر بقوتهم . ولهذا روي بدلاً منها : « لم نُبالِهِم » وذلك على كل حال أحسن ، لكنها لا تبلغ درجة القوة التي كان ينبغي أن تكون هنا . والعجيب أن هذا الشطر روي بهذا الشكل أيضاً في قصيدة أخرى ، إذ يقول [2] :

فَلَوْ كَانَ جَمْعاً مِثْلَنا لَمْ يَبُزَّنَا   ولكنْ أتانَا كُلُّ جِنٍّ وخَابِلِ

على أن الشطر الثاني في كل من البيتين غير جميل ؛ لأنه يعترف فيه أن هناك قوماً أقوى منهم . وكل ما فيه أنه مطابق للحقيقة والواقع ، ولكن أذلك هو ما يتطلبه الفن الأدبي ، وبخاصة الشعر ، ليستكمل كل نواحي الجمال ؟.

---

(١) ديوانه ص ١٢٠ .

(٢) ديوانه ص ١١٥. والبز : السلب . والخابل : الشيطان.

ل - وقال عامر بن الطفيل كذلك :

وَنَحنُ الأُولَى قُدنَا الجِيـــادَ عَلَى الوَجَا
كَمَا لَوَّحَ القَوَّاسُ نَبْعـــاً وَسَأْسَمَا [1]

ومراده من قوله : « كما لوح القواس نبعا وسأسما » أن الخيل ضمر كالقسيّ في يبسها . فطوّل الكلام فيه : ومثله قول ساعدة بن جؤية [2] :

فَتعاوَرُوا ضَرْباً وَأُشْرِعَ بينَهم أَسَلاتُ ما صَاغَ القُيونُ ورَكبوا

أراد « أسلات الرماح » فطول كذلك . ومن الواضح أن هـــذا لسبب الروي والوزن .

م - وقال عبيد بن الأبرص [3] :

هَذا ، وَلو قَدَرتْ عَلَيْـــكَ رِماحُ قَومِي مَا انْتَهَيْنَا
حَتّى تَنُوشَكَ نَوْشَةً عَادَاتِهِنَّ إِذَا انْتَوَيْنَـــا

فكلمة « هذا » في البيت الأول غير مستحسنة يأباها الذوق الشعري .

ن - وقال علقمة [4] :

تَخَشْخَشُ أَبْدَانُ الحَديدِ عَليهِمُ كَمَا خَشْخَشَتْ يُبْسَ الحَصَادِ جَنُوبُ

وتخصيص ريح الجنوب بالذكر ليس له معنى أكثر من طلب القافية ، إذ

---

(١) ديوانه ، ص ١٢١ . والوجا : أن يتشكى الفرس حافره . السأسم: شجر الأبنوس .
(٢) ديوان الهذليين : ص ١١ .
(٣) ديوانه ص ٢٨ .
(٤) المفضليات : ص ٧٧٩ .

أن الحصاد اليابس له حفيف : حينما تهب عليه الريح أياً كانت ، لا فرق بين جنوبية ، أو شمالية . أو غيرهما .

س – جاء لعلقمة في قصيدة له قوله [1] :

وَنحنُ جَلبْنا مِنْ ضَرِيَّةَ خيلَنا ... نُكَلِّفُها حَدَّ الإِكامِ قَطائِطا

سِراعاً يَزِلُّ الماءُ عَنْ حَجَباتِها ... نُكَلِّفُها غَوْلاً بَطِيناً وغائِطا

يُحَتُّ يَبِيسُ الماءِ عن حَجَباتِها ... وَيَشْكُونَ آثارَ السِّياطِ خَوابِطَا

فكرر كلمة « نكلفها » في البيتين الأول والثاني ، وكرر « عن حجباتها » في البيتين الثاني والثالث . وهذا ، ولا شك ، غير جيد .

ع – وجاء لعامر بن الطفيل في بيتين متواليين قوله [2] :

بَقَرْنا الحَبالَى مِنْ شَنُوءةَ بَعْدَمَا ... خَبَطْنَ بِقَيفِ الرِّيحِ نَهْداً وخَثْعَما

مُجَنَّبةً قَدْ لاحَها الغَزْوُ بَعْدَمَا ... تُبارِي مَراخيها الوَشِيجَ المُقَوَّمَا

فكرر كلمة « بعدما » في نهاية الشطر الأول من كلا البيتين . وثقل ذلك ظاهر ، وبخاصة أن ذلك في بيتين متتاليين .

ف – قـال قيس بن الخطيم في البيت الخامس والبيت الرابع عشر في قصيدته الأولى في ديوانه [3] :

ضَربتُ بذي الزِّرَّينِ رِبْقَةَ مالكٍ ... فأُبتُ بنفسٍ قد أَصبتُ شِفاءَها

وكانتْ شَجًا في الحَلْقِ ما لم أَبُؤْ بها ... فَأُبتُ بنفسٍ قَدْ أَصبْتُ دَواءَها

---

(١) العقد الثمين : ص ١١٠ .
(٢) ديوانه : ص ١٢١ . البيتان ٧ – ٨ .
(٣) ديوان قيس بن الخطيم : ص ٣ – ٤ .

وظاهر أن الشطر الأخير من كل من البيتين واحد في المعنى، وفي اللفظ لولا أنه غيّر «شفاءها» إلى «دواءها».

ص – وقال قيس أيضاً في البيتين السادس والسابع من قصيدته الرابعة في ديوانه [1]:

دعوتُ بَنِي عوفٍ لِحَقْنِ دِمائِهِمْ فَلَمَّا أبوْا سَامحْتُ في حَربِ حَاطِبِ
وكنتُ امرءاً لا أبعثُ الحربَ ظالماً فلما أَبَوْا أشعلْتُهَا في كلِّ جانِبِ

فكرر كلمة «فلما أبوا» في الشطر الثاني لكلا البيتين.

ق – الإقواء: وهو أن يختلف إعراب القوافي، فتكون قافية مرفوعة مثلاً، وأخرى مجرورة. من ذلك قول عامر بن الطفيل [2]:

لقد تَعْلَم الحربُ أني ابْنُهَا وأني الهمامُ بِهَا المُعْلِمُ
وأني أُحِلُّ على رَهْوَةٍ مِنَ المجْدِ في الشَّرَفِ الأعْظَمِ

وقول بشر بن أبي خازم [3]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ طُولَ الدَّهْرِ يُسْلِي ويُنْسِي مِثْلَ مَا نُسِيَتْ جُذامُ
وكانوا قَوْمَنَا فبَغَوْا عَلَيْنَا فَسُقْنَاهُمْ إلى البَلَدِ الشَّآمِي

ويقول قدامة بن جعفر في الإقواء: «وهذا في شعر الأعراب كثير جداً [4]».

---

(١) ديوانه: ص ١١.
(٢) ديوانه: ص ١٢٤، والرهوة: المكان المرتفع.
(٣) المفضليات: ص ٦٥٨.
(٤) نقد الشعر: ص ٧٠.

ز – التضمين : وهو اعتماد البيت على لاحقه بحيث لا يستقيم معنى البيت بذاته .

ومنه قول عامر بن الطفيل [1] :

تركتُ صريعاً بالعراء مُجدَّلاً ... ضُبيعةَ إذ نجّى شُتَيْرَ بنَ خالدِ
طِمِرٌّ، وزيدُ الخيلِ قدْ نالَ طعنةً ... إذا المرءُ زيدٌ جائرٌ غيرُ قاصدِ

وقول عبيد بن الأبرص [2] :

لمّا رأونا والمغاولُ وسْطَهمْ ... والخيلُ تبْدُو تارةً وتغيبُ
ولّوْا وهُنَّ يجُلْنَ في آثارهمْ ... شَلَلاً وبالطِّناهُمُ فتكبكبوا

وقول النابغة الذبياني [3] :

وهُمْ وردُوا الجفارَ على تميمٍ ... وهُمْ أصحابُ يومِ عُكاظَ إنّي
شَهِدتُ لهُمْ مواطنَ صادقاتٍ ... أتيتُهمُ بوُدِّ الصَّدْرِ مِنّي

٩ – وفي شعر الحرب في العصر الجاهلي نجد إشارات إلى الله : فورد فيه ذكر الله لتوكيد القسم [4] ، وأنه المدبر للكون ، وهو الذي يضر وينفع :

أبناءَ قومٍ تآوَوْكُمْ على حنقٍ ... لا يشعُرُونَ أضرَّ اللهُ أمْ نفعا [5]

---

(١) ديوانه : ص ١٣٥ . طمر : فرس وثوب ، وهو فاعل نجى في البيت السابق .

(٢) ديوانه : ص ١٦ ، البيتان ٢٥ – ٢٦ . والمغاول : جمع مغول وهو الذي يكون في السوط شبه السيف . ويقال إن المغاول حراب صغار مثل النبل . بالطناهم : جالدناهم بالسيوف تكبكبوا : اجتمعوا .

(٣) العقد الثمين : ص ٣٠ .

(٤) المفضليات : ص ٥١٣ بيت ٩ ، ص ٦١٠ بيت ٤ ، ص ٧٨٠ بيت ٢٤ .

(٥) لقيط الإيادي : مختارات ابن الشجري .

وأنه يعلم المجهول الخفي :

اللهُ يَعلمُ مَا جَهِلتُ بِعقْبِهِمْ ... وَتذكري مَا فَاتَ أيَّ أوَانِ[1]

وهو الذي يسيّر الأمور بحكمة وإتقان[2] ، وأنه الذي يُمين على النصر فيُحمد ويُشكر :

الحَمْـــدُ لله ذِي البَنِيَّةِ إذْ ... أمْسَتْ دُحَيٌّ قَدْ أُثْخِنَتْ غَلَبا[3]

وهو الذي يوجّه إليه الدعاء لينزل بالأعداء شر العقاب، ويجازي الأبطال الشجعان خير الجزاء وحسن الثواب .

---

(١) عبيد بن الابرص . ديوانه ص ٥٠ بيت ١٠

(٢) طفيل الغنوي ديوانه ص ١٩ بيت ٧ .

(٣) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ص ٣٠ بيت ١٢ .



الخاتمة

لقد ظهر لنا من هذه الدراسة لذلك العدد الكبير من الأبيات الشعرية المختارة من إنتاج الجاهليين الأدبي ، أن الحرب كانت كثيرة بين القبائل؛ وأن مظاهرها وما يتصل بها من أمور عديدة كان لها أثر عظيم في الناس بعامة ، وفي الشعراء بخاصة ، فكانت مجال الحديث والسمر ، ومصدراً من مصادر الإلهام الشعري ، حرّكت نفوس الشعراء ، فأثارت فيهم أحاسيس مختلفة ، وعواطف متباينة ، ثم انسابت على ألسنتهم فيضاً غزيراً ، ملأ مساحة واسعة في ميدان القول ، وأرضى فن التعبير ، وعشاق الجمال في التصوير .

ورأينا في هذه الدراسة كيف أن ظاهرة واحدة مما يعرض للإنسان في أثناء حياته ، وربما كانت ظاهرة بغيضة ممقوتة ، قد تكون كفيلة بالسيطرة على الإنسان روحاً وحساً ، فيرى صورها وأشباحها في كل ما يحيط به في عالمه من أشياء مختلفة ؛ حية ، أو هامدة ، ساكنة أو متحركة ؛ فقد تبين لنا من دراستنا هذه أن الحرب – وهم يبغضونها – جعلت الشعراء يجدون في مظاهر الحياة والبيئة المحيطة بهم ما يحقق رغبتهم في التعبير عن الحروب ، ويرضي ذوقهم في إجادة تصويرها . وبذلك ترك الشعراء لنا سجلاً صادقاً للعرب ، وما كان يحيط بهم في العصر الجاهلي ، فاستطعنا بدراستنا هذه، أن نعرف – من هذا السجل – الكثيرَ عن حياة العرب ، وعاداتهم ، وأفكارهم وسلوكهم ، قبل أن يصبحوا أمة واحدة متحدة ، حينما كانوا قبائل مفككة الأوصال مبعثرة في الصحراء بين الهضاب والرمال ، لا وشيجة تجمعهم ، ولا صلة روحية تلم شملهم ، واستطعنا أن نعرف كذلك شيئاً غير قليل عن كثير

من الحيوانات والطيور والحشرات التي كانت تشاركهم العيش في الصحراء .

وقد تبين أن هذه المجموعة مملوءة بالصور الشعرية التي حاول الشعراء بها أن يظهروا أفكارهم في دقة ووضوح ، أو يخلعوا عليها مزيداً من الحسن والجمال . وقد لمسنا من دراسة هذه الصور ما كان لدى الشعراء من مهارة في عرض صورهم بحكمة وإتقان . ورأينا إلى أي مدى كان كل شاعر يحاول جهد نفسه أن تكون له شخصية مستقلة بارزة في تعبيره وتصويره .

ومن هذه الدراسة رأينا أن أفكارهم كانت نابعة من بيئتهم ، متأثرة بظروفهم وأحوال معيشتهم؛ وعواطفهم كانت على العموم صادقة صادرة من أعماق القلوب قوية مثيرة ، لكنها كانت تختلف باختلاف الشعراء والظروف المحيطة بكل منهم ؛ وخيالهم غير عميق ، وأسلوبهم قوي النسج محكم رصين . وقد ظهر لنا ، أنه مع أن هذا الشعر من إنتاج قوم مجيدين ، بوجه عام ، فقد وجد فيه بعض هفوات في التعبير والتصوير، وكثير منها كان لفحول الشعراء وليس في هذا عجب ، جل من لا يسهو ، ولكل جواد كبوة .

ومن الواضح الجلي أن الفضل في جميع النتائج التي استنبطناها في أثناء البحث يرجع إلى طريقة الإحصاء التي أقمنا على أساسها هذه الدراسة، فالجداول الإحصائية الموجودة في هذه الدراسة تضع أمام القارىء تلخيصاً موجزاً وافياً للعناصر والجزئيات التى حللناها، وتنطق من تلقاء نفسها بما فيها من حقائق ونتائج . وإنا لنرجو أن تستغل هذه الإحصائيات في دراسات أوسع فيكون فضلها أكبر وخيرها أتم .

والمجموعات الشعرية التي درسناها ، قطعة رائعة من الشعر الغنائي ، وليس فيها شيء من الملاحم ، لكن الإنسان يستطيع ، حقيقة ، أن يقول إنها وثائق ممتازة ، تتحدث عن ظاهرة اجتماعية خطيرة من شتى نواحيها ، وهي في الوقت ذاته تصور ، في غير تزويق ولا تمويه ، ولكن في حيوية وصدق ، كثيراً من أحوال الحياة ومظاهرها وأثرها الأدبي في شبه الجزيرة العربية في الفترة التي سبقت الإسلام .

المُلحق

الصّور الشّعريّة

١ ــ الحرب

صورة من المذاق :

١ــ مَنْ يَذُقِ الحربَ يجِدْ طَعْمَها   مُرًّا وتَحْبِسْهُ بِجَعْجَاعِ

صورة من الطعام :

٢ــ خُزيُ الحياةِ وحَربُ الصَّديقِ   وَكُلًّا أراه طعاماً وَبيلا

صورة من المرعى :

٣ــ فقَضَّوْا مَنَايَا بينَهم ثُمَّ أصْدَرُوا   إلى كَلأٍ مُستوبَلٍ مُتَوَخَّمِ

(١) أبو قيس بن الأسلت : المفضليات ، ص ٥٦٦ . بيت ٣ .

(٢) بشامة بن عمرو : المفضليات ، ص ٨٨ .

(٣) زهير بن أبي سلمى : ديوانه (طبعة مصر) ص ١١ . ومستوبل: سيىء العاقبة . متوخم : غير مرىء .

صورة من السجْل :

٤ـ أتذْكُر أَمْراً لَمْ تَنَلْهُ وإنّما تَناولَ سَجْلَ الحرب مَنْ كانَ أَنْجَدا

صورة من الينبوع :

٥ـ رَعَوْا ظِمْأَهُمْ حتّى إذا تَمَّ أَوْرَدُوا
غِمَــاراً تَفَرّى بالسّلاحِ وبالدّمِ

صور من السوق :

٦ـ نُقِيمُ لَهَا سُوقَ الجِلَادِ ونَغْتَلي بأَسْيَافِنا حتّى نُوَجِّهَ خَالَهـا
٧ـ نُقِيمُ لَهَا سُوقَ الضِّرابِ وَنَعْتَصِي بأسيافِنا حَتّى نُوَجِّهَ خالَها
٨ـ ولَكِنّها سُوقٌ يَكُونُ صِفاقُها سُرَيْجِيَّةٌ قدْ أَرْهَفَتْها الصَّياقِلُ

صورة من الحمل الثقيل :

٩ـ أَصْبَحَتْ وائلٌ تَعِجُّ مِنَ الحر ب عَجِيجَ الجِمَالِ بالأَثْقالِ

صور من الرحى :

١٠ـ وإنْ أَجْلَبَتْ صِهْيَوْنُ يوماً عَليكُمُ
فإنّ رَحى الحربِ الدَّكُوكِ رَحَــاكُما

---

(٤) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٤١ بيت ٤ .
(٥) زهير بن أبي سلمى : المعلقة .
(٦) الأعشى : ديوانه ، قصيدة رقم ٦٠ بيت ٣ .
(٧) الأعشى : ديوانه . قصيدة ٧٢ بيت ٧.
(٨) عميرة بن طارق : النقائض (مصر) جـ ١ ص ٥٢
(٩) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٢٧٢ .
(١٠) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٤٢ بيت ٤ .

١١ ـ وَلا كُشُفٌ فنسأمَ حَرْبَ قوم ٍ إِذَا أَزَمتْ رَحىً لَهُمُ رَحَانا

١٢ ـ وَدارَتْ رَحى الحربِ المُشِيبةِ لِلفتى
وَهَالتْ ذَوي الألبابِ تِلكَ المَواقِفُ

١٣ ـ فَدَارتْ رَحانَا بِفُرْسَانِهِمْ فعادُوا ـ كأنْ لم يكُونُوا ـ رَمِيما

١٤ ـ واستَدارتْ رَحى المَنَايا عَلَيْهِمْ
بِلُيوثٍ مِنْ عَامرٍ وَجَنَابِ

١٥ ـ كأنَّهُمُ حِينَ اسْتَدارَتْ رَحَاهُمُ
بِذاتِ اللَّظَى وَأَدْرَكَ الْقَومَ لَاعِبُ

١٦ ـ طوراً نُديرُ رَحانا ثُمَّ نَطْحَنُهُمْ طحْناً وَطَوْراً نُلاقِيهمْ فَنَجتَلِدُ

١٧ ـ متَى ننقلْ إلى قومٍ رَحَانا يَكُونوا في اللقاءِ لَهَا طَحِينا
يَكونُ ثِفالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ وَلُهوَتُهَا قُضَاعَةُ أجْمَعِينا

صور من النار :

١٨ ـ دعُوا مَنْبِتَ السَّيفَيْنِ إنهُما لَنَا إذا مُضَرُ الحمراءُ شُبَّتْ حُرُوبُها

---

(١١) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٢٨ بيت ١٣ .
(١٢) البراق : شعراء النصرانية، ص ١٤٦ .
(١٣) ربيعة بن مقروم : المفضليات ، ص ٣٦١ .
(١٤) زهير بن جناب . شعراء النصرانية ، ص ٢٠٩ .
(١٥) مالك بن خالد الهذلي : ديوان الهذليين ج ١ ص ١٧١ .
(١٦) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٢٧٧ .
(١٧) عمرو بن كلثوم : المعلقة .
(١٨) بشر بن أبي خازم : المفضليات ٤٧٦ .

١٩ ـ لَأَعْرِفَنَّكَ إنْ جَدَّ النَّفيرُ بِنَا وشُبَّتِ الحربُ بالطُّوَّافِ وَاحتملوا

٢٠ ـ وَشَبَّتْ طَيِّيءُ الجَبَلَيْنِ حرباً تَهِرُّ لشَجْوِهَــا مِنهَا صُحَارُ

٢١ ـ وحُشَوا الحُروبَ إذَا أُوقِدَتْ رِماحاً طِوالاً وَخيلاً فُحُولا

٢٢ ـ وكنت امرءاً لا أَبعثُ الحربَ ظالماً

فلمّا أبَوْا أَشْعلتُهـــا في كُلِّ جانِبِ

٢٣ ـ إنَّ بني الأوسِ حِينَ تَستَعِرُ الْـ حَرْبُ لَكَالنارِ تأْكُلُ الْحَطَبَا

٢٤ ـ المجدُ في غيرِهمْ لَوْلا مَآثِرُهُ وَصَبْرُهُ نَفسَهُ والحربُ تَسْتَعِرِ

٢٥ ـ يُطيلونَ لِلحربِ تَكْرَارَها إذَا أُلْهِبتْ لَهَبــاً تُسْعَرُ

٢٦ ـ وَأَنا ابنُ حَرْبٍ لا أَزَالُ أُشُبُّها سَعْراً وأُوقِدُهَا إِذَا لَمْ تُوقَدِ

٢٧ ـ تُلاقِــينَ قَيْساً وَأَشْياعَهُ يُسعِّرُ لِلحربِ ناراً فَنارا

٢٨ ـ وَقومي رؤوسُ الناسِ وَالرأسُ قائِد

إِذَا الحربُ شَبَّتْهــا الأَكُفُّ المَسَاعِر

---

(١٩) الأعشى : ديوانه . قصيدة ٦ بيت ٤٨ .

(٢٠) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٦٨ .

(٢١) بشامة بن عمرو : المفضليات ص ٨٩ ، بيت ٣٤ .

(٢٢) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ١١ . ب ٧ .

(٢٣) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٣١ . ب ١٩ .

(٢٤) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ، ص ٨٣ . ب ٥ .

(٢٥) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٢٣ . ب ٧ .

(٢٦) عامر بن الطفيل . ديوانه ص ١٤٥ ، بيت ١٠ .

(٢٧) الأعشى : ديوانه ، قصيدة رقم ٥ بيت ٢٩ .

(٢٨) زيد الخيل ، الأغاني ج ١٦ ص ٥٤ .

٢٩ - وَكم فيهِمُ مِنْ سَيِّدٍ ذي مَهَابَةٍ　　يُهابُ إذا مارائِدُ الحربِ أضرَما
٣٠ - وَسَقيتُ تيمَ اللّاتِ كأساً مُرَّةً　　كالنَّارِ شُبَّ وَقُودُهَـــا بِضِرَامِ
٣١ - نحنُ حَبسْنَا بَنِي جَدِيلَةَ في　　نَارٍ مِنَ الْحَرْبِ جَحْمَةِ الضَّرَمِ
٣٢ - وإنْ حَرْبُهمْ أوقِدتْ بينَهمْ　　فَحَرَّتْ لهمْ بَعْـــدَ إبرَادِها
٣٣ - ثم التقينَا ونارُ الحرْبِ سَاطِعَةٌ　　وَسَمْهَرِيّ العَوَالِي بَيْنَنَا قِصَـــدُ
٣٤ - مَالِي أرَاكُمْ نِياماً في بُلَهْنِيَةٍ　　وَقَدْ تَرَوْنَ شِهَابَ الحرْبِ قَدْ سَطَعَا
٣٥ - تُسعَّرُ نارُهَا وَهجاً وَجاءتْ　　إذا خَمَدَت كَنِيرانِ الْقِصَـــاحِ
٣٦ - أدُّوا ذِمَـامَةَ حِصْنٍ ، أوْ خذُوا بِيَدٍ
حَرْباً تُحشّ الوقُودَ الجزْلَ والضَّرَمَا

صورة من الغول :

٣٧ - أنكَرْتِهِ　حِينَ　تَوَسَّمْتِهِ　　والحربُ غُولٌ ذاتُ أوْجَاعِ

---

(٢٩) الحصفي المحاربي : المفضليات ص ٦٢٨ بيت ١٩ .
(٣٠) المهلهل : شعراء النصرانية ، ص ١٧٤ .
(٣١) بعض بني بولان : الحماسة جـ ١ ص ٤٦ .
(٣٢) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٨ ، بيت ٤٤ .
(٣٣) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية : ص ٢٧٧ .
(٣٤) لقيط الأيادي : مختارات ابن الشجري .
(٣٥) جساس بن مرة : شعراء النصرانية ص ٢٤٧
(٣٦) شبيم بن خويلد : النقائض جـ ١ ص ٩٧ .
(٣٧) أبو قيس بن الأسلت المفضليات ص ٥٦٥ .

صورة من الألم :

٣٨ ـ تَرَى الرِّجالَ قُعُوداً يَأْنِحُونَ لَها   دَأْبَ الْمُعَضِّلِ إِذْ ضاقَتْ مَلاقِيها

صورة من المرض :

٣٩ ـ الحربُ يَلْحَقُ فِيها الكَارِهُونَ كَمَا
تَدْنُو الصِّحَاحُ إلَى الجَرْبى فتُعْدِيهـــا

صورة من الشرب :

٤٠ ـ وَحَالَتْ عَوادِي الحربِ بَيْني وَبَيْنَها
وحربٌ تُعِـــلُّ الموتَ صِرْفاً وَتُنْهِل

صورة من المشمر والمتجرد :

٤١ ـ فإن شَمَّرتْ لكَ عَنْ سَاقِهَا   فَوَيْهاً رَبِيع فَـــلَا تَسْأَمُوا
٤٢ ـ كَشَفَتْ لَهمْ عَنْ ساقِهـــا   وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصِّرَاح

---

(٣٨) مجهول : الحماسة جـ ١ ص ١٥٤ . ويأنحون : من أنح يأنح من باب ضرب يضرب إذا زفر وزحر من الغم والغضب فخرج له صوت كأنه يتنحنح ولا يبين . والدأب : العادة والمعضل التي نشب الولد في رحمها . والملاقي : المراد بها ملاقي الرحم : والمراد أن الرجال يلقون من الشدة في الحرب مثل ما تلقى هذه المرأة إذا عسر عليها خروج ولدها .

(٣٩) المرجع السابق .

(٤٠) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ، ص ٧٧٨ .

(٤١) قيس بن زهير : شعراء النصرانية ، ص ٩٢٧ .

(٤٢) سعد بن مالك : شعراء النصرانية ص ٢٦٥ .

٤٣ - جَرَوْا عَلى أُدَبٍ مِنّي بِلا نَزَقٍ وَلا إِذَا شَمَّرتْ حَرْبٌ بِأَغمار

٤٤ - إِني رأيتُ الحربَ إِن شَمرتْ دَارَتْ بِكَ الحربُ مَعَ الدَّائِرِ

٤٥ - فلما رَأَيتُ الحربَ حرباً تَجَرَّدتْ

لبستُ مَعَ البُرْدَيْنِ ثَوْبَ المُحارِبِ

صور من المكشر عن النواجذ والأنياب :

٤٦ - وَهُمْ إِذَا الحربُ أبدَتْ نَواجِذَها

مثـــلُ الليوثِ وَسُمٌ عَاتِق نَقعا

٤٧ - فَمَا وَجَدَتْكَ الحربُ إِذْ فُرَّ نابُهـــا

عَلى الأمرِ نعَّاســـاً عَلى كُلِّ مَرْصَد

٤٨ - فَمنْ يَكُ مِعْزَالُ اليدينِ مَكـــانهُ

إِذا كشّرت عَنْ نَابِها الحربُ ، خَامِلُ

٤٩ - وَصاحِبَيْهِ فَلا يَنْعَمْ صَبَاحُهمَا إِذْ فَرَّتِ الحربُ، عنْ أنيابها الرُّوق

---

(٤٣) الأعشى: ديوانه ، قصيدة رقم ٥٢ بيت ١٣.

(٤٤) الأعشى : ديوانه قصيدة رقم ١٨ بيت ٤٧ . دارت بك الحرب مع الدائر : أي مغلوب مدوخ .

(٤٥) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ص ١٢ ، بيت ١٠ .

(٤٦) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ١٣ بيت ٤٥ .

(٤٧) الأعشي : ديوانه ، قصيدة ٢٨ ، بيت ١٥ .

(٤٨) مزرد : المفضليات ص ١٦٣ بيت ١٢ .

(٤٩) بشر بن عمرو : المفضليات ص٥٥٢ بيت رقـــم ٢ . وفرت : من « من فر الدابة » وهو كشفها عن أسنانها . الروق : جمع روقاء : وهي الناب الطويلة .

٥٠ ـ أَبى قَومُنا أنْ يَقْبلوا الحقَّ فانْتَهوْا
إليهِ وَأنيابٌ من الحَرب تَحرِقُ

٥١ ـ وإني امرؤٌ أعددتُ للحرب بَعدَمَا
رأيتُ لَهَا ناباً مِنَ الشَّرِّ أعصَلا

٥٢ ـ إذْ غابَ مَنْ غابَ عَنْهُمْ مِنْ عَشيرَتِنا
وَأبدَتِ الحربُ نَاباً كَالِحــاً عَصِلا

صورة من اللاقح :

٥٣ ـ أخو الحربِ إذْ لَقِحَتْ بَازِلاً سَمَا لِلْعُلَا وَأحَــلَّ الِحمَارا

٥٤ ـ كَفَاهُ الحربَ إذْ لَقِحَتْ إياسٌ فأَعْلَى عَنْ تَمارِقِــهِ فَقَاما

٥٥ ـ فاصبرْ لبكرٍ فإنَّ الحربَ قَدْ لَقِحَتْ
وعزِّ نَفْسَكَ عَمَّنْ لا يُوَاليها

٥٦ ـ قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتْ حَرْبُ وائلٍ عَنْ حِيَال

(٥٠) زهير بن جناب: شعراء النصرانية، ص ٢٠٧ .
(٥١) أوس بن حجر : شعراء النصرانية ص ٤١٤ .
(٥٢) حاتم الطائي : شعراء النصرانية ص ١٢٨ .
(٥٣) الأعشى : ديوانه قصيدة ٥ بيت ٣٧ . بازلا : من البعير إذا بزل نابه أي شق وظهر وبزل الأمر والرأي استحكم . الحمار : قبائل ضبة وعبس والحرث بن كعب.وأحل : استباح حماهم وأحله .
(٥٤) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٢٩ . بيت ٣٤ .
(٥٥) جساس بن مرة : شعراء النصرانية ص ٢٥٠ .
(٥٦) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٢٧٢ ،

٥٧ـ قَوْمي بنو دُودَانَ أهلُ النُّهى يَوْمـاً إذا أُلقِحَتِ الحـائِل

٥٨ـ وَ تغلب إذْ حَرْبُهـا لاقحٌ تُشَبُّ وَتُسْعَرُ نيرَانُهَـا

صورة من العقيم :

٥٩ـ هُمُ جَرَّدُوا أحكامَ كلِّ مُضِلَّةٍ مِنَ العقْمِ لا يُلْفَى لأَمثالِها فَصْلُ

صور من العوان :

٦٠ـ فهلَّا لَدَى الحربِ العَوانِ صَبَرتُمُ لِوَقْعَتِنَا وَالْبأسُ صَعْبُ المَراكِبِ

٦١ـ وقالتْ مَعَاشِرُ : مَنْ ذَا لنا بحربٍ عَوانٍ وتَطرادِهـا

٦٢ـ وَعِنـدي إذا الحربُ العَوَانُ تلقَّحَتْ

وَأَبْدَتْ هَوادِيَها الخُطُوبُ الزَّلازِلُ

٦٣ـ أَبلِغْ بني جَحْجَبَى فقدْ لَقِحَتْ حَربٌ عَوَانٌ ، فَهَلْ لَكُمْ سَدَفُ

٦٤ـ وَنَسيرُ للحربِ العَوانِ إذا بَدَتْ حَتَّى نَلُفَّ ضِرامَهـا بِضِرَام

---

(٥٧) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٧٣ .

(٥٨) سلامة بن جندل : النقائض ج ١ ص ١٣٥ .

(٥٩) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ، ص ٩٠ بيت ٢٣ . والمضلة : الحرب التي تضل الناس . وجعلها عقيماً فكأنما بإملاكها الأبطال لا تلد .

(٦٠) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١٥ .

(٦١) الأعشى : ديوانه قصيدة ٨ بيت ٤٦ .

(٦٢) المزرد : المفضليات ص ٦٤ ، بيت ١٥ .

(٦٣) مالك بن عجلان . جمهرة أشعار العرب . والسدف : المجن والوقاية .

(٦٤) عبيد بن الأبرص ، ديوانه ص ٢٢ بيت ١٧ .

٦٥ـ وَفي الحربِ مِنـهُ بَلاءٌ إذَا عَوانٌ تَوَقَّدُ أَجذالُهـا

٦٦ـ ما كُنْتَ في الحربِ العوان مُغَمَّراً
إذ شَبَّ حرٌّ وقودِهـا أَجْزَالَهَا

٦٧ـ بهِ أَشْهَدُ الحربَ العَوانَ إذا بَدَتْ نَواجذُهَا واحْمَرَّ مِنها الطَّوائف

صورة من الذوائب :

٦٨ـ واسألْ حُذيفةَ حِينَ أَرَّشَ بَيْنَنا حَرْباً ذَوائبُهَـا بِموتٍ تَخْفِقُ

صور من الناقة :

٦٩ـ فَلَسْنا مِنْ بَني جَدَّاءَ بِكْرٍ وَلَكِنَّا بَنُو جَـدٍّ النِّقَال

٧٠ـ أبناءُ حَرْبٍ: الحَرْبُ ضَرَّسَنا أَبْكَارُها والعُونُ وَالشُّرُفُ

٧١ـ وَلَا تَبعثُوها بَعْدَ شَدٍّ عِقالِها ذَميمَةَ ذِكْرِ الغِبِّ في المتعقِّب

---

(٦٥) الأعشى: ديوانه قصيدة ٢١ بيت ٣٥ . والعوان: الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة ، وأصله الناقة التي ولدت بعد ولادتها الأولى . والأجذال : جمع جذل بكسر الجيم ، وهو ما عظم من أصول الشجر .

(٦٦) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٣ بيت ٣٣ . والأجزال : جمع جزل « بفتح فسكون». وهو ما عظم من الحطب ويبس .

(٦٧) ثعلبة بن عمرو : المفضليات ص ٦٣ بيت ١٢ . والطوائف : النواحي .

(٦٨) عنترة العبسي : شعراء النصرانية ص ٨٠٧ .

(٦٩) قبيصة بن جابر : ديوان الحماسة ج ١ ص ٢٩٤ . الجداء : الناقة المقطوعة الثدي .. وكنى بالبكر الجداء عن الحرب الضعيفة . النقال : تكرر الولادة .

(٧٠) مالك بن عجلان : جمهرة أشعار العرب . والشرف : المسنة .

(٧١) مجهول ، الحماسة ، ج ١ ص ١١٣ . تبعثوها: تثيروها . الغب : العاقبة والغاية ..

٧٢ـ فَإني في الحربِ العَّروسِ مُوَكَّــل
بإقْــدَامِ نفسٍ مَا أُريدُ بَقَاءهَــا

٧٣ـ نشدُّ عِصات الحربِ حَتَّى نُدِرَّهــا
إذا مــا نفوسُ القَومِ طالعتِ الثُّغَرْ

٧٤ـ وإنّا إذَا مَا مُمْتَرُو الحربِ بَلَّحُوا
نُقيمُ بآســادِ العَرِينِ لِوَاءهَا

٧٥ـ وَنُلْقِحُهَامَبْسُورَةً ضَرزَنِيَّةً بأسْيافِنَا حَتّى نُذِلَّ إبَاءهَــا

٧٦ـ فَبعضَ الوَعيدِ إنَّهَا قَد تكَشَّفَتْ
لأشياعِها عَنْ فَرْجِ صَرْمَاءَ مُذْكِرِ

٧٧ـ وعُذْرَةَ قَدْ حَكَّتْ بِها الحربُ بَرْكَها
وألقَتْ عَلَى كَلْبٍ جِراناً وَكَلْكَلا

---

(٧٢) قيس بن الخطيم . ديوانه ص ٣ . بيت ١١ .

(٧٣) عامر الطفيل : ديوانه ص ١٣٩ ، بيت رقم ٥ . نشد عصاب الحرب: مثل، وأصل ذلك أن الناقة إذا امتنعت عن الحلب عصب فخذاها فتدر .

(٧٤ ، ٧٥) قيس بن الخطيم : ديوانـــه ص ٤ ، البيتان ١٦ ، ١٧ ، ممترو الحرب : الذين يستدرونها ، وهذا مثل يقال : مريت الناقة إذا مسحت ضرعهـــا باليد لتدر . بلحوا : أعيوا .

(٧٦) مالك بن خالد الهذلى : ديوان الهذليين ، ص ١٦٠ بيت ٤ .

(٧٧) خراشة بن عمرو العبسي : المفضليات ص ٨٢٦ بيت ١٣ . والبرك : الصـــدر . والجران : العنق . والكلكل : الصدر ، يريد أن الحرب بركت عليهم .

٧٨ ـ وَإِنَّ الحَرْبَ أَمسَى فَحْـلُهَا فِي النَّـاسِ مُحْتَلِمَا
حَديداً نَابُـهُ مُسْتدُّ لِقـاً مُتَخَمِّطـاً قَطِمَا

صورة من المشمر واللاقح العوان :

٧٩ـ وقدْ شَمَّرَتْ بِالنَّاسِ شَمْطَاءُ لَاقِحٌ عَوانٌ شَدِيدٌ هَمزُهَا فَأَضَلَّتِ

صورة من العوان اللاقح الضروس والنار :

٨٠ ـ إِذَا لَقِحَتْ حَرْبٌ عَوانٌ مُضِرَّةٌ ضَرُوسٌ تُهِرُّ النَّاسَ أَنيابُها عُصْلُ
قُضَاعِيَّةٌ أَوْ أُخْتُهَا مُضَرِيَّةٌ يُحرِّقُ فِي حَافاتِهَا الحَطَبُ الجَزْلُ
تَجِدْهُمْ عَلَى مَا خَيَّلَتْ هُمْ إِزَاءَهَا وَإِنْ أَفسَدَ المَالَ الجَمَاعَاتُ وَالأَزْلُ
يَحُشُّونَهَا بِالمَشْرَفِيَّةِ وَالقَنَا وَفِتيانِ صِدْقٍ لَا ضِعافٌ وَلَا عُزْلُ

---

(٧٨) الأعشى: قصيدة رقم ٥٦ ، البيتان ٣ ، ٤ الفحـل : الجمل والذكر من كل حيوان. احتلم الصبي : أدرك وبلغ مبلغ الرجال . حديداً نابه . حاد . ودلق البعير شقشقته : أخرجها، والشقشقة (بكسر الشين) شيء كالرئة يخرجه البعير من فمه إذا هاج وهدر . خمط البعير : هدر . قطم : هائج .

(٧٩) الأعشى : ديوانه ، قصيدة رقم ٤٠ بيت ٦ . الشمطاء : العجوز ، والأشمط هو الذي خالط بياض رأسه سواد . همزه : ضغطه ، وعصره ، وصرعه .

(٨٠) زهير بن أبي سلمى : العقـد الثمين ص ٩٠ . ضروس : عضوض سيئة الخلق . تهر الناس: تجعلهم يكرهونها . عصل : عوج قضاعية: نسبة الى قضاعة. الجزل: ما غلظ من الحطب. إزاءها: أي الذين يقومون بها ، أي مدبريها وسائسيها. الجماعات : القوم يجتمعون في مكان واحد. الأزل: حبس المال وعدم إرساله للمرعى . يحشونها : يوقدونها .

صورة من الحيوان المتوحش والرحى والنار والولود والدخل :

٨١ ـ مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً ... وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ
فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا ... وَتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ
فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ ... كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ
فَتُغْلِلْ لَكُمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْلِهَا ... قُرًى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمِ

٢ ـ الغـــارة

صورة من الخمر :

٨٢ ـ فَصَبَّحَهُمْ بِهَا صَهْبَاءَ صِرْفاً ... كَأَنَّ رُؤُوسَهُمْ بَيْضُ النَّعَـامِ
٨٣ ـ فَذُقْ غِبَّ مَا قَدَّمْتَ إِنِّي أَنَا الَّذِي
صَبَحْتُكُمُ فِيهِ السِّمَامَ يَبُرْحُـــداً
٨٤ ـ صَبَحْنَا الحَيَّ مِنْ عَبْسٍ صَبُوحاً ... بِكَأْسٍ فِي جَوَانِبِهَا تَمِيلُ
٨٥ ـ وَلَتُصْبِحَنَّكَ كَأْسُ سُمٍّ فِي عَوَاقِبِهَا مَرَارَةْ

---

(٨١) زهير بن أبي سلمى : المعلقة .
(٨٢) النابغة الذبياني . العقد الثمين : ص ٢٩ بيت ٢٧ .
(٨٣) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٤١ بيت ٥ .
(٨٤) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٣٣ بيت ١ .
(٨٥) الأعشى : ديوانه ، قصيدة رقم ٢٠ بيت ٦٦ .

صور من الجراد :

٨٦ـ وَمُغِيرَةٍ سَوْمَ الجرادِ وَزَعْتُها
قَبْلَ الصَّباحِ بِشَيِّئَانٍ ضامِرِ

٨٧ـ وَغَارَةٍ كَجَرَادِ الرِّيحِ زَعْزَعَهَا
مِخراقُ حربٍ كَنَصْلِ السيفِ بُهْلُول

٨٨ـ رَأَوا غارةً تحوي السَّوَامَ كأنَّها جرادُ ضُحَيًّا سَارِحٍ مُتَوَرِّقِ

٨٩ـ عَلى حَنَقٍ صَبَّحْتُهُمْ بِمُغِيرَةٍ كرِجْلِ الدَّبا الصَّيْفِيِّ أَصْبَحَ سَائِمًا

صورتان من اللاقح والبارك :

٩٠ـ تَنْسَى تَلائي إِذَا مَا غَارَةٌ لَقِحَتْ
تَخْرُجُ مِنْهَا الطُّوَالاتُ السَّرَاعِيفُ

٩١ـ فَذَاقَ الموتَ مَنْ بَرَكَتْ عَلَيه وَبالنَّاجِينَ أَظْفَارٌ دَوَامِ

صورة من النار :

٩٢ـ وَنَصْدُقُ في الصَّباحِ إِذَا الْتَقَيْنا وَلَوْ كانَ الصَّباحُ جَحِيمَ جَمْرِ

(٨٦) ثعلبة بن صعير ، المفضليات ص ٢٦١ . المغيرة : القوم يغيرون . وزعتها: كففتها وردتها . الشيئان : الشديد النظر الكثير الاشتراف .
(٨٧) طفيل الغنوي: ديوانه ص٣٣ بيت ٢٠ .
(٨٨) متمم بن نويرة : النقائض ج ١ ص ٢٩٥ (مصر) .
(٨٩) أبو جندب الهذلي : ديوان الهذليين ص ٨٥ ، بيت ٥ .
(٩٠) عنترة العبسي : العقد الثمين ، ص ٤١ قصيدة ١٦ . الطوالات : يقصد الخيل . السراعيف : السراع ، واحدتها سرعوفة .
(٩١) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٢٩ بيت ٢٨ .
(٩٢) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٣٣ ، بيت ١١ .

٣ ــ البطـــل

صورتان من الحصن :

٩٣ـ كأنّي غداةَ الصَّمْدِ حينَ دَعوتُه   تفرَّعتُ حِصناً لا يُرامُ مُمرَّدا
٩٤ـ مَعاقِلُهم آجامُهم ونساؤهم ،   وأيمانُنا بالمشرفيّةِ مَعْقِلُ

من الدرع والجن :

٩٥ـ فَهُمْ دِرعي التي اسْتلأَمتُ فيها   إلى يومِ النِّسارِ وهُم مجنِّي
٩٦ـ فهم درعي التي اسْتلأمْتُ فيها   إلى يومِ النِّسَــارِ وهُمْ مِجَنِّي

من الرمح :

٩٧ـ فيها فوارسُ محمودٌ لِقاؤُهُمُ   مثلُ الأسنَّةِ لا مِيلٌ ولا كُشُفُ
٩٨ـ فتىً مِثْلُ نَصْلِ السَّيفِ يَهتزُّ للنَّدى
كَعالِيَةِ الرُّمحِ الرُّدَيْنيِّ أَرْوَعا

من السيف :

٩٩ ـ فتًى مثلُ نَصْلِ السيفِ يهتزُّ للنَّــدَى
كعـــاليةِ الرُّمحِ الرديْنيِّ أروَعا

---

(٩٣) عبدالله بن عنمة : النقائض (مصر) ص ٥٤ .
(٩٤) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ص ٢٤ .
(٩٥،٩٦) النابغة الذبياني : العقد الثمين . قصيدة رقم ٢٩ بيت ١٥ ص ٣٠ .
(٩٧) الأعشى : ديوانه رقم ١٦٤ ، بيت ٤ ، ص ٢٤٩ .
(٩٨،٩٩) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٦٧١ . وكرر البيت برقمين لأن فيه صورتين . من الدرع ومن السيف .

١٠٠ـ وَغَارةٍ كَجَرَادِ الرِّيحِ زَعْزَعَهَا
مِخْرَاقُ حَرْبٍ كَنَصْلِ السَّيفِ بهْلُول

١٠١ ـ ذَهَبَ الّذينَ أُحِبُّهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ السَّيفِ فَرْدا

١٠٢ ـ عَجِبتْ عُبيلةُ مِن فتىً مُتبذِّل عارِي الأشاجعِ شَاحبٍ كَالمُنْصُل

١٠٣ـ فقلَّدَ الأمْرَ بَنُو هَاجرٍ مِنْهُمْ رَئيساً كَالحُسَامِ الْبَرِيق

١٠٤ـ وَخرَّ على الألاءةِ لم يُوَسَّد كَأن جبينَه سَيْفٌ صَقِيل

١٠٥ـ كالهُنْدُوَانِيّ لَا يُخْزِيكَ مَشْهَدُه
وَسْطَ السُّيوفِ إذَا مَا تُضْرَبُ الْبُهَمُ

١٠٦ـ كَصَدْرِ السيفِ أخلَصَهُ صِقَال إذا مَا هُزَّ مَشهوراً حُسَاما

---

(١٠٠) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٣٣ بيت ٢٠

(١٠١) عمرو بن معد يكرب . الحماسة جـ ١ ص ٦٢ . فردا : لا صاحب لي يعينني على الأمور ، كالسيف لا ثاني له في غمده.

(١٠٢) عنترة العبسي : العقد الثمين ، قصيدة رقم / ٢٠ . متبذل : لابس المبذل وهو الثوب الخلق . الأشاجع : عروق ظاهر الكف ، وعاريها : أي ليس عليها لحم كثير . شاحب : متغير اللون .

(١٠٣) المهلهل: شعراء النصرانية ص ١٧٣.

(١٠٤) عبدالله بن عنمة الحماسة جـ ١ ص ٤٣١ ، والألاءة : شجرة معروفة . وشبه وجهه بالسيف الصقيل لصفائه ووضاءته . وذلك من سمات الشجعان .

(١٠٥) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين قصيده ١٧ ، ص ٩٨ . والبهم : الجماعة ويقال للبطل بهمة (بضم الباء) وهو الذي لا يدري كيف جهة قتاله .

(١٠٦) الأعشى : قصيدة ٢٩ بيت ٣٧ . والصقال : الجلاء .

من المذاق :

١٠٧ ـ أمَرَّ على أفواهِ من ذاقَ طعْمَها
مطاعِمُنا يَمْجُجْنَ صَـــاباً وَعَلْقَما

من السم :

١٠٨ ـــ وَهُمْ إذا الحربُ أبدَتْ نواجذَها
مِثْلُ اللّيوثِ وَسُمٌّ عاتِقٌ نقَعَـــا

صورة من القار :

١٠٩ ـ وَمَساعِرٌ صَدأُ الحديدِ عَلَيْهِمُ فَكَأنّما طُلِيَ الوُجوهُ بِقار

من الجبل :

١١٠ ـــ وَكَأنَّ المَنُونَ تَرْدِي بِنا أرْ عَنَ جَوْناً يَنْجابُ عَنْهُ العَماءُ
مُكْفَهِرّاً على الحوادثِ لا تَرْ تُوهُ للدَّهْرِ مُؤْيِــدٌ صَمّاءُ
إرَمِيٌّ بِمثلِهِ جالتِ الخيْـــلُ فآبتْ لِخَصْمِها الأجْلاءُ

---

(١٠٧) حساس بن نشبة التيمي : الحماسة جـ ١ ص ١٢٥ . الصاب : عصارة شجر مُر والعلقم : الحنظل .

(١٠٨) الأعشى : ديوانه قصيدة ١٣ بيت ٤٥ .

(١٠٩) الربيع بن زياد : شعراء النصرانية ٧٩٣ .

(١١٠) الحارث بن حلزة : المعلقــة . تردي : ترمي . أرعن له رعن - والجون هنا : الأسود ، العماء : السحاب . الاكفهرار : شدة العبوس . الرتو : الشد والإرخاء . المؤيــد : الداهية العظيمة . الصماء : الشديدة ، إرمي : نسبة إلى إرم جد عاد . والأجلاء : جمع جلا ، والجلا : الأمر المنكشف

من الصخرة : أو الهضبة :

١١١ ـ حَوْلَ قيسٍ مُسْتَلئِمينَ بِكَبشٍ
قَرَظِيٍّ كـأنه عَبْـلاء

من الظلام :

١١٢ ـ مِنّا بِشجْنَةَ وَالذِّنابِ فَوَارِسٌ
وَعُتائِدٍ مِثْـلُ السَّوادِ المُظْلِمِ

من الضبي :

١١٣ ـ كم مِنْ فَتىً فِيهِمْ أخي ثِقَةٍ حُرٍّ أَغَرَّ كَغُرَّةِ الرِّئمِ

من اللاعب :

١١٤ ـ أُجالِدُهُمْ يومَ الحديقـةِ حاسِراً
كأَنَّ يَـدِي بالسَّيْفِ مِخْراقُ لاعِبِ

١١٥ ـ كأَنَّ سُيوفَنا مِنّا ومِنْهُمْ مَخاريقٌ بأيْدي لاعِبينا

---

(١١١) الحارث بن حلزة : المعلقة . قيس : يقصد قيس بن معديكرب . استلأم : لبس اللامة ، وهي الدرع . والقرظ : شجر يدبغ به الأديم . وقرظي نسبة إلى بلاد القرظ وهي اليمن . عبلاء : هضبة ، أو صخرة .

(١١٢) سنان بن أبي حارثة : المفضليات ، ص ٦٨٧ . وهذه أعلام كلها . مواضع .

(١١٣) عنترة العبسي : العقد الثمين ، قصيدة ٢٢ ص ٤٩ . أغر : خالص من العيوب كغرة الرئم : كصفاء لون الظبي .

(١١٤) [illegible] : ديوانه ص ١٣ بيت ٢١ .

(١١٥) [illegible]

١١٦ - كأنَّهُمُ حِينَ اسْتدارَتْ رَحاهُمُ
بِذاتِ اللَّظَى، وأدْرِكَ الْقَوْمَ، لَاعِبُ

من الصقر :

١١٧ - وَعَلى الجِيَـادِ المُضْمَرَا ت فَوارسٌ مِثْـلُ الصُّقُور
١١٨ - فَانقَضَّ مِثْلَ الصَّقْرِ يَقْدُمُه جَيشٌ كَغُلَّانِ الشُّرَيفِ لَهِمِ
١١٩ - فَعَلَيْهِ أقتحِمُ الهِياجَ تَقَحُّماً فِيهاوأَنْقَضُّ انْقِضَاضَ الأَجْدل

من الطواف :

١٢٠ - تَعُودُ عَليهمْ وَتَمْضِيهِمُ كَمَا طافَ بِالرُّجْمَةِ المُرْتَجِمْ

من القدح

١٢١ - وقد عَلِمَ المَزنوقُ أنّي أكُرُّهُ عَشِيَّةَ فَيْفِ الرِّيحِ كَرَّ المُشَهَّر

من الأصنام :

١٢٢ - وقد عَلموا أنّي أكرُّ عَلَيْهِمُ عَشِيَّةَ فَيْفِ الرِّيحِ كَرَّ المُدوَّرِ

---

(١١٦) مالك بن خالد الهذلي : ديوان الهذليين ص ١٧١ .

(١١٧) المنخل اليشكري : شعراء النصرانية ص ٤٢٢ .

(١١٨) المرقش الأكبر : المفضليات ص ٤٩٠ بيت ٢٢ ، الغلان : جمع غال بتشديد اللام، وهي أودية فيها شجر . الشريف : مكان بنجد . لهم : يلتهم كل ما يمر به .

(١١٩) عنترة العبسي : العقد الثمين ، قصيدة ٢٠ ص ٤٣ .

(١٢٠) الأعشى : قصيدة ٤ بيت ٣١ . والرجمة : حجارة كانوا ينصبونهـا على القبر ، ويطوفون حولها في الجاهلية .

(١٢١) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١١٦ بيت ٢ .

(١٢٢) عامر بن الطفيل: ديوانه ص ١١٩ بيت ٩ . والمدور : الذي يطوف بالدوار، وهو صنم كانوا يطوفون حوله في أعيادهم .

من الشروق :

١٢٣ـ فانفَرَجَتْ عَنْ وَجْهِهِ مُسْفِراً   مُنْبَلِجاً مِثْلَ انْبِلَاجِ الشُّرُوق

من الهلال :

١٢٤ـ تَقولُ هِلالٌ خارِجٌ مِنْ غَمامَةٍ   إِذَا جاءَ يَجْري في شَلِيلٍ وَقَوْنَسِ

من اللجام :

١٢٥ـ وإني كَأَشْلاءِ اللِّجامِ وَلَنْ تَرَى
أَخا الحربِ إِلّا ساهِمَ الوَجْهِ أَغْبَرَا

١٢٦ـ مُطِلٌّ كأشلاءِ اللجامِ أَكَلَّهُ أَلّا   غِوارٌ وَلَمّا تَكْسَ مِنْهُ الجَنَاجِنُ

من الجذع :

١٢٧ـ أناسٌ بَرَتْنا الحربُ حَتّى كأننا
جِذَالٌ حِكَاكٌ لَوَّحَتْهَا الدَّوَاجِنُ

من النار :

١٢٨ـ فَاتّبِعْتَاذَاتَ أُولانَا الأُولَى   مُوقِدِي الحَرْبِ وَمُوفِي بِالحِبَال

---

(١٢٣) المهلهل : شعراء النصرانية ، ص ١٧٣ .
(١٢٤) سنان بن أبي حارثة : المفضليات ص ٦٨٧ بيت ٤ .
(١٢٥) حاتم الطائي : شعراء النصرانية ، ص ١٢٨ .
(١٢٦) مالك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ، ص ١٥٦ بيت ١٨ .
(١٢٧) مالك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ص ١٥٧ بيت ٢١ .
(١٢٨) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٦٠ بيت ١٨ .

١٢٩ــ وفوارسٍ كأُوارِ حـرِّ النّارِ أحْـلاسِ الذُّكور

١٣٠ــ يمْشُون والماذِيُّ فوقهمُ يتوقّدُون توقّـدَ الفَحْمِ

١٣١ــ إني وجدْتُ بني سعْدٍ يُفضّلُهُمْ كلُّ شِهَابٍ على الأعْدَاءِ مَشْبُوب

من الجن :

١٣٢ــ وضُمْرٍ كالقِدَاحِ مُسوَّمَاتٌ عَلَيْهَـا مَعْشرٌ أشْبَاهُ جِنٍّ

١٣٣ــ عَلَيْهَا فوَارِسُ مَخْبُورَةٌ كَجِنٍّ مَساكِنُها عَبْقَـرُ

١٣٤ــ فَأسْمَعَ فِتْيَاناً كَجِنَّةِ عَبْقَرٍ لَهُمْ رَيِّقٌ عِنْدَ الطِّعَانِ ومَصْدَقُ

١٣٥ــ أعيَّرْتَني إنْ نِلْتَ مِنّي فوَارِساً غَداةَ حُراضٍ مِثْلَ جِنَّانِ عَبْقَر

١٣٦ــ بِخَيل عَلَيْها جِنّةٌ عَبْقَرِيّةٌ جَدِيرُونَ يَوْماً أنْ يَنَالوا فيَسْتَعْلوا

١٣٧ــ سَهِكِينَ مِنْ صَدَإ الحَدِيدِ كأنّهمْ
تحتَ السَّنَوّرِ جِنّةُ البَقَّارِ

---

(١٢٩) المنخل اليشكري : شعراء النصرانية ص ٤٢٢ .

(١٣٠) عنترة : العقد الثمين ص ٤٩ . الماذي : الحديد كله ، وهو الدرع والمغفر والسلاح أجمـع .

(١٣١) سلامة بن جندل : المفضليات ص ٢٤٠ بيت ٣٠ ، والشهاب : أصله الشعلة الساطعة من النار .

(١٣٢) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، قصيدة ٢٩ بيت ٢١ .

(١٣٣) خفاف بن عمير : الأغاني ج ١٦ ص ١٤٠ .

(١٣٤) متمم بن نويرة : النقائض (مصر) ج ٢ ص ٢٧٥ .

(١٣٥) الحارث بن ظالم : أيام العرب ، ص ٢٤٣ .

(١٣٦) زهير بن سلمى : العقد الثمين ، قصيدة ١٤ ص ٩٠ .

(١٣٧) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، قصيدة ١٠ بيت ١٣ ص ٩ .

١٣٨ــ فإنَّكَ لوْ رأيتَ جبالَ أبْوَى غداةَ تسرْبلُوا حَلقَ الحَديدِ
إذًا لَظَنَنْتَ جِنَّةَ ذِي عَرِينٍ وَآسَادِ الغَرِيفَةِ في صَعِيــدِ

١٣٩ــ بِيضُ الوُجُوهِ، غَدَاةَ الرَّوْعِ تَحْسَبُهُمْ
جِنَّانُ عِينٍ عَلَيهَـا البَيْضُ وَالزَّغَفُ

من الثعبان :

١٤٠ــ أنا الرَّجُل الضَّرْبُ الذِي تَعْرِفُونَه
خَشَاشٌ كَرَأْسِ الحيَّـةِ المتوقِّد

١٤١ــ جَوَاداً إذَا ما النَّاسُ قَلَّ جَوَادُهمْ
وَسَقَّا إذَا مَا صَارِخُ القَومِ أفْزَعَـا

١٤٢ــ مَتَى تَلْقَوا رِجَالَ الأوسِ تَلْقَوْا
لِبَـاسَ أَسَاوِدٍ وَجُـلودَ نُمْرِ

١٤٣ــ يَرَى النَّاسُ مِنَّا جِلْدَ أَسْوَدَ سَالِخٍ
وفَروةَ ضِرْغَـامٍ مِنَ الأُسْدِ ضَيْغَمِ

---

(١٣٨) المثقب العبدي : شعراء النصرانية ، ص ٤١٥ .
(١٣٩) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ١٦٤ ص ٢٤٩ .
(١٤٠) طرفة بن العبد : المعلقة .
(١٤١) معقل بن خويلد الهذلي : شعر الهذليين ، ص ١٢٢ بيت ٣ .
(١٤٢) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ص ٣٣ بيت ١٠ .
(١٤٣) جابر بن حني : المفضليات ص ٤٢١ بيت ٢٧ .

١٤٤ـ يَعْكُفْنَ مِثْلَ أَساوِدِ التَّـــنورِ لَمْ تَعْكُفْ بِزُورِ

١٤٥ـ كَحيَّةِ سَلْعٍ مِنَ القاتِلاتِ تَقُدُّ الصَّرامةُ عَنْكَ القَميصَا

١٤٦ـ إنْ يغضبوا يَغْضَبْ لِذاكَ كَما يَنسلُّ مِنْ خِرْشائِهِ الْأَرْقَمُ

١٤٧ـ حَيَّةٌ فِي الْوِجارِ أَرْبَدُ لَا تَنْــفَعُ مِنْهُ السَّليمَ نَفْثَـــهُ رَاقِ

من الابل :

١٤٨ـ بَنُو الحَرْبِ يَوماً إذا اسْتَلأَمُوا
حَسِبْتَهُمْ فِي الحَديدِ القُرُومَا

١٤٩ـ إذَا اسْتُنْزِلُوا عَنْهُنَّ للطَّعْنِ أَرْقَلُوا
إلى الموتِ إرْقَالَ الجمالِ الْمَصَاعِبِ

١٥٠ـ رجَالٌ متَى يُدْعَوْا إلى الموتِ يُرْقِلوا
إليـــهِ كَإرْقَالِ الجِمالِ المصاعِبِ

١٥١ـ وإنَّا أُناسٌ يَعْتَدِي الْبَأسَ خَلفُنا
كَما يَعْتَــدِي المَاءَ الظِّماءُ الْحَوائِمُ

---

(١٤٤) المنتخل اليشكري : شعراء النصرانية ، ص ٤٢٢ .
(١٤٥) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٣١ بيت ١٣ .
(١٤٦) المرقش الأكبر : المفضليات ص ٤٩٠ بيت ٢٣ . الخرشاء : جلد الحية .
(١٤٧) المهلهل : شعراء النصرانية ص ١٧٨ .
(١٤٨) ربيعة بن مقروم : المفضليات ص ٣٦٠ بيت ٢٨ .
(١٤٩) النابغة الذبياني : العقد الثمين ص ٣ بيت ١٦ .
(١٥٠) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١٢ بيت ١٣ .
(١٥١) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٩ بيت ١٩ . يعتدي البأس : يتسابق إليه . خلفنا : نسلنا وذريتنا .

١٥٢ــ يَمْشُونَ فِي البَيْضِ وَالدُّرُوعِ كَمَا
تَمْشِي جِمَالٌ مَصَاعِبٌ قُطُفُ

صورتان من النمر :

١٥٣ــ مَتَى تَلقَوْا رِجَالَ الأوْسِ تَلقَوا لِبَاسَ أَسَاوِدٍ وَجُلُودَ نُمْرِ
١٥٤ــ قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيــدَ تَنَمَّرُوا حَلَقاً وَقِــدّاً

صور من الأسد :

١٥٥ ـ كَمَا تَمَشَّى الأُسُودُ فِي رَهَجِ الْــمَوْتِ إِلَيْهِ ، وَكُلُّهُمْ لَهِفُ
١٥٦ــ واستَدارتْ رَحَى المنَايَا عَلَيْهِمْ
بِلُيوثٍ مِنْ عَــامِرٍ وَجَنابِ
١٥٧ــ بِكلِّ مجرَّبٍ كالليثِ يَسْمُو عَلَى أَوْصالِ ذَيَّالٍ رِفَنٍّ
١٥٨ــ وَهُمْ إِذَا الحربُ أبدَتْ عَنْ نَواجِذِهَا
مثلُ اللّيوثِ وَسُمٌّ عَاتِقٌ نَقَعَا

---

(١٥٢) مالك بن عجلان : أيام العرب ص ٦٤ . والقطف : البطيئة الخطو .
(١٥٣) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٣٣ بيت ١٠ .
(١٥٤) عمرو بن معديكرب : الحماسة ج ١ ص ٥٠ . والحلق : الدرع المنسوجتين حلقتين
ـ حلقتين . والقد : اليلب ، وهو شبه درع كان يتخذ من الجلد غير المدبوغ .
(١٥٥) مالك بن عجلان : أيام العرب ص ٦٤ . والرهج : الغبار .
(١٥٦) زهير بن جناب : شعراء النصرانية ص ٢٠٩ .
(١٥٧) النابغة الذبياني : العقد الثمين ص ٣١ .
(١٥٨) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ١٣ بيت ٤٥ .

١٥٩ـ وكُلّ جرداءَ مثل الـ ... يكنُفُها
مِن كُلّ نَاحِيَةٍ ليثٌ لَهُ حَسَب

١٦٠ـ أكْنافُها كلُّ فارسٍ بَطَلٍ أغلَبَ كاللّيثِ عادِياً حَرِبَا

١٦١ـ فَولَا لِذُودَانَ عَبيدِ الْعَصَا مَا غَرَّكُمْ بِالأَسَدِ الْبَاسِلِ

١٦٢ـ أَسَدٌ في اللّقاءِ وَرْدٌ هَمُوسٌ وَرَبيعٌ إنْ شَمَّرتْ غَبْراء

١٦٣ـ وكَانُوا كأَنْفِ اللَّيثِ لَا شَمَّ مُرْغَما
وَلَا نَالَ قطُّ الصَّيدَ حتّى تَعَفَّرا

١٦٤ـ في أُسرةٍ يَوْمَ الحِفَاظِ مَصَالِتٍ
كالأُسْدِ لَا يُنْمَى لَهَا بِفَرِيس

١٦٥ـ سَعَالِيَةٌ يَحْمِلْنَ مِنْ تَغْلِبٍ فِتْيانَ صِدْقٍ كَلُيُوثِ الطَّرِيق

١٦٦ـ فِتْيان حَرْبٍ في الْحَدِيدِ وَشَامِرِينَ كَأُسْدِ غَابَهْ

---

(١٥٩) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٢٧٧ .

(١٦٠) السموأل بن عاديا : ديوانه ص ١٩ .

(١٦١) امرؤ القيس : العقد الثمين ، قصيدة ٥١ .

(١٦٢) الحرث بن حلزة : المعلقة . الورد : الذي يضرب لونه إلى الحمرة . الهمس : صوت القدم ، وجعل الأسد هموساً لأنه يسمع من رجليه في مشيه صوت . غبراء : سنة شديدة لاغبرار الهواء فيها .

(١٦٣) جساس بن نشبة التيمي : الحماسة (مصر) ج ١ ص ١٢٥ .

(١٦٤) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٤٣ بيت ٢٠ . والأسرة : الجماعة والعشيرة . مصالت : أي أصلتوا سيوفهم وأخرجوها من أغمادها . والفريس : ما افترسته وهو دق العنق .

(١٦٥) المهلهل : شعراء النصرانية ص ١٧٤ .

(١٦٦) أحيحة بن الجلاح : أيام العرب ص ٦٩ .

١٦٧ــ أُسْدُ غَابٍ، فَإِذَا مَا فَزِعُوا غَيرُ أَنْكَاسٍ وَلَا هُوجٍ هُذُرْ

١٦٨ــ وَفِتيةٍ كَلُيُوث الغابِ مِنْ أَسَدٍ
مَا لِلنَّدَى عَنْهُمُ نَزْحٌ وَلَا شَحَطُ

١٦٩ــ بِشَبَابٍ وَكُهُولٍ نُهُـدٍ كَلُيوثٍ بَيْنَ عِرِّيسِ الأَجَمْ

١٧٠ــ وَأَنِّي أَكُرُّ إِذَا أَحجَمُوا بِأَكرَمَ مِنْ عَطْفَـةِ الضَّيْغَمِ

١٧١ــ يَخْرجنَ مِنْ خَلَلِ الغبارِ عَوابِساً
خَبَبَ السباعِ بِكُلِّ أَكْلَفَ ضَيْغَمِ

١٧٢ــ يَرَى النَاسُ مِنا جِلْدَ أَسْوَدَ سَالِخٍ
وَفَروةَ ضِرْغَامٍ مِنَ الأُسْـدِ ضَيْغَمِ

١٧٣ــ وَطِمِرَّةٍ كَالسِّيدِ يَعْلُو فَوْقَهَا ضِرْغَامَةٌ عَبْلُ المَنَاكِبِ أَغْلَبُ

١٧٤ــ ثُمَّ ابْتَعَثْنَا أُسُودَ عَادِيَةٍ مِثْلَ السَّعالي قَدْ آنسَتْ فَزَعَا

---

(١٦٧) طرفة بن العبد : العقد الثمين ، ص ٦٢ . النكس : الضعيف . الأهوج : الأحمق . الهذر : الكثير الكلام .

(١٦٨) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٦٤ بيت ١٨ .

(١٦٩) طرفة بن العبد : العقد الثمين ص ٧٠ . نهـد : متعاونون . العريس والعريسة : موضع الأسد من الأجمة .

(١٧٠) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٢٥ بيت ٤ .

(١٧١) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٨١ بيت ١٢ .

(١٧٢) جابر بن حني : المفضليات ص ٤٤ بيت ٢٧ .

(١٧٣) عبيد بن الأبرص : ص ١٥ بيت ١٧ .

(١٧٤) ذو الأصبع العدواني : شعراء النصرانية ، ص ٦٣٢ .

١٧٥ـ كالغيثِ مَا اسْتَمطَروهُ جَادَ وَابِلُهُ
وَعِنْدَ ذِمَّتِهِ المُستأسِدُ الضَّاري
١٧٦ـ وَشُوساً مِنْ بَني جُشَمٍ تَرَاهَا غَداةَ الرَّوْعِ كَالأُسْدِ الضَّوَاري
١٧٧ـ عليهَا أُسودٌ ضارياتٌ لَبُوسُهمْ
سَوابِغُ بِيضٌ لَا تُخرِّقُهَا النَّبل
١٧٨ـ فَاهْصُرْ كَهصْرِ اللَّيْثِ خَضَّبَ مِنْ فَرِيسَتِهِ التَّلِيلا
١٧٩ـ وقُلْتُ يا قَوْمُ إنَّ الليثَ مُنْقَبِضٌ
عَلى بَرَاثِنِهِ لِلوَثْبَةِ الضَّاري
١٨٠ـ فَلَمَّا اسْتَقَلَّ كَلَيْثِ الْعَرِيـفِ زَانَ الْكَتِيبَةَ أَعْوَانُهـا
١٨١ـ إِذًا لَظَنَنْتَ جِنَّةَ ذِي عَرينٍ وَآسادَ الغَرِيفَةِ في صَعِيدِ .
١٨٢ـ مِنْ كُلِّ سَابِحَةٍ وَأَجرَدَ سَابِحٍ تَرْدِي بِأُسْدِ خَفِيَّةٍ وَصِعَادِ
١٨٣ـ تَغْدُو بِأَكْلَفَ مِنْ أُسو دِ الرَّقْمَتَيْنِ حَلِيفِ زَارَه

---

(١٧٥) الأعشى : قصيدة رقم ٢٤ بيت ٤ .
(١٧٦) البراق : شعراء النصرانية ص ١٤٣ ،
(١٧٧) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ص ٩٠ .
(١٧٨) ذو الأصبع العدواني : شعراء النصرانية ، ص ٦٣٣ .
(١٧٩) النابغة الذبياني : العقد الثمين ص ١٤ قصيدة ١١ بيت ٢ .
(١٨٠) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ص ٩ بيت ٨ .
(١٨١) المثقب العبدي : شعراء النصرانية ص ٤١٥ .
(١٨٢) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ١٦ بيت ٤٢ . والصعاد : جمع صعدة ، وهي : القناة المستقيمة .
(١٨٣) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٢٠ بيت ٥١ . والزارة : الأجمة. والرقمتان: روضتان بناحية الصمان . والرقمة : جانب الوادي أو مجتمع مائه .

١٨٤ــ إذَا مَا سَمِعْنَ الزَّجْرَ يَمَّمْنَ مُقْدَمًا
عَلَيها أُسودُ الرَّقمتــينِ الضَّراغِمِ

١٨٥ــ لَيثٌ بِعَثَّرَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا مَا كَذَّبَ اللَّيثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا

١٨٦ـ كِلَا أَخَوَيْنَا ذُو رِجَالٍ كَأَنَّهمْ أُسُودُ الشَّرَى مِن كُلِّ أَغْلَبَ ضَيغَمِ

١٨٧ــ فَإِنَّ المُوعِدِيَّ يَرَوْنَ دُوني أُسُودَ خَفِيَّــةَ الغُلْبَ الرِّقَابَا
كَأَنَّ عَلَى سَوَاعِدِهِنَّ وَرْساً عَلَا لَوْنَ الأَشَاجِعِ أَوْ خِضَابَا

١٨٨ــ بِأُسْدٍ مِنَ الفِرْزِ غُلْبِ الرِّقَابِ
مَصَالِيتَ لَمْ يُخْشَ إِدْهَانُهـــا

١٨٩ ــ فَقُلْ لِبَنِي عَمِّي فَقَدْ ــ وَأَبِيهِمُ ــ
مُنُوا بِهَرِيتِ الشِّدْقِ أَشْوَسَ أَغْلَبَ

١٩٠ــ لَمَّا أَحَسَّ بِأَنَّ الوِرْدَ مُدْرِكُهُ وَصَارِمًا وَرَبِيطَ الجَأْشِ ذَا لُبَدِ

١٩١ــ لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مُقَذَّفٍ
لَهُ لِبَدٌ أَظفارُه لم تُقَلَّمِ

---

(١٨٤) الأعشى : قصيدة ٩ بيت ١٥ .

(١٨٥) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ، ص ٨٥ بيت ٣٠ .

(١٨٦) بعض بني أسد : الحماسة (مصر) جـ١ ص ٨٧ . والشرى : مأسدة .

(١٨٧) ربيعة بن مقروم : الحماسة جـ١ ص ٢١١ . خفية مأسدة . ومعنى البيت الثاني : أن هذه الأسود دائمة الافتراس ، لا يفارق الدم سواعدها .

(١٨٨) سلامة بن جندل : النقائض (مصر) جـ ١ ص ١٣٥ . والفرز : سعد بن زيد مناة.

(١٨٩) مجهول : الحماسة جـ١ ص ١١٣ . الهريت : الواسع . الأشوس : الغضبان المتكبر .

(١٩٠) زيد الخيل : الأغاني جـ ١٦ ص ٥٤ .

(١٩١) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ، ص ٩٦ .

١٩٢ـ كَلَيثٍ أبي شِبْلَينِ يَحْمِي عَرِينَهُ
إذا هُوَ لاقى نَجْدَةً لم يُعَرِّد

١٩٣ـ لُيوثٌ لَها الأَشْبَال تَحْمي عَرِينَها
مَداعِيسُ بالخطِّيّ في كُلِّ مَشْهَد

١٩٤ـ كأنهُمْ أُسدٌ لَدَى أَشْبُلٍ يَنْهَتْنَ في غِيلٍ وَأَجْزَاع

١٩٥ ـ أَمَّا إذَا كَانَ الضِّرَابُ فإِنَّهُمْ أُسْدٌ لدَى أَشْبَالِهِنَّ حَواني

١٩٦ـ غُرٌّ جَحَاجِحَةٌ بيضٌ مَرَازِبَةٌ أُسْدٌ تُرَبِّبُ في الغِيطَانِ أَشْبَالا

١٩٧ـ وَلأَنتَ أَشْجَعُ مِنْ أَسَامَةَ إذْ يَقَعُ الصُّرَاخُ وَلُجَّ في الذُّعْرِ

١٩٨ـ وَلأَنتَ أَشْجَعُ مِنْ أَسَامَةَ إذْ شُدَّ المَنَاطِقُ تَحْتَهَا الحَلَقُ

١٩٩ـ وَأَحْلَمُ مِنْ قَيْسٍ وَأَجرأُ مُقْدَما
لَدى الرَّوْعِ مِنْ لَيْثٍ إِذَا رَاحَ حَارِدا

---

(١٩٢) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ، ص ٨٠ .

(١٩٣) حسان بن ثابت : ديوانه ص ١٣١ .

(١٩٤) أبو قيس بن الأسلت : المفضليات ص ١٧٠ بيت ١٤ . ينهتن : يزأرن . الأجزاع: الجوانب .

(١٩٥) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٥٠ بيت ٧ .

(١٩٦) أمية بن أبي الصلت : شعراء النصرانية ، ص ٢٣٢ .

(١٩٧) المسيب بن علس : ديوان الأعشى ، ص ٣٥٣ .

(١٩٨) المسيب بن علس : ديوان الأعشى ، ص ٣٥٦ .

(١٩٩) الأعشى : ديوانه ، قصيدة رقم ٧ بيت ١٥ . حارد : غضبان .

٢٠٠ــ فما مُخْدِرٍ وَرْدٌ عَلَيه مَهابَةٌ   يَصيدُ الرِّجالَ كُلَّ يومٍ يُنازِل

٢٠١ــ وما مُخْدِرٍ وَرْدٌ عليه مَهابَةٌ   أبُو أَشْبُلٍ أَمْسَى بِخَفَّانَ حارِدا

٢٠٢ــ وَلَأَنتَ أَشْجَعُ في الأَعادِي كُلِّها   مِنْ مُخْدِرٍ لَيْثٍ مُعِيدٍ وِقاعِ
يأتي على القوم الكثيرِ سِلاحُهُمْ   فَيَبِيتُ مِنْـــهُ القَوْمُ في وَعْواعِ

٢٠٣ــ وَلَأَنتَ أَشْجَعُ حِينَ تَتَّجِهُ الْـ   أَبْطَـــالُ مِنْ لَيْثٍ أَبِي أَجْرِ
وَرْدٍ عُراضِ الساعدَيْنِ حَديـــدِ النَّابِ بَـــيْنَ ضَراغِمٍ غُثْرِ
يَصْطادُ أُحدانَ الرِّجالِ فما   تنفَكُّ أَجْرِيـــهِ على ذُخْرِ

٢٠٤ــ مَا مُشْبِلٌ وَرْدُ الجَبِـــينِ مُهَرَّتُ الشِّدْقَينِ باسِلْ
القادِسِيَّةُ مَأْلَفٌ   مِنْهُ فَأَوْدِيَةُ الغَيـــاطِلْ
يَدَعُ الوِحادَ مِنَ الرِّجا   لِ ويَعْتَمي جَمْـــعَ المَحافِل
يوماً بأصدقَ حملةً   مِنْهُ على البَطَلِ المُنازِل

---

(٢٠٠) زهير بن أبي سلمى : مختارات ابن الشجري ص ٦٤ . والخـــدر : الأسد الملازم خدره ، وهو أدعى للهيبة منه .

(٢٠١) الأعشى : ديوانه ، قصيدة رقم ٧ بيت ١٤ .

(٢٠٢) المسيب بن علس : ديوان الأعشى ، ص ٣٥٥ .

(٢٠٣) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين : ص ٨٢ ، القصيدة رقم ٤ . تتجه الأبطال : يتقابلون في الحرب وجهاً لوجه . أجر جمع جرو ، وهو ولد الأسد . ورد : تعلو لونه حمرة . والعراض كالعريض الواسع ، حديد الناب : حاده . غثر : غبر .

(٢٠٤) الأعشى ، ديوانه ، قصيدة رقم ٧٠ الأبيات ١٤ ـ ١٧ . مشبل : أسد أبو أشبال. مهرت الشدقين : واسعهما . باسل : كريه الوجه . القادسية : قرية قرب الكوفة . مألف : اسم مكان من ألف المكان إذا تعوده وأنس به . الغياطل : جمع غيطـــل (على وزن جعفر) وهو الأجمة والشجر الكثيف الملتف . يعتمي : يختار ويقصد . المحافل : جمع محفل وهو مجتمع القوم، أي يترفع عن مواجهة الأفراد ولا يهاجم إلا الجماعات .

٢٠٥ـــ فَمَا خَادِرٌ مِنْ أُسْدِ حَلْيَةَ جَنَّهُ
وأَشْبُلَهُ ضَافٍ مِنَ الْغِيلِ أَحْصَدُ

أَرَاكٌ وأَثْلٌ قَد تَحَنَّتْ فُرُوعُه ... قِصَارٌ وأُسلوبٌ طِوالٌ مُحدَّد

إذا احْتَضَرَ الصِّرْمُ الجميعُ فإنه ... إذا مَا أَرَاحُوا حَضْرةَ الدار يَنْهدُ

وقَامُوا قِيَاماً بالفِجَاجِ وأَوْصَدُوا ... وجاءَ إِلَيهِمْ مُقْبِلاً يَتَوَرَّد

يُقَضِّمُ أعناقَ المخَاضِ كأنَّمَا ... بمَفْرَجِ لَحْيَيْهِ الزِّجاجُ الموَتَّد

بأصدَقَ بأساً مِن خَلِيل ثَمِينةٍ ... وأَمضَى إذا ما أَفْلَطَ القائمَ اليدُ

٢٠٦ـــ فَمَا مُخْدِرٌ وَرْدٌ كأنَّ جَبِينَه ... يَطَلَّى بوَرْسٍ أَوْ يُطَانُ بمُجْسَدِ

---

(٢٠٥) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين ، ص ٢٣٨ . خادر ومخدر واحد والأحصد : المكتنز ، الغيل : ما كثف من الشجر ، يكون من الطرفاء والبردي والقصب . تحنت : تثنت . أسلوب : طريقة . طوال : أي من شجر طوال . يقول : هو نبت منه شجر طوال ، ومنه قصار ليس بالطوال . الصرم : الجماعة من البيوت ليس بالكثير . واحتضر الصرم : أي رجعوا بمواشيهم. ينهد : ينهض إليهم وينتهي إليهم . أي إذا رجعوا بمواشيهم هجم عليهـــم . أوصدوا : أغلقوا أبوابهم . يتورد : يغشاهم في بيوتهم . يقضم يكسر . مفرج لحيية : متفتح لحييه ، يريد فاه . الزجاج : يقصد زجاج الرماح . الموتد : أي كأن زجاج الرماح في أنيابه ، أي كأنهـــا رماح وتدت . أي ثبتت كما يثبت الوتد . ثمينة : بلد . وخليل ثمينة : صاحب هذا البـــلد . أفلطه : فاجأه مفاجأة . القائم : قائم السيف .

(٢٠٦) الأعشى : ديوانه . قصيدة ٢٨ الأبيات ٢١ - ٣٠ . الورس : نبـــات كالسمسم أصفر يزرع في اليمن ويصبغ به . الجسد : الزعفران ثوب مجسد : مصبوغ بالزعفران . يطان: يطلى . القريتان : مكة والطائف القطيفة : نوع معروف من النسيج له وبر . تزند : غضب وضاق صدره . التبان : سراويل صغيرة يلبسهـــا الفلاحون والمصارعون (فارسي معرب) . النبط : جيل كان يسكن العراق . محصد : زرع حان حصاده . الأثل والغرقد : نوعان من الشجر . السعير : النار . دنيا : مؤنث أدنى من الدنو وهو القرب . الممتد : الممـــدّ والمهيأ . أتيح : هيئ وقدر . ما في غد : خبر المبتدأ الذي هو مرجاة . وغد الثانية توكيد للأولى ، أي إن رجاءهم لما في غد قد حملهم على الفرار . الرهينة : الأسير . المساك : الاحتباس والثبـــات والاعتصام . أسمع أولى الدعوتين : صاح صيحة واحدة ثم لم يمهله الأسد ليصيح صيحـــة ثانية . قد : اسم فعل بمعنى يكفي . البأس : القوة . النجدة : إغاثة المستغيث . خام : نكس وجبن.

كَسَتْهُ بَعُوضُ القريتَيْنِ قَطِيفَةً ... متى ما تَنَل مِنْ جِلْدِهِ يَتَزَنَّد

كأنَّ ثِيَابَ القومِ حوْلَ عرينِه ... تبابينُ أنباطٍ إلى جنبِ مُحْصَد

رأى ضوءَ نارٍ بعدَ ماطافَ طوْفةً ... يُضيءُ سَناهَا بَيْنَ أثْلٍ وغرْقَد

فيا فَرَحاً بالنارِ إذْ يَهْتَدِي بِها ... إليهِمْ وإضْرامِ السَّعِيرِ المُوَقَّد

فلمَّا رَأَوْهُ دُونَ دُنْيا رِكابِهِمْ ... وَطارُوا سِراعاً بالسِّلاحِ المُعَتَّد

أُتِيحَ لَهُمْ حُبُّ الحياةِ فَأَدْبَروا ... ومَرْجاةُ نفسِ المرْءِ مافي غَدٍ غَدِ

فَلَمْ يَسْبِقُوهُ أنْ يُلاقِي رَهِينَةً ... قَليلَ المَساكِ عِنْدَهُ غَيْرُ مُفْتَدي

فأسْمَعَ أُولَى الدَّعْوَتَيْنِ صِحَابَهُ ... وكانَ الَّتي لا يَسْمَعُون لَهَا قَدِ

بأصْدَقَ بَأساً مِنْكَ يوماً ونَجْدَةً ... إذا خامتِ الأبطالُ في كُلِّ مَشْهَد

صور الجبان من الشحمة والكلب والقصب :

٢٠٧ــ وَلَكِنَّني لَا أَبْعَثُ الحربَ ظَالِماً ... وَلوْ هِجتُهَا لم أُلْفَ شَحْمَةَ آكِلِ

٢٠٨ــ وَلا نُشَبَّهُ بالكِلَا ... بِ عَلَى الْمِياهِ مِنَ الْخَرَارَهْ

٢٠٩ــ شَهِدْتُ طِرَادَهَا فَصَبَرْتُ فيها ... إِذَا مَا هَلَّلَ النِّكْسُ الْيَرَاع

(٢٠٧) أيام العرب : ص ٣٤٦ .

(٢٠٨) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٢٠ بيت ٦٢ ، يقصد أننا لا نستذل ولا نطرد على المياه كما تطرد الكلاب ، بل نفرض أنفسنا على المياه ، ونردها أول الواردين .

(٢٠٩) ربيعة بن مقروم : المفضليات ص ٣٧٥ بيت رقم ١٠ . هلل : جبن ورجع . النكس : الوغد من الرجال . واليراع : الجبان الذي لا جرأة له ولا صبر في الحرب ، شبه باليراعة وهي القصبة المجوفة ، فكأنه لا قلب له .

٤ ـ الخيـــل

صورتان من الحصن :

٢١٠ـ مَا لَنَا فِيهَا حُصُونٌ غَيرُ مَاالْ مُقْرَبَاتِ الْجُرْدِ تَرْدِي بِالرِّجَالِ

٢١١ـ خَرُوجُ أَضَامِيمٍ وأَحْصَنُ مَعْقِلٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الجِيَادُ مَعَاقِلُ

صورة من الرمح :

٢١٢ـ نُطَارِدُهُمْ نَسْتَنْقِذُ الْجُرْدَ كَالْقَنَا
وَيَسْتَنْقِذُونَ السَّمْهَرِيَّ المقوَّمــا

٢١٣ـ لَقِينَاهُمُ نَسْتَنقِذُ الخَيْلَ كَالقنـــا
وَيَسْتَسْلِبُونَ السَّمْهَرِيَّ المقَوَّما

٢١٤ـ يُوَاغِلُ جُرْداً كَالْقَنَا حَارِثِيَّةً عَلَيْهَا قَنَانٌ وَالْحِمَاسُ وَزَعْبَلُ

٢١٥ـ فَلَمْ تَنْجُ إِلَّا شَطْبَةٌ بِلِجَامِهَا وَإِلا طِمِرٌّ كَالقَنَـــاةِ نَجِيبُ

---

(٢١٠) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٦٠ بيت ١٦. المقربات: الخيل تقرب إليهم في البيوت.
(٢١١) مزرد : المفضليات ص ١٦٦ بيت ٦٠ .
(٢١٢) الحصين بن الحمام : المفضليات ص ١٠٦ بيت ٩ .
(٢١٣) زيد الخيل : الأغاني جـ ١٦ ص ٥٥.
(٢١٤) يزيد بن عبد المدان : شعراء النصرانية ، ص ٨٧ .
(٢١٥) علقمة الفحل : العقد الثمين ، قصيدة رقم ٢ بيت ٣٥ ص ١٠٧ .

٢١٦ـــ وتَسْتَلِبُ الْحُوَّ العَوابِسَ كالقَنَا
سَواهِمَ يَحمِلْنَ الوَشِيجَ المقوَّمـــا
٢١٧ ـ جَرْدَاءُ كَالصَّعْدَةِ الْمُقامَةِ لَا قُرٌّ زَوَى مَتْنَهَا وَلَا حَرِمُ
٢١٨ــ بَرَا وَقْعُهَا الصَّوَّانَ حَدَّ نُسُورِهَا
فَهُنَّ لِطَافٌ كَالصِّعَـــادِ الذَّوَابِلِ
٢١٩ــ أَمَّا إِذَا اسْتَقْبَلْتَها فَكَأَنَّها ذَبُلَتْ مِنَ الهِنْديِّ غَيْرَ يَبُوسِ

صور من القوس :

٢٢٠ــ وَعُوجٌ كَأَحْنَاءِ السَّراءِ مَطَتْ بِهَا
مَطَارِدُ تَهْدِيهَا أَسِنَّةُ قَعْضَبِ
٢٢١ــ بِشُعْثٍ مَعَطَّلَةٍ كَالْقِسِيِّ غزونَ مَخَاضاً وَأُدِّينَ حُولَا

---

(٢١٦) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٤٢ بيت ٣ . الحو : جمع أحوى والأنثى حواء : والاسم الحوة ، وهي كدرة تضرب إلى السواد . سواهم : متغيرة . الوشيج : الرماح وشبه الخيل بها لدقتها وضمورها وطولها .

(٢١٧) الجميح الأسدي : المفضليات ص ٤٦ بيت ٦ . والصعدة : القناة . زوى متنها : قبضه وشنجه . حرم : حرمان . يقصد أنها كانت في عناية وحسن تعهد ولم تحرم حسن الغذاء فتهزل .

(٢١٨) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، قصيدة ٢٠ بيت ٢١ ص ٢٢ .

(٢١٩) عبيد بن الأبرص: ديوانه ص ٤٣ بيت ١٥ .

(٢٢٠) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٥ بيت ١٧ .

(٢٢١) زهير بن أبي سلمى . معطلة : لا أرسان عليها . مخاض : حوامل . حولا : ألقين ما في بطونهن . أدين : رددن إلى أهلهن .

٢٢٢ ـ ونحنُ الأُولى قُدْنا الجِيادَ على الوَجى
كَما لَوَّح القَوَّاسُ نبْعاً وَسَأْسَما

٢٢٣ ـ وجَرْداءِ مِمْراحٍ نَبيلٍ حِزَامُها طَرُوحٍ كَعُودِ النَّبْعةِ المتَنخَّبِ

٢٢٤ ـ وَجِياداً كأنها قُضُبُ الشَّوحَطِ تَغْدُو بِشِكَّةِ الأَبْطالِ

صور من السهم :

٢٢٥ ـ وَكُلّ جَرْدَاءَ مِثْلِ السَّهْمِ يَكْنُفُها
مِن كُلِّ ناحيةٍ لَيْثٌ لَهُ حَسَبُ

٢٢٦ ـ أثِرْنَ عَجَاجَةً يَخْرجْنَ مِنْها كَما خَرَجَتْ مِنَ الغَرَضِ السِّهامُ

٢٢٧ ـ تَحْتِي مُضَبَّرةٌ جَرْدَاءُ عِجْلِزَةٌ كَالسَّهْمِ أَرْسَلَهُ مِن كَفِّهِ الغَالي

٢٢٨ ـ بِأَسْرَعَ مِنْها، وَلَا مِنْزَعٌ يُقَمِّصُهُ رَكْضُهُ بِالْوَتَرْ

٢٢٩ ـ القَائِدُ الخَيْلَ الجِيَادَ ضَوامِراً مِثْلَ المَغَالي

---

(٢٢٢) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٢١ بيت ٥ .

(٢٢٣) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٥ بيت ١٥ .

(٢٢٤) الأعشى : ديوانه . قصيدة رقم ١ بيت ٤٨ . الشكة : السلاح .

(٢٢٥) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٢٧٧ .

(٢٢٦) بشر بن أبي خازم: المفضليات ص٦٥٧ بيت ٢٦ .

(٢٢٧) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٢٤ بيت ١٠ . والمضبرة : المدمجة . العجلزة : الشديدة . الغالي : الذي يغلو بالسهم أي يباعد .

(٢٢٨) أبي بن سلمى بن ربيعة : ديوان الحماسة (مصر) جـ ١ ص ٢١٦ . المنزع : السهم ؛ يقمص : يجري . والركض: تحريك الفارس رجليه على الفرس عند الاستحثاث ، وجعل الركض للوتر لانه هو الذي يدفع السهم .

(٢٢٩) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٧١ بيت ٣ . والمغالي : جمع مغلاة (بكسر فسكون) وهو السهم الذي يغلى به أي يرمى به إلى أقصى الغاية .

٢٣٠ـ وَضُمْرٍ كأقداحٍ مسوَّمات عَلَيها مَعْشَرٌ أشباهُ جِنٍّ
٢٣١ـ لَهُ طحَرٌ عوجٌ كأنَّ مَضيغَها قِداحٌ بَراها صانِعُ الكفِّ نابِل

صورة من الملعب والخذروف :

٢٣٢ ـ مِنَ الغزْوِ وَاقْوَرَّتْ كأنَّ متونَها
زَحاليفُ وِلْدانٍ عفتْ بَعْدَ مَلْعَب

٢٣٣ ـ أَبَنَّتْ فما تنفَكُّ حولَ مَتالِع لها مِثْلُ آثارِ المبقَّرِ مَلْعَب

١٣٤ ـ يذيق الذي يعلو على ظهرِ متْنه ظِلالَ خذاريفٍ مِنَ الشدِّ مُلْهِب

٢٣٥ ـ إذا قيلَ نَهْنِهْها وقَدْ جَدَّ جِدُّها
ترامتْ كَخُذْرُوفِ الْوَليـــدِ الْمثقَّب

صورة من الصخرة والحجر :

٢٣٦ ـ نَهْدُ القَطاةِ كأنها مِنْ صَخْرةٍ مَلْساءَ يَغْشاها المسِيلُ بِمحْفَل
٢٣٧ وسَلْهَبَةٌ تَنْضُو الجيادَ كأنَّها رَداةٌ تَدَلَّتْ مِنْ فُرُوعِ يَلَمْلَم

---

(٢٣٠) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٣ .
(٢٣١) المزرد : المفضليات ص ١٦٦ . بيت ٢٦ .
(٢٣٢) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٨ . بيت ٢٨ .
(٢٣٣) طفيل الغنوي : ديوانه، ص ٢٢ بيت ١٧ .
(٢٣٤) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٥ بيت ١٤ .
(٢٣٥) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٦ بيت ١٨ .
(٢٣٦) عنترة العبسي : العقد الثمين . قصيدة رقم ٢٠ . نهد القطـــاة : عظيم العجز يغشاها : يغطيها . محفل الماء: مجتمعه . يصف كثرة العرق على عجز الفرس من شدة العدو .
(٢٣٧) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٤٦ بيت ٣٠ .

٢٣٨ ـ سَبُوحٌ إذا اعترَضتْ في العِنَانِ
مَرُوحٌ مُلَمْلَمَـــةٌ كَالحَجَرْ

٢٣٩ ـ تَئِقٌ كَجُلمودِ القِذَافِ ونَثْرَةٌ
ثَقْفٌ ، وَعَرّاصُ المَهزَّةِ عاتِرُ

٢٤٠ ـ وَلَهُ حَوافِرُ مُوثَقٌ تَرْكِيبُها صُمُّ النسورِ كَأَنَّها مِنْ جَنْدَلِ

٢٤١ ـ وَحَوافِرٌ تَقَعُ البِرَاحَ كأنما أَلِفَ الزِّمَاعَ بها سِلَامٌ صُلَّبُ

صور من الأنصاب :

٢٤٢ ـ وَالعَادِيَاتِ أَسَابِيِّ الدِّمَاءِ بِها كَأَنَّ أَعنَاقَها أَنْصَابُ تَرْجِيبِ

صورتان من البئر :

٢٤٣ ـ بِكُلِّ قَرارَةٍ مِنْ حَيثُ جالتْ رَكِيَّةُ سُنْبُكٍ فِيهَا انْهِيار

---

(٢٣٨) أبي بن سلمى : الحماسة ج ١ ص ٢١٥ . اعترضت في العنان : جمحت . المروح : من المرح وهو التبختر . الململمة . المجموعة الصلبة.

(٢٣٩) ثعلبة بن صعير : المفضليـــات ص ٢٦١ . والتئق : الممتلىء من النشاط . جلمود القذاف : صخرة تطيق حملها وتقذف بها . النثرة : الدرع السابغة . العاتر : الصلب الشديد .

(٢٤٠) عنترة العبسي : العقد الثمين ، ص ٤٤ ، قصيدة ٢٠ بيت ٢٧ .

(٢٤١) ساعدة بن جؤية: ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ١٨٦ . تقع : تقرع . البراح: المستوي من الارض . الزماع : الشعرات اللواتي يكن خلف الحافر . السلام : الحجارة يقصد كأنما لزم الزماع حجارة مكان الحوافر .

(٢٤٢) سلامة بن جندل : المفضليات. ص ٢٢٨ بيت ١٢ . العاديات : الخيل. الأسابي : الطرائق . ترجيب : تعظيم ، أو الذبح على الأنصاب في رجب .

(٢٤٣) بشر بن أبي خازم : المفضليات قصيدة ٩٨ . بيت ٤٨ . القرارة : ما اطمأن من الأرض . السنبك : مقدم الحافر . وركيته : أثره في الارض : والركية : البئر .

٢٤٤ ـ بِكُلِّ قَرارَةٍ مِن حَيْثُ جالَتْ   رَكِيَّةُ سُنْبُكٍ فِيها انْثِلَام

صور من الريح والنار والدخان :

٢٤٥ ـ صَبَحْنَا كُمُ الْعُوجَ الْعَناجِيجَ بِالضُّحَى

تَمُرُّ بِنَا مَرَّ الرِّيَاحِ السَّوَاهِكِ

٢٤٦ ـ سَبُوحاً جَمُوحاً وَإِحْضَارُهَا   كَمَعْمَعَةِ السَّعَفِ الْمُوقَـــدِ

٢٤٧ ـ كأنَّ عَلَى أَعْرَافِهِ وَلِجَامِهِ   سَنَا ضَرَمٍ مِنْ عَرْفَجٍ يَتَلَهَّبُ

٢٤٨ ـ إذا هَبَطَتْ سَهْلاً كأنَّ غُبَارَهُ   بِجَانِبِهِ الأَقْصَى دَوَاخِنُ تَنْضُبُ

صور من السحاب والصاعقة والبرد والمطر :

٢٤٩ ـ فَتَرَى سَوَابِقَهَا يُثِرْنَ عَجَاجَةً   مِثْلَ السَّحابِ إِذَا قَفَوْتَ رِعَالَهَا

٢٥٠ ـ وَحَوَافِرُ الْخَيْلِ الْعِتَاقِ عَلَى الصَّفَا

مِثْلُ الصَّوَاعِقِ فِي قِفَـــارِ الْفَدْفَدِ

---

(٢٤٤) بشر بن أبي خازم : المفضليات ، قصيدة ٩٧ بيت ٢٩ .

(٢٤٥) عبد الله بن مرداس : العقد الفريد ج ٣ ص ٧٨ .

(٢٤٦) امرؤ القيس . العقد الثمين ص ١٢٣ قصيدة ١٤ بيت ١٢ ، والمعمعة هنا : صوت الحريق .

(٢٤٧) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٩ بيت ٣٨ . ص ٢٣ بيت ٢٠

(٢٤٨) طفيل الغنوي : ديوانه ص / ٩ بيت / ٣٢ .

(٢٤٩) الأعشى : قصيدة ٣ بيت ٤٦ . العجاج : الغبار.قفا الشيء : تتبعه وسار على أثره. والرعال : جمع رعلة ، وهي القطعة من الخيل .

(٢٥٠) عنترة : شعراء النصرانية ، ص ٦٣٦ .

٢٥١ ـ وَهِصْنَ الحْصَا حَتَّى كأَنَّ رُضَاضَه

ذَرَا بَرَدٍ مِنْ وَابِلٍ مُتَحَلِّبِ

٢٥٢ ـ لهنَّ بِشُبَّاكِ الحَدِيدِ تَقَاذُفٌ هَوِيَّ رَوَاحٍ بالدُّجُنَّةِ يُعْجِب

٢٥٣ ـ وَالخَيلُ في وَسَطِ المَضِيقِ تبادَرَت

نَحْوِي كَمِثْلِ العَارِضِ المُتَفَجِّرِ

صور من الدلو ، والينبوع ، والجداول ، والمزادة ، والمائح :

٢٥٤ ـ في كُلِّ قائِمَةٍ مِنْهُ إذا اندَفَعَتْ مِنْهُ أَسَاوٍ كَفَرَغِ الدَّلْوِ أُثْعُوب

٢٥٥ ـ أُجِيلَتْ كَمَرِّ ذَنُوبِ القَرَى فألْوَى بِمَنْ حَانَ إِشْعالُها

٢٥٦ ـ يَجُمُّ جُمُومَ الحِسْيِ جَاشَ مَضِيقُهُ

وجرَّدَهُ مِنْ تَحْتُ غِيـــلٌ وَأَبْطَحُ

---

(٢٥١) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٩ بيت ٣٤ .

(٢٥٢) طفيل الغنوي : ديوانه. ص ٢٤ بيت ٢٢ .

(٢٥٣) عنترة : شعراء النصرانية ، ص ٨١ ٤ .

(٢٥٤) سلامة بن جندل : المفضليات ، ص ٢٣٢ بيت ١٦ . الأساوي: الدفعات من الجري، شبهها في كثرتها بانصباب الدلو بالماء في السهولة . الأثعوب : السائل .

(٢٥٥) الأعشى : قصيدة ٢١ بيت ٤١ . والذنوب : الدلو فيها ماء. والقرى : كل ماحبس الماء كالحوض . وقرى الماء في الحوض جمعه ، ألوى : ذهب . حان : هلك ودنت منيته .

(٢٥٦) المرقش الأصغر : المفضليات ص ٤٩٨ بيت ١٩ . يجم : يجتمع شده . الحسي : رمل على صلد يستقر الماء في أسفله ، فإذا حفر نبع منه الماء. جاش : غلا فاذا كان الحسي ضيقاً كان الماء أشد جيشاً ، وارتفاعاً . الغيل : المـــاء الكثير . الأبطح : الحصى . جرده : كشفه وعراه من الشجر .

٢٥٧ ـ ولما رأيتُ الخيلَ زُوراً كأنها
جـداولُ زرعٍ أرسلتْ فاسبطرَّتِ

٢٥٨ ـ ينضحنَ نضحَ المزادِ الوفرِ أتأقها
شدُّ الرواةِ بماءٍ غيرِ مشروبِ

٢٥٩ ـ كأنَّ على أعطافهِ ثوبَ مائحٍ وإن يُلقَ كلبٌ بين لحييهِ يذهبِ

صورتان من القلت والطحلب :

٢٦٠ ـ إذا الخيلُ من غِبِّ الوجيفِ رأيتها
وأعينُها مثلُ القِلاتِ حواجِل

٢٦١ ـ كأنَّ خيالَ السَّخْلِ في كُلِّ منزلِ
يضعْنَ بهِ الأسلاءَ أطلاءُ طُحْلُبِ

صور من الخمار وحاشية الثوب والسندس :

٢٦٢ ـ يظلُّ يعارِضُ الرُّكبانَ يهفو كأنَّ بياضَ غُرَّتِهِ خِمار

---

(٢٥٧) عمرو بن معد يكرب : الحماسة (مصر) جـ ١ ص ٤٤ . زورا : مائلة من وقع الطعن فيها . الجدول : النهر الصغير ، اسبطرت : امتدت .

(٢٥٨) النابغة الذبياني : العقد الثمين . قصيدة ٢ بيت ٦ ص ٤ .

(٢٥٩) طفيل الغنوي : ديوانه ، ص ١٠ بيت ٣٠ .

(٢٦٠) المزرد : المفضليات ص ١٦٧ بيت ٦٣ .

(٢٦١) طفيل الغنوي : ديوانه ص ١٥ بيت ٧٠ .

(٢٦٢) بشر بن أبي خازم : المفضليات ٦٧٧ بيت ٤٨ . يعارض الركبان : يباريهم . يهفو : يسرع .

٢٦٣ ـ كميتاً كَحَاشِيَةِ الأتحَمِيّ   لَم يَدعِ الصُّنْعُ فِيهَا عُوارا
٢٦٤ ـ وَداويتُها حتّى شَتَتْ حَبَشِيّةً   كأنَّ عَلَيها سُنْدُساً وَسَدُوسَا

صور من الخباء والخيام والحصير والقعب والقربة :

٢٦٥ ـ تقولُ إذَا أَبْصَرتَه وَهْوَ قَائم   خِباءٌ عَلَى نَشَزٍ أو السِّيدُ مَاثِل
٢٦٦ ـ لها كَفَلٌ مِثْلُ مَتْنِ الطِّرا   فِ مَدَّدَ فيهِ البنــــاةُ الحتَارا
٢٦٧ ـ وَقَلْقَلْتُهُ حَتّى كأنَّ ضُلوعَه   سَفِيفُ حَصيرٍ فَرَّجَتْهُ الرَّوَامِل
٢٦٨ ـ لها حافِرٌ مِثْـلُ قَعْبِ الوَلِيـ   دِ يتّخِذُ الفَأرُ فِيـــه مُغَارا
٢٦٩ ـ وَأَمْكَنَ أَطْرافَ الأَسنَّةِ وَالقَنَـــا
يَعاسِيبُ قُودٌ كالشِّنان خُدودُها

(٢٦٣) عوف بن عطية التيمي : المفضليات ص ٨٣٩ . بيت ١١ . الاتحمي : ضرب من البرود منسوب إلى أتحم باليمن . الصنع : الدواء والعناية بها للضمر . عوار : عيب .

(٢٦٤) يزيد بن الحذاق : المفضليات ص ٥٩٧ بيت ٢ . الدواء : الصــنعة للضمر . شتت : دخلت في الشتاء . حبشــية : اخضرت من العشب . السندس : ضرب من الديباج . والسدوس : الطيلسان الأخضر .

(٢٦٥) المزرد : المفضليات ص ١٦٥ بيت ١٩ .

(٢٦٦) عوف بن عطية التيمي : المفضليات ص ٨٤١ بيت ١٥ . الطراف : بيت الأدم . شبه كفلها في اكتناز لحه وملاسته بمتن الطراف . الحتار ، الطرة التي في أسفل البيت يجعل فيها الأطناب القصار ثم يمد يقول : ليس كفلها بمضطرب ولكنه مثل الطراف المنصوب .

(٢٦٧) المزرد : المفضليات ص ١٦٧ بيت ٢٤ .

(٢٦٨) عوف بن عطية : المفضليــات ص ٨٤١ بيت ١٤ . ويستحب من الحافر أن يكون معقباً فلا يكون رقيقاً منبسطاً . ولا صغيراً منقبضاً .

(٢٦٩) المثقب العبدي : المفضليات ص ٣٠٩ بيت ٢٣ . وأراد باليعاسيب هنـــا كرام الخيل ، والشنان . القربة البالية . أراد أن خدودها قليلة اللحم .

صور من المعول والمبرد والكير والقرن :

٢٧٠ــ وَيَخْدِي عَلَى صُمٍّ صِلَابٍ مَلاطِسٍ
شَدِيدَاتِ عَقْدٍ لَيِّنَاتٍ مِتَانِ

٢٧١ــ جَافِلاتٌ فَوْقَ عُوجٍ عُجّلٍ رُكِّبَتْ فِيهَا مَلاطِيسُ سُمُرْ

٢٧٢ــ وَفِي كلِّ عَامٍ له غَزْوَةٌ تَحُتُّ الدوابِرَ حَتَّ السَّفَن

٢٧٣ــ كأَنَّ حَفِيفَ مِنْخَرِهِ إذا مَا كَتَمْنَ الرَّبْوَ كِيرٌ مُسْتَعَـــار

٢٧٤ــ تَنَبَّعَ مِنْ أَعْضَادِهَا وجُلُودِهَا
حَمِيماً وَآضَتْ كَالحَمَالِيجِ سُودُهـــا

سورتان من العنان :

٢٧٥ــ يَجِدْ فَرَساً مِثْلَ الْعِنَانِ وَصَارِماً
حُسامـــاً إِذَا مَا هُزَّ لَمْ يَرْضَ بِالْهَبْرِ

---

(٢٧٠) امرؤ القيس : العقد الثمين ، ص ١٥٩ قصيدة ٦٣ بيت ٩ . تخدي تسير مسرعة.

(٢٧١) طرفة بن العبد : مختارات ابن الشجري . جافلات : سريعات . الملاطيس : جمع ملطاس وهو معول يكسر به الصخر .

(٢٧٢) الأعشى : قصيدة ٢ بيت ٥٨ ، الدوابر : مآخير الحوافر . تحت : تقشر وتبرد ، السفن : المبرد .

(٢٧٣) بشر بن أبي خازم : المفضليـــات ص ٦٧٥ بيت ٤٤ . الربو ، هنا : النفس العالي . الكير : منفاخ الحداد . وجعله مستعاراً لأنه أعجل لهم لأنهم يريدون رده .

(٢٧٤) المثقب العبدي : المفضليات ص ٣١ بيت ٢٤ . تنبع : تسيل . الحميم : العرق . آضت : رجعت وعادت . الحماليج : قرون البقر .

(٢٧٥) حاتم الطائي : شعراء النصرانية ص ١٣٢ .

٢٧٦ــ وَرَدْنَ دَوَارِعـــاً وخَرَجْنَ شُعْثاً
كَـــأَمْثَالِ الرَّصائِعِ قَـــدْ بَلِينَا

صور من الحبل :

٢٧٧ــ مِنْ كُلِّ مُشْتَرِفٍ ومُدْمَجَةٍ كالكَرِّ مِنْ كُمْتٍ ومِنْ دُهْمِ
٢٧٨ــ كأَنَّ سَرَاتَه والخيلُ شُعثٌ غداةَ وَجِيفِـــهِ مسَدٌ مُغَار
٢٧٩ــ القَائِد الخَيْلِ مَنكُوباً دَوابِرُها
قد أُحكِمتْ حَكَمَاتِ القِدِّ والأَبَقَا
٢٨٠ــ خَاظِي البَضِيعِ لهُ زَوَافِرُ عَبـــلَةٌ
عُوجٌ ومَتْنٌ كالجَدِيلَةِ سَلْهَب

صور من العصا :

٢٨١ــ وسَلْهَبَةٌ جَرْدَاءُ باقٍ مَرِيسُها مُوثَّقَـةٌ مِثْلُ الهَرَاوَةِ حَائِل

---

(٢٧٦) عمرو بن كلثوم : المعلقة .

(٢٧٧) الجميح الأسدي : المفضليات ص ٧١٩ بيت ١٠ . والكر : الحبل ، شبه الفرس في اندماجها بالحبل في فتله .

(٢٧٨) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٧٦ بيت ٥٣ . وسراتـــه : أعلاه . المسد : الحبل . المغار : الشديد الفتل

(٢٧٩) زهير بن أبي سلمى : منكوبا دوابرها : أي أثرت الأرض في حوافوهـــا وأكلتها . والقد : سير يقطع من الجلد غير المدبوغ . والأبق : القنب وهو الكتان .

(٢٨٠) ساعدة بن جؤبة : ديوان الهذليين (دار الكتب) ١٨٥ . خاظي البضيع : ممتلىء اللحم . الزوافر : الضلوع . عبلة : ضخمـــة . الجديلة : حبل مجدول من سيور أو صوف سلهب : طويل .

(٢٨١) المزرد: المفضليات ص ١٦٩ بيت ١٨ .

٢٨٢ـ سُلَّاءة كَعصا النَّهديّ غُلَّ بها ذُو فَيئَةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانَ مَعْجُوم

٢٨٣ ـ تَهْدي أوائِلَهُنَّ كُلُّ طِمَرَّة جَرْدَاء مِثْل هِرَاوَةِ الأَعْزَابِ

صور من الصبغ والزعفران والدهان والذهب :

٢٨٤ـ أَسِيلٌ نبيـــلٌ لَيْسَ فِيهِ مَعابَةٌ

كُمَيتٌ كَلَوْنِ الصِّرْفِ أَرْجَـــلُ أَقْرَح

٢٨٥ـ صَنِيعاً كَقَارُورةِ الزَّعفرَا نِ مِمَّا تُصَـــانُ وَمَا تؤثر

٢٨٦ـ أَمَّا إذا اسْتَدْبَرْتَهَا فَكأنها قارورةٌ صَفْراءُ ذاتُ كَبِيس

٢٨٧ـ وَأَجْرَدَ مِنْ فُحول الخَيـــلِ طِرْفٍ

كأنَّ عَلَى شَواكِلِهِ دِهَـــانَا

---

(٢٨٢) علقمة الفحل : العقد الثمين ، قصيدة ١٣ بيت ٤٩ ص ١١٣ . سلاءة : شوكة النخل ، شبه بها الفرس في دقة صدرها وعظم عجزها ، ويستحسن هذا من إناث الخيل . النهدي: شيخ فني وكبر فاستعمل العصا حتى املاست وخفت فشبه الفرس بها ، وقيل هو رجل من نهد ، وهي قبيلة من أهل نجد ، وعيدان نجد أصلب العيدان ، فشبه الفرس بها في الصلابة ، غل بها : ألصق بها نسور صلاب كصلابة النوى . ذو فيئة : أي رجعة يقول : علفت الناقة هذا النوى ، ثم بعرته صحيحا ، ثم غسل وأعيد للناقة في علفها ، فذلك أصلب . قران : قرية باليمامة وكان نوى تمرها أصلب من غيرها . المعجوم : المضوغ . لاكته الناقة فلم تكسرها لصلابته.

(٢٨٣) لبيد العامري : ديوانه ض ١٤٤ .

(٢٨٤) المرقش الأصغر : المفضليات ص ٤٩٦ بيت ١٣ . والأسيل ، الأملس المستوي . الصرف : صبغ أحمر . أرجل محجل بثلاث قوائم مطلق بواحدة . أقرح : ذو قرحـــة وهي بياض الوجه ، فاذا كبرت فهي غرة .

(٢٨٥) العباس بن مرداس : أغاني جـ ٦ ص ١٣٦.

(٢٨٦) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٤٣ بيت ١٦ . والكبيس : ما كبس فيها من الطيب

(٢٨٧) الأعشى : قصيـــدة ٣٧ بيت ٥ . الطرف : الكريم من الخيل . والشاكلة : الخصر .

٢٨٨ـ وَكُمْتاً مُدَمَّاةً كأنَّ مُتُونَها جَرَى فوقَها واسْتَشْعَرتْ لونَ مُذْهَب

صور من النخل :

٢٨٩ـ والخيلُ عاكِفَةٌ عليه كأنَّها سُحُقُ النَّخيـل نأتْ عَنِ الجُرَّام

٢٩٠ـ وأذنابُها وَحْفٌ كأنَّ ذُيولَها مَجَرُّ أشاءٍ من سُمَيْحَةَ مُرْطِب

٢٩١ـ وَلِجامٌ في رَأسِ أجرَدَ كالجِذْ عِ طوالٍ وأبيَضُ قصَّال

٢٩٢ـ فَما أدرَكَ الأوتارَ مِثلُ مُحَقَّقٍ
بأجرَدَ طاوٍ كالعَسيبِ المُشَذَّب

٢٩٣ـ يَهتزُّ في طرف العِنان كأنَّه جِذْعٌ إذا فَرَعَ النخيلَ مُشَذَّب

٢٩٤ـ يُرادَى على فأسِ اللِّجامِ كأنَّما يُرادَى به مِرْقاةُ جِذعٍ مُشَذَّب

٢٩٥ـ وأنافَتْ بِهَوادٍ تُلَّعٍ كَجُذُوعٍ شُذِّبَتْ عَنْها القُشُر

---

(٢٨٨) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٧ بيت ٢٤ .

(٢٨٩) عبيد بن الأبرص ديوانه ص ٢١ بيت ١ . سحق : طوال . نأت عن الحرام طالت عن الذين يجرمونها لا تنالها الأيدي . ومفرد الجرام : جارم .

(٢٩٠) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٨ بيت ٢٩ .

(٢٩١) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٥٧ بيت ٨ .

(٢٩٢) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٥٢ بيت ٥ . والعسيب : السعفة . والمشذب . الذي أخذ ما عليه من العقد والسلاء والخوص .

(٢٩٣) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ١٨٦ . يهتز في طرف العنان : أي كثير الحركة لشدته وحدة نشاطه . فرع النخيل : علاها . مشذب . منقى شذب عنه سعفه .

(٢٩٤) طفيل الغنوي : ديوانه ص ١١ بيت ٤٥ .

(٢٩٥) طرفة : العقد الثمين ، ص ٦٣ . أنافت : أشرفت . بهواد : بأعناق . تلع : مشرفة طويلة ، شبهها في طولها بجذوع النخل التي ألقي عنها شذبها فزاد ذلك في طوالها .

٢٩٦ــ يَفُوتُ طويلَ القَوْمِ عِقْدُ عِذَارِه
مُنِيفٌ كجِــذعِ النَّخْلَةِ الأجْرَدِ

٢٩٧ــ وَكأنَّ هَادِيَهُ إذَا اسْتَقْبلتَهُ جِذعٌ أُذِلَّ وَكانَ غيْرَ مُذَلَّل

صورة من السلاءة والنوى والقطن :

٢٩٨ــ سُلّاءةٌ كَعَصا النَّهدِيِّ غُلَّ بها ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانَ مَعْجُوم

٢٩٩ــ وَتَفَرَّى اللَّحْمُ مِن تَعْدَائِها والتَّغالِي ، فَهْيَ قُبٌّ كَالْعَجَم

٣٠٠ــ مُقَادُكَ بِالخيــلِ أرضَ العَدُوْ
وجُذعَانُهـا كَلَفِيظِ الْعَجَمْ

٣٠١ــ سُلَّاءةٌ كعصَا النَّهدِيِّ غُلَّ بها ذُو فَيْئَةٍ مِن نَوَى قُرَّانَ مَعْجوم

٣٠٢ــ كأنَّ سَدَا قُطْنِ النَّوادِفِ خَلْفَها
إذا اسْتَوْدَعَتْهُ كُلَّ قَــاعٍ وَمَذْهَب

---

(٢٩٦) دريد بن الصمة . شعراء النصرانية ، ص ٥٧٩ .

(٢٩٧) عنترة العبسي . العقد الثمين . ص٤ قصيدة ٢٠ بيت ٢٤ . هاديه : عنقه : جذع أزل : يريد أنه هو الذي جعله بهذه المثابة .

(٢٩٨) علقمة : العقد الثمين : قصيدة ١٣ بيت ٤٩ ص ١١٣ .

(٢٩٩) طرفة بن العبد : العقد الثمين ، قصيدة ١٤ ص ٧٠ . تفرى : تقطع ، وذهب . التغالي : التباري في العدو . العجم : النوى ، شبه الخيل به في صلابتها وضمرها .

(٣٠٠) الأعشى : قصيدة ٤ بيت ٢٥ . جذعان : جمع جذع ، وهو لولد الشاة في السنة الثانية ، ولذي الحافر في السنة الثالثة ، والإبل في السنة الخامسة . لفيظ : ملفوظ من الفم . العجم النوى .

(٣٠١) علقمة : العقد الثمين ، قصيدة ١٣ بيت ٤٩ ص ١١٣ .

(٣٠٢) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٨ بيت ٣١ .

صور من السعالى :

٣٠٣ــ عَلَى جُرْدٍ كأمثالِ السَّعَالي   وَرَجْــلٍ مِثْلِ أَهْمِيَةِ الكَثِيب

٣٠٤ــ نَحْنُ قُدْنَا مِنْ أَهاضِيبِ المَلَا الْـ
خَيلَ في الأرْسَانِ أمثَــالَ السَّعَالي

٣٠٥ــ تَروحُ جِيادُهُ مِثْلَ السَّعالي   حَوافِرُهنَّ تهتَضِمُ السَّلَامــا

صور من المشمر والسابح :

٣٠٦ــ وَإذا الخَيْـلُ شَمَّرتْ في سَنَا الحَرْ
بِ وَصَــارَ الغُبَارُ فوقَ الذَّوَّاب

٣٠٧ــ كَم رئيسٍ يَقْدُمُ الألْفَ عَلَى الْـ
أَجْرَدِ السابِــحِ ذِي العَقْبِ الطُّوَال

٣٠٨ــ إلَّا بِكلِّ أَحمَّ نَهْدٍ سابحٍ   وعُلالَةٍ مِنْ كلِّ أسْمَرَ مِذْوَد

---

(٣٠٣) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٦٩ .

(٣٠٤) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٥٨ بيت ٦ .

(٣٠٥) الأعشى : قصيدة ٢٩ بيت ٣٦ . تروح : تعود آخر النهــار . السعالي (جمع سعلاة (بكسر السين) وهي الغول . السلام . جمع سلمة (بفتح ثم يكسر) وهي الحجارة . تهتضم : تكسر .

(٣٠٦) عبيد الأبرص : ديوانه ص ٧٤ بيت ١٤ .

(٣٠٧) عبيد بن الأبرص . ديوانه ، ص ٥٩ بيت ١٢ .

(٣٠٨) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٤٥ بيت ٩ . أحم : فرس يضرب إلى السواد . نهد : عظيم طويل . سابح : يجري جرياً كأنه يسبح في الماء . علالة كل شيء : شيء بعد شيء من جري أو طعن أو شرب أو غير ذلك . أسمر : رمح ، وإذا كان أسمر كان أجود له وأصلب مذود : يذاد به أي يمنع به .

٣٠٩ـ فإنْ فَزِعُوا طارُوا إلى كلِّ سابحٍ
شَديدِ القُصَيْرَى سَابغَ الضلعِ جُرْشُعِ

٣١٠ـ صُبرٌ أعدُّوا كلَّ أجردَ سَابحٍ وَنَجيبةٍ ذَبلتْ وَخفَّ حَشَاها

٣١١ـ إذْ لا أزالُ على رِحالةِ سَابحٍ نَهْدٍ تعاوَرَهُ الكُماةُ مُكَلَّمِ

٣١٢ـ يَعدُو بِبَزِّي سَابحٌ ذُو مَيْعةٍ نَهْدُ المراكِلِ ذُو تَليلٍ أقْوَدِ

٣١٣ـ مِن كُلِّ سَابحةٍ وأجردَ سَابحٍ تَرْدِي بِأسْدٍ خَفِيَّـةٍ وصِعَادِ

٣١٤ـ كَمْ فيهِمُ مِن شَطبَةٍ خَيْفقَ وسَابـحٍ ذي مَيْعَةٍ ضابرِ

٣١٥ـ إلَّا عُـلالَةَ أو بُدَا هَةَ سابـحٍ نَهْدِ الجُزَارَه

٣١٦ـ ونَجَّاكَ يَاابنَ العامِرِيَّةِ سَابحٌ شَديدُ النَّسَا والقَصْرَتَيْنِ عَجيبُ

٣١٧ـ سَبُوحٌ إذا حَـالَ الحِزامُ كأنهُ
إذا انْسَابَ عِندَ النَّقْـعِ في الخَيلِ أَجْدَلُ

---

(٣٠٩) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٢٩ بيت ٧ . جرشع : غليظ مرتفع .

(٣١٠) عنترة : العقد الثمين ص ٣٣ بيت ٥ قصيدة رقم ٢ .

(٣١١) عنترة : العقد الثمين ، ص ٤٧ بيت ٥٠ .

(٣١٢) مالك بن حمار : النقائض (أوربا) ص ٧٦٤ .

(٣١٣) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ١٦ بيت ٤٢ .

(٣١٤) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ١٨ بيت ٥٢ . شطبة: فرس طويلة . خيفق : خفيفة سريعة . ذي ميعة : سريع . ضابر : يجمع قوائمه في الوثب .

(٣١٥) الأعشى : قصيدة ٢٠ بيت ٤٩ . العلالة : البقية من الشيء . البداهة : المفاجأة . نهد : ضخم . الجزارة : أطراف الجذور ، وهي اليدان والرجلان والرأس ، سميت بذلك لأن الجزار يأخذها فهي جزارته .

(٣١٦) زيد الخيل : ديوان الحماسة للبحتري ، ص ٥٣ ، قطعة ٢٣٥ بيت ١ .

(٣١٧) عبد المدان : شعراء النصرانية ، ص ٨٧ .

٣١٨ــ فلو شئتَ نجتني سَبوحٌ طِمرّةٌ
تَحُكُّ بخدّيها العِنانَ وتَمْزع

٣١٩ــ سَبُوحٌ إذا اعْتَرَضتْ في العِنَانِ
مَروحٌ مُلمْلَمَــةٌ كالْحَجَــرْ

٣٢٠ــ سَبُوحاً جَمُوحاً وإحضَارُها كَمَعْمَعَةِ السّعَفِ المُوقَــد

صور من الشارب والمزامير والرعي والأحوال :

٣٢١ــ وكأنّ مِشْيَتَه إذَا نَهنهتَهُ بالنّكْلِ مِشيةُ شاربٍ مُستعجِل

٣٢٢ــ أجَشّ صَريحيّ كأنَ صَهِيلَه مَزاميرُ شَرْبٍ جاوبَتْها جَلاجِل

٣٢٣ــ كأنّهُ يرْفَئِيٌّ نامَ عَنْ غَنَم مُستَنفَرٌ في سَوادِ الليلِ مَذْءُوب

٣٢٤ سلسُ العنانِ إلى القتالِ فَعينُه قَبلاءُ شاخِصةٌ كعينِ الأحْول

---

(٣١٨) عامر بن الطفيل : ديوانـــه ص ١٤٤ بيت ٧ . طمرة : وثابة ، تمزع : تمر مراً سريعاً.

(٣١٩) أبي بن سلمى : ديوانه الحماسة (مصر) جـ ١ ص ٢١٥ .

(٣٢٠) امرؤ القيس : العقد الثمين ، ص ١٢٣ قصيدة ١٤ بيت ١٢.

(٣٢١) عنترة : العقد الثمين ، ص ٤٤ قصيدة ٢٠ ، بيت ٣٠ ،نهنهته : زجرته ليسير.

(٣٢٢) مزرد : المفضليات ، ص ١٦٥ ، بيت ١٧.

(٣٢٣) سلامة بن جندل : المفضليات ص ٢٣٣ بيت ١٠ واليرفئي هنـــا : الراعي الجافي نام عن غنمه ، حتى وقعت فيها الذئاب فقـــام من نومه مذعوراً لذلك فشبه به الفرس لحدته وطموح بصره .

(٣٢٤) عنترة : العقـــد الثمين . قصيدة ٢٠ ص ٤٣ ، بيت ٢٩ . سلس العنان : سهل القياد . عينه قبلاء : القبل : الحول .

صور من المرأة والسوار والمداك :

٣٢٥ــ وأنّا نقودُ الخيــــلَ حتى رءوسُها
رُءوسُ نساءٍ لا يَجدْنَ فوَاليـــا

٣٢٦ــ تَراهـــا في الغُزاة وهنَّ شُعْثٌ
كقُلْبِ العاجِ في الرُّسْغِ الجَديـــد

٣٢٧ــ يَرْقَى الدَّسِيعُ إلَى هَادٍ له بَتِعٍ
في جُؤْجُؤٍ كَمَداكِ الطِّيبِ مَخْضُوب

٣٢٨ــ وإذا اقْتَنَصنا لا يَجِفّ خِضابُهـــا
وكأنّ بَرْكَتَهَـــا مَدَاكُ عَرُوس

صور من الطير والحمام :

٣٢٩ــ فَلَوْ أنَّها تجري عَلى الأرض أَدْرِكَت
ولكنَّها تَهفُو بِتِمثالِ طائِر

(٣٢٥) عنترة : العقد الثمين ، قصيدة ٢٦ ، ص ٥١ . لا يجدن فواليا ؛ أي لا يجدن من يفلي رءوسهن ويمشطها ، يكنى بذلك عن تلبد شعرها من كثرة الأسفار .

(٣٢٦) خالد بن جعفر : أيام العرب ، والقلب : السوار .

(٣٢٧) سلامة بن جندل : المفضليات ص ٢٣٣ بيت ١١ .

(٣٢٨) عبيد بن الأبرص . ديوانه ص ٤٢ بيت ١٧ . الخضاب: الدم .المداك : الصلاية التي يسحق فيها الطيب.

(٣٢٩) سلمة بن الخرشب : المفضليات ص ٣٦ بيت ٨ .

٣٣٠ـ دُلُقٌ في غَارةٍ مَسْفُوحَةٍ   كَرِعَالِ الطَّيْرِ أَسْرَاباً تَمُر

٣٣١ـ إذا خَرَجَتْ يوماً أُعِيدتْ كأنها
عواكِفُ طيرٍ في السَّماءِ تَقَلَّب

٣٣٢ـ ولقد تَرَكْنا الخَيْلَ في عَرَصَاتِها
كالطَّيرِ فَوْقَ مَعَالِمِ الأَجْرام

٣٣٣ـ تَجلبنا مِن جَنُوبِ العودِ جُردا
كطَيرِ الماءِ غَلَّسَ لِلْوُرود

٣٣٤ـ يُبارِينَ الأسنةَ مُصْغِيَات   كما يَتفَارطُ الثَّمد الحَمَام

صور من الحداة والصقر والعقاب :

٣٣٥ـ فأوردهُنَّ بطنَ الإثم شُعثا   يَصُنَّ المَشْيَ كالحِدَإِ التُّؤَام

٣٣٦ـ والخيلُ تَرْدِي بالكُمَاة كأنَّها   حِدَأٌ تتابَع في الطَّريقِ الأقْصَد

---

(٣٣٠) طرفة : العقد الثمين ، ص ٦٣ . دلق في غارة : مسرعون إلى الغارة متقدمون فيها . المسفوحة : المصوبة أو الكثيرة . الرعال : قطع الطير والظباء والنساء ، وشبههم في إسراعهم وتفرقهم في الغارة بجماعات طير تمر قطعاً قطعا .

(٣٣١) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٢٢ بيت ١٥ .

(٣٣٢) المهلهل : شعراء النصرانية ص ١٧٥ .

(٣٣٣) هند بن خالد بن صخر بن الشريد : العقد الفريد ، ج ٣ ص ٧٩ .

(٣٣٤) بشر بن أبي خازم : المفضليات ، ص ٦٥٨ بيت ٣٢ . يبارين : أي تباري الخيل أسنة راكبيها بخدودها . يتفارط : يتسابق . الثمد : الماء القليل.

(٣٣٥) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٢٩ ، قصيدة ٢٧ بيت ٢٤ .

(٣٣٦) عامر بن الطفيل : ديوانه ، ص ١٤٤ بيت ٤ .

٣٣٧ـ سَبُوحٌ إذَا حَالَ الحِزامُ كأنه
إذا انسَابَ عِندَ النقْعِ في الخَيلِ أجْدَلُ

٣٣٨ـ عتيدٌ لأيام الحُرُوبِ كأنه إذا انجَابَ رَيْعَانُ العَجَاجَةِ أجْدل

٣٣٩ـ وَنجا بعنترةَ الأغرُّ منَ الرَّدَى يَهوي عَلَى عَجلٍ هَوِيَّ الأجْدَل

٣٤٠ـ مَتَى يُرَ مرْكوباً يُقَل بازٌ قانص
وفي مَشْيِهِ عنـــدَ القِيادِ تَساتُل

٣٤١ـ فَمَا سَوْذَنِيقٌ عَلَى مَرْبَأ خفيفُ الفُؤادِ حَـــديدُ النَّظَرْ
رَأى أرنباً سَنَحَتْ بالفَضَا فبادَرَهَا وَلَجَـــاتِ الخَمَرْ

٣٤٢ـ مَتى تأتِنا تعدُو بِسَرجِكَ لِقْوَةٌ
صَبورٌ ، تجنَّبْنَـــا ، ورَأسُك مائلُ

---

(٣٣٧) عبد المدان : شعراء النصرانية ، ص ٨٧ .

(٣٣٨) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ، ص ٧٧٨ .

(٣٣٩) عامر بن الطفيل : ديوانـــه ص ١٣٢ بيت ٤ والأغر : فرسه . والأجدل : الصقر ـ ويقال للصقر أيضاً : قطامي (بفتح القاف وضمها) .

(٣٤٠) مزرد : المفضليات ص ١٦٥ بيت ١٨ .

(٣٤١) أبي بن سلمى : الحماسة (مصر) جـ ١ ص ٣١٥ . السوذنبق : من جوارح الطـــير وهو الشاهين . خفة الفؤاد : كناية عن النشاط . وحدة النظر : نفوذه إلى مسافة بعيدة. سنح : برز . الولجات : جمع ولجة وهي مواضع الولوج . الخمر : ما واراك من الشجر.

(٣٤٢) الأعشى : قصيدة ٤٧ بيت ٣ . واللقوة (بفتح اللام وكسرها) : العقاب الأنثى وهي طائر سريع يشبه به الفرس ، صبور على المشاق والقتال . ورأسك مائـــل : أي منكس خزيا ، أو مائل على السرج لجبنه .

٣٤٣ــ ونَجّاك يومَ الرّوعِ إذْ حضرَ الوغى
مِسَحٌّ كَفَتخاءِ الْجناحَينِ كَاسِر

٣٤٤ــ خُدارِيّةٌ فَتْخَــاءُ أَلْثَقَ رِيشَها
سَحابةُ يومٍ ذي أَهاضِيبَ مَاطِر

٣٤٥ــ عَلَى كُلِّ مَحْبُوكِ السَّراة كَــأنهُ
عُقابٌ هوَتْ مِنْ مَرْقَبٍ إذْ تَعلَّت

٣٤٦ــ وكلّ طَمُوحٍ في العنانِ كأنها إذا اغْتمسَتْ في الماءِ فتخاءُ كَاسِر
لها نَاهِضٌ في الوكْرِ قَدْ مَهَّدَتْ له
كما مَهَّدَتْ لِلبعْــلِ حَسناءُ عَاقِر
تخافُ نِساءٌ يبتززْنَ حليلَها مُحَرَّبَةٌ قَد أَحْرَبَتْها الضَّرائِر

٣٤٧ــ بِفتيانِ صدقٍ فوقَ جُرْدٍ كأنهــا
طَوالِبُ عِقْبانٍ عَلَيها الرَّحائل

---

(٣٤٣) زيد الخيل حماسة البحتري ، ص ٥٢ قطعة رقم ٢٣٤ .

(٣٤٤) سلمة بن الخرشب : المفضليات ، ص ٣٦ بيت ٩ . والعقاب الخدارية : التي يضرب لونها إلى السواد والغبرة . والفتخاء : اللينة الجناح . الأهاضيب من المطر : دفعات منه . جعل هذه الفرس كالعقاب التي أصابها المطر فهي تبادر إلى وكرها .

(٣٤٥) الأعشى : قصيدة ٤٠ بيت ١٣ . السراة : الظهر . يشبه الفرس في اندفاعه في القتال بالعقاب حين تنقض على فريستها من مرقبها .

(٣٤٦) المعقر البارقي : النقائض (أوربا) ص ٦٢٦ .

(٣٤٧) عميرة بن طارق ، النقائض (مصر) ج ١ ص ٥٢ .

صور من النحل والقطا والجراد :

٣٤٨ـ وأمْكنَ أطرافَ الأسنةِ والقنا
يعاسيبُ قُودٌ كالشّنانِ خُدودُهـا

٣٤٩ـ وخيلٍ كأسْرابِ القطا قدْ وزَعْتُها
لَهَا سَبَل فيهِ المنيةُ تَلْمَعُ

٣٥٠ـ يبادِرْنَ بالفُرسَانِ كُلَّ ثَنيةٍ جُنوحاً كَفُرّاطِ القَطا المتسرِّب

٣٥١ـ وأقبلتُ مِن أرضِ الحجاز بحَلْبَةٍ
تَغُم الفَضاءَ كالقَطا المتبدِّد

٣٥٢ـ إذْ هُنَّ أقْساطٌ كَرَجْلِ الدَّبا أو كَقَطا كَاظِمَة النَّاهِل

٣٥٣ـ القائدُ الخيلِ تَردِي في أعِنتِها
وِرْدَ القَطا هجَّرتْ ظِمْأً إلى الثَّمَد

---

(٣٤٨) المثقب العبدي : المفضليات ، ص ٣٠٩ بيت ٢٣ .

(٣٤٩) مجمع بن هلال . الحماسة (مصر) ج ١ ص ٢٩٧ . والأسراب : الجماعات . والقطا : نوع من الطير لا يحب الانفراد . وزعتها : كففتها . السيل : المطر ، والمراد هنا تتابع الخيل في الغارة كتتابع المطر .

(٣٥٠) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٩ بيت ٣٥ .

(٣٥١) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ص ٢١ بيت ٩ . الحلبة : الجماعة من الخيل . المتبدد : المتفرق ، جاء من هنا وهناك .

(٣٥٢) امرؤ القيس : العقد الثمين ، ص ١٥١ قصيدة ٥١ بيت ٧ .

(٣٥٣) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٤٦ بيت ٧ .

٣٥٤ـ وَإِنْ رُدَّ مِنْ فَضْلِ العِنانِ تَوَرَّدَتْ
هُوِيَّ قَطاةٍ أَتبعتها الأَجادِلِ

٣٥٥ـ ثم عُجْناهُنَّ خُوصاً كَالْقَطَا الْـ قارب المَنْهَل مِنْ أَيْنِ الكَلَال

٣٥٦ـ مُهارِشَة العِنانِ كَأَنَّ فيها جرادَةَ هَبْوَةٍ فيها اصْفرار

٣٥٧ـ إِذْ هُنَّ أَقْسَاطٌ كَرَجْلِ الدَّبَا أَوْ كَقَطَا كاظِمَـــةَ النَّاهِلِ

٣٥٨ـ وَمِن بَطنِ ذي عَاجٍ رِعَال كأنها
جَرادٌ تُبارِي وِجْهَـــة الرِّيح مُطْنِب

٣٥٩ـ كأَنَّ رِعَالَ الخيلِ لما تبدَّدَتْ بَوَادِي جَرادِ الهَبْوَةِ الْمُتَصَوِّب

٣٦٠ـ فَطِرْنا إِلَى جُرْدٍ جيادٍ كأنها جَرادٌ يُباري وِجْهَةَ الرِّيحِ بَاكِر

٣٦١ ولما رَأَيتُ الخَيلَ تَتْرَى كأنها جَرادٌ يُباري وِجهَةَ الريحِ مُغْتَد

---

(٣٥٤) المزرد :المفضليات ص ٧١ بيت٣٣ .

(٣٥٥) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٥٩ بيت ١٠ والخوص : الضامرة الغائرة العيون . القارب المنهل : الذي يطلب الماء .

(٣٥٦) بشر بن أبي خازم المفضليات ص ٦٧٣ بيت ٤٤ . المهارشة : المقاتلة . أي تجاذب العنان من مرحها . الهبوة : الغبار ، وخص جرادة الهبوة لأنها أشد طيراناً . فيها اصفرار : أراد الذكر وهو أخف من الأنثى .

(٣٥٧) امرؤ القيس : العقد الثمين ، ص ١٥١ قصيدة ٥١ بيت ٧ .

(٣٥٨) طفيل الغنوي : ديوانه ، ص ٢٢ بيت ١١.

(٣٥٩) طفيل الغنوي ، ديوانه ، ص ٩ بيت ٣٣ .

(٣٦٠) قطبة بن سيار : النقائض (أوربا) ص ٥٨٦ .

(٣٦١) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٥٦ .

صور من الابل والهودج :

٣٦٢ــ وَلَقَد رَأيتُ الخَيل شُلْن عَلَيْكُمُ
شَوْلَ المَخاضِ أبَتْ على المُتَغَبِّرِ

٣٦٣ــ فلم تَنْجُ إلَّا كُلُّ خَوْصَاءَ تَدَّعي
بذي شُرُفاتٍ كالْفَنِيقِ المُحَاطِر

٣٦٤ــ كأنَّ يَبِيسَ الماءِ فَوقَ مُتُونِها
أشارِيرُ مِلحٍ في مَبَاءَةِ مُجْرِب

٣٦٥ــ لَهَا شُعَبٌ كإيَادِ الْغَبِيـــطِ فضَّضَ عَنها البُنَاةُ الشِّجَارا

صور من النعام والظبي والتيس :

٣٦٦ــ قُبُّ الأياطِلِ تَرْدِي في أعِنَّتِها كالخَاضِبَاتِ مِنَ الزُّعْرِ الظَّنَابِيب

٣٦٧ــ وتَرَى المُسوَّمَ في القِيادِ كأنهُ صَعْلٌ إذا فَقَد السَّبَاقَ يَصُوم

---

(٣٦٢) بعض بني تيم الله بن ثعلبه : الحماسة (مصر) جـ ١ ص ٣٥ .

(٣٦٣) سلمة بن الخرشب : المفضليات ص ٣٨ بيت ١٤ . الخوصاء : الغائرة العين من شدة التعب . تدعى : تنتسب . الشرفات : جمع شرفة وهي أعلى الشيء ، يقصد إذا رئي عنقها عرف به كرمها ، لأن طول الخيل في الأعناق كرم . الفنيق : فحل الإبل . المحاطر : الذي يخاطر الإبل .

(٣٦٤) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٨ بيت ٢٧ .

(٣٦٥) عوف بن عطيه : المفضليات ص ٨٤٠ بيت ١٢ . الشعب : القوائم . إياد الغبيط : خشبه ، وشبه قوائمها بخشب الغبيط لعريها من اللحم ، لأن اللحم على القوائم رهل . فضض : أزال وفرق . البناة : جمع بان . الشجار : ما شجر به سقف الخدر وهو عود .

(٣٦٦) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٤ قصيدة ٢ بيت ٧ .

(٣٦٧) لبيد العامري : ديوانه .

٣٦٨ــ جَوانِحُ يَخْلُجْنَ خَلْجَ الظِّبَا ءِ يَرْكُضْنَ مِيلاً ويَنْزِعْنَ مِيلا

٣٦٩ــ إذا ضُمِّرَتْ كَانتْ جِدَايةَ حُلَّبٍ
أُمِرَّتْ أَعَالِيها وشُدَّ الأَسَافِلُ

٣٧٠ــ ومُستوعِبٍ في الجَرْيِ فَضْلَ عِنانِهِ
يَمُرُّ كَمَرِّ الشَّادِنِ المُتَطَلِّقِ

٣٧١ــ كَما انْتَفَجَتْ مِنَ الظِّبَاءِ جِدايَةٌ
أَشَمُّ إذَا ذَكَّرْتَه الشَّدَّ أَفْيَحُ

٣٧٢ــ وتُعطِيكَ قبلَ السَّوْطِ مِلْءَ عِنانِها
وإحضارَ ظَبْيٍ أَخْطَأَتْهُ المَجادِفُ

٣٧٣ــ بِأَحْقِيِهَا المُلاءُ مُحَزَّمات كأَنَّ جِذَاعَهَا أُصُلاً جِلَامُ

---

(٣٦٨) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ص ٨٧ ، قصيدة ١١ بيت ١٦ . جوانح : مائلة في العدو . يخجلن : يسرعن . ينزعن : يكففن عن الركض .

(٣٦٩) مزرد : المفضليات ، ص ١٧٢ .

(٣٧٠) سلامة بن جندل : ديوانه ص ١٥ .

(٣٧١) المفضليات : المرقش الأصغر ، ص ٤٩٨ بيت ١٨ . انتفجت : خرجت ثائرة . الجداية : الشاب من الظباء . أشم : طويل . أفيح : بعيد ما بين الخطوتين .

(٣٧٢) ثعلبة بن عمرو : المفضليات ص ٥٦١ بيت ٥ . الإحضار : الجري . المجادف : ما يجدف به أي يرمي به .

(٣٧٣) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٥٧ بيت ٣١ . الأحقى : جمع حقو وهو معقد الإزار . الملاء : جمع ملاءة وهي الإزار ، يقول ألقت أولادها فحزمت بالملاء لخلاء أجوافها ليكون أقوى لها وأصلب ، والجذاع : جمع جذع ، وهو الفرس في السنة الثالثة من عمره . أصل : جمع أصيل وهو العشي . الجلام : جمع جلم وهو الجدي شبهها بها لضمرها .

٣٧٤ـ سَوَاهِم جِذْعانُها كالجَلا م أقرحَ مِنها القيادُ النُّسورا

٣٧٥ـ شَوازِب كالأجْلام قَدْ آلَ رِمُّها
سَماحِيق صُفْراً في تَليـل وفائل

٣٧٦ـ يَنْعَوْنَ نَضْلَةَ بالرِّماحِ عَلَى جُرْد تَكدَّسُ مِشْيَةَ الْعُصْم

٣٧٧ـ كُمَيْت كتَيْسِ الرَّمل أُخْلِصَ مَتْنُهُ
ضَريب الخلايا والنَّقيعِ المعَجَّـل

٣٧٨ـ عَلى كُلِّ منشَقٍّ نَسَاها طِمِرَّةٌ وَمُنْجَرِدٌ كَأَنَّه تَيْسُ حُلَّب

٣٧٩ـ فآضتْ كَتَيس الرَّبْلِ تَنْزُو إذا نَزَتْ
عَلى رَبِذاتٍ يَغْتَلِينَ خُنُوسا

صور من السباع والكلاب :

٣٨٠ـ يَخرُجْن مِن خَلَل الغبار عَوابساً
خببَ السّباعِ بكُلِّ أكْلَفَ ضَيْغَم

---

(٣٧٤) الأعشى : ديوانه قصيدة ١٢ بيت ٥٠ . سواهم : ضامرة متغيرة .

(٣٧٥) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، قصيدة ٢٠ بيت ٢٠ .

(٣٧٦) الجميح : المفضليات ، ص ٧١٩ بيت ٩ . ينعون نضلة بالرماح : أي يطعنون أعداءهم طلباً بثأره . تكدس : تمشي بسرعة . العصم : الوعول .

(٣٧٧) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٧٨ .

(٣٧٨) طفيل الغنوي : ديوانه ص ١٢ بيت ٥٣ .

(٣٧٩) يزيد بن الخذاق : المفضليات ص ٥٩٨ بيت ٤ . آضت : رجعت . الربل : نبت يتفطر في آخر الصيف فترعاه الظباء فيتصل لها الربيع والصيف وتيس الربل أنشط من غيره لما اتصل له من المرعى . تنزو : تثب . وربذات : قوائم خفيفات . يغتلين : يرتفعن في شدة . خنوساً : يبقين بعض جريهن .

(٣٨٠) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٨٠ بيت ٢ .

٣٨١ـ تُصَانِعُ أَيدِيها السَّرِيحَ كَأنها
كِلابٌ جَميع غُرَّة الصَّيفِ مُهْرَب

٣٨٢ـ شَماطيط تَهْوي لِلسَّوام كأنها
إذا هَبَطَتْ غُوطاً كِلابٌ طَوارِدِ

٣٨٣ـ تُباري مَراخِيها الزِّجاجَ كَأنها
ضِراء أحسَّتْ نَبْأَةً مِن مُكَلِّب

٣٨٤ـ مُسْرَعـات كأنهنَّ ضِراءٌ سَمِعَتْ صَوْتَ هَاتِفٍ كُلَّاب

صورة من الذئب :

٣٨٥ـ وَرَجعْنَ نختبىءُ القَنَافي ضُمَّر
مِثْل . الذئاب سَرِيعَـــةِ الإقْدَام

٣٨٦ـ وَطِمرة كالسِّيدِ يَعْلُو فوقَها ضِرغامةٌ عَبْل المناكِبِ أغلَبُ

٣٨٧ـ يُحارِبُ جُرْداً كالسَّراحِينِ ضُمَّرا
ترود بأبوابِ البيُوتِ وَتَصْهَل

---

(٣٨١) طفيل الغنوي : ديوانه ص ١٠ بيت ٤٠ .
(٣٨٢) ضمرة بن ضمرة : المفضليات ص ٦٨٤ بيت ٣ .
(٣٨٣) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٧ بيت ٢٦ .
(٣٨٤) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٧٥ بيت ١٧ .
(٣٨٥) المهلهل : شعراء النصرانية ، ص ١٧٤ .
(٣٨٦) عبيد بن الأبرص : ديوانه ، ص ١٥ بيت ١٧ .
(٣٨٧) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ، ص ٧٧٨ .

٣٨٨ــ يَقُودون جُرْداً كالسَّرَاحِين تَنْتَمي
صُدور العَوَالي . . . . . وأَدْهُمَا

٣٨٩ــ تَقولُ إِذَا أَبْصَرْتَهُ وَهْوَ قائم   خِباءً عَلى نَشْزٍ أَو السِّيدُ ماثل

٣٩٠ــ إِذا قُلْتُ قَدْ أَدْرَكْتَ فابسُطْ عِنانَه
تَجرَّدَ سِيدٌ أَسْلَمتْهُ غُيوبُ

٣٩١ــ وأَجْرَد كالسِّرْحَانِ يَضْرِبُه النَّدَى
ومحبوكَةً كالسِّيدِ شَقَّاءَ صِلْدِما

٣٩٢ــ كَأَنَّه بعدَ مَا صَــدَّرنَ مِنْ عَرَق
سِيدٌ تمطَّر جُنْحَ اللَّيْلِ مَبْلول

٣٩٣ــ إِذا قُلْت أَطرَافُ الرمَاحِ يَنَلْنه
يَحُمُّ كسِرْحَانٍ بِغَيْضَاءَ ضَــامر

٣٩٤ــ يُفَرِّجُ عنا كلَّ ثغرٍ نخافُه   مُشيح كسِرْحَانِ القَصِيمَةِ ضَامر

---

(٣٨٨) عامر بن الطفيل : ديوانه ، ص ١٤٣ بيت ٩ .
(٣٨٩) المزرد : المفضليات ، ١٦٥ بيت ١٩ .
(٣٩٠) زيد الخيل : حماسة البحتري ، ص ٥٣ ، قطعة ٢٣٥ بيت ٢ .
(٣٩١) الحصين بن الحمام : المفضليات ، ص ١٠٧ بيت ١٢ .
(٣٩٢) طفيل الغنوي : ديوانه ، ص ٣٣ بـ ٢٤ .
(٣٩٣) زيد الخيل : حماسة البحتري ، ص ٥٣ ، قطعة ٢٣٤ .
(٣٩٤) المعقر البارقي : العقد الفريد ، جـ ٣ ص ٦٥ .

٣٩٥ــ وَفينا رِباطُ الخَيلِ كلُّ مُطَهَّم   رَجيلٍ كسِرْحان الغضَا المتأوِّب

٣٩٦ــ وَكَرّي إذا نادَى المُضافُ مجنَّباً   كَسِيدِ الغَضا نبَّهتَه المُتوَرِّدُ

٣٩٧ــ كَسِيدِ الغَضا الغَادي أضلَّ جِراءَه
عَلَا شَرفــاً مُستَقْبِلَ الرِّيحِ يلْحَبُ

٣٩٨ــ فلما انْجلَى عني الظَّلامُ دَفعتُها   يشبِّهُهَا الرائي سَراحِينَ لُغَّبا

صور من مغتصب الولد والخصم والناذر والخائف :

٣٩٩ــ إذَا نَقَذَتْهُم كَرَّتْ عَلَيهِمْ   كأنَّ فُلُوَّهَــا فِيهِمْ وَبكْرِي

٤٠٠ــ صَفوح بِخدَّيها وقَد طَالَ جَريُها
كَما قَلَّبَ الكفَّ الألَدُّ المُجادِلُ

٤٠١ــ يرَى الشَّدَّ والتَّقْرِيبَ نَذراً إذَا عَدا
وَقَد لَحِقتْ بالصُّلْب مِنْهُ الشَّواكِل

٤٠٢ــ يُرَى طَــامِحَ العَينَيْنِ يَرْنُو كأنَّه
مُوَانِسُ ذُعْرٍ ، فَهْوَ بالأُذْنِ خَاتِل

---

(٣٩٥) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٥ بـ ١٣ .

(٣٩٦) ديوان طرفة بن العبد للدكتور علي الجندي بـ رقم ٨١ .

(٣٩٧) طفيل الغنوي : ديوانه ، ص ٢٣ بـ ٢١ .

(٣٩٨) ربيعة بن مقروم : المفضليات ، ص ٣٧٧ ، بـ ١٧ . والسراحين : جمع سِرحان وهو الذئب . لغباً: متعبة.

(٣٩٩) يزيد بن سنان : المفضليات ص ١٢١ بـ ٣.

(٤٠٠) المزرد : المفضليات ، ص ١٧٠ بـ ٣١ .

(٤٠١) المزرد : المفضليات ، ص ١٦٨ بـ ٢٥ .

(٤٠٢) المزرد : المفضليات ، ص ١٦٦ بيت ٢٢ .

٥ ـ الإبل

صورة من القطا :

٤٠٣ـ فَراحتْ كَأَنَّ الرَّحلَ حُشَّ بجَوْنَة
بِذاتِ السِّتارِ أَخْطَأَتْها الحَبائل

صورة من السندان :

٤٠٤ـ وَكَلَّفتُ مَا عِنْدي عَــلاةً رَجِيلَة
مِرَاحــاً وَفِيهَــا جُرْأَةٌ وتَخَايُل

صورة من المرأة في مأتم :

٤٠٥ـ كأنَ يَدَيها إذْ أَجِد نَجَاؤُها يَدا مُعْولٍ خَرْقَاءَ تُسْعِدُ مَأْتَما

صورة من الدف :

٤٠٦ـ تَتْبَع جُوناً إذا مَا هُيِّجَتْ زَجَلَت
كأَنَّ دُفّاً عَلَى عَلْيَــاء مَهْزُوم

---

(٤٠٣) عميرة بن طارق : النقائض (مصر) ج ١ ص ٥٢ .

(٤٠٤) عميرة بن طارق : النقائض (مصر) ج ١ ص ٥١ .

(٤٠٥) عميرة بن طارق : النقائض (مصر) ج ١ ص ٥٠ .

(٤٠٦) علقمة : العقد الثمين ، قصيدة رقم ١٣ ، ص ١١٣ .تتبع جونا : أي هذه الفرس تتبع سود الإبل ، أي تقاد وراء الإبل فتتبعها . هيجت : أي للحلب . زجلت : ارتفعت أصواتها وحن بعضها إلى بعض فكأن حنينها دف مهزوم ؛ أي مخروق ، فهو أبح للصوت . وقيل المهزوم : ما فيه هزمة كهزمة الرعد أي صوته . علياء : مكان مرتفع ، فذلك أبين لصوته وأرفع له .

صورة من الفيل :

٤٠٧ــ يَهْدِي بِهَا أَكْلَفُ الخَدَّيْنِ مُخْتَبَر
مِنَ الجِمَالِ كَثِيرُ اللَّحْمِ عَيْثُوم

صورة من البقر الوحشي :

٤٠٨ــ تَمْشِي بِهِمْ أُدْم تَئِطُّ نُسُوعُهَا
خُوصٌ كَمَا يَمْشِي الهِجَانُ الرَّبْرَب

صورة من الجبل :

٤٠٩ــ فجَلَّزُوا بِأُسَارَى فِي زِمَامِهِمْ
وَجَامِلٍ كَحَزِيمِ الطَّوْدِ مُقْتَسَم

صورة من السحاب :

٤١٠ــ واسْتَدْبَرُوهُمْ يُكفِئُونَ عُرُوجَهمْ
مَوْرَ الجَهَامِ إِذَا زَفَتْهُ الأَزْيَبُ

---

(٤٠٧) علقمة المرجع السابق . يهدي بها : أي يتقدم هذه الإبل ويهديها الطريق . جمل أكلف الخدين . والكلفة : سواد في اللون وغبره . مختبر : مجرب في الأسفار ، كثير اللحم : عظيم الخلق غليظ . العيثوم : الفيل ، شبه به الجمل في عظمه .

(٤٠٨) عبيد بن الأبرص : ديوانه ، ص ١٤ بيت ١٤ . أدم : إبل بيض تئط : تصيح ، ولا يكون الأطيط للرحل إلا إذا كان جديداً . خوص : غائرة العيون . الربرب : جماعة البقر ، شبه بها الإبل لبياضها .

(٤٠٩) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ٢٠٧ . جلزوا : مضوا ومروا . زمامهم : حبالهم . حزيم الطود : وسطه .

(٤١٠) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ١٩٠ . استدبروهم : طردوهم . الكفء : القلب . العرج : الإبل الكثيرة : ألف ، تسعمائة ، ثمانمائة . موره : موجه . الجهام من السحاب : الذي هرق ماءه . زفته : استخفته . الأزيب ، ريح الجنوب .

٦ ـ الأسلحة والمعدات الحربية

(ا) القوس

صورة من البهمي :

٤١١ ـ عَلَى فَخِذَيْهِ مِنْ بَرَايَةِ عُودِهَا   شَبِيهُ سَفَا البُهْمَى إِذَا مَا تَفَتَّلَا

صورة من الأضلاع :

٤١٢ ـ إِمّا تَرَى قَوْسَهُ فَبِيِّنَة النَّبْــعِ هتوفٌ تَخَالُهَا ضِلَعَــا

صورتان من السبيكة :

٤١٣ ـ كَالوَقْفِ لَا وَقْرَ بِهَا هَزْمُهَا   بِالشَّرْعِ كَالْخَشْرَمِ ذِي الأَزْمَلِ

٤١٤ ـ وَصَفْرَاءِ البُرَايَةِ فَرْعِ نَبْعٍ   كَوَقْفِ العَاجِ عَاتِكَةِ اللِّيَاطِ

صورة من النحل :

٤١٥ ـ كَالوَقْفِ لَا وَقْرَ بِهَا هَزْمُهَا   بِالشَّرْعِ كَالْخَشْرَمِ ذِي الأَزْمَلِ

---

(٤١١) أوس بن حجر : شعراء النصرانية ص ٤٩٦ .
(٤١٢) ذو الأصبع العدواني : شعراء النصرانية ص ٦٣١ .
(٤١٣) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ، ص ٨٦ بيت ٢٤ .
(٤١٤) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ، ص ٩٣ ب ـ ٣٣ .
(٤١٥) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ، ص ٨٦ ب ـ ٢٤ .

صورة من الريح :

٤١٦ــ وصَفراء مِنْ نَبْع كأنَّ عِدادَها
مُزَعْزِعَةٌ تُلْقي الثّيابَ حَطُوم

صورة من حاشية الإزار :

٤١٧ــ كَحَاشِيَةِ المحذُوفِ زَيَّنَ لِيطَها
مِنَ النبعِ أَزْرٌ حَاشِكٌ وكَتُوم

(ب) السهم

صورتان من سير الجلد :

٤١٨ــ ونَبْلٌ قِرانٌ كالسُّيُور سَلاجِم
وفَرْعٌ هَتُوفٌ لا سَقِيٌّ ولا نَشَم

---

(٤١٦) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ٢٣١ . مزعزعة : أي كأن حفيفها حفيف ريح حطوم تحطم ما مرت به . عدادها : صوتها .

(٤١٧) ساعدة بن جؤية : المرجع السابق . المحذوف : إزار قصير ، ليطها : لونها . والأزر : يقال قوس ذات أزر إذا كانت صلبة ذات شدة . حاشك : صلب . كتوم : أي ليس فيها صدع ولا شق .

(٤١٨) راشد بن شهاب . المفضليات ص ٦٢٢ ــ ٦ . قران : متشابهة . سلاجم : طوال . فرع : قوس أخذت من أعلى الغصن . السقي : ما شرب الماء على الأنهار من الشجر . النشم : شجر ضعيف خوار .

٤١٩ـ بِكُلِّ هَتوفٍ عَجْسُها رَضَوِيَّةٌ
وسَهمٌ كَسَيْرِ الحِمْيَرِيّ المُؤَنَّف

صورة من القرط :

٤٢٠ـ شَنَقْتُ بِهَا مَعَابِلَ مُرْهَفَاتٍ　　مُسَالَاتِ الأَغِرَّةِ كَالقِرَاطِ

صورة من الزعفران :

٤٢١ـ وَأَصفَرَ مَشْهومِ الفُؤادِ كأنه　　غَداةَ النَّدَى بالزَّعْفرانِ مُطَيَّب

صورة من السم :

٤٢٢ـ وَحرْمِيّةٍ مَنْسُوبةٍ وسَلاجِم　　خِفَافٍ تَرَى عَنْ حَدِّها السَّمَّ قَالِسا

صور من المطر والبرد :

٤٢٣ـ لما رَأيتُهُمْ كأنَّ نِبَـالهمْ　　بالجزع مِن نَقرَى نَجاءُ خَرِيف
٤٢٤ـ فولَّوا تحتَ قِطقِطِها سِرَاعاً　　تَكُبُّهُمُ المُهنَّدةُ الذكور

(٤١٩) عنترة : العقد الثمين قصيدة ١٥ ص ٣٠ . هتوف : قوس مرنة مصوتة . العجس : موضع الصوت منها . رضوية : منسوبة إلى امرأة تسمى رضوى . الحميريّ : رجل منسوب إلى حمير . المؤنف : المقدور على قدر واستواء .

(٤٢٠) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ، ص ٩٣ بـ ٣٤ .

(٤٢١) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٢٧ بـ ٤٢ .

(٤٢٢) حسيل بن سجيح : ديـوان الحماسة (مصر) جـ ١ ص ٢٢٢ . الحرمية : قوس متخذة من شجر الحرم . سلاجم . سهـام طوال . قالس : ذو قلس من قلس البحر إذا قذف ما فيه .

(٤٢٣) مالك بن الهذلي : شعر الهذليين ص ١٦٨ .

(٤٢٤) هلال بن رزين: الحماسة (مصر) جـ ١ ص ١٢٦ . والقطقط : صغار البرد . تكبهم: تصرعهم . الذكور : ذكر وهو الصلب المتين .

٤٢٥ـــ جَاءتْ بنُو الْأَوسِ عَارِضاً بَرِدا
تحلِبُهُ الرِّيحُ مُقْبِلاً حَلَبَا

٤٢٦ـــ فَجاءُوا عَارِضاً بَرِدا وجئْنا كَهَيْج الرِّيحِ تَقْذِفُ بِالغَمَامِ

٤٢٧ـــ فجاءُوا عَارِضاً بِردا وجئنا كَما أضْرَمتْ في النَّارِ الوَقُودا

٤٢٨ـــ فجاءُوا عَارِضاً بِرداً وجئْنَا كمِثْلِ السَّيْلِ نَركَب وَازِعَيْنا

صورتان من النار :

٤٢٩ـــ وأَحصَنَهُ ثُجْرُ الظبات كَأَنَّها إذَا لَمْ يُغَيِّبْها الجَفيرُ جَحِيم

٤٣٠ـــ تُخُيِّرنَ أنضَاءً ورُكِّبْنَ أَنْصُلَا
كجَمْرِ الغَضَا في يَوْم رِيحٍ تَزَيَّلا

---

(٤٢٥) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٣١ بـ ١٧ .

(٤٢٦) معقل بن خويلد : شعر الهذليين ص ١٠٥ بـ ٥ .

(٤٢٧) خداش بن زهير ، الأغاني جـ ١٩ ص ٧٨ .

(٤٢٨) عبد الشارق بن عبدالعزى : الحماسة (مصر) جـ ١ ص ١٧٠. والعارض: السحاب المعترض في الأفق والوازع : الذي يرتب الجيش يقدم فيه ويؤخر .

(٤٢٩) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذلين (دار الكتب) ص ٢٣١ . أحصنه : أي صارت له كحصن ومعقل يمتنع فيـــه ، ثجر : عراض النصول . جحيم : نار توقد ، والجفير : الكنانة .

(٤٣٠) أوس بن حجر : شعراء النصرانية ، ص ٤٩٦ .

صور من الظباء والنحل والقطا :

٤٣١ــ كساها رَطِيبَ الرِّيشِ فاعْتَدَلَتْ لَهَا
قِداحٌ كأعناقِ الظباءِ زَفازِفُ

٤٣٢ــ سَلاجِم كالنَّحْلِ أَنْحَى لَها قَضِيبَ سَرَاءٍ قَلِيلَ الأُبَن

٤٣٣ــ كأَوْبِ الدَّبْرِ غَامِضَةً ولَيْسَت
بِمُرْهَفَةِ النِّصالِ ولا سِلَاط

٤٣٤ــ إِمَّا تَرَى نَبْلَهُ فَخَشْرَم خَشْـــاء إِذَا مُسَّ دَبْرُهُ لَكَعَا

٤٣٥ــ كأَنَّ عَرَاقِيبَ القَطَا أُطُرٌ لَهَا حَدِيثٌ نَوَاحِيهَا بِوَقْعٍ وصُلَّبِ

صورة من الغضبان :

٤٣٦ــ يُرَاقِبُ إِيحاءَ الرَّقِيبِ كأَنه لِما وَتَرُونِي آخرَ الدَّهْرِ مُغْضَب

صورة من الحصن :

٣٤٧ــ وأَحصَنَهُ ثُجْرُ الظُّبَاتِ كأَنَّهَا إِذَا لَمْ يُغَيِّبْها الجَفِيرُ جَحِيم

---

(٤٣١) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ٢٢٥ . رطيب الريش : ناعمه . كأعناق الظباء : حسان بيض . زفازف : لها زفزفة . إذا أديرت بالكف ، أي إذا نقرت على الظفر زفزفت وسمعت لها صوتاً . اعتدلت : قامت فليس فيها عوج .

(٤٣٢) الأعشى ؛ قصيدة ٢ بـ ٧٢ . كالنحل : أي في سرعتها . أنحى : قصد ووجه . السراء : شجر تعمل منه القسي . الأبن : جمع أبنة وهي العقدة .

(٤٣٣) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ص ٩٤ بـ ٣٥ .

(٤٣٤) ذو الأصبع العدواني : شعراء النصرانية ص ٦٣٢ .

(٤٣٥) طفيل الغنوي . ديوانه ص ١٣ بـ ٥٨ .

٤٣٦) طفيل الغنوي . ديوانه . ص ٢٧ بـ ٤٤ .

(٤٣٧) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ٢٣١

صورة من الكرات :

٤٣٨ـــ كأنَّ بِلِيتَيْهَا وبَلْدَةِ نَحْرِها   مِنَ النَّبْلِ كُرّاتَ الصَّرِيمِ المُنَزَّعا

(حـ) الرمح

صور من الشطن والحبل :

٤٣٩ـــ وَذَا هِبَّةٍ غَامِضاً كَلْمُهُ   وأجرَدَ مُطَّرِداً كَالشَّطَنْ
٤٤٠ـــ وَغَيرِ نَوافِذِ يَخْرُجْنَ مِنْهُمْ   بِطَعنٍ مِثْلَ أشْطَانِ الرَّكيِّ
٤٤١ـــ كأنَّ رِماحَهُمْ أشْطانُ بِئْرٍ   لَها في كلِّ مُدْلِجَةٍ خُدُود
٤٤٢ـــ يَدْعُونَ عَنْتَرَ والرِّماحُ كأنَّها   أشْطَانُ بئرٍ في لَبَانِ الأدْهَمِ
٤٤٣ـــ تَراهنَّ يَخْلَجْنَ خَلْجَ الدِّلا   ءِ تَخْتَلِجُ النَّزْعَ أشْطَانُها

---

(٤٣٨) الكلحبة اليربوعي : المفضليات ص ٢٢ بـ ٤ . والليت بكسر اللام : صفحة العنق . وبلدة النحر : ثغرته وما حولها . الصريم : قطع من الرمل . المنزع : المنزوع ، لأن ساق الكراثة تكون في الرمل . فإذا نزعت أشبهت السهم . يصف كثرة ما أصاب فرسه من السهام .

(٤٣٩) الأعشى : قصيدة رقم ٢ بـ ٧٣ . ذاهبة : يريد السيف . كأن يهب ويستيقظ إذا هزم .

(٤٤٠) عنترة العقد الثمين ص ٥٢ . الركي : البئر .

(٤٤١) عنترة : العقد الثمين ص ٥٨ قصيدة رقم ١٠ بـ ٦ .

(٤٤٢) عنترة : العقد الثمين : ص ٤٨ بـ ٨٣ .

(٤٤٣) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ص ٩ بـ ٩ . يقول : الأشطان تختلجهن أي تجذبهن بالنزع . وقال أبو عبيدة : لا يقال للحبل شطن إلا إذا اتخذ للبئر الشطون .

٤٤٤ـ كأنَّها بأكُفِّ القَوْمِ إذْ لَحِقُوا
مَواتِحُ البِئْرِ أوْ أشْطانُ مَطْلوبِ

٤٤٥ـ وَجَبَهْناهمْ بطعنٍ كَمَا تُنْهَزُ في جَمَّةِ الطَّويِّ الدِّلاء

٤٤٦ـ وَمُطَّرِداً كَرِشَاءِ الجَرُورِ مِنْ خُلُبِ النَّخْلَةِ الأجْرَدِ

٤٤٧ـ في مَجلسٍ بِيضِ الوُجوهِ يَكُنُّهُمْ
غَابٌ كَأشْطَانِ القَلِيبِ مُنَصَّبُ

٤٤٨ـ لَمَّا رَأوكَ وَبُلْجُ البِيضِ وَسْطَهُمُ
وَكُلِّ مُطَّرِدِ الأنْبوبِ كَالمَسَدِ

صورة من الزيت :

٤٤٩ـ وَمُطَّرِدٌ لَدْنُ الكُعُوبِ كَأنَّما
تَغَشَّاهُ مُنْبَاعٌ مِنَ الزَّيْتِ سَائِلُ

(٤٤٤) سلامة بن جندل : المفضليات ، ص ٢٣٩ بـ ٢١ . كأنها : أي الرماح . مواتح البئر : حبال يمتح بها . ومطلوب : بئر معروف ، وقيل بئر بين مكة والشام .
(٤٤٥) الحارث بن حلزة : المعلقة . والجبه : الدفع والردع . والنهز : التحريك . والجمة: الماء الكثير المجتمع . والطوى : البئر التي طويت بالحجارة أو اللبن .
(٤٤٦) امرؤ القيس : العقد الثمين ، ١٢٢ قصيدة ١٤ .
(٤٤٧) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ١٨٣ . يكنهم : يظلهم من الشمس . غاب : أي الرماح كأنها أجم من كثرتها. القليب : البئر . منصب : مركوز .
(٤٤٨) عبيد بن الأبرص : ديوانه ، ص ٤٧ بـ ١١ . والمسد : الحبل من الليف .
(٤٤٩) المزرد : المفضليات : ص ١٧٦ بـ ٥٠ .

صورتان من الأجم :

٤٥٠ـ في مَجلس بيضِ الوُجوه يَكُنُّهُمْ
غَابٌ كأشطـانِ القَليب مُنصَّبِ

٤٥١ـ تَخال ذوابلَ الخَطِّيِّ في حَافاتِها أَجَما

صورة من الخيزران :

٤٥٢ـ وإلَّا كل أَسمرَ وهوَ صَدْق كأنَّ اللِّيطَ أَنْبتَ خيزُرَانا

صورتان من الثعلب والثعبان :

٤٥٣ـ لَذٌّ بهزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُه فيهِ كما عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعلَبُ

٤٥٤ـ أَصَمَّ إذَا ما هُزَّ مَارَتْ سَرَاتُه كما مَار ثُعْبَانُ الرِّمالِ المُوائِل

صور من النوى :

٤٥٥ـ أَصَمَّ رُدَيْنِيًّا كأن كُعُوبَه
نَوَى القَسْبِ عَرَّاصاً مُزَجّاً مُنَصَّلا

---

(٤٥٠) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ١٨٣ .
(٤٥١) الأعشى : قصيدة ٥٦ بـ ١٨ .
(٤٥٢) الأعشى : قصيدة ٢٧ ب ٨ . والليط : شجر يصنع منها القوس والقناة .
(٤٥٣) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ١٩٠ . يعسل : يضطرب .
(٤٥٤) المزرد : المفضليات ، ص ١٧٧ ب ٥١ .
(٤٥٥) أوس بن حجر : شعراء النصرانية ص ٤٩٤ .

٤٥٦ ـ وَأَسْمَرَ خَطِّيّاً كَأَنَّ كُعُوبَه
نَوَى الْقَسْبِ قَد أَرْبَى ذِرَاعاً عَلى العَشْرِ

٤٥٧ ـ صَدْقٌ مِن الهِنديِّ أُلبِسَ جُبَّةً لَحِقَتْ بِكَعْبٍ كَالنَّوَاةِ مَلِيسِ

صور من الشهاب والنار

٤٥٨ ـ طُوال الساعدَين يَهُزّ لَدْناً يَلُوحُ سِنانُهُ مِثْلَ الشَّهَاب

٤٥٩ ـ سَائِل سَدُوسَ الّتي أفنَى كَتائِبَها
طعنُ الرِّمَــاحِ الّتي في رُؤُسِهَا شُهُب

٤٦٠ ـ خِرْق مِنَ الخَطِّيّ أُغْمِضَ حَدُّه
مِثْلَ الشِّهابِ رَفَعْتَهُ يَتَلَهَّب

٤٦١ ـ وَكُلّ رُدَيني كأَنَّ سِنَانه شهابٌ بَدَا في ظُلمَةِ اللَّيلِ وَاضِح

٤٦٢ ـ غُودِرَ عِندَ المَكَرّ سَيِّدُهُمْ فِيهِ سِنَانٌ تَخَــالُهُ لَهَبَا

---

(٤٥٦) حاتم الطائي : شعراء النصرانية ص ١٣٢ .

(٤٥٧) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٤٣ ب ١٩ في الهامش .

(٤٥٨) طفيل الغنوي : ديوانه ، ص ٥٧ ب ٣ .

(٤٥٩) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ، ص ٢٧٦ .

(٤٦٠) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ١٨٩ . خرق : جعله في الرماح مثل الخرق في الرجال الذي يتخرق في المال والخير . أغمض خده : لطف .

(٤٦١) عنترة العقد الثمين . ص ٢٧ قصيده ٧ ب ١٦ .

(٤٦٢) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٣٠ ب ١٤ .

٤٦٣ـ وَمُطَّرِدالكُعُوب أَحصّ صَــدْق
تَخَالُ سِنَـانَه بِاللَّيلِ نَارا

٤٦٤ـ فأوردُوا سِرباً لَهُ ذُبَّلاً كأنهنّ اللَّهَبُ الشَّاعِل

٤٦٥ـ بِذاتِ الرِّمثِ إذْ خَفضُوا العَوالي
كأنّ ظُباتِهَا لَهبانُ جَمْرِ

٤٦٦ـ عَبأتُ له رُمحاً طَويــلاً وَأَلّةً
كأنْ قَبَسٌ يُعلَى بِهـــا حِين تُشْرَعُ

٤٦٧ـ يَلوحُ السِّنَانُ على مَتْنِهَا كَنَـــارٍ عَلَى مَرْقَبٍ تَسِيرُ

صور من المصباح والهلال :

٤٦٨ـ وكِلاَهُما في كَفِّهِ يَزَنِيَّةٌ فيها سِنانٌ كالمنارَةِ أَصلعَ

٤٦٩ـ وأسمَر مارِن يَلْتاحُ فيه سِنانٌ مِثْــل نِبْراسِ النِّهام

---

(٤٦٣) عنترة العقد الثمين ، ص ٣٨ قصيدة ١١ ب ٦.

(٤٦٤) عبيد بن الأبرص ؛ ديوانه ص ٧٢ ب ١٣ . والذبل : القنا اليابس .

(٤٦٥) يزيد بن سنان : المفضليات ، ص ١٢١ ب ٤ .

(٤٦٦) مجمع بن هلال : الحماسة (مصر) جـ ١ ص ٢٨٩ . عبأت : هيأت . الألة : السلاح والقبس : النار .

(٤٦٧) خفاف بن عمرو : الأغاني جـ ١٦ ص ١٤٠ .

(٤٦٨) أبو ذؤيب الهذلي : المفضليات ص ٨٨٢ ب ٦٠ . يزنية : قناة منسوبة إلى ذي يزن . المنارة : المصباح . أصلع : يبرق ، أي لا صدأ عليه .

(٤٦٩) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٢٧ . نبراس النهام : مصباح الراهب في الدير.

٤٧٠ـ عَلَيهِ كَمِصْبَاحِ العَزِيزِ يَشُبُّهُ لِفِصْحٍ وَيَحْشُوهُ الذُّبَالَ المُفَتَّلَا

٤٧١ـ لهُ فَارِطٌ مَاضِي الغِرَارِ كأنهُ هِلالٌ بَدَا في ظُلْمَةِ اللَّيلِ نَاحِلُ

صورة من المقيل :

٤٧٢ـ زُرْقاً أَسِنَّتُهَا، حُمْراً ، مُثَقَّفَــةً
أَطْرافُهنَّ مَقِيـلٌ لِلْيَعَاسِيبِ

صور من الناقة والنسر والحيوان المتوحش :

٤٧٣ـ إِذَا عضَّ الثِّقافُ بِها اشْمأزَّت وَوَلَّتْهُمْ عَشَوْزَنَةً زَبُونَا

٤٧٤ـ تَرَكْتُ الرمحَ يَبْرُقُ في صَلاهُ
كَأَنَّ سِنَانَه خُرطومُ نَسْر

٤٧٥ـ في كَفِّهِ لَدْنَةٌ مُثَقَّفَةٌ فِيها سِنَانٌ مُحَرَّبٌ لَحِمُ

---

(٤٧٠) أوس بن حجر : شعراء النصرانية ، ص ٤٩٤.

(٤٧١) المزرد : المفضليات ص ١٧٧ ب ٥٢ .

(٤٧٢) سلامة بن جندل : المفضليات ، ص ٢٣٩ ب ٢٠ . وجعل أسنتها زرقـاً لشدة صفائها . اليعاسيب : الرؤساء ، يريد أنهم يقتلون الرؤساء فيرفعون رءوسهم على أسنتهم .

(٤٧٣) عمرو بن كلثوم: المعلقة .

(٤٧٤) يزيد بن سنان : المفضليات ، ص ١٢٢ ب ٧ .

(٤٧٥) الجميح : المفضليات ، ص ٤٥ ب ٤ . محرب : مغضب . لحم : القرم إلى اللحم ، ونعت الرمح بهذين الوصفين كناية عن غنائه وبالغ أثره .

صور من اللاعب والعطشان والصائح :

٤٧٦ ـ سائِل بنَا حُجْرَ بنَ أمِّ قَطَـــامِ إذْ
ظَلّتْ بِهِ السُّمْرُ النَّواهِـــلُ تَلْعَبُ

٤٧٧ ـ سَتَعلَمُ أيّنا لِلموتِ أدْنى إذَا دَانيتَ بِي الأَسَلَ الحِرَارا

٤٧٨ ـ سَائِل بنا حُجرَ بن أمِّ قَطَامِ إذْ
ظَلّتْ بِهِ السُّمرُ النّواهِـــلُ تَلْعب

٤٧٩ ـ يَحمِلننا والأسَلَ النَّواهِلا

٤٨٠ ـ وَلقد يُحَـــاوِلُ أن يَقو مَ وقد مَضَتْ فِيه النَّواهِلْ

٤٨١ ـ ثُم نَزَعْنا وَما انفكّتْ شَقَاوتُهُمْ
حتى سَقَيْنا أنابيباً وَخِرْصَانا

٤٨٢ ـ وَأَنّي أردُّ الكبشَ والكبشُ جَامح
وَأُرجِعُ رمحي وَهْوَ رَيّانُ نَاهل

(٤٧٦) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ١٦ ب ٢٧ . تلعب : أي الأسنة تلعب فيهم لأنها تمزق قلوبهم بالطعن .

(٤٧٧) عنترة : العقد الثمين ، ص ٤٨ قصيدة ١١ ب ٨ .

(٤٧٨) عبيد بن الأبرص : ديوانـــه ص ١٦ ب ٢٧ . وجعلهـــا نواهل لأنها رويت من الدم .

(٤٧٩) امرؤ القيس : العقد الثمين ، قصيدة ٤٤ ب ٧ .

(٤٨٠) الأعشى : قصيدة ٧٦ ب ٢١ .

(٤٨١) عامر بن الطفيل : ديوانه ، ص ١٥٠ ب ٤ .

(٤٨٢) المزرد : المفضليات ، ص ١٦٤ ب ١٤ .

٤٨٣ ـ ولما تَداَنوْا بالرِّمَاحِ تضَلَّعتْ
صدورُ القنا مِنهُمْ وعَلّتْ نِهالُها

٤٨٤ ـ نَجذُّ جهاراً بالسيوفِ رُءوسَهُمْ
وأرماُحنا مِنهمْ تُعَلُّ وتُنْهل

صور من الصانع والسم والحصير والسيل :

٤٨٥ ـ تصيحُ الرُّدَينِيّاتُ في حَجَبَاتِهِمْ
صِياحَ العَوالي في الثِّقــافِ المثقَّب

٤٨٦ ـ وإني لِمن قومٍ تَكونُ رِمــاُحهُمْ
لأعــدائِهِمْ في الحرب سُمًّا مُقَشَّبا

٤٨٧ ـ تَرَى قِصَدَ المُرَّانِ تَهوي مَكـانَها
تَذَرُّعَ خِرْصَانٍ بأيـــدي الشَّواطِب

٤٨٨ ـ كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ سَيْلٌ مُطِلٌّ وَأَمْسَاكٌ بِأيدي مُورِدِينــا

---

(٤٨٣) أنيف بن زبان : الحماسة (مصر) ج ١ ص ٤٩ . تضلعت : امتلأت شبعاً ورياً .

(٤٨٤) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ، ص ٧٧٨ .

(٤٨٥) عنترة العبسي. العقد الثمين ، ص ٣٥. والحجبات: جمع حجبة ، وهي رأس الورك.

(٤٨٦) ربيعة بن مقروم . المفضليات ، ص ٧٣٧ بـ ١٩ .

(٤٨٧) قيس بن الخطيم . ديوانه ص ١٢ بـ ١٥ . قصد : كسر . المران : الرماح . تذرع : قدر ذراع ينكسر . خرصان : جمع خرص (بضم الخاء) وهو كل قضيب أو غصن يابس أو رطب من رمح أو سعف . والشاطبة من النساء التي تشقق السعف ، وتأخذ قشرها الأعلى تعمل منه الحصر .

(٤٨٨) أمية بن أبي الصلت : ديوانه ، ص ٦٦ .

(د) السيف

سورة من السلاف :

٤٨٩ـ سُلَافُ حَديدٍ ما يزَالُ حُسامُه ذَليقاً وَقَدَّتْهُ القُرونُ الأَوائِل

صور من الملح :

٤٩٠ ـ أحْفِزُها عَني بِذي رَوْنَق مُهَنَّدٍ كَالْمِلْـحِ قَطَّاعِ

٤٩١ ـ مَنَعْنَا عَلى رَغْمِ القبائِل ضَيْمَنَا بمُرْهَفَةٍ كالمِلْحِ مُخْلَصَةُ الصَّقْل

٤٩٢ ـ كَلونِ المِلْحِ ضَرْبَتُه هَبيرٌ يَتِرُّ العَظْمَ سَقَّاطٌ سَرَاطي

٤٩٣ ـ بِذي شُطَبٍ كَلَونِ المِلحِ صافٍ
وَنَفسٍ لَا تَقَرُّ عَلَى القَبِيـحِ

صور من الغدير :

٤٩٤ ـ هَزَموا العِداةَ بِكُلِّ أَسْمَرَ مَارِنٍ
وَمُهنَّدٍ مِثْلَ الغَـديرِ يَمَاني

---

(٤٨٩) المزرد : المفضليات ، ص ١٧٥ بـ ٤٥ .

(٤٩٠) أبو قيس بن الأسلت : المفضليات ، ص ٥٦٧ بـ ٧ .

(٤٩١) حسان بن ثابت : ديوانه ص ٣٢٠ .

(٤٩٢) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ، ص ٩٣ بـ ٣١ .

(٤٩٣) عمرو بن الإطنابة : تاريخ ابن الأثير ، جـ١ ص ٣٠٩ .

(٤٩٤) المهلهل : شعراء النصرانية ص ٦١ .

٤٩٥ ـ أَبْيَض كالرَّجْعِ رَسُوبٌ إِذَا ... مَا ثَاخَ في مُحْتَفل يَخْتَلي
٤٩٦ ـ أَبَيْنَا الدَّيَانَ غَيْرَ بِيضٍ كأنَّها ... فُضُولُ رِجَاعٍ زَفْرَقَتْهَا السَّنائن

صورة من اللجين :

٤٩٧ ـ إذا سُلَّ مِن غمدٍ تأكَّلَ أَثْرُهُ ... عَلى مِثْلِ مِصْحَاةِ اللُّجَيْنِ تَأَكُّلا

صور من البرق :

٤٩٨ ـ شَدَدْنَا عَلَيْهِمْ والسُّيوفُ كأنَّها ... بِأَيْمانِنَا غَمَامَةٌ تَتَبَسَّمُ
٤٩٩ ـ وسَيفي كالعَقِيقَة وَهْوَ كِمْعِي ... سلاحي لا أَفَلّ وَلَا فُطَارا
٥٠٠ ـ وَبِيض كأَمثالِ العَقيقِ صَوَارِم ... تُصان ليومِ الدَّوْخِ فينا وَتُخْشَب
٥٠١ ـ كأنّها في الأَكُفّ إِذْ لَمَعَتْ ... وَمِيضُ بَرْقٍ يَبْدُو وَيَنكَسِف
٥٠٢ ـ وأبيضَ هِنديًّا كأنَّ غِرارَه ... تلألؤُ بَرْقٍ في حَبِيٍّ تَكَلَّلا

---

(٤٩٥) المتنخل الهذلي : شعر الهذليين ، ص ٨٦ ب ـ ٢٨ .
(٤٩٦) مالك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ، ص ١٥٦ ب ـ ١٦ .
(٤٩٧) أوس بن حجر : شعراء النصرانية ص ٤٩٥ .
(٤٩٨) عمرو بن الحثارم : المفضليات ، ص ١١٤ سطر ١٩ .
(٤٩٩) عنترة : العقد الثمين ، قصيدة ١١ ص ٣٨ . العقيقة : عقيقة البرق : ما انعق منه أي تسرب في السحاب . كمعي : ضجيعي ، يريد ملازم لي . فطار : فيه صدوع وشقوق .
(٥٠٠) الأعشى : قصيدة ٣٠ ب ـ ٢٧ ، العقيق : البرق الذي يستطيل في عرض السحاب، وقد أكثروا من استعارتها للسيوف حتى جعلوها من أسمائها . الدوخ : الذل ، من داخ الرجل إذا ذل وخضع . تخشب : تصقل .
(٥٠١) درهم بن يزيد الأوسي : ديوان حسان ، ص ٢٨٠ .
(٥٠٢) أوس بن حجر : شعراء النصرانية ، ص ٤٩٥ .

٥٠٣ ـ كأنَّما الآلُ في حَافَاتِ جَمعِهِمُ والبيضُ بَرقٌ بَدا في عارضٍ يَكِف

٥٠٤ ـ تَلوحُ بأيدِينا كَمَا لَاحَ بارقٌ
تَلَأْلَأَ في دَاجٍ مِنَ الليلِ حَالك

صور من الشهاب والنار :

٥٠٥ ـ والسُّمْرُ مَطْرُودةٌ مُثَقَّفَة والبِيضُ تَزْهي تَخَالُها شُهُبَا

٥٠٦ ـ تَدْعُو إِذَنْ حَامِي الْكُمَاةِ لَا كَسِلاً
إِذَا السُّيوفُ بِأَيدِي الْقَوْمِ كَالوَقَد

٥٠٧ ـ تَداركَ لَا يَتَّقي نَفْسَهُ بِأبيَضَ كالقَبَسِ الملْتَهِبْ

صورة من الورق :

٥٠٨ ـ وكالوَرَق الِخفافِ ، وَذَات غَرْبٍ
تَرَى فيهـا عَنِ الشَّرعِ ازْوِرَارا

---

(٥٠٣) الأعشى : ديوانه ، قصيدة رقم ١٦٤ بـ ٦ ص ٢٤٩ .
(٥٠٤) عباس بن مرداس : العقد الفريد حـ ٣ ص ٧٨ .
(٥٠٥) السموأل بن عاديا : ديوانه ص ١٩ بـ ٧ .
(٥٠٦) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٤٦ بـ ٢ .
(٥٠٧) عنترة : العقد الثمين ، ص ٣٥ . قصيدة ٣ بـ ٤ .
(٥٠٨) عنترة : العقد الثمين ، ص ٣٨ ، قصيدة ١١ بـ ٥ . غرب : حد . الشرع ما يشرع فيه . ازورار : ميل وانحراف .

صورة من الصبح :

٥٠٩ - لمَّا رأوْكَ وبُلجُ الصُّبْحِ وسْطَهُمُ
وكُلّ مُطّرِدِ الأُنبوبِ كالمَسَدِ

صورة من النمل والذر :

٥١٠ - كأنَّ مَدبَّ النَّملِ يتّبِعُ الرُّبا ومَدرَجَ ذَرٍّ خافَ بَرْداً فأسْهَلا
علَى صَفحتَيْهِ بعدَ حينِ جلائِه كفَى بالذي أبلَى وأنعَت مُنْصُلا

صورة من الشبث :

٥١١ - ترَى أثْرَه في صَفْحَتَيهِ كأنَّه مَدارِجُ شِبْثانٍ لهُنَّ هَميم

صورة من الناقة :

٥١٢ - يُعِدُّ لِيوم الرَّوْعِ زَغْفاً مُفاضَةً
دِلاصاً وذا غَرْبٍ أحَذَّ ضَرُوسا

---

(٥٠٩) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٤٧ ب - ١١ .

(٥١٠) أوس بن حجر : شعراء النصرانية ص ٤٩٥ .

(٥١١) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ٢٣٠ . أثر السيف : فرنده ، وهو وشبه الذي يكون على متنه . والشبثان : جمع شبث (بفتح الشين والباء) وهي دويبة ذات قوائم ست طوال ، صفراء الظهر وظهور القوائم ، سوداء الرأس ، زرقاء العين . وقيل هو دويبة كثيرة الأرجل عظيمة الرأس . والهميم : الدبيب .

(٥١٢) يزيد بن الخذاق : المفضليات ، ص ٥٩٨ ب - ٥ . والزغف : الدرع اللينة . والمفاضة : الواسعة . والغرب : الحد ، وأراد بذلك حد السيف . أحذ : خفيف ، والضروس : السيء الخلق في الإبل .

صورة من الفصاحة :

٥١٣ - بِهَا نَغَمُ الأَسْيافِ تَنْطِقُ بالصلَى
فَصِيحاتُ حَدٌّ ثائرات خَفَائِف

صورة من المجنون :

٥١٤ - مُنْتَخَبُ اللُّبِّ لَهُ ضَرْبَةٌ خَدْباءُ كَالْعَطِّ مِنَ الْخِذَعْلِ

صورتان من المخراق :

٥١٥ - كأَنَّ سُيُوفَنا فِينَا وَفِيهِمْ مخاريقٌ بأَيدي لَاعِبينا

٥١٦ - أجالدُهُمْ يومَ الحدِيقَةِ حاسِراً
كأَنَّ يَـــدِي بالسَّيفِ مِخراقُ لَاعِبِ

صور من العصا :

٥١٧ ـــ إِذَا الهندُوانِيّاتُ كُنَّ عِصِيَّنــــا
بها تَتأَبَّى كُلَّ رَأْسٍ ومَفْرَقِ

٥١٨ـــ غَدَوْنَا إِليهِمْ والسُّيوفُ عِصِيُّنا
بِأَيمانِنـــا نَفْلي بِهِنَّ الجماجِمَا

---

(٥١٣) البراق : شعراء النصرانية ص ١٤٦ .
(٥١٤) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ، ص ٨٦ بـ ٢٦ .
(٥١٥) عمرو بن كلثوم : المعلقة .
(٥١٦) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١٣ بـ ٢١ .
(٥١٧) سلامة بن جندل : ديوانه ص ١٥ .
(٥١٨) عبد المسيح بن عسلة : المفضليات ص ٦٠٧ بـ ٢ .

٥١٩ـ نُقِيم لها سوقَ الضِّرابِ وَنَعْتَصِي
بِأسيافِنا حَتَّى نُوجِّهَ خَالَها

(هـ) الدرع

صورة من السمك :

٥٢٠ ـ دِلَاص كَظهرِ النُّونِ لا يَستَطِيعُها
سِنانٌ وَلا تِلكَ الحِظَاءُ الدَّوَاخِل

صورة من المبرد :

٥٢١ ـ وَمشدودَةَ السَّكّ موضُونة تَضَاءلُ في الطَّيّ كَالمِبْرَدِ

صورتان من الجراد :

٥٢٢ ـ مُضَاعفَة يَغْشَى الأنَامِلَ فَضْلُها
كَأَنّ قَتِيرَيْهَا عُيونُ الجَنَادب

٥٢٣ ـ مُضَاعَفة تَخَيَّرَها سُلَيم كأن قَتيرَها حَدَقُ الجراد

---

(٥١٩) الأعشى : قصيدة ٧٢ بـ ٧ .
(٥٢٠) المزرد : المفضليات : ص ١٧٣ بيت ٣٩ .
(٥٢١) امرىء القيس : العقد الثمين ص ١٢٣ قصيدة ١٤ بيت ١٥ .
(٥٢٢) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١٢ بيت ١١ . والقتير : رؤوس المسامير لحلق الدرع.
(٥٢٣) عمرو بن معد يكرب : سمط اللآلى ، ص ٦٣ .

صورة من البقل :

٥٢٤ ــ مُداخَلَة مِن نَسْجُ داودَ سَكُّها
كَحَبِّ الجَنَــا مِن أَبْلَمٍ مُتَفلّق

صورة من السيل والماء والغدير :

٥٢٥ ــ تَفيضُ عَلى المرءِ أَرْدانُها كَفيضِ الأَتِيِّ عَلَى الجُدْجُد

٥٢٦ ــ والبَيْضُ حصْنٌ لَهمْ إذَا فَزعُوا
وَسَابِغَاتٌ كَأنَّهَا النُّطُفُ

٥٢٧ ــ إلَى الصُّرَاخِ وَسِرْبَالي مُضَاعفَةٌ
كَأنَّهَا مُفْرَطٌ بالسِّيِّ مَمْطُورُ

٥٢٨ ــ فألقَوْا لَنَا أرسَانَ كُلِّ نَجيبةٍ
وَسَابِغةٍ كَأنهَا مَتْنُ خِرْنِقُ

٥٢٩ ــ مُدرَّعاً رَيْطةً مُضَاعفَةً كالنِّهْي وَفَّى سَرَارَهُ الرَّهَم

---

(٥٢٤) سلامة بن جندل : ديوانه ص ١٥ .

(٥٢٥) امريء القيس : العقد الثمين ص ١٢٣ ، قصيدة ١٤ بيت ١٦ . والجدجد: الأرض الصلبة .

(٥٢٦) درهم يزيد الأوسي : ديوان حسان ص ٢٨٠ (في الهامش) .

(٥٢٧) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٦٣ . والسي : الفلاة . ومفرط : من أفرطه إذا ملأه بالماء حتى سال أو فاض .

(٥٢٨) سلامة بن جندل : ديوانه ص ١٥ .

(٥٢٩) الجميح الأسدي : المفضليات ص ٤٧ بيت ٩ . والريطة : الملاءة ، وأراد بها هنا الدرع . والنهي : الغدير . سراره : وسطه . الرهم : جمع رهمة (بكسر فسكون) وهي المطرة الخفيفة الدائمة . ووفته الرهم : ملأته .

٥٣٠ ــ وَدِلَاص كالنِّهي ذَات فُضُول
ذَاكَ في حَلْبَــةِ الحَوادِثِ مَالي

٥٣١ ــ وَبَيْضَاء كالنِّهي مَوْضُونَة لهَا قَوْنَسٌ فَوْقَ جَيْبِ الْبَدَنْ

٥٣٢ ــ أَعْدَدْتُ لِلأَعداءِمَوْضُونَةً فَضْفَاضَــةً كالنِّهْيِ بِالقَاع

٥٣٣ ــ لَبِسُوا مِنَ الماذيِّ كُلَّ مُفَاضَةٍ
كالنِّهْيِ يَوْمَ رِيَاحِــهِ الرَّقْرَاق

٥٣٤ ــ وَأَمْلَسَ حَوْلِيّاً كَنِهْيِ قَرارَةٍ
أحسَّ بِقاعٍ نَفْحَ رِيــحٍ فَأَجْفَلا

٥٣٥ ــ بِبَيْضَاء مِثْلِ النِّهْيِ رِيحَ وَمَدَّه
شَآبِيبُ غَيثٍ يَحْفِشُ الأُكْمَ صَائِف

٥٣٦ ــ أُعِدُّ لِلحَرْبِ كُلَّ سَابِغَةٍ فَضْفَاضَةٍ كالغَدِيرِ وَالْيَلَبَا

---

(٥٣٠) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٥٧ بيت ٩ .

(٥٣١) الأعشى : قصيدة رقم ٢ بيت ٧٤ . والقونس : البيضـــة ، أو المغفر ، وهو زرد ينسج على قدر الرأس ويلبس تحت القلنسوة . والجيب : فتحة الرأس . والبدن : الدرع القصير والموضونة : منسوجة حلقتين حلقتين .

(٥٣٢) أبو قيس بن الأسلت : المفضليات ص ٥٦٧ بيت ٦ .

(٥٣٣) سلامة بن جندل : ديوانه ص ١٤ .

(٥٣٤) أوس بن حجر : شعراء النصرانية ، ٤٩٤ .

(٥٣٥) ثعلبة بن عمرو : المفضليات ص ٥٦٢ بيت ٨ . ريح : أصابته الريح ، شآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . يحفش : يقشر . صائف : في الصيف .

(٥٣٦) السموأل بن عاديا : ديوانه ص ١٩ قصيدة ٧

٥٣٧ــ وزَغْف دِلَاص كماءِ الغَدير   تَوارثَهُ قبْلَهُ حِمْيَرُ

٥٣٨ــ وكُلّ دِلاصٍ كالأضاةِ حَصِينَــــة
ترَى فضْلَهـــا عَنْ ربِّها يَتَذَبْذَب

٥٣٩ــ وأَسْمَرَ خطّيٍّ وأَبيَض باترٍ   وزغفَ دلاصٍ كالغَديرِ المثوّب

٥٤٠ــ مُضَاعَفَةٌ كَأَضاةِ المَسِيـ   ـلِ تُغْشي على قَدَمَيْهِ فُضُولا

٥٤١ ـ كأنَّ غُضُونَهنَّ مُتُونُ غُدْرٍ   تُصفِّقهَا الرِّياحُ إذا جَرينَـــا

٥٤٢ــ كَمتنِ الغَديرِ زَهتْهُ الدَّبُورُ   يَجُرُّ المدَجّــجُ مِنْها فُضولا

٥٤٣ــ سَرابيلُنَا في الرَّوْعِ بيضٌ كأنها
أَضا اللُّوبِ هَزَّتْها مِنَ الرِّيح شَمْأَل

صورتان من الريح في الحصاد :

٥٤٤ــ تَخَشْخَشُ ابدانُ الحديدِ عَلَيْهِمُ
كما خَشْخَشتْ يُبْسُ الحَصَــادِ جَنُوبُ

---

(٥٣٧) خفاف بن عمير : الأغاني ج ١٦ص١٤٤.

(٥٣٨) الأعشى : قصيدة ٣٠ بيت ٢٨ . والاضاءة : غدير الماء . وفضل الدرع: ما فضل منها وزاد .

(٥٣٩) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٥٣ بيت ٦ . والزغف : الدرع الرقيقـــة النسج . والمثوب : الذي تصفقه الريح فيروح ويجيء ، وهو من ثاب يثوب اذا رجع .

(٥٤٠) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ، قصيدة ١١ ص ٨٨ بيت ٢٢ .

(٥٤١) عمرو بن كلثوم : المعلقة .

(٥٤٢) عبدالقيس بن خفاف البرجمي : الحماسة (مصر) ج ١ ص ٣١٣ . الغدير : القطعة من الماء يغادرها السيل . زهته : حركته .

(٥٤٣) أوس بن حجر : ديوان عامر بن الطفيل ، ص ١١٥ سطر ٣ .

(٥٤٤) علقمة الفحل : العقد الثمين ، ص ١٠٥ قصيدة ٣ بيت ٣٠ .

٥٤٥ـ لَها جَرَسٌ كَحَفِيفِ الْحَصَا ... دِ صَادَفَ بِاللَّيلِ رِيحاً دَبُورا

(و) البيضة

صورة من المصباح :

٥٤٦ـ كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمسِ في حَجَرَاتِهـــا
مَصَابِيحُ رُهْبانٍ زَهَتْها الْقَنَادِلُ

صورة من النار :

٥٤٧ـ ثُمَّ كَأَنَّ سَنَا الْقَوانِسِ فَوْقَهُمْ
نَارٌ عَلَى شَرَفِ اليَفَـــاعِ تَلَهَّبُ

صور من النجوم والكواكب :

٥٤٨ـ سَوَابِغُهُمْ بِيضٌ خِفافٌ ، وَفَوقَهُمْ
مِنَ البَيْضِ أَمثَـــالِ النُّجُومِ اسْتَقَلَّتِ

---

(٥٤٥) الأعشى : قصيدة ١٢ بيت ٤٧ . والجرس : صوتها حين يحتك بعضها ببعض . الحصاد : النبات الذي جف على سوقه ونضج .

(٥٤٦) المزرد : المفضليات ص ١٧٤ بيت ٤٣ .

(٥٤٧) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ١٤ بيت ١٣ . القوانس : هنـــا قوانس البيض ، وهي أوساطها في أعلاها . اليفاع : كل ما ارتفع من الأرض .

(٥٤٨) الأعشى : قصيدة ٤٠ بيت ١٠ ، سوابغهم : دروعهم السابغة أي التي تغطي سائر الجسد . استقلت : ارتفعت ، يشبه البيض في بريقه فوق رؤوسهم بالنجوم في السماء .

٥٤٩ ــ بِجَأْوَاءَ ، يَنْفي وِرْدُها سَرَعَانَهَـــا
كَأَنَّ وضِيحَ البَيْضِ فِيهـا الكَوَاكِبُ

٥٥٠ــ صَبَحْنَا بِها الآطَامَ حَوْلَ مُزَاحِمٍ
قَوانسُ أُولَى بَيْضِنَـــا كَالكَوَاكِبِ

صورة من الحصن :

٥٥١ــ والبيضُ حِصْنٌ لَهمْ إذَا فَزعوا   وَسَابِغَاتٌ كَأَنَّها النُّطُفُ

(ز) الترس

صورة من الشمس :

٥٥٢ ـ وَجَوْبٌ يُرَى كالشَّمْسِ في طَخْيَةِ الدُّجَا
وأبيضُ مَاضٍ في الضَّرِيبَـــةِ قَاصِلُ

---

(٥٤٩) الأخنس بن شهاب : المفضليات ص ٤١٩ بيت ٢٣ . والجأواء : الكتيبة الكثيرة الدروع . الورد : ما ورد الماء منها . سرعانها : المتسرعون منهـا الى الماء ، المتقدمون : أي من ورد بعد السرعان طرده عن الماء مخافة أن يضيق عنهم لكثرتهم . وضيح البيض : ما ظهر منها.
(٥٥٠) قيس بن الخطيم ، ديوانه ، ص ١٣ بيت ٢٦ ، ومزاحم : أطم من آطامهم .
(٥٥١) درهم بن يزيد الأوسي : ديوان حسان ، ٢٨٠ (في الهامش) .
(٥٥٢) المزرد : المفضليات ص ١٧٤ بيت ٤٤ .

٧ ـ الكتيبة والجيش

صورة من النجوم :

٥٥٣ـ قَومٌ إذا لَبِسُوا الحديدَ كأنهمْ
في البَيْضِ وَالْحَلَقِ الدِّلَاصِ نُجُومُ

٥٥٤ـ وَإذا دَعَوْا بِبَني رَبيعَةَ شَمَّروا
بكَتيبةٍ مِثْلِ النُّجوم تلَمْلَم

٥٥٥ـ بِكَتائبٍ تَرْدي تَعوَّدَ كَبْشها نَطْحَ الكِباشِ كأنهُنَّ نُجُوم

٥٥٦ـ ورَجْراجَة مِثْل لَوْنِ النُّجُو مِ لَا الْعُزْلُ فِيهَا وَلَا الْحُسَّرُ

٥٥٧ـ بأَنَّ بَني الوَخْمِ سَارُوا مَعاً بِجيشٍ كضَوءِ نُجُومِ السَّحَرْ

صور من الليل :

٥٥٨ـ فَانتجَعْنا الحَارِثَ الأَعْرَجَ في جَحْفَلٍ كَاللَّيْلِ خَطّارِ الْعَوالي

---

(٥٥٣) قتادة بن مسلمة : الحماسة (مصر) جـ ١ ، ص ٣٢٢ .

(٥٥٤) حميصة الشيباني : العقد الفريد جـ ٣ ص ٩٢ .

(٥٥٥) لبيد بن ربيعة : ديوانه ، ص ١٠٤ .

(٥٥٦) العباس بن مرداس : الأغاني جـ ١٦ ص ١٤٠ .

(٥٥٧) المرقش الأكبر : المفضليات ، ص ٤٨٢ بيت ٢ . وبنو الوخم : بنو عامر بن ذهل بن ثعلبة . وخص نجوم السحر لأن النجوم التي تطلع في آخر الليل كبار النجوم ودراريها.

(٥٥٨) عبيد بن الأبرص : ديوانه ، ص ٥٩ ب ٨ .

٥٥٩ ـ أَوْ تَزْجُرُوا مُكفَهِرًّا لَا كِفَاءَ لَهُ
كَاللَّيْلِ يَخْلِطُ أَصْرَامًا بِأَصْرَامِ

٥٦٠ ـ كأنَّما الأُسْدُ في عرينِهِمُ وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ جَاشَ في قَتَمِهْ

٥٦١ ـ لَمَّا أَتونَا كَأَنَّ اللَّيلَ يَقْدُمُهمْ مُطَبِّقُ الأَرْضِ يَغْشَاهَا بِهِمْ سَدَفُ

٥٦٢ ـ كُنْ كالسَّمَوْأَلِ إِذْ سَارَ الهُمَامُ لَهُ
في جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ

٥٦٣ ـ بِجَحْفَلٍ كَبَهِيمِ اللَّيلِ مُنْتَجِعٍ
أَرْضَ العدوِّ لُهَامٍ وَافِرِ الْعَدَدِ

٥٦٤ ـ ذَاكَ وَقَدْ عَنَّ لَهُمْ عَارِضٌ كَجُنْحِ لَيْلٍ في سَمَاءٍ بَرُوق

صور من الجبل :

٥٦٥ ـ يَوْمَ سِرْنَا إِلَى قَبَائِلِ عَوْفٍ بِجُمُوعٍ زُهَاؤُهَا كَالجِبَالِ

---

(٥٥٩) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٢٧ قصيدة ٢٦ ب ٦ .

(٥٦٠) رجل من حمير : الحماسة (مصر) جـ ١ ص ١٢٢ . والعرين : مأوى الأسد . والقتم : يطلق على الظلمة والغبار .

(٥٦١) الأعشى : قصيدة ٦٢ ب ٢٢ .

(٥٦٢) الأعشى : قصيدة ٢٥ ب ٥ .

(٥٦٣) عبيد بن الأبرص :ديوانه ص ٤٦ ب ٦ ، والبهيم : الأسود ، وإنما شبههم بالليل لأن الليل يغطي كل شيء . والمنتجع : الطالب .

(٥٦٤) المهلهل : شعراء النصرانية ، ص ١٧٣ .

(٥٦٥) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ، ص ٢٧٤ .

٥٦٦ ـ إذا جاءَ خصمٌ كالحِفافِ لَبوسُهُم
سَوابِغُ أبْدانٍ ورَيْطٌ مُعضَّدُ

٥٦٧ ـ ولمّا رأوْا نقْرَى تَسيلُ إكامُها
بأرْعنَ جرّارٍ وحامِيَةٍ غُلْبِ

٥٦٨ ـ إلى مِيعادِ أرْعَنَ مُكْفَهِرٍّ تُضمَّرُ في جوانِبِهِ الخُيُولُ

٥٦٩ ـ حتّى لحِقْنَا بِهِمْ تَعْدِي فوارِسُنَا
كأنَّنا رُعُنٌ قُفٌّ يَرْفَعُ الآلا

٥٧٠ ـ بأرعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ غَيْرِ أشابَةٍ
تَنَاجَزُ ألاهُ ولَمْ يَتَصَرَّمِ

٥٧١ ـ بأرعنَ كالطَّوْدِ مِنْ وائِلٍ يَؤُمُّ الثغُورَ ويُعتانُها

٥٧٢ ـ بجمعٍ كرُكْنِ الطَّوْدِ غير أشابَةٍ
إذا اعْتَمدُوا لا يُكثِرونَ التَّشاغِيَا

---

(٥٦٦) معقل بن خويلد الهذلي : شعر الهذليين ، ص ١٠٩ ب ٢ ،
(٥٦٧) مالك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ، ص ١٦٩ ب ٢ .
(٥٦٨) عبدالله بن غنمة : الحماسة (مصر) ج ١ ص ٤٢٢ .
(٥٦٩) الأعشى : ديوانه ، ص ٢٥٢ قصيدة ١٧٦ ب ١ .
(٥٧٠) أوس بن حجر : سمط اللآلىء ص ٤٦٠ .
(٥٧١) سلامة بن جندل : النقائض (مصر) ج ٢ ص ١٣٤ .
(٥٧٢) مالك بن نويرة : النقائض (مصر) ج ١ ص ٢٤٥ .

٥٧٣ ـ غَدَاةَ كَأَنَّنَا وَبَنِي أَبِينَا بِجَنْبِ عُنَيْزَةٍ رُكْنَا ثَبِيرِ

٥٧٤ ـ وصبَّحَهُمْ عِنْدَ الشُّروقِ كَتَائِبٌ
كأرْكانِ سَلْمَى سَيْرُهَا مُتَواتِرُ

٥٧٥ ــ يا وَيْلَ أُمِّكُمُ مِنْ جَمْعِ سَادَتِنَا
كَتَائِبٌ كَالرُّبَا وَالْقَطْرُ يَنْسَكِبُ

٥٧٦ ــ وَمَعَ الْجَوْنِ جَوْنِ آلِ بَنِي الأَوْ
سِ عَنُودٌ كَأَنَّهَا دَفْوَاءُ

٥٧٧ ـ نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةَ ذَاتَ حَدٍّ مُحَافَظَةً وَكُنَّا السَّابِقِينَا

٥٧٨ ــ هُمُ ضَرَبُوا عَنْ فَرْجِهَا بِكَتِيبَةٍ
كَبَيَاضِ حَرْسٍ فِي طَوائِفِهَا الرَّجْلُ

٥٧٩ ــ بِجَمْعٍ كَلَوْنِ الأَعْبَلِ الجَوْنِ لَوْنُهُ
تَرَى فِي نَوَاحِيهِ زُهَيْراً وَحِذْيَمَا

---

(٥٧٣) المهلهل : شعراء النصرانية ، ص ١٧٠ .
(٥٧٤) المعقر البارقي : النقائض (أوربا) ص ٦٧٦ .
(٥٧٥) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ، ص ٢٧٦ .
(٥٧٦) الحارث بن حلزة : المعلقة .
(٥٧٧) عمرو بن كلثوم : المعلقة .
(٥٧٨) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ، قصيدة ١٤ ، ص ٩٠ .
(٥٧٩) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٢٥ .

صورة من الرمل :

٥٨٠ـ عَلَى جُرْدٍ كأمثالِ السَّعالي ورَجْلٍ مِثْلِ أَهْمِيَةِ الْكَثِيبِ

صورة من الشجر الكثيف :

٥٨١ـ فانقضَّ مِثْلَ الصَّقْرِ يَقْدُمُهُ جَيْشٌ كَغُلّانِ الشَّرِيفِ لهمْ

صورة من شق القنوات :

٥٨٢ـ تَشُقُّ الحَزابيَّ سُلاَّفُنا كما شَقَّقَ الهاجِرِيُّ الدِّبارا

صور من النار :

٥٨٣ـ وَمُشْعِلَةٍ كالطيرِ نَهْنَهْتُ وِرْدَها إذا ما الجبانُ يَدَّعِي وَهْوَ عائِدُ

٥٨٤ـ إنَّ بني الأَوْسِ حينَ تَسْتَعِرُ الْ حَرْبُ لَكالنَّارِ تأكلُ الحَطَبا

٥٨٥ـ فجاؤوا عارِضاً بَرِداً وجِئْنا كما أضرمْتَ في النّارِ الوَقُودا

٥٨٦ـ فما جَبُنُوا أنّا نَشُدُّ عَلَيْهِمُ وَلكِنْ رَأَوْا ناراً تَحُسُّ وتَسْفَعُ

---

(٥٨٠) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ، ص ٧٩٦ .

(٥٨١) المرقش الأكبر : المفضليات ، ص ٤٩٠ ب ٢٢ .

(٥٨٢) عوف بن عطية : المفضليات ، ص ٨٤٤ ب ٢٩ والحذابي : الغليظ من الأرض . سلافنا : المتقدمون منا ، وذلك لكثرتهم . الهاجري : منسوب إلى هجر ، مدينة بالبحرين . والدبار : جمع دبرة ، وهي القطعة من الأرض تزرع ، أو النهر الصغير يشق فيها .

(٥٨٣) ضمرة بن ضمرة : المفضليات ، ٦٣٣ بيت ١ . والمشعلة : الكتيبة تشعل للحرب . نهنهت : كففت . يدعي ينتسب . عائد : منحرف .

(٥٨٤) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ص ٣١ ب ١٩ .

(٥٨٥) خداش بن زهير : الأغاني ج ١٩ ص ٧٨ .

(٥٨٦) أوس بن حجر : النقائض (مصر) ج ١ ص ٦٨ .

٥٨٧ـ خُزْرٌ عُيونُهم كأنَّ لَحْظَهُمْ   حَريقُ غابٍ تَرَى مِنهُ السَّنا قِطَعا

صورة من الدخان :

٥٨٨ـ تُباري الزِّجاجَ مَغاوِيرُها   شَماطيطَ في رَهَــجٍ كالدُّخَنْ

صورة من السراب :

٥٨٩ـ فَأَتبَعَهُمْ فَيْلَقاً كالسَّرا   بِ جَأْواءَ تُتْبِـعُ شُخْباً ثَعُولا

صورتان من البحر :

٥٩٠ـ ألم تَرَ أَننا مِرْدَى حُروبٍ   نَسيلُ كأننا دُفَّاعُ بَحْرِ

٥٩١ـ فما فَتِئُوا حَتّى رَأَونا كأننا   معَ الصُّبْحِ آذِيٌّ مِنَ البحْرِ مُزْبِدُ

صورة من الريح :

٥٩٢ـ مَلَكْتُ سَرَاها إلى صُبْحِها   بِشُعْثٍ كأَنَّهُمُ حَــاصِبُ

---

(٥٨٧) لقيط الأيادي : مختارات ابن الشجري .

(٥٨٨) الأعشى ، قصيدة ٢ بيت ٦٤ . الزجاج : جمع زج وهو الحديدة في أسفل الرمح. شماطيط : فرقاً وجماعات . الرهج : الغبار .

(٥٨٩) زهير بن أبي سلمى ، العقد الثمين ، قصيدة ١١ ص ٨٧ . فيلق : كتيبة . وشبههم بالسراب للون الحديد . جأواء : علاها لون صدأ الحديد . والشخب : اللبن من الخلف وهو أحد ضروع الناقة . والثعل : الزيادة في الضرع . شبه الكتائب التي يتبع بعضها بعضاً بالزوائد في الضروع .

(٥٩٠) بشر بن ابي خازم ، المفضليات ص ٦٤٠ بيت ٤ .

(٥٩١) مالك بن نويرة ، شعراء النصرانية ص ٢٥٩ .

(٥٩٢) معقل بن خويلد ، شعراء الهذليين ص ١١٣ بيت ٤ .

صور من السحاب :

٥٩٣ـ فإذَا رَأَيتُمْ عارِضاً مُتَلَبِّباً		مِنّا فإنّا لَا نُحاوِلُ مَـالَا

٥٩٤ـ في عَارِضٍ منْ وَائِلٍ إن تَلْقَـهُ
يَومَ الهِياجِ يَكُنْ مَسِيرُكَ أنكَدا

٥٩٥ـ إذا أقبلَتْ حِمْيَرُ في جَمْعِهَا		وَمَذْحِجٌ كالعارِضِ المُسْتَحِيق

صور من السحاب والريح :

٥٩٦ـ فَجَاءُوا عَارِضاً بَرِداً وَجِئْنا		كَهَيْجِ الرِّيحِ تَقْذِفُ بالغَمام

٥٩٧ـ ثُمَّ وَلَّوْا عِنْدَ الحَفِيظَةِ وَالصَّبْـ		ـرِ كَما تَطْحَرُ الجَنُوبُ الجهاما

٥٩٨ـ فَلَمّا رَأَوْنا بِالنِّسارِ كأننا		نَشاصُ الثريَّا هَيَّجتها جَنُوبُها

صور من السحاب والبرق :

٥٩٩ـ تَلَأْلُؤُ مُزنةٍ بَرَقَتْ لِأخرَى		إذَا حَجَلُوا بأسيافٍ رَدَينا

---

(٥٩٣) عبدالله بن جعدة الكلابي ، العقد الفريد جـ٣ ص ٦٢ .
(٥٩٤) الأعشى : قصيدة ٣٤ بيت ٤١ .
(٥٩٥) المهلهل : شعراء النصرانيه ، ص ١٧٢ .
(٥٩٦) معقل بن خويلد : شعر الهذليين ، ص ١٠٥ بيت ٥ .
(٥٩٧) الأعشى ، قصيدة ٣٨ بيت ١٩ . الحفيظة : الغضب فيما يجب صونه والدفاع عنه . تطحر : تدافع وتقذف . الجهام : السحاب .
(٥٩٨) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٤٣ بيت ١١ . نشاص الثريا : ما ارتفع من السحاب بنوئها ، شبه الكتيبة في كثرتها بهذا السحاب ، وإذا كان مع السحاب ريح كان اكثر.
(٥٩٩) عبد الشارق بن عبدالعزى : الحماسة (مصر) جـ ١ ص ١٧٢ .

٦٠٠ ـ ومَوقفُنَا في غيْرِ دَارِ تَثِيَّةٍ وَمُلْحَقُنَا بالعَارِضِ المتــألِّق

٦٠١ ـ فإن يَكُ عَبــدُ الله لاقى فَوارساً
يَرُدُونَ خَالَ العارِضِ المتوقِّد

٦٠٢ ـ يَطيبُ لَهُ أَوِ افْــتِراصٌ بِسَيْفِهِ
عَلى دَهَشٍ في عَارِضٍ مُتوَقــد

٦٠٣ ـ ذَاكَ وَقَدْ عنَّ لَهُمْ عَارِضٌ كَجُنْحِ لَيْلٍ في سَمَاءِ بَرُوق

٦٠٤ ـ كأنَّما الآلُ في حَـــافَاتِ جَمْعِهِمُ
والبَيْضُ بَرْقٌ بَدَا في عارضٍ يَكِفُ

صورة من الرعد والبرق :

٦٠٥ ـ فأصبَحُوا ثُمَّ صفُّوا دُونَ بَيْضِهِمُ
وَأَبْرقُوا سَاعةً مِنْ بَعْدِ مَا رَعَدُوا

صور من السحاب والبرد :

٦٠٦ ـ فَجَاءُوا عَارضاً بَرِداً وَجِئْنا كَهَيْجِ الرِّيح تَقْذِفُ بالغَمامَ

---

(٦٠٠) سلامة بن جندل : ديوانه ص ١٥ .

(٦٠١) عنترة : العقد الثمين ، ص ٣٧ قصيدة ٨ بيت ٤ .

(٦٠٢) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ص ٨٢ قصيدة ٢ . افترص : قطع وضرب . دهش : عجلة ، أي يحمل على عجلة . متوقد : أي من الحديد والسلاح .

(٦٠٣) المهلهل ، شعراء النصرانية ، ص ١٧٣ .

(٦٠٤) الأعشى : ديوانه ، ص ٢٤٩ ، قصيدة ٨٦٤ بيت ٦ .

(٦٠٥) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ، ص ٢٧٧ .

(٦٠٦) معقل بن خويلد : شعر الهذليين ص ١٠٥ ب ٨ ،

٦٠٧ ـ جَاءتْ بنُو الْأَوْسِ عَارِضاً بَرِداً
تَحْلِبُه الرِّيحُ مُقبِلاً حَلبا

٦٠٨ ـ فجاءوا عَارِضاً بَرِداً وَجِئنا كَمِثْلِ السَّيْلِ نَرْكبُ وَازِعينَا

٦٠٩ ـ فجاءوا عَارِضاً بَرِداً وَجِئْنَا كَمَا أَضْرَمْتَ في النَّارِ الوَقُودَا

صور من السحاب الممطر :

٦١٠ ـ فلما دَنوْا صُلْنا فَفَرَّقَ جَمْعَهمْ سَحَابَتُنا تَنْدَى أَسِرَّتُها دَمَا

٦١١ ـ لَجِب إِذَا ابتدُّوا قَنابلَه كنَشَاصِ يَومِ المِرْزَمِ السَّجْمْ

٦١٢ ـ يا ويلَ أُمِّكُمُ مِنْ جَمْعِ سَادَتِنَا كَتائبُ كالرُّبَا وَالقطْرُ يَنْسكِب

٦١٣ ـ أَجَادَتْ وَبْلَ مُدْجِنةٍ فَدرَّتْ عَلَيْهمْ صَوْبَ سَارِيةٍ دَرُورُ

٦١٤ ـ غَدَاةَ رَأَونا بِالعَرِيفِ كأننا حَبِيٌّ أَدَرَّتْهُ الصَّبا مُتَهلِلُ

---

(٦٠٧) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٣١ ب ١٧ .

(٦٠٨) عبد الشارق بن عبد العزي : الحماسة (مصر) جـ ١ ص ١٧٠ .

(٦٠٩) خداش بن زهير : الأغاني جـ ١٩ ص ٧٨ .

(٦١٠) جساس بن نشبة : الحماسة (مصر) جـ ١ ص ١٢٤ . سحابتنا : جيشنا الذي كأنه سحابة . تندى : ترشح . الاسرة : الاوساط والطرائق .

(٦١١) الجميح : المفضليات ، ص ٧١٨ بيت ٧ . واللجبة : ذو الأصوات . ابتدوا : أخذوا بجانبه . القنابل : الجماعات . النشاص : ما ارتفع من السحاب . المرزم . نجم له نوء . السجم : السائل .

(٦١٢) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ، ص ٢٧٦ .

(٦١٣) هلال بن رزين : الحماسة (مصر) جـ ١ ص ١٢٦ . أجادت : أرسلت ، الوبل : المطر الشديد . المدجنة : السحابة الكثيفة المظلمة . والدرور : الكثيرة الدر . وهو فاعل درت .

(٦١٤) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ، ص ٧٧٨ . وأدرت للريح السحاب : جلبته .

صور من السيل :

٦١٥ - فجاءوا عارِضاً بَرِداً وَجئْنا كَمِثْلِ السَّيْلِ نَركَبُ وازِعِيْنا
٦١٦ - وَجِئْنا إليهِمْ كَمَوْجِ الْأَتِيْ يِ يَعْلُو النِّجادَ ويَملَا المسِيلَا
٦١٧ - إِذَا فَزِعوا مَدُّوا إلى الميل صَارِخاً
كَموج الأَتِيِّ المُزْبدِ المتراكِب
٦١٨ - أَرْعن مِثْلَ الأَتِيِّ أَعقَبَه صوبٌ مُلِثٌّ يُسَيِّلُ الْحَدَبا
٦١٩ - لَهمْ عَدْوَةٌ كَانْقِصَافِ الأَتِيْـــيِ مُدَّ بِهِ الْكَدَرُ اللَّاحِب
٦٢٠ - وَعادِيةٍ وَزَعْتُ لَهَا حَفيفٌ حفيفٌ مُزْبِدُ الأَعْرَافِ غَاطي
تَمُدُّ لَهُ حَوَالِبُ مُشعِلَات يُجَلِّلُهنَّ أَقْمَرُ ذُو انْعِطَاطِ

صورة من الأشطان :

٦٢١ - جعلْنا قُشَيراً غايةً يُهتدَى بِها كما مَدَّ أَشْطَانَ الدِّلاءِ قَلِيبُها

---

(٦١٥) عبد الشارق بن عبد العزى : الحماسة (مصر) ج ١ ص ١٧٠ .
(٦١٦) الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٧٠ . والاتي : سيل يأتيك ، ولا يصيبك مطر .
(٦١٧) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ص ١٢ ب ١٤ . والصارخ : المميت .
(٦١٨) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١٢ ب ١٨ . أرعن : جيش يشبه برعن الجبل ، وهو أنف منه متقدم . أعقبه : جاء بعـــده . صوب ملث : مطر دائم ، ويقال : ألثت السماء إذا دام مطرها .
(٦١٩) معقل بن خويلد : شعر الهذليين ، ص ١٣٣ ب ٥ .
(٦٢٠) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ، ص ٩٢ .
(٦٢١) بشر بن أبي خازم ، المفضليات ، ص ٦٤٣ بيت ١٧ ، والقليب : البئر . يقول: قصدنا إليهم لا نلتوي يميناً ولا شمالاً كما مد الحبل في البئر .

صورتان من الرحى :

٦٢٢ ـ وَدُرْنا كَمَا دَارَتْ على قُطْبِها الرَّحى
وَدارتْ على هَام الرِّجالِ الصَّفائح

٦٢٣ ـ صَبَّحُوا فَارِسَ في رَأْدِ الضُّحَى
بِطَحُون فَخمَةٍ ذَاتِ صَبَحْ

صورة من الإيوان :

٦٢٤ ـ ويَحْمي الحيَّ أرْعَنُ ذُو دُروعٍ
مِن السُّلَّافِ تحْسَبُه إوَانَا

صورة من الخمار :

٦٢٥ ـ وجَلَّلنَ دَمْخاً قِناعَ الْعَرُو   سِ أَدْنَتْ عَلى حَاجِبَيْها الخِمارا

صورة من الأسنة :

٦٢٦ ـ فيها فَوارِسُ محمودٌ لِقاؤُهُمُ   مثلُ الأسنةِ لاَ مِيلٌ ولاَ كُشُف

---

(٦٢٢) عنترة ، العقد الثمين ، ص ٣٦ قصيدة ٧ بيت ١٣ .

(٦٢٣) الأعشى ، قصيدة ٣٦ بيت ١٢ رأد الضحى ورائد الضحى : وقت ارتفاع الشمس، والرأد والرود : الشابة. صبح : بريق الحديد .

(٦٢٤) الأعشى ، قصيدة ٢٧ بيت ٦ . سلاف العسكر : مقدمته وخيره . الإوان : بيت مرتفع البناء غير مسدود الوجه ، وهو فارسي معرب .

(٦٢٥) عوف بن عطية ، المفضليات ، ص ٨٤٤ بيت ٤١ . جللن : غطين . دمخ : جبل، يريد أنهم غطوا هذا الجبل بجيشهم .

(٦٢٦) الأعشى ، قصيدة رقم ١٥٤ بيت ٤ ص ٢٤٩ .

صورة من السامر :

٦٢٧ـ حَبَتْ دُونَهمْ بَكْرٌ فَلَم نستَطِعْهمُ
كأنهمُ بالمَشْرَفِيَّةِ سَامِر

صورة من الجراد :

٦٢٨ـ رِعَالا كأمثال الجرادِ لِخَيلِهمْ عُكوبٌ إذا ثابَتْ سَرِيعٌ نُزولُها

٦٢٩ـ فلم ينتَبِهْ حتَّى أَحاط بِظهرِه حسابٌ وسِرْبٌ كَالجرادِ يَسُوم

٦٣٠ ـ ألاَ تخافُونَ قوماً لاَ أبالَكُمُ
أمْسَوْا إليْكُمْ كأمثالِ الدَّبا سِرَعا

صورة من القطا :

٦٣١ ـ ونحنُ حُماةَ الحرْبِ ليستْ تَضُرُّنا
نسوقُ خَميساً كالْقطا مُتَبَدِّدَ

---

(٦٢٧) خداش بن زهير ، الاغاني ج ١٩ .

(٦٢٨) الاعشى . قصيدة ٢٣ بيت ١٢ . الرعال : جمع رعيل ، وهو القطعة المتقدمة من الخيل والرجال وغير ذلك. عكوب : غبار وأصوات من عكبت الإبل أي ازدحمت ، واعتكب الغبار : ثار . ثابت : رجعت .

(٦٢٩) ساعدة بن جؤية ، ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ٢٢٩ . سرب : قطيع رجال. يسوم : يسرح . حساب : عدد كثير .

(٦٣٠) لقيط الايادي ، مختارات ابن الشجري .

(٦٣١) قيس بن الخطيم ، ديوانه ، ص ٤١ ، قصيدة ٢٤ ، بيت ٦ .

صورة من النحل :

٦٣٢ ـ فَباتوا يَسُنُّون لِزِّجاجَ كأَنَّهمْ
إِذَا مَا تنادَوْا خَشْرَمٌ مُتَحَدِّب

صور من الطير :

٦٣٣ـ وَمُشْعِلَة كالطير نهنهتُ وِرْدَها إِذا مَا الجبانُ يَدَّعِي وَهو عَانِد
٦٣٤ـ كأَنَّ السَّرَايَا بين قوٍّ وَقَارَةٍ عَصائبُ طَيرٍ يَنْتَحِينَ لِمَشْرَب
٦٣٥ـ تَلْمَعُ لَمْعَ الطَّيْرِ رَاياتُهُ عَلى أَواذِي لُجٍّ بَحْرٍ عَميق
٦٣٦ـ بِمُعَضَّلٍ لَجِبٍ كأَنَّ عُقَابَه في رَأسِ خُرْصٍ طَائرٍ يَتَقلَّب
٦٣٧ـ فما بَرِحُوا حَتَّى رأوا في دِيارِهِم
لِواءً كظلِّ الطائِرِ المتقلِّب
٦٣٨ـ كتائبُ تُزْجَى فوق كل كَتيبةٍ
لواءً كظلِّ الطائِرِ المتقلِّب
٦٣٩ـ كتائبَ شُهْباً فوقَ كُلِّ كَتيبةٍ لواءً كظلِّ الطائِرِ المتصرِّف

---

(٦٣٢) طفيل الغنوي ، ديوانه ، ص ٢١ ، بيت ٧ .
(٦٣٣) ضمرة بن ضمرة ، المفضليات ص ٦٣٣ بيت ١ .
(٦٣٤) عنترة ، العقد الثمين ، ٣٥ ، قصيدة ٤ .
(٦٣٥) المهلهل ، شعراء النصرانية ، ص ١٧٣ .
(٦٣٦) عبيد بن الأبرص ، ص ١٥ بيت ٢١ ، والمعضل : الجيش الكثير يضيق به المكان لكثرته ، عقابه : رايته . والخرص : سنان الرمح .
(٦٣٧) طفيل الغنوي . ديوانه ص ١٣ بيت ٥٦ .
(٦٣٨) عنترة العبسي : العقد الثمين ص ٣٥ قصيدة ٤ .
(٦٣٩) عنترة العبسي ، العقد الثمين ص ٤٠ قصيدة ١٥ بيت ١٠ .

صور من العقاب والصقر :

٦٤٠ـ كَفَوْا إذْ أتى الهامرزُ تخفقُ فوقه
كظلِّ العُقابِ إذْ هَوتْ فتدلَّت

٦٤١ـ لها فَرَطٌ يحْوي النهابَ كأنه لوامعُ عِقبانٍ مَرُوعٍ طريدُها

٦٤٢ـ تَبيتُ كعِقْبانِ الشُّرَيْفِ رِجالُه إذَا مَا نوَوْا إحْداثَ أمرٍ مُعَطَّبِ

٦٤٣ـ عَوْداً على بَدْءٍ كَرّ مَا يَبينُهُم كرَّ الصُّقُورِ بَنَاتِ الماءِ تَختَطِفُ

٦٤٤ـ ومَرْبَأةٍ أوْفَيْتُ جُنْحَ أصِيلَةٍ عَلَيها كَما أوْفَى القَطَاميُّ مَرْقَبا

صور من الثور :

٦٤٥ـ كَغَماغِمِ الثِّيرانِ بَيْنَهُمُ ضَرْبٌ تُغَمِّضُ دُونَه الحِدَقُ

صور من الإبل :

٦٤٦ـ وَسارتْ رِجالٌ نحو أخرى عَليهِمُ الْـ
حَديدُ كما تَمْشِي الجِمَالُ الدَّوالِحُ

---

(٦٤٠) الاعشى : قصيدة ٤٠ بيت ٧ . والهامرز : أحد قادة كسرى في يوم ذي قار .

(٦٤١) المثقب العبدي ، المفضليات ص ٢٠٩ بيت ٢٢ . الفرط : المتقدمون من الكتيبة ، يحوي النهاب : يجمع الأسلاب . لوامع العقبان : أجنحتها . مروع : من راعه إذا أفزعه .

(٦٤٢) طفيل الغنوي ، ديوانه ص ٤ بيت ١٢ .

(٦٤٣) الأعشى ، ديوانه ص ٢٤٩ ، قصيدة رقم ١٦٤ بيت ٨ .

(٦٤٤) ربيعة بن مقروم ، المفضليات .

(٦٤٥) المسيب بن علس ، ديوان الاعشى ص ٣٧٥ .

(٦٤٦) عنترة ، العقد الثمين ص ٣٦ قصيدة ٧ بيت ١٠ .

٦٤٧ـ وقدْ رَجعَتْ دُودَانُ تبغي لثأرِها
وَجاشَتْ تميمٌ كالفُحولِ تُخاطِر

٦٤٨ـ عَطَفْنا لهُم عطفَ الضروسِ مِنَ الملا
بشَهباءَ لا يَمشي الضَّراءَ رَقيبُهـا

٦٤٩ـ عَطفْنا لَهُمُ عَطفَ الضروسِ فأدبَرُوا
شِلالًا وقَدْ بَلَّ النَّجيـعُ السَّنابِكا

٦٥٠ـ فغَدوْنا عَلَيْهِمُ بكَرَ الوِرْ دِ كَما تُورِدُ النَّضيحَ الْهِيَامــا

٦٥١ـ إذا همَّ جمعٌ بانصِرافٍ تعطَّفوا تَعطُّفَ وِرْدِ الخِمْسِ أَطَّتْ رِباعُها

صورة من الضرع :

٦٥٢ـ فَأَتْبَعَهُمْ فَيْلَقاً كَالسَّرَا بِ جأواءَ تُتْبِع شُخْباً ثَعُولا

صورتان من النمر :

٦٥٣ـ وَنَلبسُ للعدوِّ جلودَ أسدٍ إذا نَلْقَـاهُم وَجلودَ نُمْر

---

(٦٤٧) المعقر البارقي ، النقائض (أوربا) ص ٦٧٦ بيت ٦ .

(٦٤٨) بشر بن أبي خـازم ، المفضليات ص ٥٢ بيت ١١ . شلالا : هرابا . النجيع : الدم . والسنابك : جمع سنبك وهو مقدم الحافر .

(٦٥٠) الاعشى ، قصيدة ٣٨ بيت ١٤ . البكر (بالتحريك) والبكرة (بضم فسكون) واحد ، وهو أول الصبح ، وهنا ظرف زمان . والنضيح : الحوض ، لانه ينضح عطش الإبل حين تشرب منه . الهيام : العطاش .

(٦٥١) قيس بن الحطيم ، ديوانه ص ٢٥ بيت ٤ . أطت : حنت . وأطيط الإبل : زفيرها من البطنة . والورد : الإبل الواردة . والخمس : أن تشرب الإبل الماء يوماً ، وتدعه ثلاثة أيام ثم ترد الماء في اليوم الرابع .

(٦٥٢) زهير بن أبي سلمى ، العقد الثمين ، ص ٨٨ قصيدة ١١ بيت ١٤ .

(٦٥٣) بشر بن أبي خازم ، المفضليات ص ٦٤٠ بيت ٦ .

٦٥٤ ـ فَعارَكْنا الكُماةَ وَعارَكونا عِراكَ النُّمْرِ عارَكَتِ الأُسُود

صور من الأسد :

٦٥٥ ـ وَلَو قامَ لَم يَلْقَ الأحِبَّةَ بَعْدَها وَلاقَى أُسوداً هَصْرُها وَدِفاعُها

٦٥٦ ـ وَمَعي أسودٌ مِن حَنيفَةَ في الوَغى
لِلبَيْض فَوقَ رُؤوسِهِمْ تَسْوِيمُ

٦٥٧ ـ وَنَلْبَسُ للعدوّ جُلود أُسْد إذا نلقاهُمُ وجلودَ نُمر

٦٥٨ ـ مَشينَا مِشيَةَ اللَّيثِ غَدَا واللَّيثُ غَضبانُ

٥٦٩ ـ بِرِجالٍ كَاللّيثِ حَرَّبَها الزَّجْرُ وَخَيلٍ مَا تُنْكِرُ الإِقْدَامَا

٦٦٠ ـ وَرَأَوْا عُقابَهُمُ المُدِلَّةَ أَصبحت
نُبِذَتْ بأَفضَحَ ذِي مَخالِبَ جَهْضَمِ

٦٦١ ـ وَكُنّا بِها أَسَداً زَائِراً أَبى لا يُحاوِلُ إلاَّ سِوَارا

---

(٦٥٤) خداش بن زهير . الاغاني ج ١٩ ص ٧٨ .
(٦٥٥) قيس بن الخطيم ديوانه ص ٢٥ بيت ٢ .
(٦٥٦) قتادة بن سلمة ، الحماسة (مصر) ج ١ ص ٣٢١ . والتسويم : التأثير والعلامة .
(٦٤٧) بشر بن أبي خازم ، المفضليات ، ص ٦٤٠ بيت ٥ .
(٦٥٨) الفند الزماني ، ديوان الحماسة . غدا : ابتكر .
(٦٥٩) الاعشى ، قصيدة ٣٨ بيت ١٥ . حربها : أغضبها . الزجر : الطرد مع صوت .
(٦٦٥) بشر بن أبي خازم ، المفضليات ، ص ١٨٢ بيت ١٥ . والافضح : أسد فيه حمرة وبياض . جهضم : قوي شديد .
(٦٦١) عوف بن عطية ، المفضليات ص ٨٤٥ بيت ٣٥ ، زائر : من الزئير . يحاول : يطالب . سوار : مساورة وهي المواثبة .

٦٦٢ ـ فِدىً لِبَني شَقيقٍ حِينَ جاؤا　　كأُسْدِ الغابِ تَجْلُبُ بالزئـير
٦٦٣ ـ كأنَّما الأُسْدُ في عَرِينِهِمْ　　ونَحنُ كاللَّيْلِ جاشَ في قَتَمِهْ
٦٦٤ ـ وكَتيبةٍ سُفْعِ الوجوهِ بَواسِلٍ　　كالأُسْدِ حينَ تَذُبُّ عنْ أشبالها
٦٦٥ ـ فعارَكْنا الْكماةَ وعارَكُونا　　عِراكَ النُّمْرِ عارَكَتِ الأُسُودَا

٨ ـ الموقعة

(ا) الطعن

صور من الهدية :

٦٦٦ ـ ونحنُ حَبَوْنَا الجعفريَّ بِطعنةٍ　　تمجُّ نجيعاً من دمِ الجَوْفِ أحمرا
٦٦٧ ـ نحبُو الكتيبةَ حِينَ تفترشُ القَنا　　طَعناً كإلهابِ الحَريقِ المُضْرَمِ
٦٦٨ ـ إلى أخوالِهِمْ طَيّ فأهْدَوْا　　لهُمْ طَعْناً مِنَ العُنْوانِ وَاري

---

(٦٦٢) المهلهل ، شعراء النصرانية ص ١٧٥ .
(٦٦٣) رجل من حمير ، الحماسة (مصر) جـ١ ص ١٢٢ .
(٦٦٤) باعث بن صريم ، الحماسة (مصر) جـ ١ ص ٢٠٨ . سفع : اسودت وجوههم من الشمس .
(٦٦٥) خداش بن زهير ، الأغاني جـ ١٤ ص ٧٨ .
(٦٦٦) حرقوص المري ، المفضليات ص ٣٣ بيت ١ .
(٦٦٧) سنان بن أبي حارثة ، المفضليات ص ٦٨٩ بيت ٣ . تفترش : تتفارش أي تتداخل ويقع بعضها على بعض .
(٦٦٨) البراق : شعراء النصرانية ، ص ١٤٣ .

٦٦٩ — جَادتْ يدايَ لهُ بعَاجلِ طَعْنَةٍ ... بمثقَّفٍ صَدْقِ القنـــاةِ مقوَّمِ

صورتان من تشقيق الجلد :

٦٧٠ — فتخالسا نفسيْهما بنوافذٍ ... كنوافــذِ العُبْطِ التي لا تُرْقَع

٦٧١ — بضربٍ في الجماجمِ ذي فروغٍ ... وطَعنٍ مثلِ تعطيطِ الرِّهاطِ

صورتان من جيب الحمقاء :

٦٧٢ — كَجَيْبِ الدِّفْنِسِ الوَرْهَا ... ءِ رِيعتْ وَهْيَ تَسْتَفْـــلِي

٦٧٣ — كجيبِ الدِّفنسِ الوَرْها ... ءِ رِيعتْ بَعْـــدَ إجْفَال

صورة من النابل :

٦٧٤ — نَطْعَنُهُمْ سُلْكَى ومَخْلوجةً ... كَرَّكَ لأْمَيْنِ عَـــلَى نَـــابِلِ

صورة من النار :

٦٧٥ — ولَوْ تَصَبَّرَ لي حَتَّى أُخالِصَهُ ... أَسْعَرْتُه طَعْنةً كَالنَّارِ بِالزَّنْد

---

(٦٦٩) عنترة ، العقد الثمين ص ٤٧ .

(٦٧٠) أبو ذؤيب الهـــذلي ، المفضليات ، ص ٨٨٠ بيت ٦٢ . والعبط ، جمع عبيط ، وأصل العبط : شق الجلد الصحيح ، ونحر البعير من غير علة . لا ترقع : أي لا يمكن ترقيعها .

(٦٧١) المتنخل الهذلي ، ديوان الهذليين ص ٩٢ بيت ٢٤ ،

(٦٧٢) المسيب بن علس ، ديوان الأعشى ، ص ٣٤٨ قصيدة ١٨ بيت ٢ .

(٦٧٣) الفند الزماني : شعراء النصرانية ص ٢٤٣ ، والدفنس : الحمقاء . والورهاء : قليلة العقل . ريعت : أخيفت ، والمعنى أن هذه الطعنة لقوتها إتسع محلها كاتساع جيب المرأة الحمقاء التي تسرع في المشي وهي خائفة ، وربما مزقت جيبها في هذه الحالة .

(٦٧٤) امرؤ القيس ، العقد الثمين ص ١٥١ قصيدة ٥١ .

(٦٧٥) زيد الخيل ، الأغاني ج ١٦ ص ٥٤ ،

٦٧٦ ــ نَحبُو الكتيبةَ حِينَ تفترشُ القَنَا
طعنــاً كالهابِ الحريقِ المُضْرَمِ

٦٧٧ ــ بمشعِلَة يَغْشَى الفِرَاشَ رَشَاشُها
يَبيتُ لَهــا ضَوءٌ مِن النّارِ جاحِمُ

صورة من الإبل :

٦٧٨ ــ ورَدَّ سَراةَ الأوس إذ جاءَ جَمْعُهُم
بِطَعْنٍ كأفوَاهِ المخيَّسَةِ الهُــدْلِ

٦٧٩ ــ بطعنٍ كَرَمْحِ الشَّوْلِ أمسَتْ غَوارِزاً
جَواذِبهــا تَأْبَى عَلى المتَغَبِّرِ

٦٨٠ ــ بطعنٍ كإيزاغِ المخاضِ رَشاشه وضربٍ كتشقيقِ الحصيرِ المشقّقِ

٦٨١ ــ بضربٍ يُزيلُ الهامَ عن سَكَنَاتِه
وطعنٍ كإيزاغِ المخاضِ الضَّوارِبِ

---

(٦٧٦) سنان بن أبي حارثة : المفضليات ص ٦٨٦ بيت ٣ .
(٦٧٧) الأعشى : قصيدة ٩ ، بيت ٣١ . ومشعلة : طعنة واسعة يتفرق منها الدم مندفعاً. جاحم : متوقد . وكانوا يوقدون عند المطعون ليعرف حاله في كل ساعة .
(٦٧٨) حسان بن ثابت : ديوانه ص ٣٢٠ .
(٦٧٩) أبو جندب الهذلي : شعر الهذليين ص ٩١ بيت ١٠ .
(٦٨٠) مالك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ص ١٧٦ بيت ٧ .
(٦٨١) النابغة الذبياني : العقد الثمين ص ٢ قصيدة ١ بيت ٢٢ .

صور من المزادة :

٦٨٢ ـ فرددناهم بطعن كما يخرج من خربة المزاد الماء

٦٨٣ ـ ومن دونه طعن كأن رشاشه عزالى مزاد والأسنة ترزم

٦٨٤ ـ وبطعن لنا نوافذ فيهم كأفواه المزاد يروي الشليلا

٦٨٥ ـ وطعن كفم الزق غذا والزق ملآن

٦٨٦ ـ بضرب تظل الطير فيه جوانحا وطعن كأفواه المزاد المفتق

٦٨٧ ـ والطاعن الطعنة النجلاء تحسبها
شنا هزيما يمج الماء مخروقا

٦٨٨ ـ برماحة تنفي التراب كأنها هراقة عق من شعيبي معجل

صورة من النسيج :

٦٨٩ ـ فجئت إليه والرماح تنوشه
كوقع الصياصي في النسيج الممدد

---

(٦٨٢) الحارث بن حلزة : المعلقة . خربة المزاد : ثقبها . والمزاد جمع مزادة ، وهي زق الماء خاصة .

(٦٨٣) المسيب بن علس : ديوان الأعشى ص ٣٥٨ قصيدة ٢١ بيت ٤ .

(٦٨٤) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٢٨٠ .

(٦٨٥) الفند الزماني : الحماسة (مصر) ج ١ ص ١١ . غذا : سال ، شبه الطعنة إذا سال منها الدم بفم الزق إذا سال منه الخمر .

(٦٨٦) سلامة بن جندل . ديوانه ص ١٥ .

(٦٨٧) الأسود بن يعفر : شعراء النصرانية ص ٤٨٠ .

(٦٨٨) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٣٩ بيت ٣٢ .

(٦٨٩) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٥٧ .

(ب) الضرب

صورة من الرفد :

٦٩٠— فإن تَسيرُوا إلينا تُرفَدُوا عجَلاً
ضَرْباً يَظَـــلُّ على هَامَاتِكُمْ يَقِدُ

صورة من الكسوة :

٦٩١ ـــ كسوْتُ الجعفريَّ أبا جُزَيء وَلَمْ تَحْفلْ بِهِ ، سيفاً صَقِيلا

صورة من تشقيق الجلد :

٦٩٢ ـ يُجدِّلونَ ملوكاً في طَوائفِهِمْ
ضَرْباً خَرَادِيل كالتَّشقيقِ في الأَدَمِ

صورتان من عمل الحصر :

٦٩٣ـــ إذَا أدرَكوهُمْ يَلْحقُونَ سَرَاتَهم
بضَربٍ كمَا جَدَّ الحصيرَ الشَّواطبُ

(٦٩٠) البراق : شعراء النصرانية ص ١٤٤ ،
(٦٩١) قيس بن زهير : أيام العرب ، ص ٢٤٥ .
(٦٩٢) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ٢٥٤ . يجدلون : يصرعون . طوائفهم : نواحيهم . خراديل : قطعاً قطعاً ،
(٦٩٣) ملك بن خالد الهذلي : الهذليين ، ص ١٧١ بيت ٣ .

٦٩٤ـ بطَعنٍ كإيزاغِ المخاضِ رَشاشُه
وضَربٍ كتَشقيق الحصيرِ المشقّق

صورة من تقطيع الحمقاء ثوبها :

٦٩٥ـ مُنتخَبُ اللُّبِّ له ضَربَةٌ خَـــدْباءُ كالعَطِّ من الخِذْعَل
أفلَطَها اللّيلُ بِعَيْرٍ فتَسْـــعَى ثَوْبُها مُجْتَنِبُ المَعْدَلِ

صورة من تقطيع السيال :

٦٩٦ـ ألا إنَّ بَيْنَ الشَّرْعَبي ورَاتِج ضِرابًا كتَخْذيمِ السَّيالِ المُعَضَّد

صورة من النار :

٦٩٧ـ فإن تَسيرُوا إلينَا تُرْفَـــدُوا عجَلا
ضَرْباً يَظَلُّ على هَامَاتِكُمْ يَقِـــد

صورة من المطر على الطراف :

٦٩٨ـ وحَسِبْت وقْعَ سُيوفِنا برُؤوسِهِمْ
وَقْعَ السحابِ عَلى الطِّرافِ المُشْرَج

---

(٦٩٤) ملك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ص ١٧٥ بيت ٧ .

(٦٩٥) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ص ٨٦ البيتان : ٢٦ ـ ٢٧ .

(٦٩٦) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٢١ بيت ٥ . الشرعبي وراتج : موضعان . تخذيم : تقطيع . والسيال : شجر له شوك أبيض . والمعضد : المقطع .

(٦٩٧) البراق : شعراء النصرانية ص ١٤٤ .

(٦٩٨) الحارث بن حلزة : المفضليات ص ٥١٧ ، بيت ٨ . والطراف : بيت من جلد والمشرج : التي ادخل بعض عراها في بعض .

صورة من الريح في الحصاد :

٦٩٩ ـ كأن اختِلاءَ المشرفي رُؤوسَهم هَوِيُّ جنوبٍ في يَبِيسٍ مُحَرَّق

(ح) يوم الموقعة

صورتان من الوقت الطويل :

٧٠٠ ـ إني لأخشى عَلَيْكُم أن يَكُونَ لكم
مِنْ أجلِ بَغضائِهِمْ يومٌ كأيام

٧٠١ ـ ساروا إلينا وَهُمْ صِيدٌ رُؤوسُهُمُ
فقدْ جعلْنا لَهُمْ يوماً كأيام

صورتان من الكواكب :

٧٠٢ ـ ولما رأيتُ الصَّبر لَيسَ بنافِعي وَأنْ كانَ يوماً ذا كَواكِبَ أشهَبَا

٧٠٣ ـ تبدُو كواكِبهُ والشَّمسُ طالعة لا النورُ نورٌ ولاَ الإظلامُ إظلاَم

---

(٦٩٩) سلامة بن جندل ، ديوانه ، ص ١٥ .

(٧٠٠) النابغة الذبياني ، العقد الثمين ، ص ٢٧ قصيدة ٢٦ بيت ٤ .

(٧٠١) محرز بن المكعبر الضبي ، المفضليات ، ص ٥١٠ بيت ٥ . والصيد : جمع أصيد ، وهو الذي يرفع رأسه كبراً .

(٧٠٢) الحصين بن الحمام ، المفضليات ص ٦٢٣ بيت ٥ .

(٧٠٣) النابغه الذبياني ، العقد الثمين ص ٢٧ قصيدة ٢٦ بيت ٥ .

صورة من الغمام :

٧٠٤ ــ لَدُنْ غُدوة حتى أتى الليلُ وانجلَتْ
غمامَــةُ يومٍ شرُّهُ مُتَظَــاهِر

صورة من المكشر عن انيابه :

٧٠٥ ــ أعَاذِل كم مِنْ يوم حربٍ شهدتُه
له منظرٌ بادي النَّواجِــذِ كالح

صورة من الخيل :

٧٠٦ ــ وأيامنا مَشهُورةفي عُدوِّنا لَها غُررٌ معلومة وحُجُول

(د) الشعور النفسي

صورة من الطابخة :

٧٠٧ ــ فكانوا كذاتِ القِدْرِ لَمْ تَدرِ إذْ غَلَتْ
أتُنْزِلُهــا مَذْمُومَــةً أمْ تُذيبها

---

(٧٠٤) عوف بن الأحوص . المفضليات ص ٧١٦ بيت ٧ .

(٧٠٥) عنترة : العقد الثمين ، ص ٣٦ ، قصيدة ٧ بيت ٥ .

(٧٠٦) السموأل بن عاديا : الحماسة (مصر) جـ ١ ص ٣٠ .

(٧٠٧) بشر بن أبي خازم : المفضليات ، ص ٦٤٤ بيت ١٢ . ويقصد بذات القدر كانت امرأة تسلىء سمناً ، ارتفعت عليها زبدتها ، فان أذابتها لم تصلح ، وان أنزلتها فسدت .

صورة من الحمار :

٧٠٨ ــ وَقَدْ ضمزَتْ بجرّتها سُلَيم مخافَتَنا كما ضَمزَ الحِمَار

صورة من الوعل :

٧٠٩ ــ وَقد خفْتُ حتى ما تزيدُ مَخَافَتي
عَلى وَعلٍ في ذي المطارَةِ عَاقِل

صورتان من الناقة :

٧١٠ ــ وكُنتُ كذاتِ البّوِ رِيعَتْ فأقبلتْ
إلى جَلَدٍ مِنْ مَسْكِ سَقْبٍ مُقَدَّد

٧١١ ــ وكنتُ كذاتِ البوِّ رِيعَتْ فرجَّعتْ
وَهَــلْ تَنْفَعَنْهَا نظرةٌ وَشَمِيم
أطافتْ فسافَتْ ثُمَّ عادَتْ فَرجَّعَتْ
ألا ليسَ عَنْهــا سُجْرُها بِصَرِيم

---

(٧٠٨) بشر بن أبي خازم : المفضليات . ص ٦٧١ بيت ٣٣ . ضمزت : سكتت وذلت من الخوف ، لم ينطقوا ولم يسمع لهم خبر . ويقال : الضموز : الكضوم على الجرة ، وإنما خص الحمار لأنه لا يجتر فهو ساكت أبداً .

(٧٠٩) النابغة الذبياني : العقد الثمين ص ٢٢ قصيدة ٢٠ بيت ١٧ .

(٧١٠) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٥٧ .

(٧١١) متمم بن نويرة : النقائض (مصر) جـ ٢٢١ . وسافت : شمت ، والسوف : الشم . والسجر : الحنين . صريم : منقطع .

٩ ـــ ما حدث للاعداء

صورتان من الشفاء :

٧١٢ـــ كُنَّا إذا نَعرُوا لحرْبٍ نَعْرَةً   نَشْفي صُداعَهمْ بِرأسٍ مِصْدَمِ

٧١٣ـــ فكُلٌّ قبائِلِهمْ أُتْبِعَتْ   كما أُتْبِـعَ العَرُّ مِلحاً وَقَارا

صورة من خطم الأنف :

٧١٤ـــ تمَكَّكُ أطرافَ العظامِ غُذَيَّةً   ونَجعلُهنَّ للأُنوفِ خَواطِما

صور من الشرب :

٧١٥ـــ ونحن سقينا من فَريرٍ وبُحْتُر   بكُلِّ يدٍ منَّا سِناناً وَثَعْلَبا

٧١٦ـــ نَجُذُ جِهاراً بالسيوفِ رؤوسَهم   وأرماحُنا مِنْهُمْ تُعَلُّ وتُنْهَلُ

---

(٧١٢) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٨٠ بيت ١٠ . نعروا : صرخوا . مصدم : شديد ،

(٧١٣) عوف بن عطية : المفضليات ، ص ٨٤٦ بيت ٣٨ : العر : الجرب وهو يداوي بالملح والقار ، أي أتبعتهم وقعتنا بهم برءاً مما كان في صدورهم من البغي وحب القتال كما اتبع العر وهو الجرب ملحاً وقاراً فشفيت الجربى .

(٧١٤) عبد المسيح بن عسلة : المفضليات ، ص ٦٠٧ بيت ٤ . التمكك : إخراج المخ من العظم بالشفتين ، أو شدة الاستقصاء على العظم بالضرس ، غدية : تصغير غداة . خواطما : أي خطمنا أنوفهم بهذه الوقعة ، أي صيرنا بها عاراً عليهم كالعلامة على أنوفهم .

(٧١٥) ربيعة بن مقروم : المفضليات ص ٧٣٨ بيت ٢١

(٧١٦) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية . ص ٧٧٨ .

٧١٧ــ فاشربوا ما وردتم الآن منّا
وَاصْدُروا خاسرينَ عَنْ شَرّ حالِ

٧١٨ــ بدارِهمُ تركنا يومَ نحسٍ لدَى أوطانِهمْ تُسقى السِّماما

٧١٩ــ وَإنْ يقْذِفوا بالقِذْعِ عِرْضَكَ أسقهمْ
بشُرب حِياضِ الموتِ قبلَ التَّهدُّدِ

٧٢٠ــ ثُمَّ أَسْقَاهُمُ على نَفَدِ الْعَيْـــش فَأَرْوَىٰ ذَنوبَ رِفدٍ مُحالِ

صور من الكأس :

٧٢١ــ تَلْقَ الذي لاقى العَدوّ وَتَصطبِحْ
كأساً صُبابتُها كطَعْمِ العَلْقَمِ

٧٢٢ــ حتّى سَقَيْناهُمْ بِكَأسٍ مُرَّةٍ مكروهةٍ حُسُواتُها كالعلقم

٧٢٣ــ وَسقيتُ تيم اللاتِ كأساً مرةً كالنارِ شُبَّ وَقودُها بِضِرام

٧٢٤ــ وصَبَحْنا عبْساً وَمُرّةَ كأساً في نَواحي دِيارهمْ فَاسْبَطرت

(٧١٧) المهلهل : شعراء النصرانية ، ص ٢٤٢ .
(٧١٨) عامر بن الطفيل : ديوانه ، ص ٩٩ بيت ٢٧ .
(٧١٩) طرفة بن العبد : المعلقة .
(٧٢٠) الأعشى : قصيدة ١ بيت ٦٤ . والذنوب : الدلو المملوءة ماء . محال : مصبوب ، ضربه مثلا للموت .
(٧٢١) سنان بن أبي حارثة : المفضليات ص ٦٨٨ بيت ٢ .
(٧٢٢) بشر بن أبي خازم : المفضليات ٦٨٦ بيت ٢٢ .
(٧٢٣) المهلهل : شعراء النصرانية ، ص ١٧٤ .
(٧٢٤) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٠٥ بيت ٣ . واسبطرت : انتشرت وامتدت .

٧٢٥ ــ صَرفتُ إليهِ نحسأ يوم سُوءٍ لهُ كأسٌ مِن الموتِ المتَاح

٧٢٦ ــ سَقينَا بالفضَاء كئوسَ حتفٍ بني عَوفٍ وإخوتَهُمْ تَزِيدَا

٧٢٧ ـ يُساقوننا كَأساً من الموتِ مُرةً وَعرَّدَ عنَّا المقرفون الحَنَاكِل

٧٢٨ ـ أذاقوهمْ كأساً مِن الموتِ مُرَّةً وقد بَذخت فُرسانُهم وأَدَلَّت

٧٢٩ ـ حتَّى سقيناهمْ بِكأسٍ مرة فيهـــا المُثَمَّل نافعاً فَلْيشْرَبُوا

صور من الخمر :

٧٣٠ ـ فانَّ بني عِجْلٍ هُمُ صَبَّحُوكُمُ صَبُوحاً يُنَسِّي ذَا اللَّذاذة سَاعِرا

٧٣١ ـ لَقدْ صَبَحنَاهُمْ بِالْبيضِ صَافِيَةً عِندَ اللِّقاءِ وَحَرُّ الموتِ يَتَّقِد

٧٣٢ ـ ونحن صَبحْناعامِراً يومَ أقبلوا سُيوفاً عليهِنَّ النِّجادُ بَوَاتِكَا

٧٣٣ ـ صَبَحْنا فَزَارَةَ سُمرَ القَنَا فَهــلاَّ فزارة لا تضْجَرُوا

٧٣٤ ـ صَبَحْناهُمْ مشعشعَـــةً تخَـــالُ مَصَبَّها رَذَمـــا

---

(٧٢٥) جساس بن مرة : شعراء النصرانية ، ص ٧٤٧ .

(٧٢٦) قيس بن الخطيم ديوانه ، ص ٢٦ بيت ٦ . تزيد جد بني سلمة بن علي بن تزيد ، وليس في العرب تزيد غيرهم ، وغير بطن في قضاعة .

(٧٢٧) مالك بن حطان : النقائض (مصر) ج ١ ص ٢٣ .

(٧٢٨) الأعشى : قصيدة ٤٠ بيت ٩ . بذخ (كعلم) تكبر وعلا . أدل : تاه وترفــع .

(٧٢٩) عبيد بن الابرص : ديوانه ، ص ١٥ بيت ٢٠ . والمثمل : السم .

(٧٣٠) مقاس العائذي : المفضليات ، ص ٦١٠ بيت ٧ . ساعراً : حاراً .

(٧٣١) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ، ص ٢٧٨ .

(٧٣٢) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٥٢ بيت ١٠ .

(٧٣٣) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٦٠ .

(٧٣٤) الأعشى : قصيدة ٥٦ ، بيت ٢١ . المشعشعة : الخمر الممزوجة بالمـــاء . مصبها : انصبابها . رذماً : من رذمت الناقة رذماً إذا دفعت بلبنها .

٧٣٥ـ فما فزِعوا إذ خالَطَ القومُ أهلَهُمْ ولكنْ رأوْا صِرفاً من الموت أصْهبَا
٧٣٦ـ فصبّحهُمْ بها صَهباءَ صِرْفا كأن رؤوسَهمْ بَيضُ النَّعـــام

صور من المطر :

٧٣٧ ـ كأنهُمُ صابتْ عليهمْ سَحابةٌ صَواعِقُهـــا لِطيرِهنَّ دَبيبُ
٧٣٨ـــ فَجادتْ عَلى الهامرْز وسْطَ بُيوتِهمْ
شآبيبُ موتٍ أسْبلَتْ وَاسْتَهَلَّتِ
٧٣٩ ــ ومَا نَذِرُوا حَتَّى غَشينا بيوتَهم
بغيبةِ مـــوتٍ مُسبِلِ الوَدْقِ مُزْعِفِ

صورة من الجرف المنهار :

٧٤٠ ــ فاستَدْبرُوهُمْ فَهاضُوهُمْ كأنهُمُ
أرْجـــاءُ هَارٍ زَفَـــاهُ اليَمُّ مُنْثَلِم

---

(٧٣٥) الحصين بن الحمام : المفضليات ص ٦٢٣ ب ٨ .

(٧٣٦) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٢٩ قصيدة ٢٧ ب ٢٧ .

(٧٣٧) علقمة الفحل : المفضليات ، ص ٧٨٤ ب ٢٢ . يقول : كان ما أصابهم من القتل الذريع سحابة جاءت بصواعق ، فقتلت ما أصابت من الطير ، وبقي ما أفلت منهـــا يدبّ ولا يقدر على الطيران .

(٧٣٨) الأعشى : قصيدة ٤٠ ب ١٤ .

(٧٣٩) عنترة : العقد الثمين ، ص ٤٠ قصيدة ١٥ ب ٤ . نذروا : علموا . بغيبة موت: موت كان غائباً عنهم . مسبل الودق : ممطر ، وذلك كناية عن انصباب الموت فوق رؤوسهم . والمزعف : القاتل من السم .

(٧٤٠) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ٢٠٦ . هاضوهم : كسروهم. أرجاء : نواح . هار : تكسر وانهدم . زفاه : استخفـــه . اليم : البحر ، شبه الجيش المنهزم بالجرف المنهار بفعل البحر .

صورتان من الحنظل :

٧٤١ــ والهام تندرُ بالصعيد كأنما تلقى السيوفُ بها رؤوس الحنظل

٧٤٢ــ كأن رُؤوسَ الخزرجيّينَ إذْ بَدتْ
كتائبُنَا تَتْرى مَعَ الصُّبْحِ ، حَنْظَلُ

صورتان من الغنائم :

٧٤٣ــ لقيناهُمُ نَستنقِذُ الخيلَ كالْقَنَا ويستنقذونَ السَّمْهَرِيَّ المُقَصَّدا

٧٤٤ــ نُطارِدُهُمْ نَسْتَنقِذُ الجردَ كالقنا
ويَستنقِذون السّمهريَّ المقوَّما

صورتان من اللعب :

٧٤٥ــ حَشاهُ السِّنانُ ثم خَرَّ لأنفِهِ كما قَطَّرَ الكَعْبَ المورِّبَ نَاهِدُ

٧٤٦ــ سَائل بنا حُجْرَ بنَ أم قَطَامِ إذْ
ظلتْ به السُّمْرُ النَّواهِلُ تَلْعَبُ

---

(٧٤١) عنترة : العقد الثمين ، ص ٤٣ ، قصيدة ٢٠ ب ١٧ . تندر : تسقط . الصعيد: الأرض ، شبه رؤوس الأعداء برؤوس الحنظل وهو شجر مُر ، في سهولة قطعها .

(٧٤٢) قيس بن الخطيم ، ديوانه ص ٢٤ ب ٢ .

(٧٤٣) زيد الخيل : الأغاني ج ١٦ ص ٥٥ ،

(٧٤٤) الحصين بن الحمام : المفضليات ص ١٠٦ بيت ٩ .

(٧٤٥) ضمرة بن حمزة: المفضليات ص ٦٣٥ ب ٩ . حشاه السنان: دخل في أحشائه، قطره : رماه على قطره أي ناحيته . الكعب : عظم يلعب به . ناهد : صبي .

(٧٤٦) عبيد بن الأبرص ، ديوانه ، ص ١٦ ب ٢٧ .

صورة من السابح :

٧٤٧ــ فَهُمُ ثَلاثةٌ أفرِقاءُ، فَسَابِحٌ في الرمحِ يَعْثُرُ في النَّجيعِ الأحمرِ

صورة من المحتطب :

٧٤٨ــ وَغادَرْنَ نَضْلَةَ في مَعْرَكٍ يَجُرُّ الأسنةَ كالمحتطِبِ

صور من الكساء والثوب والخمار :

٧٤٩ــ عَلى عَمْدٍ كَسَوْتُهَا قَبُوحاً كما أكسُو نِسَاءَهُما السِّلابَا

٧٥٠ــ وإن يَلْقَني بَعْدها يَلْقَني عليهِ مِن الذلِّ ثوبٌ قَشِيبُ

٧٥١ــ فَخَرَّ عَلى الألاءَةِ لَمْ يُوَسَّد وَقَد كانَ الدِّماءُ لَهُ خِمارا

صورة من العرس :

٧٥٢ــ تركتُ الطيرَ عاكفةً عليهِ كما تَرْدِي إلَى العُرُسِ الغَواني

---

(٧٤٧) عوف بن عطية : المفضليات ص ٣٦٨ ب ٤ . أفرقاء :جمع فريق .سابح في الرمح: يريد أنه طعنه ، ثم أجره الرمح .

(٧٤٨) عنترة العقد الثمين ، ص ٣٤ قصيدة رقم ٣ .

(٧٤٩) الحارث بن ظالم : المفضليات ، ٦١٨ .

(٧٥٠) ثعلبة بن عمرو ، ص ٥١٤ ب ١٤ .

(٧٥١) شمعلة بن الاخضر : الحماسة (مصر) ج ١ ص ٢٢١ . والألاءة : شجرة حسنة المنظر ، قبيحة المخبر ، لمرارتها . لم يوسد : من غير وسادة . خماراً : أي كان غريقــا في دمه كأنه لبس خماراً أحمر .

(٧٥٢) عنترة : العقد الثمين ، ص ٥٠ قصيدة ٢٠.

صور من إكرام الضيف :

٧٥٣ـ فباتُوا لَنا ضَيفاً وبِتْنا بِنِعْمَةٍ
لَنا مُسْمِعاتٌ بالدُّفوفِ وزَامر

٧٥٤ـ فباتُوا ، ومَن يَنْزِلْ به مِثْلُ ضَيفِنا
يَبِتْ عَنْ قِرَى أضيافِهِ غيرَ غافل

٧٥٥ـ حَشَدُوا عليكَ وعَجَّلوا بِقِراهُمُ
وَحَمَوْا ذمارَ أبيهِمُ أنْ يُشْتَمُوا

٧٥٦ـ فلَم نقرِهِمْ شيئاً ولكنْ قِراهُمُ
صَبوحٌ لدينا مَطْلَعَ الشمْسِ حازِر

٧٥٧ـ ولو نَظَروا الصَّباحَ إذنْ لَذَاقوا
بأطرافِ الأسنةِ ما قِرانا

٧٥٨ـ فقَرَيْنَاهُ حِينَ رامَ قِرانَا كُلَّ ماضي الذُّبابِ عَضْبِ الصِّقالِ

٧٥٩ـ وقِرَى بَاعِثٌ أسِيدَ حُرُوباً في النواحي يُشَبُّ مِنْها الضِّرامَا

---

(٧٥٣) المعقر البارقي : النقائض (أوربا) ص ٦٧٦ .
(٧٥٤) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١١٦ ب ٤ .
(٧٥٥) حميصة الشيباني : العقد الفريد جـ ٣ ص ٩٢ .
(٧٥٦) المعقر البارقي : النقائض (أوربا) ، ٦٧٦.
(٧٥٧) الأعشى : قصيدة ٢٧ بيت ١٥ .
(٧٥٨) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ، ص ٢٧٣ .
(٧٥٩) المتنخل اليشكري : شعراء النصرانية ص ٧٦٠ .

٧٦٠ـ نَزَلْتُمْ منزِلَ الأضيافِ منّا فأعجلْنَا القرى أنْ تشتُمُونا
قَرَيْناكُمْ فعجّلْنا قِراكُمْ قُبيلَ الصُّبح مِرداةً طَحُونا

٧٦١ ـ إنَّ لَنَا فَخمةً مُلملَمَةً تَقْري الْعَدُوَّ السِّهامَ وَاللَّهَبا

صورتان من الدلو :

٧٦٢ـ فما جبُنُوا ولكنْ وَاجهُونَا بسَجلٍ مِن سجالِ الموتِ حامي

٧٦٣ ـ ثُمَّ أَسْقاهُمُ على نَفَدِ الْعَيْشِ فَأَرْوَى ذَنُوبَ رِفْدٍ مُحَالِ

صورة من الجفير :

٧٦٤ ـ وَهَلْ يَدْرِي جُرَيَّةُ أنَّ نَبلي يَكونُ جَفِيرَهَا البطلُ النَّجيدُ

صورة من الأحمال :

٧٦٥ ـ كأن جَماجِم الأبطالِ فيها وسوقٌ بالأماعزِ يَرْتَمينا

صورتان من التقشير :

٧٦٦ـ لحَوْناهُمُ لَحْوَ العِصيِّ فَأَصبحوا عَلى آلةٍ يشكُو الهوانَ حَريبُها

(٧٦٠) عمرو بن كلثوم : المعلقة .
(٧٦١) السموأل بن عاديا : ديوانه ص ٧ ب ١٩ .
(٧٦٢) معقل بن خويلد : شعر الهذليين ص ١٠٥ ب ٦ .
(٧٦٣) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ١ ب ٦٤ .
(٧٦٤) عنترة العبسي : العقد الثمين ، ص ٣٨ قصيدة ١٠ ب ٥ ،
(٧٦٥) عمرو بن كلثوم : المعلقة .
(٧٦٦) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٤٥ ب ١٥ . الآلة : الحالة ، واللحو : قشر العود ، أي فعلنا بهم مثل ذلك ، أي أخذنا جميع أموالهم .

٧٦٧- وقد هرَّت كلابُ الحيِّ منا   وشذَّبْنا قتـــادَةَ مَنْ يلينا

صورتان من الشجر المقطوع :

٧٦٨- أُوجِرتُ جَفْرتَهُ خِرصاً فمالَ به   كمَا انْثَنَى مُخْضَدٌ مِنْ نَاعِمِ الضَّالِ

٧٦٩- وتَفقَّدوا تِسْعِينَ مِنْ سَرَوَاتكم   أشباهَ نخلٍ صرَّعتْ لِجُنُوب

صورتان من الكلاب :

٧٧٠- نقلْناهمُ نقلَ الكِلابِ جِراءها   على كُلِّ مَعْلوبٍ يَثُورُ عَكُوبُها

٧٧١- تَخلَّفْنا لكُمْ والخيلُ تَرْدي بَنا مَعا
نُزايلُكُمْ حتَّى تَهِرُّوا العَواليـــا

عواليَ زرقاً مِنْ رمَاحِ رُدينةٍ   هَريرَ الكلابِ يتَّقِينَ الأفَاعِيا

صورة من الغنم :

٧٧٢- وكأنهمْ في الحرب إذ تَعْلُوهُمُ   غنَمٌ يُعبِّطُهَا غُواةُ شرُوبِ

---

(٧٦٧) عمرو بن كلثوم ، المعلقة .

(٧٦٨) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٢٥ ب ١٢ . والخرص : سنان الرمح . المخضد : ما قد قطع ، والضال : شجر السدر الصغار الذي يكون في البادية .

(٧٦٩) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٦ ب ١٢ .

(٧٧٠) بشر بن ابي خازم : المفضليات ص ٦٤٤ ب ١٤ . المعلوب: الطريق الموطوء المعبد. العكوب : الغبار .

(٧٧١) عنترة العقد الثمين ص ٥١ قصيدة ٢٦ البيتان ٤ و٥ .

(٧٧٢) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٦ ب ١ .

صورتان من الطحين :

٧٧٣ـ طوراً نديرُ رحانا ثمَّ نطحنُهُمْ طحْناً وطوراً نلاقيهِمْ فنجتلد

٧٧٤ـ متى ننقلْ إلى قومٍ رحانا يكونوا في اللقاءِ لها طحينا
يكونُ ثفالُها شرقيَّ نجدٍ ولُهوتُها قضاعةُ أجمعينا

صور من الإبل :

٧٧٥ـ فلمّا رآهمْ يركبونَ صُدُورَهُمْ كَبُدْنِ إيادٍ يومَ تُجتُّ صُدُورها

٧٧٦ـ ولا تكفروا في النائباتِ بلاءَنا
إذا مسّكم فيها العدوُّ بكلْكلِ

٧٧٧ـ ظأرناكُمْ بالبيضِ حتى لأنتُمُ أذلُّ منَ السُّقبانِ بينَ الحلائبِ

٧٧٨ـ أصْبَحَتْ وائلٌ تعجُّ منَ الحرْ بِ عجيجَ الجمالِ بالأثقالِ

٧٧٩ـ وأرهبْتُ أولى القومِ حتّى تنهْنهوا
كما ذُدتَ يومَ الوِرْدِ هِيماً خوامِسا

---

(٧٧٣) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٢٧٧ .

(٧٧٤) عمرو بن كلثوم : المعلقة .

(٧٧٥) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين ص ١٤ ب ٢١ .

(٧٧٦) طفيل الغنوي : ديوانه ، ص ٣٧ .

(٧٧٧) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١٥ ب ٣٣ .

(٧٧٨) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٢٧٢ .

(٧٧٩) حسيل بن سجيح : الحماسة (مصر) ج ١ ص ٢٢١ . تنهنهوا : كفوا ورجعوا . والهيام : داء يصحب العطشان الشديد العطش . والخوامس : التي ترد الماء لخمسة أيام ، وذلك أن تشرب في يوم ثم تمتنع ثلاثة أيام ، ثم ترد في اليوم الرابع . فيكون لها ازدحام يوم الورد .

٧٨٠ ـ أُولَى وَأُولَى كُلٌّ فَلَسْتَ بِظَالِمٍ
وَطِئْتَهُمْ وَطْءَ الْبَعِيرِ الْمُقَيَّدِ

٧٨١ ـ وَوَطِئتَنا وَطْءًا عَلى حَنَق وَطْءَ المُقَيَّد نابتَ الهَرْمِ

٧٨٢ ـ تَسوقُ أُخرَاهُمْ أَوائِلَهُمْ كَما يَسوقُ الْمُعارِضُ الجَلَبا

٧٨٣ ـ فليت سُوَيداً راءَ مَنْ جُرَّ منكمْ
وَمن فَرَّ إذ يَحْدونَهُمْ كالجَلائِبِ

٧٨٤ ـ و نَكُرُّ أُولاهمْ على أُخرَاهُمْ كَرَّ المُحَلَّأ عَن خِلاطِ المَصْدَرِ

صور من ثمود وعاد :

٧٨٥ ـ رَغا فوقَهمْ سَقْبُ السَّماء فَداحِضٌ
بِشِكَّتِهِ لَمْ يُستَلَب وَسَليب

---

(٧٨٠) الأعشى : قصيدة ٢٨ ب ١٨ . وخص البعير المقيد لثقل وطئه ، وذلك لأنه يطأ بكلتا رجليه .

(٧٨١) الحارث بن وعلة : الحماسة (مصر) جـ١ ص ٦٥ . والهرْم : شجر ضعيف . والمعنى أثرت فينا تأثير الحنق الغضبان ، كما يؤثر البعير المقيد إذا وطىء الشجرة الضعيفة . ووطء المقيد ثقيل لعدم تمكنه من وضع قوائمه وفق إرادته .

(٧٨٢) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٣١ ب ٢٤ .

(٧٨٣) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١٥ ب ٣٦ . والجلائب : الجماعات من الخيل والإبل والغنم ، والواحدة جلوبة ، وهو ما جلب من شيء . وسويد : هو ابن الصامت الأوسي قتله المجذر بن زياد حليف الخزرج ، فقتله .

(٧٨٤) عوف بن عطية : المفضليات ، ص ٦٣٨ ب ٣ . والمحلأ : البعير يمنع من ورود الماء . والخلاط : المخالطة . المصدر : صدور الابل عن الماء ، أي نطردهم كما تطرد الإبل عن الماء .

(٧٨٥) علقمة الفحل : المفضليات ، ص ٧٨٤ ب ٣١ . رغا فوقهم سقب السماء : أي أن أعداء الممدوح هلكوا كما هلكت ثمود حين عقروا الناقة ، فرغا سقبها . والسقب : ولد الناقة ، وجعله سقب السماء لأنه رفع إلى السماء لما عقرت أمه . والداحض : هو الذي يفحص الأرض بيديه ورجليه وهو يجود بنفسه كالمذبوح .

٧٨٦ـ كأنَّ بذي دُودَانَ والجزعِ حوْلهُ
إلى طرفِ المقْراةِ أرْغيَةَ السّقْبِ

٧٨٧ـ لقِيتْ تغلِبُ كعُصْبَةِ عادٍ إذْ أتاهمْ هوْلُ العذابِ صَباحا

٧٨٨ـ فلَقدْ أصبحتْ جمائِعُ بكْرٍ مِثْلَ عادٍ إذْ مُزِّقتْ في الرِمالِ

القتلى

صورة من القتاد :

٧٨٩ـ وَآخرَ شاصٍ ترى جِلْدَهُ كَقِشْرِ القَتادَةِ غِبَّ المطَرِ

صورة من الهشيم :

٧٩٠ـ وأضحت بتَيْمُنَ أجسادُهمْ يُشَبِّهُها مَنْ رآهــا الهَشيما

صور من الخشب :

٧٩١ـ لا ضيرَ قدْ حكّتْ بمُرةَ بَرْكَها
وتركْنَ أشْجَعَ مِثْلَ خُشْبِ الأَثْأَبِ

---

(٧٨٦) مالك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ص ١٦٩ .

(٧٨٧) الفند الزماني : شعراء النصرانية ص ٢٤٢ .

(٧٨٨) المهلهل : شعراء النصرانية ص ٢٧٥ .

(٧٨٩) المرقش الأكبر : المفضليات ، ص ٤٨٢ ب ٧ . والشاصي : الرافع رجله . وإذا أصاب المطر القتادة انتفخت قشوره وارتفعت عن الصميم .

(٧٩٠) ربيعة بن مقروم : المفضليات ، ص ٣٦٢ ب ٣٥ . والهشيم : ما يبس وتكسر من ورق الشجر . تيمن (بضم الميم وفتحها) : موضع باليمن .

(٧٩١) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١١١ ب ٢ . وحكت : أي الحرب . بركها : صدرها . والأثأب : شجر .

٧٩٢ ــ فما ذرّ قرنُ الشمس حتّى كأنهمْ
بــذاتِ اللظى خُشْبٌ تُجَرُّ إلى خُشْب

٧٩٣ ــ حَتّى تَرَكْناهُمْ لَدى مَعْرَكٍ أَرْجُلُهُمْ كَالخَشَبِ الشّائِــلِ

٧٩٤ ــ فأقررْت عَيني يومَ ظلّوا كأنهمْ
ببطنِ عَبيطٍ خُشْبُ أثْــلٍ مُسَنَّد

الفاروت

صورة من التيس :

٧٩٥ ــ وَأَمّا أَشْجعُ الخُنْثى فوَلّت تيوساً بالشّظِيِّ لهمْ يُعَــارُ

صورة من المها :

٧٩٦ ــ وَلَكنه لَجَّ في رَوْعِهِ فَكان ابنُ كوزٍ مَهاةَ نُوارا

صورة من العقاب :

٧٩٧ ــ نجوتُ نجاءً لم يرَ النّاسُ مثله كأني عُقابٌ عِنْدَ تَيْمَنَ كاسر

(٧٩٢) مالك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ، ص ١٦٩ ب ٦ .

(٧٩٣) امرؤ القيس : العقد الثمين : ص ١٥١ قصيدة ٥١ ب ٨ .

(٧٩٤) مالك بن نويرة : العقد الفريد جـ٣ ص ٨٧ .

(٧٩٥) بشر بن أبي خازم : المفضليات ، ص ٦٧١ ب ٣٩ . أراد بوصفهم بالخنثى ، أنهم لا رجال ولا نساء . الشظي : بلد . واليعار : صوت الماعز .

(٧٩٦) عوف بن عطية : المفضليات : ص ٨٤٥ ب ٣٥ . لج في روعــه : لم يعرج على شيء بسبب الفزع . المهاة : البقرة . النوار : النافرة . شبهــه ببقرة نفرت من صائد ، فهي لا تألو شدا من الذعر .

(٧٩٧) الحارث بن وعلة : المفضليات ص ٣٢٨ البيتان ٢و٣ . والكاسر : هو الذي يضم جناحيه يريد الانحطاط على الصيد . والخدارية : التي يضرب لونها إلى السواد . والسفعاء : التي فيها سفعة ، وهي سواد يضرب إلى حمرة . والأهاضيب : جمع أهضوبة ، وهي المطرة العظيمة . تيمن : موضع باليمن .

خُدَارِيَّةٌ سَفْعَاءُ لَبَّدَ رِيشَهَا مِنَ الطَّلِّ يومٌ ذُو أهاضيبَ مَاطِرُ

صور من النعام :

٧٩٨ ـ كأنَّا وقَدْ حالتْ حُذُنَّةُ دُونَنا نَعامٌ تَلاهُ فَارِسٌ مُتَواتِرُ

٧٩٩ ـ وهُمْ تركوكَ أسلَحَ من حُبارَى رأتْ صَقْراً وأَشْرَدَ مِن نعَامِ

٨٠٠ ـ غداةَ كأنَّ بني لُجيمٍ ويَشْكُرا
نعامٌ بصحراءِ الكَديدَيْنِ هُرَّبُ

٨٠١ ـ قَتَلْنا كَبشَهُمْ فَنجَوْا شِلالا كما نفَّرْتَ بالطَّرْدِ النَّعاما

٨٠٢ ـ وَهُمُ هَارِبونَ في كُلِّ فَجٍّ كَشَريدِ النَّعامِ فَوْقَ الرَّوابي

٨٠٣ ـ واللهِ ما هِقْلَةٌ حَصَّاءُ عَنَّ لَها جَوْنُ السَّرَاةِ هَزِيفٌ لَحْمُهُ زِيَمُ
كانتْ بأوديةٍ مَحْلٍ فَجاءَ لَها مِن الربيعِ نَجاءٌ نَبْتُهُ دِيَمُ
فَهِيَ شَنُونٌ قَدِ ابْتَلَّتْ مَسارِبُها
غَيْرَ السُّحُوفِ وَلَكِنْ عَظْمُها زَهِمُ
بأسْرَعِ الشَّدِّ مني يَوْمَ لانِيَةٍ لَمَّا عَرَفْتُهُمُ واهْتَزَّتِ اللِّمَمُ

---

(٧٩٨) الحارث بن وعلة : المفضليات ، ص ٣٢٩ ب ٤ . حذنة : أرض لبني عامر بن صعصعة، متواتر :متتابع العدو والجري . شبهوا أنفسهم حين هربوا بنعام يخاف فارساً يتبعه.

(٧٩٩) أوس بن غلفاء : المفضليات ، ص ٧٥٨ ب ١٠ . الحبارى : طير بري يسمى دجاجة البر ، يسلح حين الخوف .

(٨٠٠) سلامة بن جندل : النقائض (مصر) ج ١ ص ١٣٤ .

(٨٠١) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ٨٧ ب ١٤ . الكبش : الرئيس . شلالا : طردا .

(٨٠٢) زهير بن جناب : شعراء النصرانية ص ٢٠٩ .

(٨٠٣) مالك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ، ص ١٦٥ ، الأبيات ٤ - ٧ .

صورة من الغنم :

٨٠٤ـ لَقِينا جَمْعَهُمْ صُبْحاً فكانوا كَمِثْلِ الضأن عَادَاهُنَّ سِيد

صورة من الأتان :

٨٠٥ـ رفَّعْتُ رِجْلاً د أَخافُ عِثَارها وَنَجَوْتُ مِنْ كَثَبٍ نَجاءَ خَذُوفِ

صورة من الحاطب :

٨٠٦ـ أشقُّ جِوازَ البِيدِ والوَعْث مُعرِضا
كأني لِمَا قَدْ أَيْبَسَ الصَّيفُ حَاطِبُ

صورة من الصخرة :

٨٠٧ ـ تَمَلَّزَ مِن تَحتِ الظُّبات كأنه رَداةٌ إذَا تَعْلو الخَبارَ ندُورُها

الأسرى

صورة من الإبل :

٨٠٨ـ يَمْشُونَ في حَلَقِ الحديدِ كأنهمْ جربُ الجمال طُلِينَ بالقَطِرانِ

---

(٨٠٤) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١١٠ ب ٨ والسيد : الذئب ، ولا جمع له من هـذا اللفظ . وعاداهن : من العدو ، أي ذعروا وتشردوا كالضأن التي عاث فيهن الذئب .

(٨٠٥) مالك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ص ١٦٨ ب ٨ .

(٨٠٦) مالك بن خالد الهذلي ، شعر الهذليين .

(٨٠٧) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين ، ص ٤٢ ب ٢٤ .

(٨٠٨) المهلهل : شعراء النصرانية ص ٨١٠ .

صورتان من الغناء :

٨٠٩ــ قاظَ الشَرَبَّةَ في قيدٍ وَسِلْسِلَةٍ   صوت الحديدِ يُغَنِّيهِ إذَا قامَا

٨١٠ــ فقاظَ وفي الجيدِ مَشهورةٌ   يُغنّيه في الْغلِّ إرْنانها

السبايا

صورة من الدمية :

٨١١ــ وَأوانسٍ مِثْــلِ الدُّمَى   حور العيونِ قَدِ استَبَيْنَا

صورة من الربرب :

٨١٢ــ عَذارِيَ يَسْحَبْنَ الذُّيولَ كأنها
مَعَ القوم يَنْصُفْنَ العضاريطَ ربرب

صورة من السعالي :

٨١٣ــ أنا تَرَكْنا منكمُ قَتْلى وَجَرْ   حى وَسَبَايا كالسَّعَــالي

---

(٨٠٩) عتيبة بن الحارث اليربوعي : النقائض (مصر) جـ ١ ص ٧٦ .

(٨١٠) سلامة بن جندل النقائض (مصر) جـ١ ص ١٣٥ .

(٨١١) عبيد بن الأبرص : ديوانه ، ص ٢٩ ب ٢٤ .

(٨١٢) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٢٤ ب ٢٧ .

(٨١٣) امرؤ القيس : العقد الثمين ، ص ١٥٥ ، قصيدة ٥٣ ، بيت رقم ٢ . هكذا روى هذا البيت ، وظاهر أن وزنه غير مستقيم . ولذلك لو قيل مثلاً :
« ..... وسبايا مثل (أو تشبه) السعالي ، لكان أحسن .

صورة من الرمان :

٨١٤ـ يُخَطِّطْنَ بالعِيدانِ في كل مَقْعَـدٍ
وَيَخْبَأْنَ رُمَّانَ الثُّدِيِّ النَّوَاهِدِ

صورة من المها :

٨١٥ـ أو حُرَّةٍ كَمَهَاةِ الرملِ قَدْ كُبِلَت
فوق المعاصِمِ مِنْهَا والعَرَاقِيبِ

صورة من الثقاف :

٨١٦ـ تدعو قُعَيْناً وقَدْ عضَّ الحديدُ بِهَا
عَضَّ الثِّقَافِ على صُمِّ الأَنَابِيبِ

صورة من الظباء :

٨١٧ـ فإني لَوْ أَمهَلْتُكُمْ فَغزوتُمُ فَجِئْتُمْ بِسبِيٍ كالظِّباء وَجَامِل

صورة من الهلال :

٨١٨ـ أَسْلَمُوا كلَّ ذاتِ بَعْلٍ وأُخْرَى
ذَاتِ خِـدْرٍ غَرَّاء مِثْلِ الْهِلال

صورة من شمس الضحى :

٨١٩ـ وَسَبَيْنَا مِنْ تَغْلِبٍ كلَّ بَيْضَا ءَ كَنُورِ الضُّحَى بَرُودِ الرُّضَابِ

---

(٨١٤) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٩ ، قصيدة ٦ بيت ٩ .
(٨١٥) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٤ قصيدة ٢ بيت ١٤ .
(٨١٦) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٤ قصيدة ٢ ب ١٥ .
(٨١٧) عميرة بن طارق : النقائض (مصر) جـ ١ ص ٥٣ .
(٨١٨) المهلهل : شعراء النصرانية . ص ٢٧٦ .
(٨١٩) زهير بن جناب : شعراء النصرانية ، ص ٢٠٨ .

أسماء الشعراء
الذين اخترنا هذه المجموعة من اشعارهم

١ ـ أبو قيس بن الاسلت الانصاري
٢ ـ أبو كلبة التيمي
٣ ـ أبي بن سلمى الضبي
٤ ـ أحيحة بن الجلاح الاوسي
٥ ـ الاخنس بن شهاب التغلبي
٦ ـ الاسود بن يعفر النهشلي
٧ ـ الاعشى الكبير (ميمون بن قيس)
٨ ـ الاغلب العجلي
٩ ـ امرؤ القيس بن حجر الكندي
١٠ ـ أمية بن أبي الصلت الثقفي
١١ ـ أنيف بن زيان النبهاني
١٢ ـ أنيف بن جبلة الضبي
١٣ ـ أوس بن بجير
١٤ ـ أوس بن حجر التميمي
١٥ ـ أوس بن غلفاء الهجيمي
١٦ ـ باعث بن صريم اليشكري
١٧ ـ بدر بن حزاز
١٨ ـ البراق (من ربيعة)
١٩ ـ بشامة بن عمرو (من سهم)
٢٠ ـ بشر بن أبي خازم الاسدي
٢١ ـ بشر بن عمرو (من بكر)
٢٢ ـ بكير (اصم بني الحارث بن عباد)
٢٣ ـ بلعاء بن قيس الكناني
٢٤ ـ ثعلبة بن صعير المازني
٢٥ ـ ثعلبة بن عمرو العبدي
٢٦ ـ جابر بن حني التغلبي
٢٧ ـ جحدر بن ضبيعة التغلبي
٢٨ ـ جساس بن مرة (من بكر)
٢٩ ـ جساس بن نشبة التيمي
٣٠ ـ الجميح الاسدي
٣١ ـ حاتم بن عبدالله الطائي
٣٢ ـ حاجب بن زرارة التميمي
٣٣ ـ الحارث بن حلزة اليشكري
٣٤ ـ الحارث بن ظالم المري
٣٥ ـ الحارث بن عباد
٣٦ ـ الحارث بن همام الشيباني
٣٧ ـ الحارث بن وعلة الجرمي
٣٨ ـ حجر بن خالد الثعلبي
٣٩ ـ حرقوص المري
٤٠ ـ حسان بن ثابت الانصاري
٤١ ـ حسيل بن سجيع الضبي
٤٢ ـ الحصين بن الحمام المري
٤٣ ـ حصين بن عمرو
٤٤ ـ حمصيصه الشيباني
٤٥ ـ حيان بن الحكم (شهرتـــه الفرار السلمي)

٤٦ ـ خالد بن جعفر الكلابي
٤٧ ـ خداش بن زهير
٤٨ ـ خراشة بن عمرو العبسي
٤٩ ـ الخصفي (عامر المحاربي)
٥٠ ـ خفاف بن عمير السلمي
٥١ ـ درهم بن يزيد الاوسي
٥٢ ـ دريد بن الصمة (من هوازن)
٥٣ ـ ذو الاصبع العدواني
٥٤ ـ راشد بن شهاب اليشكري
٥٥ ـ الربيع بن زياد العبسي
٥٦ ـ ربيعة بن طريف
٥٧ ـ ربيعة بن مقروم الضبي
٥٨ ـ رويشد بن كثير الطائي
٥٩ ـ زبان بن سيان المري
٦٠ ـ زهير بن أبي سلمى المزني
٦١ ـ زهير بن جناب الكلبي
٦٢ ـ زيد الخيل الطائي
٦٣ ـ ساعدة بن جؤية الهذلي
٦٤ ـ سبرة بن عمرو الفقعسي
٦٥ ـ سعد بن مالك البكري
٦٦ ـ سلامة بن جندل السعدي
٦٧ ـ سلمة بن الخرشب الانماري
٦٨ ـ سلمة بن ذهل (وهو ابن زيابة التيمي)
٦٩ ـ السموأل بن عاديا
٧٠ ـ سنان بن ابي حارثة المري
٧١ ـ سويد بن ابي كاهل اليشكري
٧٢ ـ سيار بن قصير الطائي
٧٣ ـ شبيل الفزاري
٧٤ ـ شبيم بن خويلد الفزاري
٧٥ ـ شريح بن بجير الثعلبي
٧٦ ـ شمعلة بن الاخضر الضبي
٧٧ ـ الشميذر الحارثي
٧٨ ـ ضمرة بن ضمرة النهشلي
٧٩ ـ طرفة بن العبد البكري
٨٠ ـ طفيل الغنوي
٨١ ـ عامر بن الطفيل
٨٢ ـ العباس بن مرداس
٨٣ ـ عبد الشارق بن عبد العزى الجهني
٨٤ ـ عبد قيس بن خفاف البرجمي
٨٥ ـ عبدالله بن جذل الكناني
٨٦ ـ عبدالله بن جعدة الكلابي
٨٧ ـ عبدالله بن عنمة الضبي
٨٨ ـ عبدالله بن مرداس السلمي
٨٩ ـ عبد المدان (من مذحج)
٩٠ ـ عبد المسيح بن عسلة الشيباني
٩١ ـ عبد يغوث بن وقاص الحارثي
٩٢ ـ عبيد بن الابرص الاسدي
٩٣ ـ عتيبة بن الحارث اليربوعي
٩٤ ـ علقمة الفحل التميمي
٩٥ ـ عمرو بن الاطنابة الخزرجي
٩٦ ـ عمرو بن امرىء القيس الخزرجي
٩٧ ـ عمرو بن كلثوم التغلبي
٩٨ ـ عمرو بن ملقط الطائي
٩٩ ـ عمرو بن معد يكرب الزبيدي
١٠٠ ـ عميرة بن طارق اليربوعي
١٠١ ـ عنترة بن شداد العبسي
١٠٢ ـ العوام الشيباني
١٠٣ ـ عوف بن الاحوص العامري
١٠٤ ـ عوف بن عطية التيمي
١٠٥ ـ الفند الزماني
١٠٦ ـ قبيصة بن النصراني الجرمي الطائي

١٠٧ ـ قتادة بن مسلمة الحنفي
١٠٨ ـ قطبة بن سيار
١٠٩ ـ قيس بن جروة الطائي
١١٠ ـ قيس بن الخطيم الاوسي
١١١ ـ قيس بن زهير العبسي
١١٢ ـ قيس بن عاصم المنقري
١١٣ ـ الكلحبة اليربوعي
١١٤ ـ كبشة (اخت عمرو بن معد يكرب)
١١٥ ـ لبيد بن ربيعة العامري
١١٦ ـ لقيط بن أوس الشيباني
١١٧ ـ لقيط بن زرارة التميمي
١١٨ ـ لقيط بن يعمر الايادي
١١٩ ـ مالك بن حطان
١٢٠ ـ مالك بن حمار الفزاري
١٢١ ـ مالك بن خالد الهذلي
١٢٢ ـ مالك بن خويلد الهذلي
١٢٣ ـ مالك بن العجلان الخزرجي
١٢٤ ـ مالك بن نويرة اليربوعي
١٢٥ ـ المتلمس (جرير بن عبد العزي)
١٢٦ ـ متمم بن نويرة اليربوعي
١٢٧ ـ المتنخل الهذلي
١٢٨ ـ المثقب العبدي
١٢٩ ـ المثلم بن رياح المري
١٣٠ ـ المثلم بن عمرو التنوخي
١٣١ ـ مجمع بن هلال (من بني تيم)
١٣٢ ـ محرز بن المكعبر الضبي
١٣٣ ـ مرداش بن ابي عامر السلمي
١٣٤ ـ المرقش الاصغر (من بكر بن وائل)
١٣٥ ـ المرقش الاكبر (من بكر بن وائل)
١٣٦ ـ مرة (ابو جساس)
١٣٧ ـ مزرد بن ضرار الذبياني
١٣٨ ـ مسهر بن يزيد الحارثي
١٣٩ ـ المسيب بن علس (خال الاعشى)
١٤٠ ـ المعقر البارقي
١٤١ ـ معقل بن خويلد الهذلي
١٤٢ ـ معقل بن عامر الاسدي
١٤٣ ـ مقاس العائذي
١٤٤ ـ الممزق العبدي
١٤٥ ـ المنخل اليشكري
١٤٦ ـ المهلهل (عدى بن ربيعة) التغلبي
١٤٧ ـ النابغة (زياد بن معاوية) الذبياني
١٤٨ ـ نعيم بن عتاب
١٤٩ ـ هند بن خالد بن الشريد
١٥٠ ـ هند بن رزين
١٥١ ـ وداك بن ثميل المازني
١٥٢ ـ ورقاء بن زهير العبسي
١٥٣ ـ وعلة الجرمي
١٥٤ ـ يزيد بن الحذاق الشني (من عبد قيس)
١٥٥ ـ يزيد بن سنان بن ابي حارثة المري
١٥٦ ـ يزيد بن طعمه الخطفي (من الاوس)
١٥٧ ـ يزيد بن عبد المدان (من مذحج)
١٥٨ ـ يزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي



المراجع

١ ـ الاصول الفنية في الادب للاستاذ عبد الحميد حسن : القاهرة ١٩٤٩

٢ ـ أصول النقد الادبي للاستاذ احمد الشايب : القاهرة ١٩٤٦

٣ ـ الاعلام للاستاذ خير الدين الزركلي : القاهرة ١٩٢٨

٤ ـ الاغاني لابي الفرج الاصبهاني (الاجزاء ١ ـ ١١) : طبعة دار الكتب ١٩٢٧ ـ ١٩٣٨

بقية الاجزاء : القاهرة ١٣١٣ هـ

٥ ـ الالياذة للاستاذ سليمان البستاني : القاهرة ١٩٤٢

٦ ـ أيام العرب في الجاهلية للاساتذة جاد المولى وأبي الفضل والبجاوي : القاهرة ١٩٤٢

٧ ـ تاريخ الرسل والملوك للطبري : القاهرة ١٩٠٨

٨ ـ تفسير الطبري : بولاق ١٩٠٥ـ١٩١٢

٩ ـ جمهرة أشعار العرب لابي الخطاب القرشي : القاهرة ١٨٩١

١٠ ـ خزانة الادب للبغدادي : القاهرة ١٩٣٠

١١ ـ الخيل للاصمعي : فينا ١٨٩٥

١٢ ـ الدراسة الادبية للاستاذ رئيف الخوري : بيروت ١٩٤٥

١٣ ـ ديوان الاعشى (ميمون بن قيس) : لندن ١٩٢٨

١٤ ـ « امرىء القيس : القاهرة ١٨٩٠

١٥ ـ أمية بن أبي الصلت : بيروت ١٩٣٤

١٦ ـ ديوان حسان بن ثابت : القاهرة ١٩٢٩

١٧ ـ « الحماسة لابي تمام : القاهرة ١٩١٣

١٨ ـ « الحماسة للبحتري : بيروت ١٣١٠

١٩ ـ « زهير بن ابي سلمى : دار الكتب ١٩٤٤

٢٠ ـ « سلامة بن جندل : باريس ١٩١٠
٢١ ـ « السموأل بن عاديا : بيروت ١٩٢٠
٢٢ ـ ديوان طفيل الغنوي : لندن ١٩٢٧
٢٣ ـ « عامر بن الطفيل : لندن ١٩١٣
٢٤ ـ « عبيد بن الابرص : لندن ١٩١٣
٢٥ ـ « علقمة الفحل : باريس ١٩٢٥
٢٦ ـ « عمرو بن قميئة : كمبردج ١٩١٩
٢٧ ـ عنترة العبسي : القاهرة ١٩١١
٢٨ ـ « طرفة بن العبد : القاهرة ١٩٥٩
٢٩ ـ « قيس بن الخطيم : ليبزج ١٩١٤
٣٠ ـ « لبيد بن ربيعة العامري : فينا ١٨٨٠
٣١ ـ « المتلمس : لندن ١٩٠٣
٣٢ ـ « النابغة الذبياني : بيروت
٣٣ ـ « الهذليين : هانوفر ١٩٢٦
٣٤ ـ « الهذليين : دار الكتب ١٩٤٥
٣٥ ـ الذوق الادبي ترجمة الدكتور علي الجندي : القاهرة ١٩٥٧
٣٦ ـ سمط اللالىء لابي عبيد البكري : القاهرة ١٩٣٦
٣٧ ـ شرح حماسة أبي تمام للتبريزي : القاهرة ١٩١٣
٣٨ ـ شرح المفضليات لابي محمد الانباري : اكسفورد ١٩١٨
٣٩ ـ شرح النقائض لابي عبيدة معمر بن المثنى : ليدن ١٩٠٥ والقاهرة ١٩٣٥
٤٠ ـ شعراء النصرانية للويس شيخو : بيروت ١٨٩٠
٤١ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة : القاهرة ١٩٤٥
٤٢ ـ كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري : القسطنطينية ١٩٠٢
٤٣ ـ طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي : ليدن ١٩١٦
٤٤ ـ العقد الثمين في دواوين الستة الجاهليين : لندن ١٨٧٠
٤٥ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه : بولاق ١٢٩٣
٤٦ ـ العمدة لابن رشيق : القاهرة ١٩٠٧
٤٧ ـ غنية الطلاب في معرفة الرمي بالنشاب لطيبغا اليوناني : المتحف البريطاني رقم ١٣٥٨
٤٨ ـ فجر الاسلام للاستاذ احمد امين : القاهرة ١٩٢٨
٤٩ ـ فقه اللغة للثعالبي : القاهرة ١٩٣٦

٥٠ ـ فنون الادب ترجمة الاستاذ زكي نجيب محمود : القاهرة ١٩٤٥
٥١ ـ الفهرست لابن النديم : القاهرة ١٩٢٩
٥٢ ـ في الادب الجاهلي للدكتور طه حسين : القاهرة ١٩٢٦
٥٣ ـ القاموس المحيط ·
٥٤ ـ القرآن الكريم ·
٥٥ ـ قصائد الهذليين : لندن ١٨٥٤
٥٦ ـ قواعد النقد الادبي ترجمة الدكتور محمد عوض محمد : القاهرة ١٩٣٦
٥٧ ـ الكامل في التاريخ لعز الدين بن الاثير : القاهرة ١٣٠١
٥٨ ـ الكامل في اللغة والادب للمبرد : القاهرة ١٩٣٦
٥٩ ـ الكشاف للزمخشري : بيروت ١٩٤٧
٦٠ ـ لسان العرب
٦١ ـ المثل السائر لنصر الله بن الاثير : القاهرة ١٩٣٩
٦٢ ـ مجمع الامثال للميداني : القاهرة ١٨٩٣
٦٣ ـ مختارات ابن الشجري : القاهرة ١٨٨٨
٦٤ ـ المخصص لابن سيدة : بولاق ١٣١٦ هـ
٦٥ ـ المزهر للسيوطي : القاهرة
٦٦ ـ المعلقات
٦٧ ـ المفضليات للضبي : اكسفورد ١٩١٨
٦٨ ـ الموشح المرزباني : القاهرة ١٣٤٣ هـ
٦٩ ـ النقد التحليلي للاستاذ محمد أحمد الغمراوي : القاهرة ١٩٢٩
٧٠ ـ نقد الشعر لقدامة بن جعفر : القسطنطينية ١٣٠٢ هـ
٧١ ـ نقض كتاب في الادب الجاهلي للاستاذ محمد الخضر حسين : القاهرة ١٣٤٥
٧٢ ـ نهاية الارب للنويري : القاهرة ١٩٢٣



المـــراجع الإفرنجيـــة

1 — Abercrombie, L. : Principe of literary Criticism ... London 1932.

2 — Benett, A. : Literary taste ... London 1929.

3 — Charlton, H. B. : The Art of Literary Study ... London 1924.

4 — Encyclopaedia Britanyica.

5 — Encyclopaedia of Islam.

6 — Faris, N. A. : Arab Arcahery (Translatine of an Arabic MS.) ... Princeton University 1945.

7 — Krenkow : The Translation of Diwan of Tufayl al-Ghanawi ... London 1927.

8 — Lewis. D. : Poetic Images ... London 1949.

9 — Lyall, C. : (a) Ancient Arabian Poetry ... Edunburg 1885.

(b) Translation of Diwan of Abid ibn al-Rbras ... London 1945.

(c) Translation of Diwan of Amir ibn al-Tufayl ... London 1913.

(d) Translation of al-Mufaddaliyyat... Oxford 1918-1921.

10 — Nicholson, R. : A Literary History of the Arabs ... London 1914.



الأعـــلام

خ

د

ذ

ر

ز

س

غ

ف

ق

ك

المصادر

للصور الشعرية

مرتبة ترتيباً هجائياً

(الارقام المذكورة هنا هي ارقام الصور الشعرية وليست ارقام الصفحات)



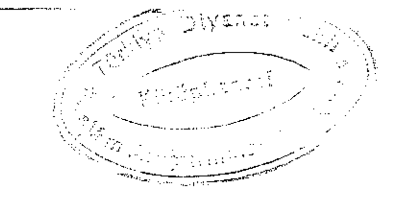
فهرس الشعراء أصحاب الصور الشعرية

(والارقام المذكورة هنا ايضـــا ارقام الصور الشعرية المذكورة فـي الملحق الخاص بها لا ارقام الصفحات)

القبائل

الايام

فهرس الموضوعات



الباب الثاني
النقد الادبي

رقم الايداع	١٩٨٩/٣/٤٢
الترقيم الدولي	٩٧٧ـ١٠ـ٠٣٤٤ـ٥